تربية الطفل

من القرآن والسنة

دراسة منهجية

الدكتور الشيخ

سيد أحمد جمعة سلام

مكتبة الإيمان – المنصورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعـــة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووفقنا للإيمان، وما كنا لنؤمن لولا أن شرح الله صدورنا له، وأحيا قلوبنا بالقرآن العظيم، نور الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وبشيراً ونذيراً للناس أجمعين، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته، ورضي الله عن آله وأصحابه ومن نهج نهجهم، واقتفى أثرهم، واتبع طريقتهم إلى يوم الدين.

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ}(1).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(2).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(3).

وبعد؛

فقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع الموسوم بـ: **دراسة منهجية من القرآن والسنة فى تربية الطفل**؛ لأني حين نظرت حولي وتفكرت في مجريات الأمور، وكل المشكلات التي قد وقع فيها المجتمع الإسلامي صغيره وكبيره على المستوى العام والخاص، وجدت أن سبب معظم المشاكل، أو من أهم أسباب تفاقم المشكلات وعدم القدرة على السيطرة عليها، هو أنه وفي خضم الحياة المعاصرة نجد الأمور قد اختلطت، والشرور قد سادت، وأصبح النشء والشباب يرددون: "نحن لا نجد القدوة الصالحة"... وبدلاً من أن يبحثوا عنها نراهم قد اتخذوا المشاهير من المفكرين أو الممثلين السينمائيين، أو اللاعبين، أو المطربين قدوة ومثلاً... وما نراهم إلا استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!!! وذلك للتقصير فى تربية أبنائنا

(1) آل عمران: ١٠٢.

(2) النساء: ١.

(3) الأحزاب: ٧٠.

التربية الإسلامية الصحيحة،ومن هنا كانت الحاجة ملحة لأن نعيد إلى أذهاننا وأذهان أبناءنا من الأطفال والشباب الصورة الصحيحة للقدوة الصالحة، والشخصية التي تستحق أن تُتبع وأن يُحتذى بها.

محاولة لإعادة الصورة الواضحة للقدوة المثالية التي تستحق أن تتبع، وتأصيل ذلك منذ الطفولة حتى نبني أجيالاً من الشباب الصالحين الذين يمكن أن يكونوا هم أنفسهم قدوة لغيرهم.

وعلى الله قصد السبيل، ومنه وحده التوفيق وذلك من خلال دراسة منهجية تربوية من القرآن والسنة.... ونوزع البحث هنا على ثلاثة أبواب تتضمن عدة فصول تحوى مباحث ومطالب نتناول فيها: المنهج التربوي العام في العلاقات الأسرية، ثم نعرض (مرحلة ما قبل الاقتران ومرحلة الحمل)، ونتناول: (مرحلة ما بعد الولادة مرحلة الرضاعة)، ثم نعرض ما يتعلق بمرحلة الطفولة المبكرة، وأخيراً نتناول: المرحلة الأخيرة (مرحلة الصبا والفتوة).

* * * * *

أهمية الموضوع

الحمد لله الخالق الوهاب.. وهب لنا نعما كثيرة لا تحصي.. ومن هذه النعم نعمة الذرية التي تستوجب الشكر والعناية بها..

أبناءنا هم حرثنا في هذه الدنيا، ونحن المسؤولون أمام الله عز وجل عن تربيتهم وتهيئة سبل الصلاح لهم،راجين من الله أن يكونوا الولد الصالح الذي ينفعنا بعد مماتنا كما قال النبي ﷺ : **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه»**[1].

ولأننا يجب أن نعيش واقعنا في بلاد الغرب من جهة الدعوة وما تمليه علينا، ومن جهة أخرى مواجهة أخطار الواقع الغربي بعلم، فالأخطار كثيرة وخطيرة يجب ألا نتهاون في مواجهتها، ففي الغرب أبواب الرذيلة مفتحة، والإباحية منتشرة، ومحاربة الدين بوسائل غير معلنة، من أجل هذا وغيره،كان واجبا على كل طالب علم يستطيع أن يقدم نصحا لإخوانه من الأباء والمربين والعلماء أن يفعل عسى الله أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا.

ونحن نعلم يقينا أنه شرطا في إصلاح واقعا معينا أن يلم بهذا الواقع المشخص له، وحيث أننا نعيش هذا الواقع فكان واجبا علينا أكثر من غيرنا أن نبحثه – مستعينين بالله – وأن نشخص داءنا، ونلتمس دواءنا.

فمن الخطأ أن يعالج قضايانا من ينقصه فقه الواقع الذي هو نصف الفتوى، من أجل ذلك كانت أهمية الموضوع الذى نقدمه لكل أب.. ولكل أم.. ولكل مربي

أهمية تربية فلذات أكبادنا:

هذا البحث من الأهمية بمكان لأنه يتعلق بتربية فلذات أكبادنا، ووقايتهم من الأخطار الفتاكة، فإن قلتُ إنها أخطر من الشلل والجذام فقد صدقتُ، لأن أخطاء التربية قد تؤدي إلى هلاك من استأمننا الله عليهم في الدنيا، وقد تؤدي هذه الأخطاء إلى غضب الله ثم الهاوية في الآخرة. عياذا بك اللهم. كيف لا وهم أمانة في أعناقنا، ولعظم هذه الأمانة أوصانا الله في أولادنا وحذرنا من عقابه الأليم إذا ضيعناهم، فقال تعالى:**{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ..}**[2].

---

(١) سنن أبي داود (٢٤٩٤).

(٢) النساء: ١١.

قال السعدي في تفسيرها:

أي: أولادكم - يا معشر الوالدين - عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية. فتعلمونهم وتؤدبونهم، وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله، وملازمة التقوى على الدوام ".

وحذرنا من مصير التفريط في الأهل والولد فقال:

{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [1].

قال الإمام الشوكاني:

قوله - تعالى:**{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ}** بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه.

{وَأَهْلِيكُمْ} بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عن معاصيه.

{نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} أي: ناراً عظيمة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب.... قال مقاتل بن سليمان: المعنى: قوا أنفسكم وأهليكم بالأدب الصالح النار في الآخرة. وقال قتادة، ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم. قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب ".

وقال الإمام السيوطي في الدر المنثور:

أخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عن علي بن أبي طالب، في قوله تعالى:**{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}**. قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله:**{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}** قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار.

وأخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم، قال: " تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:**{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}**. فقالوا: يا رسول الله كيف نقي أهلنا نارا؟ قال ﷺ : **«تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عما يكره الله»**.

---

(١) التحريم: ٦.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قولــه:

{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} قال: أوصوا أهليكم بتقوى الله.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قولـه:

{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} قال: مروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصية الله.

وأخرج ابن المنذر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: مر عيسى بجبل معلـق بـين السـماء والأرض، فدخل فيه وبكى وتعجب منه، ثم خرج منه إلى من حولـه، فسأل: مـا قصـة هـذا الجبل؟ فقالوا: مالنا به علم، كذلك أدركنا آباءنا، فقال: يا رب، ائذن لهذا الجبـل يخبرنـي مـا قصته؟ فأذن لـه فقال: لما قال الله:**{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}** اضطربت خفت أن أكون من وقودها، فأدع الله أن يؤمنني، فدعا الله تعالى فأمنه، فقال: الآن قررت، فقر على الأرض.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن قدامة في كتاب البكاء والرقة عن محمد بن هاشـم قـال: لما نزلت هذه الآيـة:**{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}**، قرأهـا الـنبي ﷺ، فسـمعها شـاب إلى جنبـه، فصعق، فجعل رسول الله ﷺ رأسه في حجره رحمة لـه، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم فتح عينيه، فإذا رأسه في حجر رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر؟ فقـال: **«أما يكفيك ما أصابك، على أن الحجر منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه، وإن مع كل إنسان منهم حجرا أو شيطانا»** والله أعلم.

فهذا شأن الموضوع الذي نبحثه، وهذا العقاب المنتظر لمن شقي وفرط.

فلنعلم أنها مسؤولية تقع على عاتقنا جميعا ولقد حملنا إياها من لا ينطق عن الهوى فقال الرحمة المهداة ﷺ : **«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»** قَـالَ الـراوي عبـد الله بـن عمـر، وَحَسِبْتُ أَنْ قَـدْ قَـالَ: **«وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُوولٌ عَــنْ رَعِيَّتِــهِ وَكُلُّكُــمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»** [(١)].

(قال ابن القيم: " قال بعض أهل العلم: " إن الله سبحانه يسأل الوالـد عـن ولـده يـوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقـاً كـذلك للابـن علـى أبيه حق؛ فكما قال الله تعالى:**{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً}** [(٢)].

---

(١) صحيح البخاري تأويل قول الله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين (٢٥٤٦).

(٢) الأحقاف: ١٥.

فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم على العقوق، فقال يا أبت إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً".

وقال الغزالي: "الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائلٌ إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعُلِّمَه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك.

وهاهو ابن باديس يقول: " إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة، ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها، ومشرباً أرده، وقاتني، وأعاشني، وبراني كالسهم، وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً، ومن هنا تتضح أهمية هذا الموضوع.

فإليك أيها الأب.. أيتها الأم.. أيها المربي.....

هذا البحث التربوى بين يديك للقيام بواجب النصح والإرشاد في تربية أبنائنا تربية إسلامية على منهجى القرآن والسنة....

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}[1].

كتبه راجى عفو ربه

الشيخ / سيد جمعة

* * * * *

---

(١) الفرقان: ٧٤.

الإهـداء

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}....

{ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ}....

{الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـــذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ}...

إلى:

من علمني حسن الخلق والحلم .... إلى روح والدي رحمه الله تعالى

وإلى من علمتني معنى الصبر .... إلى والدتي حفظها الله تعالى

وإلى زوجتي الفاضلة وزهرواتي الأربع فاطمة وأسماء وإيمان وندى

وإلى كل مسلم ومسلمة قرأ وتعلم ودعى لي بظهر الغيـــب أهـــدي هـــذا الكتاب.

الباب الأول:

المنهج التربوي العام

في العلاقات الأسرية

الفصل الأَول:
العلاقات الأُسرية

الأسـرة هـي المؤسسـة الأولى والأساسـية مـن بـين المؤسسـات الاجتماعيـة المتعـددة المسـؤولة عـن إعـداد الطفـل للـدخول في الحيـاة الاجتماعيـة، ليكـون عنصـراً صـالحاً فعّـالاً في إدامتهـا علـى أسـاس الصـلاح والخـير والبنـاء الفعّـال. والأسـرة نقطـة البـدء الـتي تـزاول إنشـاء وتنشـئة العنصـر الإنسـاني، فهـي نقطـة البـدء المـؤثرة في كـلٍّ مراحـل الحيـاة إيجابـاً وسـلباً، ولهـذا أبـدى الإسـلام عنايـة خاصـة بالأسـرة منسـجمة مـع الـدور المكلفـة بأدائـه، فوضـع القواعـد الأساسـية في تنظيمهـا وضـبط شـؤونها، وتوزيـع الاختصاصـات، وتحديـد الواجبـات المسـؤولة عـن أدائهـا، وخصوصـاً تربيـة الطفـل تربيـة صـالحة وتربيـة سـليمة متوازنـة في جميـع جوانـب الشخصـية الفكريـة والعاطفيـة والسـلوكية. ودعـى الإسـلام إلى المحافظـة علـى كيـان الأسـرة وإبعـاد أعضـائها مـن عناصـر التهـديم والتـدمير ومـن كـلٍّ مـا يـؤدي إلى خلـق البلبلـة والاضـطراب في العلاقـات الـتي تـؤدي إلى ضـياع الأطفـال بتفتيـت الكيـان الـذي يجمـيهم ويعـدّهم للمسـتقبل الـذي ينتظـرهم. وجـاءت تعليمـات الإسـلام وإرشـاداته لتخلـق المحـيط الصـالح لنمـو الطفـل جسـدياً وفكريـاً وعاطفيـاً وسـلوكياً، نمـوّاً سـليماً يطيـق مـن خلالـه الطفـل أو إنسـان المسـتقبل مقاومـة تقلبـات الحيـاة والنهـوض بأعبائهـا، ولهـذا ابتـدأ المـنهج الإسـلامي مـع الطفـل منـذ المراحـل الأولى للعلاقـة الزوجيـة مـروراً بـالولادة والحضـانة ومرحلـة مـا قبـل البلـوغ وانتهـاءً بالاسـتقلالية الكاملـة بعـد الاعتمـاد علـى النفس.

والعلاقات الأسرية لها دورٌ كبير في توثيق بناء الأسرة وتقويـة التماسـك بـين أعضـائها ولها تأثيراتها على نمو الطفل وتربيته، وإيصاله إلى مرحلة التكامل والاستقلال.

والأَجـواء الفكريـة والنفسـية والعاطفيـة الـتي تخلقهـا الأسـرة للطفـل تمنحـه القـدرة علـى التكيّـف الجـدّي مـع نفسـه ومـع أسـرته ومـع المجتمـع، ومـن هـذا المنطلـق فـإن الأسـرة بحاجـة إلى مـنهج تربـوي يـنظم مسـيرتها، فيـوزع الأدوار والواجبـات ويحـدّد الاختصاصات للمحافظة على تماسكها المؤثر في انطلاقة الطفل التربوية.

وتتحدد معالم المنهج التربوي بما يلي:

المبحث الأول:
الاتفاق على منهج مشترك

للمنهج المتبنّى في الحياة تأثير على السلوك، فهو الذي يجعل الإيمان حركة سلوكية في الواقع ويحوّل هذه الحركة إلى عادة ثابتة، فتبقى فيه الحركة السلوكية متفاعلة مع ما يُحدد لها من تعاليم وبرامج، ووحدة المنهج تؤدي إلى وحدة السلوك، فالمنهج الواحد هو المعيار والميزان الذي يوزن فيه السلوك من حيثُ الابتعاد عن أو الاقتراب من التعاليم والبرامج الموضوعة، فيجب على الوالدين الاتفاق على منهج واحد مشترك يحدّد لهما العلاقات والأدوار والواجبات في مختلف الجوانب.

والمنهج القرآني بقواعده الثابتة من أفضل المناهج التي يجب تبنيها في الأسرة المسلمة، فهو منهج ربانّي موضوع من قبل الله تعالى المهيمن على الحياة بأسرها والمحيط بكل دقائق الامور وتعقيدات الحياة، وهو منهج منسجم مع الفطرة الإنسانية لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يُطاق، وهو موضع قبول من الإنسان المسلم والأُسرة المسلمة، فجميع التوجيهات والقواعد السلوكية تستمد قوتها وفاعليتها من الله تعالى، وهذه الخاصية تدفع الأسرة إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه في داخلها، فلا مجال للنقاش في خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تنفيذه، فهو الكفيل بتحقيق السعادة الأسرية التي تساعد على تربية الطفل تربية صالحة وسليمة، وإذا حدث خلل في العلاقات أو تقصير في أداء بعض الأدوار، فان تعاليم المنهج الإسلامي تتدخل لإنهائه وتجاوزه.

والمنهج القرآني وضع قواعد كلية في التعامل والعلاقات والأدوار والسلوك، أمّا القواعد الفرعية أو تفاصيل القواعد الكلية ومصاديقها فإنها تتغير بتغير الظروف والعصور، فيجب على الوالدين الاتفاق على تفاصيل التطبيق، وعلى قواعد ومعايير ثابتة ومقبولة من كليهما، سواءً في العلاقات القائمة بينهما أو علاقاتهما مع الأطفال والأسلوب التربوي الذي يجب اتّباعه معهم؛ لأنّ الاختلاف في طرق التعامل وفي أسلوب العلاقات يؤدي إلى عدم وضوح الضوابط والقواعد السلوكية للطفل، فيحاول إرضاء الوالد تارة والوالدة تارة أُخرى فيتّبع سلوكين في آن واحد، وهذا ما يؤدي إلى اضطرابه النفسي والعاطفي والسلوكي. (فإن الأطفال الذين يأتونً من بيوت لا يتفق فيها الأب والأم فيما يخص تربية أطفالهم يكونون أطفالاً معضلين أكثر ممن عداهم،وذلك لعدم اتفاق الوالدين).

* * * * *

المبحث الثاني:
علاقات المودّة

من واجبات الوالدين: إشاعة الودّ والاستقرار والطمأنينة في داخل الأسرة، قال تعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}**[1].

فالعلاقة بين الزوج والزوجة أو الوالدين علاقة مودّة ورحمة وهذه العلاقة تكون سكناً للنفس وهدوءاً للأعصاب وطمأنينة للروح وراحة للجسد، وهي رابطة تؤدي إلى تماسك الأسرة وتقوية بنائها واستمرار كيانها الموّحد، والمودّة والرحمة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والتعاون الواقعي في حل جميع المشاكل والمعوقات الطارئة على الأسرة، وهي ضرورية للتوازن الانفعالي عند الطفل.

ويجب على الزوجين: إدامة المودّة في علاقاتهما في جميع المراحل، مرحلة ما قبل الولادة والمراحل اللاحقة لها، والمودّة فرض من الله تعالى فتكون إدامتها استجابة لـه تعالى وتقرباً إليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»**[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من اتخذ زوجة فليكرمها»** الإحسان إلى المرأة وتكريمها، عامل مساعد من عوامل إدامة المودة والرحمة والحب.

وقد أوصى المرأة بما يؤدي إلى إدامة المودة والرحمة والحب إنْ التزمت بها، ومنها طاعة الزوج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت**».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**» وشجّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزوجة على اتباع الحسن في إدامة المودة والرحمة، بالتأثير على قلب الزوج وإثارة عواطفه.

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) سنن ابن ماجه حسن معاشرة النساء (١٩٦٧).

ومن العوامل المساعدة على إدامة المودّة والحب وكسب ودّ الزوج، هي: الانفتاح على الزوج وإجابته إلى ما يريد فهي منفتحة مع زوجها مع تقدير مكانته، وبعبارة أخرى التوازن بين الاحترام وعدم التكلّف.

ومن العوامل التي تعمّق المودة والرحمة والحب داخل الأسرة بينه وبين زوجته الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهي: صيانة نفسها عن كلٍّ دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار المودة له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه.

وعلاقات المودة والرحمة والحب ضرورية في جميع مراحل الحياة، وخصوصاً في مرحلة الحمل والرضاعة، لأن الزوجة بحاجة إلى الاطمئنان والاستقرار العاطفي.

* * * * *

المبحث الثالث:
مراعاة الحقوق والواجبات

وضع المنهج الإسلامي حقوقاً وواجبات على كلٍّ من الزوجين، والمراعاة لها كفيل بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، فالتقيد من قبل الزوجين بالحقوق والواجبات الموضوعة لهم يساهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات الوديّة وينفي كلّ أنواع المشاحنات والتوترات المحتملة، والتي تؤثر سلباً على جو الاستقرار الذي يحيط بالأسرة والمؤثر بدوره على التوازن الانفعالي للطفل.

ومن أهم حقوق الزوج: هو حق القيمومة، قال الله تعالى:**{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}**[1].

فالواجب على الزوجة مراعاة هذا الحق لانّ الحياة الأسرية لا تسير بلا قيمومة، والقيمومة للرجل منسجمة مع طبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكلٍّ من الزوجين، وأن تراعي هذهِ القيمومة في تعاملها مع الأطفال وتشعرهم بمقام والدهم.

وأهم الحقوق بعد حق القيمومة كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) النساء: ٣٤.

على سؤال امرأة عن حق الزوج على المرأة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدَّق من بيتها شيئاً إلاّ بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلاّ بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلاّ باذنه..**» [1].

ووضع المنهج الإسلامي حقوقاً للزوجة يجب على الزوج مراعاتها، وأجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال خولة بنت الأسود حول حق المرأة فقال: «**حقك عليه أن يطعمك مما يأكل ويكسوك مما يلبس ولا يلطم ولا يصيح في وجهك**»[2].

ومن حقها مداراة الزوج لها وحسن صحبته لها.

ومن حقّ الزوجة وباقي أفراد العائلة: هو إشباع حاجاتهم المادية، والالتزام بحقوق الزوج من قبل الزوجة وبحقوق الزوجة من قبل الزوج ضروري لإشاعة الاستقرار في أجواء الأسرة، فيكون التفاعل إيجابياً ويدفع كلا الزوجين للعمل من أجل سعادة الأسرة وسعادة الأطفال، واستقرار المرأة في مرحلة الحمل والرضاعة ومرحلة الطفولة المبكرة يؤثر في استقرار الطفل واطمئنانه، والانطلاق في الحركة على ضوء ما مرسوم له من نصائح وإرشادات وتوجيهات فينشأ مستقر الشخصية سوّي في أفكاره وعواطفه وسلوكه.

* * * * *

المبحث الرابع:
تجنب إثارة المشاكل والخلافات

المشاكل والخلافات في داخل الأسرة تخلق أجواءً متوترة ومتشنجة تهدد استقرارها وتماسكها، وقد تؤدي في أغلب الأحيان إلى انفصام العلاقة الزوجية وتهديم الأسرة، وهي عامل قلق لجميع أفراد الأسرة بما فيها الأطفال، حيثُ تؤدي الخلافات والأوضاع المتشنجة بين الوالدين إلى خلل في الثبات والتوازن العاطفي للطفل في جميع المراحل التي يعيشها، بدءاً بالأشهر الأولى من الحمل، والسنين الأولى من الولادة والمراحل اللاحقة بها.

والأجواء المتوترة تترك آثارها على شخصية الطفل المستقبلية، و(إنّ الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله، تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين كالاحتكاكات الزوجية التي تخلق الجو العائلي المتوتر الذي يسلب الطفل الأمن النفسي).

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

(٢) سنن أبي داود في حق المرأة على زوجها (١٨٣٢).

ويقول العالم جيرارد فوجان: (والأم التي لا تجد التقدير الكافي إنسانة وأم وزوجة في المنزل لا تستطيع أن تعطي الشعور بالأمن)[1].

فالشعور بالأمن والاستقرار من أهم العوامل في بناء شخصية الطفل بناءً سوياً متزناً، وهذا الشعور ينتفي في حالة استمرار الخلافات والعلاقات المتشنجة، والطفل في حالة مثل هذه يكون متردداً حيراناً لا يدري ماذا يفعل، فهو لا يستطيع إيقاف النزاع والخصام وخصوصاً إذا كان مصحوباً بالشدة، ولا يستطيع أن يقف مع أحد والديه دون الآخر، إضافة إلى محاولات كلٍّ من الوالدين بتقريب الطفل إليهما بإثبات حقّه واتهام المقابل بإثارة المشاكل والخلافات، وكل ذلك يترك بصماته الداكنة على قلب الطفل وعقله وإرادته.

يقول الدكتور سپوك: (إنّ العيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الابناء الذين نشؤوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد، إن هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر، وتنعدم فيهم الثقة بالنفس، فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة ويتذكرون أن معنى تكوين أسرة هو الوجود في بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات) ويختلف نوع التشنجات والخلافات من أُسرة إلى أخرى، ويختلف أسلوب التعبير عن التشنجات من أسرة إلى أخرى، فقد يكون التعبير بالألفاظ الخشنة البذيئة والإهانات المستمرة، وقد يكون بالضرب واستخدام العقاب البدني، ويلتقط الأطفال الممارسات التي تحدث أثناء الخلافات فتنعكس على سلوكهم الآني والمستقبلي، فنجد في كثير من العوائل أن الابن يهين الأم أو يضربها، أو يستخدم نفس الأسلوب مع زوجته حين الكبر.

ومن أجل الوقاية من الخلافات والتشنجات بين الزوجين، أو التقليل من تأثيراتها النفسية والعاطفية أو تحجيمها وإنهائها، فقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً إزاء الخلافات والتشنجات، وقد مرّ في النقاط السابقة التأكيد على تعميق المودّة والرحمة داخل الأسرة، ووضع برنامج للحقوق والواجبات بين الزوجين.

والأهم من ذلك وضع برنامجٍ في أسلوب اختيار الزوج أو الزوجة كما سيأتي. والمنهج الإسلامي مبني على أسلوب الحث والتشجيع على الوقاية من حدوث الخلافات أو معالجة مقدماتها أو معالجتها بعد الحدوث،

(١) أضواء على النفس البشرية، للدكتور الزين عباس عمارة: ٣٠٢ - دار الثقافة بيروت - ١٤٠٧ هـ ط ١.

وعلى أسلوب الردع والذم للممارسات الخلافية أو التي تؤدّي إلى الخلافات، وذلك قبل أن توجد أو ينفخ بها الشيطان فتكون خطيرة الضرر ولا نستطيع ردها وعلاجها.

والصبر على الإساءة من الزوجة أمر غير متعارف عليه لولا أنّه من توجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون محبوباً ومرغوباً من قبل الزوج المتديّن وليس فيه أي إهانة لكرامته فيصبر عن رضا وقناعة.

والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع زوجاته يخفّف الكثير من التشنجات ونهى رسول الله ﷺ عن استخدام العنف مع الزوجة.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزوجة عن الممارسات التي تؤدي إلى حدوث الخلافات فمن شرّ نسائكم الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود، التي لا تتورع عن قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، فاذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبة عند ركوبها ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً،ونهى صلى الله عليه وآله وسلم الزوجة عن تكليف الزوج فوق طاقته ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المنّ على الزوج، وحذّر رسول الله ﷺ من مواجهة الزوجة لزوجها بالكلام اللاذع المثير لأعصابه، ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الهجران باعتباره مقدمة للانفصام وانقطاع العلاقات وهذه التوجيهات إن روعيت رعاية تامة فإنها كفيلة بالوقاية من التوترات والتشنجات، وإذا لم يستطع الزوجان مراعاتها فالأفضل أن يكون النقاش الحاد والمتشنج بعيداً عن مسامع الأطفال، وأن يكون تبادل النظرة السلبية، وتبادل الاتهامات والإهانات بعيداً عن مسامعهم، وأنْ يوضّح للأطفال أن الخلافات شيء طبيعي، وأنهما لازالا يحبان بعضهم البعض، ويجب عليهما حسم الخلافات وإنهائها في أسرع وقت.



الفصل الثاني:

المرحلة الأُولى: مرحلة ما قبل الاقتران ومرحلة الحمل

حرص الإسلام على العناية بالطفل، والحفاظ على صحته البدنية والنفسية قبل أن يُولد بإعداد الإطار الذي يتحرك فيه، وتهيئة العوامل اللازمة التي تقي الطفل من كثير من عوامل الضعف الجسدي والنفسي، ابتداءً من انتقاء الزوج أو الزوجة ومروراً بالمحيط الأول للطفل وهو رحم الأم، الذي يلعب دوراً كبيراً ومؤثراً على مستقبل الطفل وحركته في الحياة، على كل أم مسلمة تنتظر طفلاً أن تبدأ منذ علمها بأن هناك رزق من الله في أحشائها؛ فتزيد من تقربها إلى الله شكراً له على نعمته، واستعداداً لاستقبال هذه النعمة، فتنبعث السكينة في قلبها، والراحة في نفسها، مما يؤثر بالإيجاب في الراحة النفسية للجنين؛ كما يجب أن تُكثر من الاستماع إلى القرآن الكريم، الذي يصل أيضاً إلى الجنين، ويعتاد سماعه، فيظل مرتبطاً به في حياته المستقبلة إن شاء الله.

ولنا في امرأة عمران – والدة مريم – الأسوة الحسنة حين قالت: **{رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}**[١]، فكانت النتيجة:
{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ}[٢].

ولقد أثبتت التجربة أن أفضل الطعام عند الطفل هو ما كانت تُكثر الأم من تناوله أثناء حملها بهذا الطفل، كما أن الجنين يكون أكثر حركة إذا كان حول الأم صخباً أو ضجة، وهذا يعني تأثر الجنين بما هو حول الأم من مؤثرات.

(وهاهي الهندسة الوراثية تؤكد وجود الكثير من التأثيرات التي تنطبع عليها حالة الجنين، سواء أكانت هذه التأثيرات بيولوجية، أوسيكولوجية، أو روحية، أوعاطفية.

ونحن نطالع باستمرار مدى تأثر الجنين بإدمان الأم على التدخين، فإذا كان التدخين يؤثر تأثيراً بليغاً على صحة الجنين البدنية، فتُرى ما مدى تأثره الأخلاقي والروحي بسماع الأم للغيبة أو أكلها للحم الخنزير، أو خوضها في المحرمات وهي تحمله في أحشائها؟!)
ويؤكد الدكتور "علاء الدين القبانجي" هذا بقوله: " هناك خطأ كبير في نفي التأثير البيئي على النطفة، في نفس الوقت الذي نلاحظ فيه التأثير البيئي على الفرد ذاته سواء بسواء، ولن تتوقف النطفة عن التأثر بالمنبهات الكيماوية – بما فيها المواد الغذائية والعقاقير – أو

---

(١) آل عمران: ٣٥.

(٢) آل عمران: ٣٧.

بالظروف البيئية، بل ستظل تتأثر بقوة التوجه إلى الله أيضا، فروح الاطمئنان والتوجه إلى الله تعالى تخفف من التوترات والتفاعلات النفسية المضطربة [1].

ويضيف فضيلة الشيخ "علي القرني": " أثبت العلم الحديث أن للجنين نفسية لا تنفصل عن نفسية أمه، فيفرح أحياناً، ويحزن أحياناً، وينزعج أحياناً لما ترتكبه أمه من مخالفات كالتدخين مثلاً، فقد أجرى أحد الأطباء تجربة على سيدة حامل في شهرها السادس وهي مدمنة للتدخين، حيث طلب منها الامتناع عن التدخين لمدة أربع وعشرين ساعة، بينما كان يتابع الجنين بالتصوير الضوئي، فإذا به ساكن هادئ، حتى أعطى الطبيب الأم لفافة تبغ، فما إن بدأت بإشعالها ووضعها في فمها حتى بدأ الجنين في الاضطراب، تبعاً لاضطراب قلب أمه.

كما أثبت العلم أيضاً أن مشاعر الأم تنتقل لجنينها، فيتحرك بحركات امتنان حين يشعر أن أمه ترغب فيه ومستعدة للقائه، بينما يضطرب وينكمش، ويركل بقدميه معلناً عن احتجاجه حين يشعر بعدم رغبة أمه فيه... حتى أن طفلة كانت أمها قد حملتها كُرهاً، وحاولت إسقاطها، دون جدوى، فلما وضعتها رفضت الطفلة الرضاعة من أمها، فلما أرضعتها مرضعة أخرى قبلت!!! ولكنها عادت لرفض الرضاعة مرة أخرى حين عصبوا عيني الطفلة، ثم أعطوها لأمها كي ترضعها! بينما نرى أماً أخرى حرصت - منذ بداية الحمل - على تلاوة القرآن والاستماع له في كل أحوالها... قائمة، وقاعدة، ومضطجعة، فكانت النتيجة أن وضعت طفلاً تمكن بفضل الله تعالى من ختم القرآن الكريم حفظاً، وتجويداً، وهو في الخامسة من عمره! فتبارك الله أحسن الخالقين".

مما تقدم نخلص إلى أن: تربية الطفل تبدأ من مرحلة الأجنة، " فإذا نشأ الجنين في بطن أمه في جو من الهدوء والسكينة - وخير ما يمنحهما هو القرب من الله سبحانه - فإنه يستجيب بإذن ربه، ويعترف بفضل أمه عليه، ويتمتع بشخصية سوية ونفسية هادئة، يقول لسان حاله:**{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ}**[2] ؟ ".

وتتحدد معالم هذه المرحلة بما يأتي:

* * * * *

---

(١) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٤٥ - ٥٧ (دار العلم للملايين ١٩٨٥ م ط١١).

(٢) الرحمن: ٦٠.

المبحث الأول:
مرحلة ما قبل الاقتران

أثبت الواقع الاجتماعي والواقع العلمي بدراساته المستفيضة الأثر الحاسم للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين الطفل ونشوئه، وانعكاسات الوراثة والمحيط عليه في جميع جوانبه الجسدية والنفسية فأغلب الصفات تنتقل من الآباء والأمهات والأجداد والأبناء، كالذكاء والاضطراب السلوكي وانفصام الشخصية والأمراض العقلية والانضباط الذاتي، وصفات التسامح والمرونة، فيكونون وسطاً مساعداً للانتقال أو يكون في الأبناء الاستعداد للاتصاف بها، إضافة إلى انعكاس العادات والتقاليد على الأبناء، نتيجة لتكرر الأعمال[1] ومن أكدّ الإسلام على الزواج الانتقائي، أي بانتقاء الزوجين من أسرة صالحة وبيئة صالحة.

* * * * *

المطلب الأول:
اختيار الزوجة

راعى الإسلام في تعليماته لاختيار الزوجة الجانبين، الوراثي الذي انحدرت منه المرأة، والجانب الاجتماعي الذي عاشته وانعكاسه على سلوكها وسيرتها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**تخيّروا لنطفكم فإن العِرقَ دسّاس**» فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على اختيار الزوجة من الأُسر التي تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذي تلده، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس، أكدّ الإسلام على انتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعي الصالح الذي أكسبها الصلاح وحسن السلوك، فحذّر من المحيط غير الصالح الذي تعيشه، فحذّر من الزواج من الحسناء المترعرعة في منبت السوء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إياكم وخضراء الدمن.. المرأة الحسناء في منبت السوء**»[2] وأكدّت الروايات على أن يكون التدّين مقياساً لاختيار الزوجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشجع على ذلك، فقد أتاه رجل يستأمره في الزواج فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك بذات الدين تربت يداك**»[3] فالمرأة المنحدرة من سلالة صالحة ومن أسرة صالحة، وكان التدّين صفة ملازمة لها، فإنّ سير الحركة التربوية يتقدّم أشواطاً إلى

---

(١) علم النفس العام، للدكتور أنطون حمصي ١: ٩٤ – مطبعة ابن حبّان دمشق ١٤٠٧ هـ.

(٢) مسند أحمد.

(٣) رواه مسلم.

الإمام، وتكون تربيتها للأطفال منسجمة مع القواعد التي وضعها الإسلام في شؤون التربية، فيكون المنهج التربوي المتبع متفقاً عليه من قبل الزوجين، لا تناقض فيه ولا تضّاد، وتكون الزوجة حريصة على إنجاح العملية التربوية وتعتبرها تكليفاً شرعياً قبل كل شيء، هذا التكليف يجنبها عن أي ممارسة سلبية مؤثرة على النمو العاطفي والنفسي للأطفال.

* * * * *

المطلب الثاني:
اختيار الزوج

للأب الدور الأكبر في تنشئة الأطفال وإعدادهم نفسياً وروحياً، ولذا أكدّ الإسلام في أول المراحل على اختياره طبقاً للموازين الإسلامية التي يراعى فيها الوراثة والمحيط الذي ترعرع فيه وما يتصف به من صفات نبيلة وصالحة، لأنه القدوة الذي يقتدي به الأطفال وتنعكس صفاته وأخلاقه عليهم، إضافة إلى اكتساب الزوجة (الأم) بعض صفاته وأخلاقه من خلال المعايشة المستمرة.

وجعل الإسلام التدّين مقياساً في اختيار الزوج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه**»[1].

وحرّم الإسلام كما هو مشهور من تزويج غير المسلم حفاظاً على سلامة الأطفال وسلامة العائلة من جميع جوانب السلامة، في العقيدة وفي السلوك وفي الظواهر الروحية والنفسية لتأثر الزوجة والأطفال بمفاهيم الزوج وسلوكه في الحياة.

ونهى الإسلام عن تزويج غير المتدّين والمنحرف في سلوكه عن المنهج الاسلامي في الحياة، لتحصين العائلة والأطفال من الانحراف السلوكي والنفسي.

فالمنحرف يؤثر سلبياً على سلامة الأطفال السلوكية، لانعكاس سلوكه عليهم وعدم حرصه على تربيتهم، إضافة إلى المشاكل التي يخلقها مع الزوجة التي تساعد على إشاعة الاضطراب والقلق النفسي في أجواء العائلة، وجعل الحياة العائلية بعيدة عن الاطمئنان والاستقرار والهدوء الذي يحتاجه الأطفال في نموّهم الجسدي والنفسي والروح.

* * * * *

المطلب الثالث:

---

(١) مجمع الزوائد (٩: ٢٠٤). والمعجم الكبير للطبراني (٢٢: ٤٠٨).

العلاقة قبل الحمل وتكوين الطفل

بعد عملية الاختيار على أسس وموازين إسلامية نبيلة، يستمر الإسلام في التدرج مع الطفل خطوة خطوة، ويضع لكلٍ خطوة واقعة في طريق تكوين الطفل ونشوئه أسساً وقواعد واقعية لينشأ نشأة سليمة، وما على الزوجين إلاّ العمل على ضوئها.

قال سبحانه وتعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}**[1] فجعل العلاقة بين الزوجين علاقة مودّة وحب، وتبادل العواطف النبيلة والأحاسيس المرهفة، ومن أجل إدامة هذه العلاقة دعا الإسلام إلى ربط الزوجين بالقيم والموازين التي حدّدها المنهج الربّاني في الحياة، ففي أول خطوات العلاقة والاتصال بين الزوج والزوجة وهي ليلة الزفاف، أمر الإسلام بالتقيد بالقيم الربّانية، لكي لا تكون العلاقة علاقة بهيمية جسدية فقط، وأول هذه القيم هي استحباب الصلاة ركعتين لكلٍ منهما، وحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسول الله، ثم الدعاء بإدامة الحب والودّ: **«اللّهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه»**.

والالتزام بذلك يخلق جواً من الاطمئنان والاستقرار والهدوء في أول خطوات اللقاء، ولا يبقى لقلق الزوجة واضطرابها مجالاً، فتكون ليلة الزفاف ليلة أنس وحب وودّ.

ويستمر الدعاء عند الخطوة الثانية وهي مرحلة المباشرة، فيستحب أن يقول، وأفضل الذكر في أول المباشرة: **«اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنى»** [2].

* * * * *

المطلب الرابع:

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٤١).

مرحلة الحمل

١ – انعقاد الجنين:

من أجل سلامة الجنين الجسدية والنفسية وضع الإسلام برنامجاً سهلاً يسيراً لا كلفة فيه ولا عسر ولا شدّة.

وفي كلِّ الأوقات يشجّع الإسلام على ذكر الله تعالى قبل المباشرة والتسمية عندها، إضافة إلى استخدام الأساليب المعمقة لروابط الحب والودّ والرباط المقدس، كالتقبيل والعناق ورقة الكلمات وعذوبتها.

٢ – المحيط الأول للطفل:

رحم الأم هو المحيط الأول الذي ينشأ به الإنسان، ولهذا المحيط تأثيراته الإيجابية والسلبية على الجنين لأنه الإطار الذي يتحرك فيه، ويعتبر الجنين جزءاً من الأم، تنعكس عليه جميع الظروف التي تعيشها الأم، وقد أثبتت الدراسات العلمية تأثير الأم على نمو الجنين الجسدي والنفسي، فالاضطراب والقلق والخوف والكبت وغير ذلك يترك أثره في اضطراب الوليد عاطفياً[(١)].

فالجنين يتأثر بالأم ومواصفاتها النفسية وما يطرأ عليها في مرحلة الحمل من عوامل إيجابية أو سلبية، وإنّ (الاضطرابات العصبية للأم توجه ضربات قاسية إلى مواهب الجنين قبل تولده، إلى درجة أنها تحوله إلى موجود عصبي لا أكثر، ومن هنا يجب أن نتوصل إلى مدى أهمية التفات الأم في دور الحمل إلى الابتعاد عن الأفكار المقلقة، والهمّ والغمّ، والاحتفاظ بجو الهدوء والاستقرار) [(٢)].

وشهور فترة الحمل تؤثر في الثبات العاطفي للطفل إيجاباً أو سلباً[(٣)].

وقد أكدّ الإسلام على هذهِ الحقيقة قبل أن يكتشفها علماء النفس في يومنا هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الشقي من شقى في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمه**» [(٤)].

والمقصود من الشقاء والسعادة في بطن الأم، هو تلك الانعكاسات التي تطرأ على

---

(١) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٤٦ – ٤٧.
(٢) الطفل بين الوراثة والتربية، لمحمد تقي فلسفي (١: ١٠٦) – دار التعارف ١٣٨١ هـ عن كتاب نحن والأبناء ٢٧.
(٣) مشاكل الآباء في تربية الأبناء، للدكتور سپوك: ٢٦٣ – ١٩٨٠ م ط٣.
(٤) بحار الأنوار، للمجلسي (٣: ٤٤) – مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ هـ ط٢.

الجنين تأثراً بالحالة الصحية الجسدية والنفسية للأم، فتولّد فيه استعداداً للشقاء أو للسعادة، فبعض الأمراض الجسدية تؤثر على الجنين فيولد مصاباً ببعضها وتلازمه الإصابة إلى الكبر فتكون مصدر الشقاء له، أو يكون سالماً من الأمراض فتكون السلامة ملازمة له، وكذلك الحالة النفسية والعاطفية، فالقلق أو الاطمئنان، والاضطراب أو الاستقرار، والخوف وعدمه، وغير ذلك يؤثر في الجنين ويبقى ملازماً له ما لم يتوفر له المحيط الاجتماعي المثالي لكي ينقذه من آثار الماضي أو يبعده عن السلامة في صحته الجسدية والنفسية، وفيما يلي الإجراءات الوقائية التي اتخذها الإسلام لإبعاد الجنين عن الظواهر السلبية المؤثرة في نموه الجسدي والنفسي:

أ – الاهتمام بغذاء الأم:

من الحقائق الثابتة أن صحة الجنين الجسدية تتناسب طردياً مع صحة الأم، ومن العوامل المؤثرة في صحة الأم: الغذاء، ونحن نلاحظ ان المجاعة في بعض البلدان كان لها تأثير واضح في صحة الوليد، فالضعف الجسدي والأمراض الجسدية والتشوهات في الخلقة ترجع أسبابها إلى المجاعة وسوء التغذية، والعكس صحيح.

إضافة إلى منعهم من الغذاء المضرّ على الصحة الجسدية والنفسية، كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر، وكل ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأطعمة والأشربة المحرمة.

ب – الاهتمام بالصحة النفسية للحامل:

١ – اختيار المنزل الواسع:

أثر سعة المنزل على سعادة الإنسان من الحقائق الثابتة. والإسلام يشجّع على ذلك، فإذا كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً يتبنى الإسلام منهاجاً له في الحياة، فسيكون للتكافل الاجتماعي دور في إشباع هذه الحاجة، وفي غير ذلك، وفي حالة عدم قدرة الرجل على شراء أو إيجار المنزل الواسع، فيمكنه أن يطمئن – المرأة – الزوجة على العمل وبذل الجهد من أجل الحصول عليه ويؤملها بذلك، أو تشجيعها على الصبر الجميل وما أعدّه الله تعالى لهما من الثواب والحسنات على ما يعانونه من فقر، فإن ذلك يجعلها مطمئنة ومرتاحة البال وإن كان المنزل ضيقاً.

توفير المستلزمات الضرورية للمرأة:

فالمستلزمات التي تحتاجها المرأة في المنزل ضرورية، كالوسائد والمتّكآت ومفارش الصوف الملونة، إضافة إلى الملابس الجميلة وبعض الأثاث المنزلية تؤثر في راحتها وسعادتها، فمن الضروري توفيرها لها حسب القدرة والإمكانيات، وفي حالة عدم القدرة عليها جميعاً أو

على بعضها فيمكن للرجل إقناعها بما أعدّه الله تعالى لها من النعيم في الدار الآخرة، إضافة إلى زرع الأمل في نفسها بتحسين أوضاعها وإشباع حاجاتها.

٢ – حسن التعامل مع المرأة:

حسن التعامل مع المرأة وخصوصاً الحامل يجعلها تعيش حياة سعيدة مليئة بالارتياح والاطمئنان والاستقرار النفسي والروحي، فلا يبقى للقلق والاضطراب النفسي موضعاً في قلبها وروحها.

وحسن التعامل يكون بالسيرة الحسنة معها والرفق بها وإسماعها الكلمات الجميلة، وتكريمها ووضعها بالموضع اللائق بها، واعتبارها شريكة الحياة، وإشباع حاجاتها المادية والروحية، والتعامل معها كإنسانة أكرمها الإسلام، وإشاعة جو المنزل بالسرور والبشاشة والمودّة والرحمة، وإدخال الفرحة على قلبها، والحفاظ على أسرارها إلى غير ذلك من التعاليم التي أكدَّ عليها الإسلام، ومنها مساعدتها في بعض شؤون البيت التي لا تستطيع إنجازها، والصبر على بعض أخطائها ومساوئها التي لا تؤثر على نهجها الإسلامي، والتفاهم في حلّ المشكلات اليومية بأسلوب لا يثير غضبها، وتجنب كلّ ما يؤدي إلى الأضرار بصحتها النفسية كالغيرة في غير مواضعها، والتعبيس في وجهها أو ضربها أو هجرها أو التقصير في حقوقها، فإذا حسنت المعاملة معها حسنت حالتها النفسية والروحية وانعكست على الجنين.

* * * * *

المبحث الثاني:
المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الولادة

وهي المرحلة التالية لمرحلة الحمل مباشرة، وتعتبر أول محيط اجتماعي يحيط بالطفل، لأنّها الأساس في البناء الجسدي والعقلي والاجتماعي للطفل، ولها تأثيرها الحاسم في تكوين التوازن الانفعالي والنضوج العاطفي، ولذلك ركّز المنهج الإسلامي على إبداء عناية خاصة بالطفل في هذهِ المرحلة، متمثلة بالقيام بالأعمال التالية:

* * * * *

المطلب الأول:
مراسيم الولادة

تبدأ مراسيم الولادة منذ اليوم الأول إلى اليوم السابع من الولادة للحفاظ على صحة الطفل الجسدية والنفسية معاً، فأول عمل يقوم به الوالدان هو إسماع الطفل اسم الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من ولد له مولود فليؤذن في أُذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليقم في اليسرى فإنّها عصمة من الشيطان الرجيم»**.

ولأهمية الأذان والإقامة في أُذن الطفل أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها والعصمة من الشيطان هي تحصين للطفل من الانحراف بتقوية الإرادة، وهذه الوصايا وإن لم يبحثها علماء النفس وعلماء التربية المعاصرين، ولكنّها من الحقائق التي أثبتتها التجارب المتكررة لمن طبقها في منهجه التربوي، مع مراعاة الوصايا الأخرى في جميع مراحل الطفولة.

ويستحب تسمية الوليد بأحسن الأسماء ولا أحسن من اسم محمد وهو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والأسماء الحسنة تحصّن الطفل من السخرية والاستهزاء من قبل الآخرين، فلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال في الأسماء المستهجنة.

ومن مراسيم الولادة: العقيقة وهي ذبح شاة في المناسبة، وحلق رأس الطفل.

والعقيقة التي هي مصداق للصدقة تمنع من البلاء وتقي الطفل من المخاطر، ولعلّ فيها آثار نفسية حسنة للطفل حينما يترعرع ويفهم أن والديه قد اعتنوا به في ولادته، وهي ذكرى حسنة عند من وصلته تلك العقيقة أو بعضها.

* * * * *

المطلب الثاني:
التركيز على حليب الأم

الحليب هو المصدر الأساسي والوحيد لتغذية الطفل في الأشهر الأولى من حياته، وأفضل الحليب حليب الأم لأنّ عملية الرضاعة لها تأثيرها على الجانب العاطفي للطفل، والأم أفضل من تمنحه الحنان والدفء العاطفي بدافع غريزة الأمومة التي أودعها الله تعالى في المرأة، حيثُ (تصب ركائز مشاعر الطفل وأحاسيسه من أولى أيام الرضاع)[1].

وتتوثق أواصر المحبة بين الطفل وأمه عن طريق الرضاعة، فيكون الطفل أقل توتراً وأهنأ بالاً وأسعد حالاً[2].

فحليب الأم أفضل غذاء للطفل من الناحية العلمية إضافة إلى أنّ عملية الرضاعة يشعر الطفل من خلالها بالأمان والطمأنينة والرعاية، وفي الحالات الاستثنائية التي تعيق عملية الرضاعة بسبب قلة حليب الأم أو مرضها أو فقدانها بطلاق أو موت، أكدّ أهل البيت عليهم السلام على اختيار المرضعة المناسبة والملائمة ضمن مواصفات معينة.

فالحليب ونوعية المرضعة يؤثر على الطفل من ناحية نموه الجسدي والنفسي.

ويؤكد علماء الطب على أن تكون الأم مستريحة وهي تقوم بعملية الرضاعة ثم تمس برفق وجنة الطفل، ويجب ألا تحاول الأم إرغامه على طول مدة الرضاعة له تأثير إيجابي على الوضع النفسي والعاطفي للطفل، وهي أهم المراحل في البناء العاطفي للطفل حيثُ تحتضن الأم طفلها وتضمه إلى صدرها، فيشعر بالحنان المتواصل والدفء العاطفي، وفي هذا الصدد تقول عالمة النفس لويز كابلان: (إنّ الطفل الذي ينعم بحنان أمه المتدفق خلال العام الأول والثاني من عمره يشعر بالأمان، وعادة لا يشعر بالقلق أو الخوف فيتصرّف بتلقائية عندما يبلغ سن الثالثة أو الرابعة، والطفل الذي يشعر بالطمأنينة يتمتع بالثقة بالنفس ويتعامل مع الآخرين بسهولة ويندمج مع الأطفال في مثل عمره)[3] ومناغاة الطفل في هذه المرحلة ضرورية للطفل تؤثر على نموه اللغوي ونموه العاطفي في المستقبل، فكانت فاطمة الزهراء تناغي الحسن وتقول:

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، لمحمد تقي الفلسفي ٢: ٨٢ عن كتاب عقدة الحقارة ٩.
(٢) قاموس الطفل الطبي: ١١ - ١٦.
(٣) قاموس الطفل الطبي: ٢٥٧.

إقامة علاقات المودّة والحب بين الوالدين، وتجنّب المشاكل التي تؤثر على الصحة النفسية لكليهما وللأم على وجه الخصوص، لانعكاس انفعالاتها المتشنجة واضطرابها النفسي على الطفل في مرحلة الرضاعة، وكان التركيز على التمر في إطعام الأم لتأثيره على الرضيع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليكن أول ما تأكل النفساء الرّطب..**» قيل: يا رسول الله فان لم يكن أوان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فخبز الشعير وقاية من الأمراض، وسويق الحنطة ينبت اللحم ويشد العظم ويسهل الهضم، وسويق العدس يسكّن هيجان الدم ويقلّل من حرارة الجسم، واللحوم وخصوصاً لحم الدراج يقلل من الغضب، والهريسة تنشط الجسم وتمنحه الحيوية، والزيتون يطرد الرياح، والعنب يقلل الغضب، والسفرجل يقوّي القلب والخس يصفي الدم، كما أكدوا على العسل والبيض واللبن وسائر أنواع الفواكه. وتنتقل فوائد هذه المواد الغذائية من الأم إلى الطفل عن طريق الحليب المتكوّن منها.

وخلاصة القول: يجب الاهتمام بالاسترضاع من حليب الأم، فإذا تعذّر فيجب اختيار المرضعة المؤمنة السالمة من الأمراض الجسدية والنفسية، وإذا تعذّر فتسترضع غير المؤمنة بشرط منعها من شرب الخمر وكل ما يضرّ بصحة الطفل، والاهتمام بالصحة النفسية للأم والاهتمام بصحتها الجسدية، وإشباع حاجتها إلى الطعام الضروري في إنتاج الحليب النقي والغني بالمواد الغذائية الضرورية لينعكس ذلك إيجابياً على صحة الطفل النفسية والجسدية.

* * * * *

المبحث الثالث:
مرحلة الطفولة المبكرة

تبدأ مرحلة الطفولة المبكرّة من عام الفطام إلى نهاية العام السادس أو السابع من عمر الطفل، وهي من أهم المراحل التربوية في نمو الطفل اللغوي والعقلي والاجتماعي، وهي مرحلة تشكيل البناء النفسي الذي تقوم عليه أعمدة الصحة النفسية والخلقية، وتتطلب هذه المرحلة من الأبوين إبداء عناية خاصة في تربية الأطفال وإعدادهم ليكونوا عناصر فعّالة في المحيط الاجتماعي، مرحلة مابعد الوضع حتى السنة الثانية:

" بعد أن يولد الطفل ويبدأ بالرضاعة والنمو يكون أشد استقبالاً لمتغيرات الحياة من الشاب البالغ، لأن الوليد يكون مثل الصفحة البيضاء الجاهزة لاستقبال خطوط الكتابة،

بينما يكون الشاب البالغ قد أوشكت قناعته على الاكتمال، فيصبح من الصعب التلاعب بها أو محوها ".

لذا يجب أن نرقيه بالرقية الشرعية (المأخوذة من الكتاب والسنة المطهرة)، ونسمع معه التلاوات القرآنية لشيوخ ذوي أصوات ندية، كما نُكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والحوقلة ونحن نحمله، حتى تحُفَّه الملائكة، ويتعود سماع مثل هذه الكلمات النورانية.

" ومع زيادة نمو الوعي عند الطفل يجب أن نحرص على أن نَذكُر الله عز وجل أمامه دائماً، فبدلاً من أن نقول: " غاغا "، أو ما شابه ذلك من ألفاظ نقول: " يا الله "، ونسعى دائماً إلى أن يكون لفظ الجلالة ملامساً لسمعه حتى يحفظه، ويصبح من أوائل مفرداته اللغوية، وإذا أراد أن يحبو، وصار قادراً على النطق، فيجب أن نأخذ بيده ونريه أننا نريد أن نرفعه، فنقول: " يا رب.. يا مُعين "، ونحاول أن نجعله يردد معنا، وإذا أصبح أكثر قدرة على التلفظ بالكلمات علمناه الشهادتين، ورددناها معه حتى يعتادها " فنراه يَسأل عن معناها حين يستطيع الكلام.

* * * * *

المطلب الأول:
من الثالثة حتى السادسة

(في هذا العمر يكون الطفل متفتح الذهن، مما يدعونا إلى تحفيظه بعض قصار السور كالفاتحة، والعصر، والكوثر... إلخ، وذلك حسب قدرته على الحفظ، وكذلك تحفيظه بعض الأناشيد مثل: " الله رب الخلق، أمدنا بالرزق "، و" من علَّم العصفور أن يبني عشا في الشجر، الله قد علمه وبالهُدى جَمَّلهُ ").

وكذلك: " اللهُ ربي، محمدٌ نبيي، والإسلامُ ديني، والكعبةُ قبلتي، والقرآن كتابي، والنبي قدوتي، والصيام حصني، والصَدَقة شفائي، والوضوء طَهوري، والصلاة قرة عيني، والإخلاص نِيَّتي، والصِدق خُلُقي، والجَنَّةُ أملي، ورضا الله غايتي ".

(وكلما زاد وعيه وإدراكه ردَّدنا أمامه أن الله هو الذي رزقنا الطعام، وهو الذي جعل لنا الماء عذباً ليروي عطشنا، وهو الذي أعطاه أبوه وأمه لرعايته، وهو الذي أعطانا المال والمنزل، والسيارة واللعب... إلخ، ولذلك فهو جدير بالشكر، وأول شكر له هو أن نحبه ولا نغضبه، وذلك بأن نعبده ولا نعبد سواه).

كما نذكر ونحن نلعب معه بدميته مثلا: أن هاتين اليدين والعينين والأذرع والرجلين لدينا مثلها ولكن ما يخص الدمية من القماش أو البلاستيك، أما ما أعطانا الله فهي أشياء حقيقية تنفعنا في حياتنا وتعيننا عليها.

(وإذا جلسنا إلى الطعام قلنا بصوت يسمعه: " بسم الله "، وإذا انتهينا قلنا " الحمد لله "، وكذلك إذا شربنا، وإذا اضطجعنا وإذا قمنا من النوم).

حتى يعتاد الطفل ذلك ويردده بنفسه دون أن نطلب منه ذلك.

كما يجب أن نخبره أن الله تعالى يحب لهم الخير ويعلم ما يصلحهم، فهو الذين أوصى بهم الوالدين أن يحسنوا اختيار أسماءهم (ويعلّموهم أمور دينهم ودنياهم، ويحسنوا تأديبهم وتربيتهم، وهو الذي أمر الوالدين بالعطف عليهم والترفق بهم، والعدل بينهم وبين إخوتهم في كل الأمور)، وهو حبيبهم الذي يتجاوز عنهم حتى يصلوا إلى سن الإدراك، فنخبرهم أنه يسامحهم على أخطائهم ماداموا صغاراً. فعليهم أن يستحيوا من الله وأن لا يعصوه.

ومن المفيد أن نربط كل جميل من حولهم بالله تعالى، فالوردة، والنحلة، والفراشة، والقمر، وغيرها من مخلوقات الله، أما الأشياء التي تبدو ضارة بالنسبة لنا كالذبابة، والفأر، وغيرهما فهي من مخلوقات الله أيضاً، وهي تقوم بوظيفة تساعد على أن يظل الكون من حولنا جميلاً ونظيفاً.

كما يجب أن نربط كل خُلُق جميل بالله تعالى، فالله يحب الرحمة والرفق والعدل والجمال والنظافة... إلخ.

كما يجب أن نقرِّب إلى أذهانهم فكرة وجود الله مع عدم إمكانية رؤيته في الدنيا، فهناك أشياء نحسها ونرى أثرها ونستفيد منها دون أن نراها كالهواء والكهرباء والعطر... إلخ. أما من يريد رؤيته جل شأنه فعليه أن يكثر من الطاعات كي يحظى برؤيته في الجنة.

وينبغي أن نعلّق في بيوتنا صوراً للحرمين الشريفين حتى تعتادهما عينيه ويدفعه الفضول للسؤال عنهما، وعندها نجيبه بطريقة تشوّقه إليهما، كأن نقول عن الكعبة: " هي بيت الله، والله كريم يكرم ضيوفه الذين يزورون بيته بأشياء جميلة ويرزقهم بها كاللعب والحلوى، وغير ذلك مما يحب الطفل "، مع ملاحظة أننا إذا اصطحبناه إلى هناك فلابد أن نجعل ذكرياته عن الزيارة سعيدة قدر الإمكان ونشتري له من الهدايا والأشياء المحببة إليه ما يرضيه، حتى ترتبط سعادته بالبيت الحرام، ومن ثم برب البيت.

(يكون استقبال الطفل للمعلومات، واستفادته منها، واقتداؤه بأهله – في هذه المرحلة – في أحسن حالاته)، كما يكون شغوفاً بالاستماع للقصص، لذا يجب الاستفادة من هذا في

تأليف ورواية القصص التي توجهه للتصرف بالسلوك القويم الذي نتمناه لـه، وتكـون هـذه الطريقة أكثر تأثيراً، إذا كانت معظم القصص تدور حول شخصية واحدة تحمل اسماً معينـاً، لبطل أو بطلة القصة يفضل أن يكون ولداً إذا كان الطفـل ولـداً، والعكـس صـحيح، بحيـث تدور أحداثها المختلفة في أجواء مختلفة، وتهدف كـل منهـا إلى تعريفـه بـالله تعـالى علـى أنـه الرحيم الرحمن الودود الحنان المنَّان الكريم العَفُوّ الـرؤوف الغفـور الشـكور التـواب، مالـك الملك، كما تهدف القصة إلى إكسابه أخلاقيات مختلفة إذا قامت الأم بروايـة كـل قصـة علـى حده في يوم منفصل – لتعطيه الفرصة في التفكير فيها، أمـا إذا طلـب قصـة أخـرى في نفـس اليوم فيمكن أن نحكي لـه عن الحيوانات الأليفة التي يفضلها مثلاً – فيصـبح الطفـل متعلقـا بشخصية البطل أو البطلة وينتظر آخر أخبار مغامراته كل يـوم، فتنغـرس في نفسـه الصـغيرة الخبرات المكتسبة من تلك القصص.

مثال لقصة:

كانـت " فاطمـة" تجلـس بجـوار والـدتها الـتي كانـت تقـوم بتغـيير ملابـس أختهـا الرضيعة"أسماء"، بينما اكتشـفت الوالدة أن" أسماء " حـرارتها آخذة في الارتفـاع، فحاولـت إسعافـها بالمواد الطبيعية المتاحة بالمنزل، دون جدوى، ولما كـان الوالـد مسـافراً، فقـد طلبـت الوالدة من" فاطمة " أن تظل بجـوار أختهـا حتـى تـذهب إلى الصـيدلية القريبـة مـن منـزلهم لتشتري لها دواء يسعفها، فقالت" فاطمة ": "سمعاً وطاعة يا أمي".

وبينما كانت" فاطمة " تغني لأختها بعد خروج الأم انقطع التيار الكهربي وساد الظـلام الغرفة، فشعرت "ندى" بالخوف الشديد، ولم تدر ماذا تفعل... ولكنها تذكرت قـول والـدتها لها: "أن الله تعالى يظل معنا أينما كنا وفي كل الأوقات من الليل والنهار، وهـو يرانـا ويرعانـا ويحمينا أكثر من الوالدين لأنه أقوى من كل المخلوقات، ولأنه يحب عبـاده المـؤمنين؛ فظلـت تربُت على"أسماء" التي بدأت في البكاء، ثم جرت إلى الشباك ففتحته ليـدخل بعـض الضـوء إلى الغرفة، فإذا بالقمر يسطع في السماء ويطل بنـوره الفضـي، فيرسـل أشـعته علـى الغرفـة فيضيئها، ففرحت " فاطمة " وقالت: لـ أسماء" انظري هذا هو القمر أرسله الله تعالى ليؤنسنا في وحدتنا ويضيء لنا الغرفة حتى تعود أمنا ويعود التيـار الكهربـي، انظـري كـم هـو جميـل ضوء القمر لأن الله هو الذي صنعه، فهو خافت لا يؤذي العين، كمـا أنـه يشـيع في الـنفس الاطمئنان، هل تحبين الله كما أحبه يا أسماء ؟ " وظلت تحدِّث أختها وتغني لها حتـى عـادت الأم، فأعطت الدواء لـ أسماء، ثم اثنت على" فاطمة " التي أحسنت التصرف،

ثم وعدتها بأن تذهب معها إلى المكتبة لشراء كتاب للأطفال عن القمر لتعرف عنه معلومات أكثر، كما قامت بتلاوة سورة القمر عليها مكافأة لها على ما فعلت.

وينبغي حين نتحدث عن الله معهم في هذا العمر أن نكون صادقين، (ونبتعد عن المبالغات، فالله موجود في السماء ونحن نرفع أيدينا عندما ندعوه، وهو يستحي أن نمدها إليه ويردها فارغة، لأنه حييٌ كريم، وهو أكبر من كل شيء، وأقوى من كل شيء وهو يرانا في كل مكان ويسمعنا ولو كنا وحدنا، وهو يحبنا كثيراً، وعلينا أن نحبه لأنه خلقنا وخلق لنا كل ما نحتاجه، فهو يأمر جنوده فينفذون أوامره، فيقول للسحاب أمطر على عبادي كي يشربوا ويسقوا زرعهم وماشيتهم، فينزل المطر، وهو الذي يدخل المسلمين الذين يحبونه الجنة... ويتمتع في الجنة المسلم الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويصدُق مع الناس، ويطيع والديه، ويحترم الكبار، ويجتهد في دراسته، ولا يؤذي إخوته أو أصحابه، والله تعالى يحب الأطفال، وسوف يعطيهم ما يريدون إذا ابتعدوا عن كل ما لا يرضيه... وينبغي عدم الخوض في تفاصيل الذات الإلهية مع الطفل خشية من أي زلل قد نُحاسَب عليه ".

* * * * *

المطلب الثاني:
مرحلة ما بين السابعة والعاشرة

وهي مرحلة (غاية في الأهمية، لذا لا يصح التهاون بها على الإطلاق، ففيها تبدأ مَلكاته العقلية والفكرية في التفتح بشكل جيد، لذا فإنه يحتاج في هذه المرحلة إلى أن نصاحبه ونعامله كصديق، ومن خلال ذلك نغرس في نفسه فكرة العبودية لله تعالى بشكل عميق، فإذا أحضرنا له هدية مثلا وقال: "شكراً"، ذكرنا له أن الله تعالى أيضاً يستحق الشكر فهو المنعم الأول، فنقول له: " ما رأيك بعينيك، هل هما غاليتين عليك؟!، وهل يمكن أن تستبدلهما بكنوز الأرض؟! "، وكذلك الأذنين واللسان وبقية الجوارح... حتى يتعمق في نفسه الإحساس بقيمة هذه الجوارح، ثم نطرح عليه السؤال " مَن الذي تكرَّم علينا وأعطانا هذه الجوارح؟ وكيف تكون حياتنا إذا لم يعطها لنا؟! " لذا فإن هذه الجوارح هي أغلى الهدايا التي منحنا الله عز وجل إياها – بعد الإيمان به – ومن الواجب أن نشكره هو وليس غيره على عطاياه).

ومن الضروري بناء قاعدة تعليمية اختيارية لدى الطفل من خلال تشجيعه على القراءة، ومكافأته بقصة أو موسوعة مبسطة أو كتاب نافع أو مجلة جذابة مفيدة بدلاً من الحلوى، ولكن قبل أن نشتري له ما يقرأه يجب أن نتصفحه جيدا، فنبتعد مثلاً عن مجلة

"ميكي " و"سوبرمان" و"الوطواط"، وأمثالها التي تحكي قصصاً تحدث في بيئة غربية وتنقل عاداتهم وتقاليدهم الغريبة علينا ومن الأفضل إبعادهم عن رؤية أفلام الكرتون الأجنبية... مما يؤثر بالسلب في أطفالنا، فنستبدلها مثلاً بمجلة "ماجد"، ومجلة "سلام وفرسان الخير" اللتان تصدران في الإمارات العربية، وتبثان القيم الدينية والأخلاقية في الطفل بشكل لطيف محبب إليه، بالإضافة إلى تثقيفه وتعليمه؛ وكذلك مجلتي: "العربي الصغير"، و"سعد" اللتان تصدران في الكويت.

ويمكن اصطحابه إلى مكتبة تبيع أو تقتني كتباً نعلم أنها جيدة، ثم نتركه يختار بنفسه. ولا بأس من أن نقص على الطفل في هذه المرحلة قصة النبي "يحيي" عليه السلام ليكون قدوة له، (فقد كان يحيي في الأنبياء نموذجا لا مثيل له في النُسُك والزهد والحب الإلهي... كان يضيء حبا لكل الكائنات، وأحبه الناس وأحبته الطيور والوحوش والصحاري والجبال، ثم أهدرت دمه كلمة حق قالها في بلاط ملك ظالم، بشأن أمر يتصل براقصة بغي.

ويذكر العلماء فضل يحيي ويوردون لذلك أمثلة كثيرة، فقد كان يحيي معاصراً لعيسى وقريبه من جهة الأم (ابن خالة أمه)..

وتروي السنة أن يحيي وعيسى التقيا يوما.

فقال عيسى ليحيى: استغفر لي يا يحيى.. أنت خير مني.

قال يحيى: استغفر لي يا عيسى. أنت خير مني.

قال عيسى: بل أنت خير مني.. سلمت على نفسي وسلم الله عليك.

وتشير القصة إلى فضل يحيي حين سلم الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

ويقال: إن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه يوما فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء.

قال قائل: موسى كليم الله.

وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته.

وقال قائل: إبراهيم خليل الله.

ومضى الصحابة يتحدثون عن الأنبياء، فتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام حين رآهم لا يذكرون يحيي. أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب. أين يحيي بن زكريا؟

وقد كان ميلاده معجزة.. فقد وهبه الله تعالى لأبيه زكريا بعد عمر طال حتى يئس الشيخ من الذرية.. وجاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب النبي زكريا.

وكانت طفولته غريبة عن دنيا الأطفال.. كان معظم الأطفال يمارسون اللهو، أما هو فكان جادا طوال الوقت.. كان بعض الأطفال يتسلى بتعذيب الحيوانات، وكان يحيي يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بها، وحنانا عليها، ويبقى هو بغير طعام.. أو يأكل من أوراق الشجر أو ثمارها.

وكلما كبر يحيى في السن زاد النور في وجهه وامتلأ قلبه بالحكمة وحب الله والمعرفة والسلام. وكان يحيى يحب القراءة، وكان يقرأ في العلم من طفولته.. فلما صار صبيا نادته رحمة ربه:**{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}**[1].

فقد صدر الأمر ليحيي وهو صبي أن يأخذ الكتاب بقوة، بمعنى أن يدرس الكتاب بإحكام، كتاب الشريعة.. ورزقه الله الإقبال على معرفة الشريعة والقضاء بين الناس وهو صبي.. كان أعلم الناس وأشدهم حكمة في زمانه درس الشريعة دراسة كاملة، ولهذا السبب آتاه الله الحكم وهو صبي.. كان يحكم بين الناس، ويبين لهم أسرار الدين، ويعرفهم طريق الصواب ويحذرهم من طريق الخطأ.

وكبر يحيى فزاد علمه، وزادت رحمته، وزاد حنانه بوالديه، والناس، والمخلوقات، والطيور، والأشجار.. حتى عم حنانه الدنيا وملأها بالرحمة.. كان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب، وكان يدعو الله لهم.. ولم يكن هناك إنسان يكره يحيي أو يتمنى له الضرر. كان محبوبا لحنانه وزكاته وتقواه وعلمه وفضله.. ثم زاد يحيي على ذلك بالتنسك.

وكان يحيي إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلى الله أبكاهم من الحب والخشوع.. وأثر في قلوبهم بصدق الكلمات وكونها قريبة العهد من الله وعلى عهد الله..

وجاء صباح خرج فيه يحيي على الناس.. امتلأ المسجد بالناس، ووقف يحيي بن زكريا وبدأ يتحدث.. قال: " إن الله عز وجل أمرني بكلمات أعمل بها، وآمركم أن تعملوا بها.. أن تعبدوا الله وحده بلا شريك.. فمن أشرك بالله وعبد غيره فهو مثل عبد اشتراه سيده فراح يعمل ويؤدي ثمن عمله لسيد غير سيده.. أيكم يحب أن يكون عبده كذلك..؟ وآمركم بالصلاة لأن الله ينظر إلى عبده وهو يصلي، ما لم يلتفت عن صلاته.. فإذا صليتم فاخشعوا.. وآمركم بالصيام..

---

(١) مريم: ١٢.

فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك جميل الرائحة، كلما سار هذا الرجل فاحت منه رائحة المسك المعطر.

وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا، فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه أعداؤه فأسرع لحصن حصين فأغلقه عليه.. وأعظم الحصون ذكر الله.. ولا نجاة بغير هذا الحصن).

أما الفتيات فنحكي لهن – على قدر فهمهن – قصة السيدة "مريم" وكيف كانت ناسكة عابدة لله تعالى وكيف نجحت في اختبار بالغ الصعوبة، وكيف أنقذها الله جل وعلا بقدرته.

* * * * *

المطلب الثالث:
مرحلة العاشرة وما بعدها

في هذه المرحلة يظهر بوضوح على الطفل مظاهر الاستقلال، والاعتداد بالنفس، والتشبث بالرأي، والتمرد على نصائح الوالدين وتعليماتهما – لأنهما يمثلان السلطة والقيود بالنسبة له – وهو في هذه المرحلة يود التحرر مما يظن أنه قيود، فيميل أكثر إلى أصدقاءه، ويفتح لهم صدره، ويتقبل منهم ما لا يتقبله من والديه، لذا يمكننا أن نوضح له – عن طريق رواية بعض القصص التي حدثت معنا أو مع من نعرفهم – ما يفيد أن الله سبحانه محب لنا، وهو خير عماد وسند.

كما ينبغي أن نوضح لأطفالنا أن الله أحياناً يبتلي الإنسان بمكروه أو مصيبة ليطهِّره ويرفع درجاته ويقربه منه أكثر، كما يؤلم الطبيب مريضه أحياناً كي يحافظ على صحته وينقذه من خطر محقق.

والحق أن هذه المرحلة خطيرة لأنها تعيد بناء الطفل العقلي والفكري من جديد وقد تؤدي إلى عواقب وخيمة إن أسيء التعامل مع الطفل فيها، ومما يساعد على نجاح الوالدين في الأخذ بيده إلى الصواب أن يبدآ معه من الطفولة المبكرة، فعندئذٍ لن يجدا عناء كبيرا في هذه الفترة، لأنهما قاما بوضع الأساس الصحيح، ثم أكملا إرواء النبتة حتى تستوي على سوقها... وهما الآن يضيفان إلى جهديهما السابق جهدا آخر، وسوف تؤتي الجهود ثمارها إن شاء الله.

ويمكننا أن نعرِّفهم بأسماء الله الحسنى ونشرح لهم معانيها، فالله رحمن، رحيم، ودود، عفو، غفور، رؤوف، سلام، حنَّان، منَّان، كريم، رزاق، لطيف، عالم، عليم، حكم، عدل، مقسط، حق، تواب، مالك الملك، نور، رشيد، صبور... ولكنه أيضاً قوي، متين، مهيمن،

جبار، منتقم، ذو بطش شديد، معز مذل، وقابض باسط، وقهار، ومانع، وخافض رافع، ونافع ضار، ومميت.

فلا يكفي أن نشرح لهم أسماء الجمال التي تبعث الود والألفة في نفوسهم نحو خالقهم، بل يجب أيضا ذكر أسماء الجلال التي تشعرهم بأن الله تعالى قادر على حمايتهم وقت الحاجة، فهو ملجأهم وملاذهم، لأنه حفيظ قوي قادر مقتدر.

ومما يجدي أيضاً مع أطفالنا في هذه المرحلة: الحوار الهادئ الهادف، وليس الحوار السلطوي الذي يعني: " اسمع واستجِب "، ولا الحوار السطحي الذي يتجاهل الأمور الجوهرية، أو حوار الطريق المسدود الذي يقول لسان حاله: " لا داعي للحوار فلن نتفق "، أو الحوار التسفيهي الذي يُصِرُّ فيه الأب على ألا يرى شيئاً غير رأيه، بل ويسفّه ويلغي الرأي الآخر، أو حوار البرج العاجي الذي يجعل المناقشة تدور حول قضايا فلسفية بعيداً عن واقع الحياة اليومي،... وإنما الحوار الصحي الإيجابي الموضوعي الذي يرى الحسنات والسلبيات في ذات الوقت، ويرى العقبات، وأيضا إمكانات التغلب عليها. وهو حوار متفائل – في غير مبالغة ساذجة – وهو حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطى لكلا الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي، ويحترم الرأي الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر، وآداب الخلاف وتقبله. وهو حوار واقعي يتصل إيجابيا بالحياة اليومية الواقعية واتصاله هذا ليس اتصال قبول ورضوخ للأمر الواقع، بل اتصال تفهم وتغيير وإصلاح؛ وهو حوار موافقة حين تكون الموافقة هي الصواب ومخالفة حين تكون المخالفة هي الصواب، فالهدف النهائي له هو إثبات الحقيقة حيث هي، لا حيث نراها بأهوائنا وهو فوق كل هذا حوار تسوده المحبة والمسؤولية والرعاية وإنكار الذات.

(ولنأخذ مثلاً للحوار الإيجابي من التاريخ الإسلامي، وقد حدث هذا الحوار في غزوة بدر حين تجمع المسلمون للقاء الكفار وكانت آبار المياه أمامهم وهنا نهض الحبَّاب بن المنذر رضي الله عنه وسأل رسول الله ﷺ : أهو منزل أنزلَكَهُ الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فأجاب الرسول الكريم: **«بل هو الرأي والحَرب والمكيدة»**.

فقال الحباب: يا رسول الله ما هذا بمنزل، وأشار على رسول الله ﷺ بالوقوف بحيث تكون آبار المياه خلف المسلمين فلا يستطيع المشركون الوصول إليها، وفعلاً أخذ الرسول بهذا الرأي الصائب فكان ذلك أحد عوامل النصر في تلك المعركة(١).

وإذا حاولنا تحليل هذا الموقف نجد أن الحبَّاب بن المنذر كان مسلماً إيجابياً على الرغم من أنه أحد عامة المسلمين وكان أمامه من الأعذار لكي يسكت أو يعطل تفكيره فهو جندي تحت لواء رسول الله الذي يتلقى الوحي من السماء وهناك كبار الصحابة أصحاب الرأي والمشورة ولكن كل هذه الأسباب لم تمنعه من إعمال فكره، ولم تمنعه من الجهر برأيه الصائب، ولكنه مع ذلك التزم الأدب الرفيع في الجهر بهذا الرأي فتساءل أولاً إن كان هذا الموقف وحي من عند الله أم أنه اجتهاد بشرى، فلما عرف أنه اجتهاد بشرى وجد ذلك مجالاً لطرح رؤيته الصائبة ولم يجد الرسول ﷺ غضاضة في الأخذ برأي واحد من عامة المسلمين. وهذا الموقف يعطينا انطباعا هاما عن الجو العام السائد في الجماعة المسلمة آنذاك، ذلك الجو المليء بالثقة والمحبة والإيجابية وإبداء النصيحة وتقبُّل النصيحة.

وإذا كانت النظم الديمقراطية الحديثة تسمح للمواطن أن يقول رأيه إذا أراد ذلك، فإن الإسلام يرتقى فوق ذلك حيث أنه يوجب على الإنسان أن يقول رأيه حتى ولو كان جنديا من عامة الناس تحت لواء رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وهو أعلى المستويات من حرية الرأي.

ومن خلال الحوار الهادئ مع أبنائنا... يمكن أن نوضح أن التائب حبيب الرحمن، وأن الكائنات تستأذن الله تعالى كل يوم لتُهلك ابن آدم الذي يأكل من خير الله تعالى، ثم لا يشكره، بل ويعبد غيره!! ولكنه سبحانه يظل يقول لهم: **«ذروهم إنهم عبادي، لو خلقتموهم لرحمتموهم»** (٢)، وهو الذي قال في حديث قدسي: **«أن البشر إن لم يخطؤوا لذهب الله بهم وأتى بخلق آخرين، يذنبون فيغفر لهم»**؛ وهو الذي يهرول نحو عبده الذي يمشي نحوه، وهو الذي يتجاوز عن العبد ويستره، ويحفظه، ويرزقه، مع إصراره على المعصية، ويظل يمهله حتى يتوب، وهو الذي كتب على نفسه الرحمة، وهو الذي سمى نفسه " أرحم الراحمين "، و" خير الغافرين "، و" خير الرازقين "، و" خير الناصرين " وهو الذي قال في كتابه الكريم:**{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}**(٣)!

---

(١) صحيح البخاري، المغازي.
(٢) سنن الترمذي.
(٣) الزمر: ٥٣.

ويمكن في هذه المرحلة أن نحكي لهم كيف نصر الله أولياءه من الأنبياء والصالحين ونخبرهم عن نماذج من الصحابة والصالحين الذين أحبوا الله تعالى فأحبهم وتولى أمرهم، وذلك برواية قصصهم التي نجد أمثلة لها في كتب السيرة المعروفة، وينبغي أن نراعي حالته النفسية والإيمانية عند الحديث بهذا الشأن، فإذا رأيناه يحتاج إلى أمل في رحمة الله، رغَّبناه، وإذا رأيناه يحتاج إلى من يوقفه عند حده، خوَّفناه من عقاب الله.

٥ – متى وكيف نتحدث إليهم؟

لكي نضمن التأثير فيهم علينا أن نقتدي بمعلم البشرية، رسول الله ﷺ الذي كان يعلِّم أصحابه والمسلمين، ويوجِّههم بطرق كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

التشويق بالسؤال ثم إجابته: كما قال ﷺ : **«أتدرون من المُفلس؟»** [١].

إثارة الانتباه بالسؤال، باستخدام "ألا" الافتتاحية: كما كان يقول ﷺ : **«ألا أخبركم بخير الناس»**، **«ألا أنبئكم بأهل الجنة؟»** [٢]،**«ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا؟»** [٣].. إلخ.

رواية القصة، كما روى ﷺ قصة الرجل الذي سقى الكلب في خُفِّه فدخل الجنة، وقصة المرأة التي دخلت النار في هِرَّة حبستها.

أثناء الذهاب معه إلى نزهة أو أثناء الركوب في الطريق لمكان ما، كما حكى ابن عباس رضي الله عنهما: (كنت خلف رسول الله يوما فقال: **«ياغلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...»** [٤] إلى آخر الحديث.

وهناك أيضاً حديث أبي ذر رضي الله عنه: ركب رسول الله ﷺ حماراً وأردَفني خلفه، وقال: **«يا أبا ذَر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«تعفف قال يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد يعني القبر كيف تصنع؟»** قلت: الله ورسوله أعلم قال: اصبر قال: **«يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟»** قال الله ورسوله أعلم قال: **«اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك»** قال: فإن لم أترك قال: **«فأت من أنت منهم فكن فيهم»** قال: فآخذ سلاحي

---

(١) مسند أحمد (٧٦٨٦).

(٢) مسند أحمد (١٧٩٨٢).

(٣) سنن النسائي (١٤٣).

(٤) رواه مسلم.

قـال: **«إذن تشاركهم فيما هم فيه ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك»** [(١)].

انتهاز فرصة حدوث موقف معين، كما رأينا في الحديث الذي رواه عمر بن أبـي سـلمة رضي الله عنهما قال: (كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : **«يا غلام... سَمِّ الله وكُل بيمينك، وكُل مِمَّا يليك»** [(٢)].

رواية الأخبار، كما جاء في سنن الترمذي عن أبي هريـرة أن الـنبي ﷺ قـال: **«جـاءني جبريل، فقال: يا محمد إذا توضَّأت فانتضِح»** [(٣)].

إخباره من حين لآخر أننا نحبه، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل: **«والله يا معاذ إني أحبك»**. ولسعد بن أبي وقَّاص: **«ارم سعد فداك أبي وأمي»** [(٤)].

وفيما يلي بعض ما ييسر تحقيق هذا الهدف:

* لا يجب التحدث معه في هذا الموضوع وهو غاضب أو بعد عقابه لأي سبب، أو وهو يبكي، أوفي جو يسوده الكآبة، أو الحزن.

وإذا كنا لا نريد تنفيذ شيء يريده، فلا يجب نقول لـه: " إن شـاء الله "، حتـى لا يـتعلم من تكرار ذلك أن هذه العبارة تعني: " لن أفعل "، بل يمكن أن نقول: " سننظر، سأفكر، وفقاً للظروف "، أو ما شابه ذلك من تعبيرات.

كما أننا إذا أردنا عقابه فلا يصح أن نحلف بالله أننا سنعاقبه، ويكفي أن نقول: " سـترى كيف أعاقبك، أو ما شابه ذلك " حتى لا يرتبط اسم الله جل وعلا في ذهنه بالعقاب.

ولا داعي أن نكرر على سمعه كلما أخطأ: " سوف يدخلك الله جهنَّم – أو النار – إن فعلت ذلك ثانيةً " حتى لا يرتبط الله عز وجل لديه بجهنم منذ صغره.

وإذا كنا نضربه مثلاً، أو أوشكنا على عقابه لأي سبب، فاستغاث بـالله تعـالى، فيجـب أن نتوقف فوراً، وأن نكظِم غيظنا ما استطعنا.

---

(١) مسند أحمد (٢٠٣٦٢).

(٢) سنن أبي داود ٣٢٨٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / ٤٦قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، قال: وسمعـت محمـدا يقـول: الحسن بن علي الهاشمي منكر الحديث وفي الباب عن أبي الحكم بن سفيان وابـن عبـاس وزيـد بـن حارثـة وأبي سعيد الخدري وقال بعضهم: سفيان بن الحكم أو الحكم بن سفيان واضطربوا في هذا الحديث.

(٤) صحيح البخاري (٢٦٩٠).

٦ – ماذا أفعل إن لم أكن قد بدأت مع طفلي؟

ابدأ فوراً، ولكن بخطوات متدرجة تتناسب مع عمره، وظروفه؛ واستعن بالله ولا تيأس، فإنه**{لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ}** [(١)].

من تجارب الأمهات:

* تحدثت أم عن تجربة أبيها وأمها في توجيهها وإخوتها، فقد كان الأب يعود من صلاة الجمعة كل أسبوع، فيوجه حديثه للأم قائلاً: " هذا ما قاله لنا اليوم خطيب المسجد... "، فيقص عليها الكثير من القصص، ثم يخرج منها بالمواعظ والنصائح، متجاهلاً أولاده الذين يحملقون فيه وقد أصغوا باهتمام شديد لحديث (الكبار)، تقول الراوية: " فلما كبرتُ وتذكرت ما كان يقصه أبي، علمت أن بعض حديثه لا يمكن أن يكون قد قاله خطيب المسجد، وإنما كان موجهاً إلينا أنا وإخوتي، والعجيب أننا تأثرنا كثيراً بهذا الحديث غير المباشر، وكنا نحترم ربنا كثيراً، ونحبه، ونخاف من كل ما يمكن أن يقال عنه أنه " حرام " لأنه يغضب الله عز وجل، وأنا الآن أتبع نفس الأسلوب مع أولادي ".

* وتحدثت أم أخرى عن طفلتها التي كانت أصغر إخوانها، وكانوا لا يكفون عن مضايقتها طوال الوقت، فكانت تصحبها معها – وهي ابنة ثلاث سنوات – للدروس بالمسجد حمايةً لها منهم، فشبت هذه البنت – دوناً عن إخوتها – وهي تحب الله عز وجل وتخافه في السر والعلن، وتحفظ المعلومات التي سمعتها بالمسجد، بل وتحرص على الصلاة والصيام والتصدق بطيب نفس!!!

* وقالت أم ثالثة: " كان أولادي يرفضون النوم في غرفتهم بمفردهم، فصرت أجلس معهم بعد ذهاب كل منهم إلى فراشه، وأحكي لهم قصة هادفة، ثم أطفئ نور الغرفة وأترك نورا خافتا يأتي من الردهة المجاورة، ثم أقوم بتشغيل شريط لجزء " عمَّ " يتلوه شيخ ذو صوت ندي، وأترك الغرفة، فكان الأطفال يستمتعون بصوته، وينامون قبل انتهاء الوجه الأول منه، ومع الوقت لم يعودوا يخافون من النوم بمفردهم، فبمجرد تشغيل الشريط كانوا يقولون لي: " اذهبي إلى غرفتك، فنحن لسنا بخائفين "، والأهم من ذلك أنهم أصبحوا يسألون عن الله تعالى، ويشتاقون لرؤيته، ويستفسرون عن معاني كلمات الآيات التي يستمعون إليها، بل ويحبون الحديث في الدين ويتقبلون النصح بنفوس راضية ".

* * * * *

---

(١) يوسف: ٨٧.

الفصل الثالث:
منهج ومعالم التربية

المبحث الأول:
حب الله ورسوله

(يقول الإمام ابن تيمية: " مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى ما فيها، قيل: وما أحلى ما فيها؟ قال: " حب الله عز وجل")وكذلك ذكر الله وما والاه.

"ومن أمثلة المحبين لله تعالى حقاً وصدقاً ابن القيم - رحمه الله - الذي يقول: " في القلب شعث (تمزق) لا يلُمُّه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأُنس بالله وفي القلب خوف وقلق لا يُذهبه إلا الفرار إلى الله، ولزرع حب الله تعالى في قلوبهم الصغيرة طرق كثيرة منها:

* * * * *

المطلب الأول:
تعليم الطفل معرفة الله تعالى

الطفل مجبول بفطرته على الايمان بالله تعالى، حيثُ تبدأ تساؤلاته عن نشوء الكون وعن نشوئه ونشوء أبويه ونشوء من يحيط به، وأن تفكيره المحدود مهيأ لقبول فكرة الخالق والصانع فعلى الوالدين استثمار تساؤلاته لتعريفه بالله تعالى الخالق في الحدود التي يتقبّلها تفكيره المحدود، والايمان بالله تعالى كما يؤكده العلماء سواء كانوا علماء دين أو علماء نفس (من أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل.. مما سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق، ويوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف المآثم)[1].

والتربية والتعليم في هذه المرحلة يفضّل أن تكون بالتدريج ضمن منهج متسلسل متناسباً مع العمر العقلي للطفل، ودرجات نضوجه اللغوي والعقلي، وقد أثبت علم النفس الحديث صحة هذا المنهج (٢ - ٣ سنوات)، يكتسب كلام الطفل طابعاً مترابطاً ممّا يتيح له إمكانية التعبير عن فهمه لكثير من الأشياء والعلاقات... وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام وفق قواعد نحوية ملحوظة.

---

(١) قاموس الطفل الطبي: ٢٩٤.

وهذا يمكنه من صنع جمل أولية وصحيحة، وتعميق الإيمان بالله ضروري في تربية الطفل.

والطفل في هذه المرحلة يكون مقلداً لوالديه في كل شيء بما فيها الإيمان بالله تعالى، يقول الدكتور سپوك: (إنّ الأساس الذي يؤمن به الابن بالله وحبه للخالق العظيم هو نفس الأساس الذي يحب به الوالدان الله).

ويقول: (بين العمر الثالث والعمر السادس يحاول تقليد الأبوين في كلٍّ شيء فإذا حدّثاه عن الله فإنه يؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً) والطفل في هذه المرحلة يميل دائماً إلى علاقات المحبة والمودّة والرقّة واللين فيحب أو يفضّل (تأكيد الصفات الخاصة بالرحمة والحب والمغفرة إلى أقصى حدٌّ ممكن مع التقليل إلى أدنى حد من صفات العقاب والانتقام).

فتكون الصورة التي يحملها الطفل في عقله عن الله تعالى صورة جميلة محببة لـه فيزداد تعلقه بالله تعالى ويرى أنه مانح الحب والرحمة لـه.

واذا أردنا أن نكوّن لـه صورة عن يوم القيامة فالأفضل أن نركز على نعيم الجنة بما يتناسب مع رغباته، من أكل وشرب وألعاب وغير ذلك، ونركز على أنه سيحصل عليها إنْ أصبح خلوقاً ملتزماً بالآداب الإسلامية، ويُحرم منها إنْ لم يلتزم، ويؤجل التركيز على النار والعذاب إلى مرحلة متقدمة من عمره.

في هذهِ المرحلة تنمو المشاعر والعواطف والأحاسيس عند الطفل، من حب وبغض وانجذاب ونفور، واندفاع وانكماش، فيجب على الوالدين استثمار حالات الاستعداد العاطفي عند الطفل وتنمية مشاعره وعواطفه، وتوجيهها نحو الارتباط بأرقى النماذج البشرية والمبادرة إلى تركيز حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه رضى الله عنهم في خلجات نفسه، والطريقة الأفضل في تركيز الحبّ هو إبراز مواقفهم وسلوكهم في المجتمع وخصوصاً ما يتعلق برحمتهم وعطفهم وكرمهم، ومعاناتهم وما تعرضوا لـه من حرمان واعتداء، يجعل الطفل متعاطفاً معهم محباً لهم.

والتركيز على قراءة القرآن في الصغر يجعل الطفل منشدّاً إلى كتاب الله، متطلعاً على ما جاء فيه وخصوصاً الآيات والسور التي يفهم الطفل معانيها، وقد أثبت الواقع قدرة الطفل في هذه المرحلة على ترديد ما يسمعه، وقدرته على الحفظ، فينشأ الطفل ولـه جاذبية وشوق للقرآن الكريم، وينعكس ما في القرآن من مفاهيم وقيم على عقله وسلوكه.

* * * * *

المطلب الثاني:
أطفالنا وحب الله عز وجل

إن الطفل نبتة صغيرة تنمو، وتترعرع، فتصير شجرة مثمرة، أو وارفة الظلال..... أو قد تصير شجرة شائكة، أو سامَّة والعياذ بالله.

وحتى نربي جيلاً من الأشجار المثمرة، أو وارفة الظلال؛ فإنه علينا أن نعتني بهم منذ البداية، مع التوكل على الله تعالى والاستعانة به في صلاحهم.

وما أحوجنا في هذا العصر الذي أصبحت فيه الأمم تتداعى على أمة الإسلام كما تتداعى الأكَلَة على قصعتها - كما أخبر رسول الله ﷺ بأن نربي وننشئ جيلاً قوي الإيمان يثبُت على الحق، ويحمل لواء الإسلام، ويدافع عنه بكل طاقته.

سؤال وجواب

١ - ما هو حب الله؟

هو أن يكون الله تعالى أحب إلى الإنسان من نفسه، ووالديه، وكل مايملك.

٢ - لماذا الأطفال؟

لأن" الطفل هو اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا وضعناها بشكل سليم كان البناء العام مستقيماً، مهما ارتفع وتعاظم؛ كما أن الطفل هو نواة الجيل الصاعد التي تتفرع منها أغصانه وفروعه... وكما نعتني بسلامة نمو جسمه فيجب أن نهتم بسلامة مشاعره، ومعنوياته فإذا حرصنا على ذلك فإن جهودنا سوف تؤتي ثمارها حين يشب الطفل ويحمل لواء دينه - إذا أحب ربه وأخلص العمل له - وإن لم نفعل نراه يعيش ضائعاً بلا هوية - والعياذ بالله - كما نرى الكثير ممن حولنا.

٣ - لماذا نعلمهم حب الله؟

أ - لأن الله تعالى قال عن الذين يحبونه:

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [(١)].

(١) آل عمران: ٣١.

ب – لأن الله جلَّ شأنه هو الذي أوجدنا من عَدَم، وسوَّى خَلقنا وفضَّلنا على كثير ممَّن خلق تفضيلا، ومَنَّ علينا بأفضل نعمة وهي الإسلام، ثم رزقنا من غير أن نستحق ذلك، ثم هو ذا يعدنا بالجنة جزاءً لأفعال هي من عطاءه وفضله، فهو المتفضِّل أولاً وآخِرا !

ج – لأن الرسول ﷺ كان يدعو: **«اللهم اجعل حُبك أحب إليَّ مِن نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، ومن الماء البارد على الظمأ»**، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة.

د – لأن الحب يتولد عنه الاحترام والهيبة في السر والعلن، وما أحوجنا إلى أن يحترم أطفالنا ربهم ويهابونه – بدلاً من أن تكون علاقتهم به قائمة على الخوف من عقابه أو من جهنم – فتكون عبادتهم لـه متعة روحية يعيشون بها وتحفظهم من الزلل.

هـ – لأن الأطفال في الغالب يتعلقون بآبائهم وأمهاتهم – أو مَن يقوم برعايتهم وتربيتهم – أكثر من أي أحد، مع العلم بأن الآباء، والأمهات، والمربين لا يدومون لأطفالهم، بينما الله تعالى هو الحيُّ القيوم الدائم الباقي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، فهو معهم أينما كانوا وهو الذي يحفظهم ويرعاهم أكثر من والديهم... إذن فتعلقهم به وحبهم لـه يُعد ضرورة، حتى إذا ما تعرضوا لفقدان الوالدين أو أحدهم عرفوا أن لهم صدراً حانياً، وعماداً متيناً، وسنداً قوياً هو الله سبحانه وتعالى.

و – لأنهم إذا أحبوا الله عز وجل وعلموا أن القرآن كلامه أحبوا القرآن، وإذا علموا أن الصلاة لقاء مع الله فرحوا بسماع الأذان، وحرصوا على الصلاة وخشعوا فيها، وإذا علموا أن الله جميل يحب الجمال فعلوا كل ما هو جميل وتركوا كل ما هو قبيح، وإذا علموا أن الله يحب التوابين والمتطهرين، والمحسنين، والمتصدقين، والصابرين، والمقسطين، والمتوكلين، وأن الله مع الصابرين، وأن الله ولي المتقين، وأنه وليُّ الذين آمنوا وأن اللهَ يدافع عن الذين آمنوا... اجتهدوا ليتصفوا بكل هذه الصفات، ابتغاء مرضاته، وحبه، وولايته لهم، ودفاعه عنهم.

أما إذا علموا أن الله لا يحب الخائنين، ولا الكافرين، ولا المتكبرين، ولا المعتدين، ولا الظالمين، ولا المفسدين، وأنه لا يحب كل خَوَّان كفور، أو من كان مختالاً فخورا... لابتعدوا قدر استطاعتهم عن كل هذه الصفات حباً في الله ورغبة في إرضاءه.

ز – لأنهم إذا أحبوا الله جل وعلا أطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه بطيب نفس ورحابة صدر؛ وشبُّوا على تفضيل مراده على مرادهم، و" تقديم كل غال وثمين من أجله، والتضحية من أجل إرضاءه، وضبط الشهوات من أجل نيل محبته، فالمُحب لمن يحب مطيع...

أما إذا لم يجبوه شَبُّوا على التفنن في البحث عن الفتاوى الضعيفة من أجل التَفَلُّت من أمره ونهيه.

ح – لأن حب الله يعني استشعار أنه عز وجل يرعانا ويحفظنا في كل وقت ومكان، مما يترتب عليه الشعور بالراحة والاطمئنان والثبات، وعدم القلق أو الحزن... ومن ثم سلامة النفس والجسد من الأمراض النفسية والعضوية... بل والأهم من ذلك السلامة من المعاصي والآثام، فعلينا أن نفهمهم أن " مَن كان الله معه، فمَن عليه؟! ومَن كان الله عليه فمَن معه؟!

ط – لأن هناك نماذج للمسلمين الحل الجذري لمشكلاتهم هو تجنب تكرارها، وتربية الطفل منذ نعومة أظفاره على محبة الله تعالى كذلك.

و من هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

الذين يفصِلون الدين عن الدنيا، ويعتقدون أن الدين مكانه في المسجد، أو على سجادة الصلاة فقط، ثم يفعلون بعد ذلك ما يحلو لهم.

الذين يسيؤون الخُلُق داخل بيوت الله – ولا يستثنون من ذلك المسجد الحرام ولا المسجد النبوي! – وفي مجالس العلم، ظانِّين أن التعاملات اليومية والأخلاق لا علاقة لها بالدين.

الذين يتركون أحد أركان الإسلام مع استطاعتهم – وهي فريضة الحج – بدعوى أنهم ليسوا كبار السن وأن أمامهم حياة طويلة سوف يذنبون فيها، ولذلك سوف يحجون عندما يتقدم بهم العمر، ويشيب الشعر، ليمسحوا كل الذنوب الماضية في مرة واحدة!

اللواتي ترفضن الحجاب بدعوى أن قلوبهن مؤمنة، وأن صلاح القلوب أهم من المظهر الخارجي، غافلات – أو متغافلات – عن كونه أمراً من الله تعالى وفرضاً كالصلاة! وكذلك الآباء والأمهات والأزواج الذين يعارضون، بل ويحاربون بناتهم وزوجاتهم في ارتداء الحجاب!!

الذين يعرضون عن مجالس العلم الشرعي، وكل ما يذكرهم بالله تعالى، قائلين: "إن لبدنك عليك حقا"، وأن"الدين يسر"، و"لا تنس نصيبك من الدنيا"، بينما ينسون نصيبهم من الآخرة!!!

الذين ينبهرون بمظاهر الحضارة الغربية، وبريقها الزائف، فينفصلون عن دينهم تدريجياً ويظل كل ما يربطهم به هو الاسم المسلم، أو بيان الديانة في جواز السفر!!! ومنهم الذين

تغمرهم هذه المظاهر حتى تصل بهم إلى الردة عن الدين - والعياذ بالله - ويصبح اسم الواحد منهم "ميمي " أو " مايكل " بعد أن كان " محمداً "!!! والله المستعان.

ح - لأن أعز ما يملكه الإنسان - بعد إيمانه بالله عز وجل - هو الكرامة " وليس المال أو المنال، أو الجاه أو القدرة... فالمجرم يتعذب في داخله قبل أن يحاسبه الآخرون، لأنه على بصيرة من قرارة نفسه التي تحس بغياب الكرامة بفعل الأفعال الدنيئة، أما الإنسان المحترم الذي يحس بوفرة الكرامة لديه، فإنه أحرى أن يعتلي القمم السامية والمنازل الرفيعة... وهكذا كان شأن «يوسف» الصدِّيق عليه السلام حين توسم فيه عزيز مصر أن ينفعه ذات يوم، ويكون خليفة له على شعبه، أو يتخذه ولداً؛ لذا فقد قال لامرأته حين أتى بيوسف مستبشراً به:

{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}[1] أي أكرمي مكانته، واجعليه محط احترام وتقدير، ولم يوصها بأي شيء آخر... فلعله رأى أن التربية القائمة على أساس الكرامة تنتهي بالإنسان إلى أن يكون عالماً، وقادراً على أن يتخذ القرارات السليمة وفقاً لأسس وقواعد التفكير الحكيم، هذا بالإضافة إلى قدرته على وضعها موضع التنفيذ.

فإذا أردنا الكرامة ونتائجها لأطفالنا فما أحرانا بأن نهبها لهم من خلال حبهم لخالق الكرامة الذي كرَّم أباهم آدم وأسجد له الملائكة، وقال عنهم:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}**[2]... وإذا أردنا لهم الدرجات العُلا في الدنيا والآخرة، فلا مفر من مساعدتهم على حب الله الذي يقودهم إلى التقوى، فيصبحوا من الذين قال عنهم:**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**[3].

* * * * *

(١) يوسف: ٢١.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الحجرات: ١٣.

المطلب الثالث:
كيف نزرع حب الله عز وجل في قلوب أطفالنا؟

تحتاج هذه المهمة في البداية إلى أن يستعين الوالدان بالله القوي العليم الرشيد، فيطلبا عونه، ويسألاه الأجر على حسن تربية أولادهما ابتغاء مرضاته، ويرددان دائماً: **{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي}**[1]؛ " مع ضرورة بناء علاقات صحيحة وسليمة بين الأهل والأولاد ثم بعد ذلك تأتي العناية، والاهتمام، واليقظة، والحرص من الوالدين أو المربين لأنهم سوف يتحدثون عن أهم شيء في العالم، وأهم ما يحتاج إليه طفلهم؛ لذلك فإنهم " يجب أن يتناولوا هذا الموضوع بفهم وعمق وحب وود "... أما إن أخطؤوا، فإن الآثار السلبية المترتبة على ذلك ستكون ذات عواقب وخيمة.

لذا يجب مراعاة متطلبات المرحلة العمرية للطفل، وسماته الشخصية، وظروفه... وكلما بدأنا مبكرين كان ذلك أفضل، كما أننا إذا اهتممنا بالطفل الأول كان ذلك أيسر، وأكثر عوناً على مساعدة إخوته الأصغر على حب الله تعالى؛ لأن الأخ الأكبر هو قدوتهم، كما أنه أكثر تأثيراً فيهم من الوالدين.

و يجب أيضاً اختيار الوقت والطريقة المناسبة للحديث في هذا الموضوع معهم... وفيما يلي توضيح كيفية تعليمهم حب الله في شتى المراحل:

أولاً: مرحلة ما قبل الزواج:

إن البذرة الصالحة إذا وضعت في أرض خبيثة اختنقت، وماتت، ولم تؤت ثمارها، لذا فقد جعل الإسلام حسن اختيار الزوج والزوجة من أحد حقوق الطفل على والديه، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: **{الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}**[2]، وقال ﷺ : **«تخيَّروا لِنُطَفِكُم، فإن العِرق دسَّاس»** [3]، وقال أيضاً: **«تُنكح المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفَر بذات الدين تَرِبَت يداك»** [4]، قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً،

فقال: **«أيُّها الناس إياكم وخضراء الدُّمُن. قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدُّمُن؟**

---

(١) طه: ٢٥ – ٢٨.

(٢) النور: ٢٦.

(٣) مسند أحمد.

(٤) صحيح البخاري.

قال: المرأة الحسناء في منبت السوء» [1].

كما أكّد ﷺ على أن يكون الزوج مُرضياً في خُلُقه ودينه، حيث قال: **«إذا جاءكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه»** [2]، وأردف صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بالنهي عن ردّ صاحب الخلق والدين فقال: **«إنّكم إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**. فإذا اختلط الأمر على المقدمين على الزواج، فإن الإسلام يقدم لهم الحل في" صلاة الاستخارة".

ثم يأتي بعد حُسن اختيار الزوج أو الزوجة: الدعاء بأن يهبنا الله الذرية الصالحة، كما قال سيدنا زكريا عليه السلام مبتهلاً:**{رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء}**[3]، وكما دعا الصالحون:**{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}**[4].

حب الرسول ﷺ :

"إن المقصود بحبه ليس فقط العاطفة المجردة، وإنما موافقة أفعالنا لما يحبه ﷺ، وكُره ما يكرهه، وعمل ما يجعله يفرح بنا يوم القيامة... ثم التحرق شوقاً للقياه، مع احتساب أننا لا نحبه إلا لله، وفي الله، وبالله".

وخلاصة حبنا له أن يكون ﷺ أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا؛ فقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده»**، فلما قال له عمر: "لأنت يا رسول الله أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، قال له ﷺ : **«لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»**، فلما قال له عمر: "فإنك الآن أحب إلي من نفسي يا رسول الله"، قال له: **«الآن يا عمر»** [5]!!

لماذا يجب أن نحب الرسول ﷺ ؟:

أ – لأن حبه ﷺ من أساسيات إسلامنا، بل أن الإيمان بالله تعالى لا يكتمل إلا بهذا الحب! وقد اقترن حبه ﷺ بحب الله تعالى في الكثير من الآيات القرآنية،

منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:**{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**

---

(١) مسند احمد.
(٢) صحيح البخارى.
(٣) آل عمران: ٣٨.
(٤) الفرقان: ٧٤.
(٥) صحيح البخاري ١٤.

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**}[1].

و**{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}** [2].

ب - لأنه حبيب الله الذي أقسم بحياته قائلاً:**{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}**[3].

والذي اقترن اسمه ﷺ باسمه تعالى: مرات عديدة في القرآن الكريم، وفي الشهادة التي لا ندخل في الإسلام إلا بها، وفي الأذان الذي يُرفع خمس مرات في كل يوم وليلة.

كما نرى الله تعالى قد فرض علينا تحيته ﷺ بعد تحيته سبحانه في التشهد في كل صلاة.... فأي شرف بعد هذا الشرف؟**!!!**

ج - لأنه حبيب الرحمن الذي قرَّبه إليه دون كل المخلوقات ليلة المعراج، وفضَّله حتى على جبريل عليه السلام، "كما خصه ﷺ بخصائص لم تكن لأحد سواه، منها: الوسيلة، والكوثر، والحوض، والمقام المحمود"ومن الطبيعي أن يحب المرء حبيب حبيبه، فإذا كنا نحب الله عز وجل، فما أحرانا بأن نحب حبيبه**!**

د - لأن حبه ﷺ ييسر احترامه، واتباع سنته، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه... فتكون النتيجة هي الفوز في الدنيا والآخرة.

هـ - لأن الله تبارك وتعالى قد اختاره من بين الناس لتأدية هذه الرسالة العظيمة، فيجب أن نعلم أنه اختار خير الأخيار، لأنه سبحانه أعلم بمن يعطيه أمانة الرسالة، ومادام اصطفاه من بين كل الناس لهذه المهمة العظيمة، فمن واجبنا نحن أن نصطفيه بالمحبة من بين الناس جميعاً).

هـ - لأنه ﷺ النبي الوحيد الذي ادَّخر دعوته المستجابة ليوم القيامة كي يشفع بها لأمته، كما جاء في صحيح مسلم: **«لكل نبى دعوة مجابة، وكل نبى قد تعجل دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتي يوم القيامة»**، وهو الذي طالما دعا ربه قائلاً: **«يارب أمتي، يارب أمتي»**،

وهو الذي سيقف عند الصراط يوم القيامة يدعو لأمته وهم يجتازونه، قائلاً: **«يارب**

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) الحجر: ٧٢.

سلِّم، يارب سلِّم».

و – لأنه بكى شوقا إلينا حين كان يجلس مع أصحابه، فسألوه عن سبب بكاءه، فقال لهم: **«إشتقت إلى إخواني»**، قالوا: ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟!» قال لهم: **«لا، إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»!**.

ز – لأن المرء مع مَن أحب يوم القيامة"كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، فإذا أحببناه حقاً صرنا جيرانه – إن شاء الله – في الفردوس الأعلى مهما قصرت أعمالنا، فقد روى أنس بن مالك أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ، فقال: "يا رسول الله، متى الساعة"، قال له: **«وما أعددت لها؟»**، قال: حب الله ورسوله، قال: **«فإنك مع مَن أحببت»!!** [١].

و – لأن الخالق – وهو أعلم بخلقه – وصفه بأنه " لعلى خلُق عظيم"، وبأنه: " عزيز عليه ماعَنِتُّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم"؛ كما قال هو عن نفسه: **«لقد أدَّبني ربي فأحسن تأديبي»**، ولقد ضرب ﷺ أروع الأمثال بخُلُقه هذا، فأحبه، ووثق به كل من عاشره من المؤمنين والكفار على السواء، فنشأ وهو معروف بينهم باسم"الصادق الأمين"... أفلا نحبه نحن؟!

ح – لأن الله تعالى شبَّهَه بالنور – الذي يخرجنا من ظلمات الكفر والضلال، ويرشدنا إلى ما يصلحنا في ديننا ودنيانا – في قوله سبحانه:**{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}** فالإسلام لم يأت إلينا على طبق من ذهب، وإنما وصل إلينا بفضل الله تعالى، ثم جهاد النبي ﷺ وصبره وملاقاته الصعاب"... فما من باب إلا وطرقه الكفار ليثنوه عن عزمه، ويمنعوه من تبليغ الرسالة؛ فقد حاولوا فتنته، بإعطاءه المال حتى يكون أكثرهم مالاً، وبجعله ملكا وسيدا عليهم، وبتزويجه أجمل نساء العرب، فكان رده عليهم – حين وسَّطوا عمه أبي طالب: **«والله يا عم، لو وضعوا القمر في يميني، والشمس في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يُظهره الله، أو أهلك دونه»** [٢].

ثم هم هؤلاء يحاولون بأسلوب آخر وهو التعذيب الجسدي والمعنوي، (ففي الطائف أمروا صبيانهم، وعبيدهم برميه بالحجارة، فرموه حتى سال الدم من قدميه، وفي غزوة أُحُد شُقت شفته، وكُسرت رباعيته ﷺ، وفي مكة وضعوا على ظهره روث جزور، وقاطعوه وأصحابه حتى

(١) صحيح البخاري (٦٠٣٠).

(٢) سيرة ابن هشام.

كادوا يهلكون جوعاً، وفي غزوة الخندق جاع حتى ربط الحجر على بطنه ﷺ... ولكنه لم يتوقـف عن دعوته، بل واصل معتصماً بربه، متوكلاً عليه).

ز – لأن حبه يجعله يُسَرُّ بنا عندما نراه يوم القيامة عند الحوض فيسقينا من يده الشـريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

ح – لأنه هو اللبنة التي اكتمل بها بناء الأنبياء الذي أقامـه الله جـل وعـلا، كمـا أخـبر بذلك أبو هريرة وجاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: **«إن مثَلي ومَثل الأنبياء من قبلي كمثـل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون بـه ويعجبون لـه ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** [1].

* * * * *

(١) مسند أحمد.

المبحث الثاني:
كيف نعلم أبناءنا حب رسول الله ﷺ؟

أولاً: بالقدوة الصالحة:

إن أول خطوة لتعليمهم ذلك الحب هو أن يحبه الوالدان أولاً، فالطفل كجهاز الرادار الذي يلتقط كل ما يدور حوله، فإن صدق الوالدان في حبهما لرسول الله، أحبه الطفل بالتبعية، ودون أي جهد أو مشقة من الوالدين، لأنه سيرى ذلك الحب في عيونهم، ونبرة صوتهم حين يتحدثون عنه، وفي صلاتهم عليه دائما – حين يرد ذكره، ودون أن يرد – وفي شوقهما لزيارته، وفي مراعاتهم لحرمة وجودهم بالمدينة المنورة حين يزورونها، وفي اتباعهم لسنته، قائلين دائما: نحن نحب ذلك لأن رسول الله كان يحبه، ونحن نفعل ذلك لأن رسول الله كان يفعله، ونحن لا نفعل ذلك لأن الرسول نهى عنه أو تركه، ونحن نفعل الطاعات إرضاءً لله سبحانه، ثم طمعاً في مرافقة ا لرسول في الجنة... وهكذا يشرب الطفل حب النبي ﷺ دون أن نبذل جهداً مباشراً لتعليمه ذلك الحب!

فالقدوة هي أيسر وأقصر السبل للتأثير على الطفل، ويؤكد ذلك الشيخ محمد قطب بقوله: "إن من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل أيضاً تخيل منهج معين، ولكن هذا الكتاب وذلك المنهج يظل ما بهما حبراً على ورق، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه، وتصرفاته، ومشاعره، وأفكاره مبادئ ذلك المنهج ومعانيه، وعندئذٍ فقط يتحول إلى حقيقة"(... إذ من غير المعقول أن نطالب أبناءنا بأشياء لا نستطيع نحن أن نفعلها، ومن غير الطبيعي أن نأمرهم بشيء ونفعل عكسه... وقد استنكر البارئ الأعظم ذلك في قوله تعالى: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}**[1]؟! "، وفي قوله جل شأنه:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}**[2].

(فإذا اقتدوا بنا تحولوا – بفضل الله – من عبء علينا إلى عون لنا).

ثانياً: بالتعامل مع كل مرحلة عمرية بما يناسبها:

أ – مرحلة ما بعد الميلاد حتى الثانية من العمر:

تلعب القدوة في هذه المرحلة أفضل أدوارها، حين يسمع الطفل والديه يصليان على النبي عند ذكره، أو سماع من يذكره، وحين يجلسان معا يومي ا لخميس والجمعة – مثلاً –

---

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الصف: ٢، ٣.

يصليان عليه، فيتعود ذلك، ويألفه منذ نعومة أظفاره... مما يمهد لحبه لـه ﷺ حين يكبر.

كما يمكن أن نردد أمامه مثل هذه الأناشيد حتى يحفظها:

محمد نبينا

أمُّهُ آمِنة

أبوه عبد الله

مات ما رآه

هذا ابن عبد الله

أخلاقه القرآن

والرحمة المهداة

عمت على الأكوان).

* * * * *

المطلب الأول:
لماذا هو خير قدوة؟

أ - لأن الله تعالى - وهو أعلم بنا وبه - قال في كتابه العزيز: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ}** (فلا يعرف قدر رسول الله إلا الله. وإن قدره عند الله لعظيم! وإن كرامته ﷺ عند الله لكبيرة! فقد علِم الله سبحانه أن منهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوِّله إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك بعثه ﷺ - بعد أن وضع في شخصيته الصورة الكاملة للمنهج - ليترجم هذا المنهج ويكون خير قدوة للبشرية جمعاء).

(فهو المصطفى وهو المجتبى... فلقد اصطفى الله من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولى العزم واصطفى من أولى العزم محمد ﷺ، ثم اصطفاه ففضله على جميع خلقه... شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وزكَّاه في كل شيء:

زكاه في عقله فقال سبحانه: **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}**[1].

زكاه في صدقه فقال سبحانه: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوىَ}**[2].

---

(١) النجم: ٢.

(٢) النجم: ٣.

زكاه في صدره فقال سبحانه:**{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}**(١).

زكاه في فؤاده فقال سبحانه:**{مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَارَأَى}**(٢).

زكاه في ذكره فقال سبحانه:**{وَرَفعنَا لَكَ ذِكْرَكَ}**(٣).

زكاه في طهره فقال سبحانه:**{وَوَضعنَا عَنكَ وِزْرَكَ}**(٤).

زكاه في علمه فقال سبحانه:**{عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى}**(٥).

زكاه في حلمه فقال سبحانه:**{بِالمؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}**(٦).

زكاه كله فقال سبحانه:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيمٍ}**(٧).

فهو ﷺ رجل الساعة، نبي الملحمة، صاحب المقام المحمود - الذي وعده الله به دون جميع الأنبياء - في قوله:**{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}**(٨).

فهذا هو المقام المحمود كما في حديث مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع»**.

ب - لأنه إمام الأنبياء الذي صلى بهم في المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج، أفنستنكف نحن عن أن نتخذه إماما وقدوة؟!

ج - لأنه فُضِّل على الأنبياء - كما جاء في الصحيحين - من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: **«فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم»** (فهو البليغ الفصيح) **«ونُصرت بالرعب»** - وفي لفظ البخاري: **«مسيرة شهر»** - **«وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»** (٩).

د - لأن الله عصمه، وأرشد خطاه، وسدد رميته، وجعله "لا ينطق عن الهوى".

---

(١) الشرح: ١.
(٢) النجم: ١١.
(٣) الشرح: ٤.
(٤) الشرح: ٢.
(٥) النجم: ٥.
(٦) التوبة: ١٢٨
(٧) القلم: ٤
(٨) الإسراء: ٧٩.
(٩) سنن الترمذي (١٤٧٤).

هـ - لأنه ﷺ بشر مثلنا، يفرح ويحزن، يجوع ويعطش، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يصوم ويفطر، يمرض، ويتألم، ويصح جسده؛ يتزوج وينجب، ويفقد أولاده، ويفقد زوجاته، ويقيم ويسافر... فهو (النبي الوحيد الذي نستطيع أن نقتدي به في كل نواحي حياته لأن حياته كانت كالكتاب المفتوح).

(فقد جسَّد حياتنا كلها بالمثل الأعلى... فهو مثلنا الأعلى في المعاملات الاجتماعية، مع الزوجة والأولاد والأرحام، ثم المجتمع الإسلامي، وهو مَثلنا الأعلى في الأخلاق الفاضلة، وَمثلنا الأعلى في الدعوة إلى الله تعالى والصبر عليها، فهو النور الذي نهتدي به في طريقنا).

و - (لأنه ﷺ كان قدوة صالحة في حسن رعايته لأصحابه، وتَفَقُّده لهم، وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنهم، والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم، وتعليم الجهلة فيهم) بألطف وأرق الوسائل وأحكمها.

* * * * *

المطلب الثاني:
لماذا يجب أن نحببه إلى أطفالنا؟

أ - لأن مرحلة الطفولة المبكرة هي أهم المراحل في بناء شخصية الإنسان، فإذا أردنا تربية نشء مسلم يحب الله ورسوله، فلنبدأ معه منذ البداية، حين يكون حريصا على إرضاء والديه، مطيعاً، سهل الانقياد.

ب - لأن الطفل (إذا استأنس بهذا الحب منذ الصغر، سهل عليه قبوله عند الكبر، فنشأة الصغير على شيء تجعله متطبِّعاً به، والعكس صحيح... فمَن أُغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً).

ج - لأن أطفالنا إن لم يحبوه ﷺ فلن يقتدوا به مهما بذلنا معهم من جهد.

د - لأن حبهم له سوف يعود عليهم بالخير والبركة والتوفيق في شتى أمور حياتهم، وهو ما يرجوه كل أب وأم.

هـ - "لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز:**{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}** [1].

(١) آل عمران: ٣١.

فمحبته ﷺ تجلب حب الله في الدنيا ومغفرته في الآخرة، فأي كرامة تلك؟! "وهل يتمنى الوالد لولده أفضل من ذلك؟!

و - لأن الجنة هي مستقر من أحبه؛ ومن ثم أطاعه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«كلكم يدخل الجنة إلا مَن أبى»**، قالوا: ومَن يأبى يا رسول الله؟ قال: **«مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى»** (1).

فهل يتمنى الوالد لولده بعد حب الله والمغفرة إلا الجنة؟!

ز - لأن أطفالنا هم الرعية التي استرعانا الله إياها؛ ومن ثم فإن (الله سبحانه سوف يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده - كما يؤكد الإمام ابن القيم - فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم بسبب إهمال الآباء لهم وتركهم دون أن يعلموهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بهم كباراً".

١- أدب السلوك المحمدي:

كان ﷺ يجيد آداب الصحبة والسلوك، فكان إذا مشى مع صحابه يسوقهم أمامه فلا يتقدمهم، ويبدأ من لَقيه بالسلام، وكان إذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، أي على قدر الحاجة، وكان يقول: **«من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه»**، وكان يقول: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمت»**، وكان طويل السكوت، دائم الفِكر، دمث الخُلُق، ليس بالجافي ولا المُهين، يعظّم النعمة وإن قلَّت، لا تُغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد، وكان لا ينتصر لنفسه أبداً، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، كل ضحكه التبسم، وكان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا طعاماً أو شراباً ذكره معهم، كان لا يعيب طعاما يقدم إليه أبداً، وإنما إذا أعجبه أكل منه وإن لم يعجبه تركه... وهو القائل: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وإن مِن أحبكم إليَّ وأقربهم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»**، وسُئل ﷺ عن البِر؟ فقال: **«حسن الخلق»**، وسُئل أي الأعمال أفضل؟ فقال: **«حسن الخلق»** (2).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) سنن الترمذي (١٨٩٨).

(وكان ﷺ يحرص أشد الحرص على أن يسود الود والألفة بين المسلمين، فكان يوصيهم – فيما يوصيهم – بقوله: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يُحزنه»** [١].

وقوله: **«لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه... ولكن توسعوا، وتفسحوا يفسح الله لكم»** [٢].

وقوله: **«يُسلِّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير»** [٣].

ويحدثنا "كلوة بن الحنبل"فيقول: " بعثني صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بهَدِيَّة فدخلت عليه، ولم أستأذن ولم أسلم، فقال لي الرسول ﷺ : **«إرجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟»** [٤].

ثم يتجلى سمو خُلُقه وحسن أدبه في حفاظه الشديد على كرامة الكائن البشري – الذي كرَّمه المولى سبحانه – ومراعاته الذكية لمشاعر الناس وأحاسيسهم، ومما يدل على ذلك: أنه ﷺ لم يكن يواجه أحداً بأخطاءه وإنما كان يقول: **«ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا..»** تاركاً الفاعل الحقيقي يحس بذنبه ويعرف خطأه دون أن يعرف الآخرون عنه شيئا.

ويحكي معاوية بن الحكم قائلاً: "بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: (يرحمك الله) فرماني القوم بأبصارهم.

فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون أفخاذهم.

فلما رأيت أنهم يصمتونني سكت"[٥].

فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... فو الله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس... إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن..!»** [٦].

(١) مسند أحمد (٥٩٨٢).
(٢) مسند أحمد (٩٨٧٦).
(٣) صحيح البخاري (٥٧٦٤).
(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٢٦٣٤).
(٥) صحيح مسلم (٨٣٦).
(٦) رواه مسلم (٨٣٦).

وعلى الرغم من كل ذلك؛ فقد كان دائماً يدعو ربه قـائلاً: **«اللهم كما حسَّنتَ خَلقي فحسِّن خُلُقي»!**.

٢- الكرم المحمدي:

(كان الكرم المحمدي مضرب الأمثال، فقد كان ﷺ لا يرد سائلاً وهو يجد ما يعطيه، فقد سأله رجل حُلة كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يده وأعطاهـا إيـاه، وسـأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فلم يكن الرجل مصدقاً، فأسرع بها وهو ينظر خلفه خشية أن يرجع النبي الكريم في قولـه، ثم ذهب إلى قومه فقال لهم: " يا قوم أسلموا فإن محمـداً يعطـي عطاء من لا يخشى الفقر!"..

وحسبنا في الاستدلال على كرمه ﷺ حديث ابن عباس: "قال ابن عباس حين سئل عـن رسول الله ﷺ : " كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في في شهر رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فكان صلى الله عليه وسل أجود من الريح المُرسلة" [(١)].

وفيما يلي بعض الأمثلة العجيبة على جوده وكرمه:

* أعطى الرسول الكريم العباس رضي الله تعالى عنه من الذهب ما لم يُطِق حمله.

** وأعطى معوذ بن عفراء ملء كفيه حُليا وذهباً لما جاءه بهدية من رُطب وقِثَّاء.

*** جاءه رجل فسأله، فقال لـه ما عندي شيء ولكن ابتع علي(أي اشتر مـا تحتاجـه على حسابي وأنا أسدده عنك إن شاء الله) فإذا جاءنا شيء قضيناه"**!!**.

٣- الحلم المحمدي:

كان الحلم - وهو ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره قولاً أو فعلا عند الغضب - فيه ﷺ مضرب الأمثال، ولعل ذلك يظهر فيما يلي من الأمثلة:

* لَمَّا شُجَّت وجنتاه ﷺ وكُسرت رباعيته (السِّنَّتان الأماميتان بالفك) يوم أُحد رفع يديـه إلى السماء، فظن الصحابة أنه سيدعو على الكفار، ولكنه قال: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»** [(٢)]!.

ولما جذبه أعرابي برداءه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه ﷺ، وقال الأعرابـي: " احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لـي مـن مالـك ومـال أبيك"،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد.

حلُمَ عليه ﷺ ولم يزد أن قال: «**المال مال الله وأنا عبده ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي**» فقال الأعرابي: "لا"، فقال النبي ﷺ : «**لم؟**» قال: لأنك لا تكافيء السيئة بالسيئة"، فضحك ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى آخر تمر[1]!.

لم يثبت أنه ﷺ ضرب خادماً ولا امرأة قط، بهذا أخبرت عائشة رضي الله عنها، فقالت: " ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظُلمها قط، ما لم تكن حُرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يُجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً قط ولا امرأة[2].

٤– العفو المحمدي:

(كان العفو – وهو ترك المؤاخذة، عند القدرة على الأخذ من المسيء – من أخلاق النبي ﷺ، وقد أمره به المولى تبارك وتعالى حين تنزل جبريل بالآية الكريمة:**{خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ}** فسأله ﷺ عن معنى هذه الآية، فقال له: «**حتى أسال العليم الحكيم**»، ثم أتاه فقال: «**يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**».

وقد امتثل ﷺ لأمر ربه، فنراه:

(ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً – فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.

ويتجسد عفوه حين تصدى له "غورث بن الحارث" ليفتك به ﷺ والرسول مطّرح تحت شجرة وحده قائلاً – نائماً في وقت القيلولة –، وأصحابه قائلون أيضاً، وذلك في غزوة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وغورث قائم على رأسه، والسيف مسلطاً في يده، وهو يقول: " ما يمنعك مني؟ " فقال ﷺ : «**الله**» **!!** فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي الكريم وقال: «**من يمنعك مني؟**».

قال غورث: " كُن خير آخِذ"، فتركه وعفا عنه، فعاد إلى قومه فقال: " جئتكم من عند خير الناس**!** "

ولما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالات قريش – الذين طالما كذّبوه، وأهانوه، وعذبوا أصحابه وشردوهم – جالسين مطأطئي الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ الفاتح فيهم، فإذا به يقول لهم: «**يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: " أخ

(١) صحيح مسلم (١٧٩٤).
(٢) مسند أحمد (٢٤٧٣٤).

كريم، وابن أخ كريم"، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء!**» فعفا عنهم بعد أن ارتكبوا من الجرائم في حقه وحق أصحابه ما لا يُحصى عدده!

ولما تآمر عليه المنافقون ليقتلوه وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة، وعلم بهم وقيل له فيهم، عفا عنهم وقال: «**لا يُتحدَّث أن محمداً يقتل أصحابه**»!

وحين كان الكفار ينادونه ب" مذمم" بدلاً من "محمد"، وغضب أصحابه ﷺ... كان يقول لهم: «**دعوهم فإنما يشتمون" مذمماً"، وأنا "محمد"**»!.

٥- الشجاعة المحمدية:

(كان ﷺ شجاع القلب والعقل معاً، فشجاعة القلب هي عدم الخوف مما يُخاف منه عادةً، والإقدام على دفع ما يُخاف منه بقوة وحزم، أما شجاعة العقل فهي المُضي فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر، متى ظهر أنه الحق... فكان ﷺ أشجع الناس على الإطلاق! ومن أدلة ذلك أن الله تعالى كلفه بأن يقاتل وحده في قوله:**{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}**[1]، ومن بعض أدلة ومظاهر شجاعته ﷺ ما يلي:

شهادة الشجعان الأبطال له بذلك، فقد قال علي بن أبي طالب، وكان فارسا مغواراً من أبطال الرجال وشجعانهم: " كنا إذا حمي البأس (اشتدت المعركة) واحمرت الحُدُق(جمع حدقة وهي بياض العين) نتقي برسول الله ﷺ أي نتقي الضرب والطعان"!!!

وهذا موقفه البطولي الخارق للعادة يوم أُحد حيث ذهل عن أنفسهم الشجعان، ووقف محمد ﷺ كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه والتفوا حوله وقاتلوا حتى انجلت المعركة بعد قتال مرير وهزيمة نكراء حلت بالقوم من جراء مخالفتهم لكلامه ﷺ، وفي حُنين حين انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها، وهم لا يدرون... بقي وحده ﷺ في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول: «**أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب**».

ومازال في المعركة يقول: «**إليَّ عباد الله! إليَّ عباد الله**» حتى أفاء أصحابه إليه وعاودوا الكرة على العدو فهزموهم في ساعة.

هذه بعض دلائل شجاعته القلبية، أما شواهد شجاعته العقلية، فنكتفي فيها بشاهد واحد،

فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنُّت "سهيل بن عمرو" وهو يملي

---

(١) النساء: ٨٤.

وثيقة صلح الحديبية، حين تنازل ﷺ عن العبارة" بسم الله" إلى" باسمك اللهم"، وعن عبارة"محمد رسول الله" إلى " محمد بن عبد الله"، وقد استشاط أصحابه ﷺ غيظا، وبلغ بهم الغضب حداً لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت وكانت بعد أيام فتحاً مبينا؛ فضرب ﷺ بذلك أروع مثل في الشجاعة وبعد النظر وأصالة وإصابة الرأي.

٦- الصبر المحمدي:

(كان الصبر – وهو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها، وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها، وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع لـه ولا تسخط عليه – هو خُلق محمد ﷺ، فقد صبر وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يجزع يوماً، ولم يتخلَّ عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها، وباستعراض المواقف التالية تتجلى لنا حقيقةالصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معترك الحياة:

صبره ﷺ على أذى قريش طوال فترة بقاءه بينهم بمكة، فقد ضربوه وألقوا روث الجزور على ظهره، وسبوه واتهموه بالجنون مرة وبأنه ساحر مرة، وبأنه كاهن مرة، وبأنه شاعر مرة، وعذبوا أصحابه وحاصروه معهم ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام وبعثوا رجالهم لتنفيذ الحكم إلا أن الله عز وجل سلّمه وعصم دمه.

و صبره ﷺ عام الحزن حين ماتت خديجة الزوجة الحنون التي صدقته حين كذبه الناس، وآوته حين طرده الناس، وأعطته حين حرمه الناس، وواسته حين اتهمه الناس... وصبره حين مات العم الحاني الحامي المدافع عنه، فلم توهن هذه الرزايا من قدرته وقابل ذلك بصبر لم يعرف لـه في تاريخ الأبطال مثيل ولا نظير.

وصبره في كافة حروبه في بدر وفي أُحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف حين حاربته البلدة كلها، وفي تبوك فلم يجبن ولم ينهزم ولم يفشل ولم يمل، حتى خاض حروبا عدة وقاد سرايا عديدة، فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات! فأي صبر أعظم من هذا الصبر؟!

و صبره ﷺ على الجوع الشديد، فقد مات ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير مرتين في يوم واحد قط! وهو الذي لو أراد أن يملك الدنيا لملكها ولكنه آثر الآخرة ونعيمها)

الرحمة المحمدية:

كان ﷺ يرحم الناس(رحمة الأقوياء الباذلين وليست رحمة الضعفاء البائسين، وكان يمارسها ممارسة مؤمن بها، متمضخ بعطرها، مخلوق من عجينتها)

حتى أن ربه قال عن رحمته ﷺ لسائر الخلق: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**، وقال عن رحمته للمؤمنين خاصة: **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**.

وحين أوذي رسول الله ﷺ في مكة فخرج إلى الطائف، وقف أهلها في صفين يرمونه بالحجارة، فدميت قدماه الشريفتان، وشكا إلى الله تعالى ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس... فنزل جبريل عليه السلام، (وقال يا محمد: " لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين "جبلين بمكة" لفعلت"، فقال له رسول الرحمة والتسامح: **«لا، لعل الله يخرج من بين ظهرانيهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا»**، وقد صحت نظرة الرحمة والحلم المحمدية، ودخل الناس في هذه الأماكن وغيرها في دين الله أفواجا!!!

وكان ﷺ رحيماً حتى في مقاتلته لأعداء دينه، فقد كان يوصي جيشه المقاتل بألا يضرب إلا من يضربه أو يرفع عليه السلاح، وكان يقول: **«لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا»**، كما كان يحرص على عدم التمثيل بهم أو المبالغة في إهانتهم، فيقول: **«اجتنبوا الوجوه ولا تضربوها»!!** .

أنس رضي الله عنه قال: أن غلاماً يهودياً كان يخدم الرسول ﷺ، فلما مرض، عاده الرسول الكريم فقعد على رأسه وقال له: **«أسلِم»** فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: "أطع أبا القاسم"، فأسلم الغلام، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»!!**[1].

وكان ﷺ يوصي بالضعفاء رحمة بهم، فنراه يوصي باليتامى قائلا: **«خير البيوت بيت فيه يتيم مُكرَم»**؛ وبالنساء قائلاً: **«استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خُلقن من ضلع أعوج»**؛ وبما ملكت الأيمان، (فنجد آخر كلماته ﷺ حين حضرته الوفاة: **«الصلاة، وما ملكت أيمانكم»**، حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه!!!)

ومن رحمته ﷺ بأمته (أنه كان يتلو قول الله تعالى في إبراهيم:**{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**، وقول عيسى:**{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}**.

---

(١) رواه البخاري.

فرفع يديه قائلاً: **«اللهم أمتي أمتي»** وبكى، فقال الله عز وجل - وهو أعلم: **«يا جبريل إذهب إلى محمد فسله: " ما يبكيك؟»** فأتاه جبريل فسأله، فأخبره النبي ﷺ، فقال الله تعالى: **«يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له: " إنا سنرضيك في أمتك ولن نسوؤك"»**.

الوفاء المحمدي:

(كان وفاؤه ﷺ باهراً، فقد كان وفياً لربه، ووفياً لحاضنته، ووفياً لزوجاته، ووفياً لأصحابه، ووفيا لسائر الكائنات.

فقد سألته السيدة عائشة يوماً حين كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه لماذا يجهد نفسه بهذا الشكل وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فكان رده ﷺ : **«أفلا أكون عبداً شكورا»** [1] ؟!.

(وذات يوم زارته بالمدينة سيدة عجوز فخفَّ عليه الصلاة والسلام للقائها في حفاوة بالغة، وغبطة حافلة، وأسرع فجاء ببردته النفيسة وبسطها على الأرض لتجلس عليها العجوز؛ وبعد انصرافها سألته عائشة رضي الله عنها عن سر حفاوته بها فقال: **«إنها كانت تزورنا أيام خديجة»** [2]!.

وبين غرفته بالمسجد ومكان المنبر حيث كان يؤم المسلمين في الصلاة بضع خطوات.. كان يقطعها كل يوم عند كل صلاة ولقد أحب هذه الأمتار من الأرض لأنها كانت ممشاه إلى الله، وإلى قرة عينه الصلاة، ولقد أخذه الحب لها والوفاء حتى أكرمها وأجلَّها وقال: **«ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة!»** [3].

ومن أحلى الأوقات لرواية هذه القصص لأطفالنا عنه ﷺ، وأكثرها تأثيراً في النفس هو وقت ما قبل النوم، حين تنطفئ الأنوار - أو تكون خافتة - ويكون الطفل مهيئاً للاستماع والتخيل، ومن ثم التفكير فيما يسمع.

ولعله من المفيد: الإشارة إلى أن تعليم أخلاق الرسول الكريم لأطفالنا قد يخلق لهم مشكلة وهي أنهم سيواجَهون في المجتمع بمن يتصرفون بعكس هذه الأخلاق، فيرون أقرانهم يكذبون، ويغشون، ويتكبرون، ويتنابزون بالألقاب، ويغضبون لأتفه الأسباب...

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح مسلم مناقب خديجة.

(٣) صحيح البخاري.

بل والأسوأ من ذلك أن هؤلاء الأقران قد يتعاملون معهم على أنهم ضعفاء أو أغبياء لتمسكهم بهذه الأخلاق**!!!** مما يسبب لهم إحباطا واضطراباً وعدم ثقة فيما تعلموه من والديهم... وقد يتسبب هذا – أحياناً – في أن يندم الوالدان على تربية أولادهم على الأخلاق في زمن لا يقدِّر الأخلاق... لكن كاتبة السطور تحذِّر من هذا الإحساس المدمِّر، وذلك المدخل من مداخل الشيطان على المؤمن، وتؤكد أن ما فعله الوالدان هو الصحيح، والدليل أن الرسول ﷺ قال: **«أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»** فإذا كنا قد علَّمناهم الأخلاق ابتغاء مرضاة الله تعالى، فلابد من أن نوقن في أنه سبحانه سيجعل لهم فرجا ومخرجا؛ وأن النصر في النهاية سيكون – بإذن الله – حليفهم، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

كما ينبغي أن نعلم أطفالنا أن يقول كل منهم لنفسه حين يرى تلك النماذج المؤسفة لسوء الخلق: " أنا على حق"، "إنهم هم المخطؤون"، " واجبي أن أتمسك بأخلاقي حتى يفعلوا مثلي يومًا ما – كما فعل رسول الله حين كان هو المسلم الوحيد على وجه الأرض – وإن لم يفعلوا أكون من الفائزين بالجنة إن شاء الله**!** ".

وينبغي أن نساعدهم على اختيار الأصدقاء الذين يشاركونهم هذه الأخلاق، فإن ذلك يعينهم، ويشعرهم أنهم ليسوا بغرباء في المجتمع.

ولا ننسى الدعاء لهم دائماً: " اللهم اهد أولادي وأولاد المسلمين لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهديهم لأحسنها إلا أنت، واصرف عنهم سيئها، فإنه لا يصرف عنهم سيئها إلا أنت".

«اللهم كما حسَّنت خَلقهم، فحسِّن خُلُقهم».

مرحلة مابين الرابعة عشرة والسادسة عشرة:

من المُجدي في هذه المرحلة أن يقوم الوالدان بعقد المسابقات في الإجازة الصيفية بين الأولاد وأقرانهم من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء بالمدرسة أو النادي لعمل أبحاث صغيرة عن سيرته ﷺ، بحيث تشمل موضوعاتها مثلا:

حالة البشرية قبل مولده ﷺ

حادثة الفيل

عبد الله، وآمنة

مولده ﷺ وقصته مع حليمة

طفولته ﷺ وصباه

فترة شبابه وزواجه من خديجة رضي الله عنها

علاقته ﷺ بزوجاته رضوان الله عليهن

علاقته ﷺ ببناته وخاصة فاطمة

علاقته ﷺ بأصحابه وحبه لهم وحبهم لـه.

معجزاته ﷺ قبل وبعد نزول الوحي فهذه الطريقة تجعل ما يقرؤون، ويكتبون أكثر ثباتـاً في عقولهم، وقلوبهم؛ لأنهم سيبذلون الجهـد في البحـث عـن تلـك المعلومـات، وتجميعهـا، وترتيبها، ثم كتابتها وصياغتها بشكل جيد.

وينبغي مكافأة من قاموا بإعداد أبحاث جيدة بهدايا نعرف مسبقا أنهم يحبونها.

كما يمكن إهداء الطفل أو مكافاته بكتب مثل:

" معجزات النبي ﷺ ودلائل صدق نبوته" للشيخ إبراهيم جلـهوم والشـيخ محمـد حمـاد، و" محمد ﷺ " لعبد الحميد جودة االسحار.

٦ – كيف نقيس حبنا للنبي ﷺ ؟

ينبغي لأبناءنا – في هذه المرحلة – أن يعرفوا أن حبهم للـنبي ﷺ يحتـاج إلى برهـان، فـلا يكفي أن يقولوا أنهم يحبونه وإنما ينبغي أن يظهر ذلك في أفعـالهم وتصـرفاتهم؛، وفيمـا يلـي بعض الأسئلة التي يمكن أن تساعدهم على قياس مدى حبهم للرسول الكريم:

هل تصلي عليه كثيراً؟

إن المحب لا يفتر عن ذكر حبيبه والدعاء لـه، (وكما يقول الإمام ابـن القـيم " إن العبـد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه الجالبة لحبه تضاعف حبـه لـه وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعـرض عـن ذكـره واستحضـار محاسـنه بقلبه نقص حبه من قلبه.

* * * * *

المطلب الثالث:
من أخلاق النبي ﷺ

كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس رضي الله عنه قال" كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا" [(١)].

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ "[(٢)].

قال تعالى مادحاً وواصفاً خُلق نبيه الكريم ﷺ :**{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[(٣)].

قالت عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: **«كان خلقه القرآن»** [(٤)].

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً.... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل[(٥)] أ. هـ

عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا [(٦)].

١ – ما المقصود بحُسن الخلق؟

---

(١) الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

(٣) القلم: ٤.

(٤) صحيح مسلم.

(٥) ابن كثير.

(٦) رواه البخاري.

عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**البر حسن الخلق..**» [1].

حسن الخلق أي: حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله فأن تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره.

على الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام [2].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ يقول: «**اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي**» [3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق**» [4].

٢ – أخلاق النبي ﷺ مع أهله:

كان صلى الله خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [5].

وكان من كريم أخلاقه ﷺ في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه ﷺ أن يرقّق اسم عائشة – رضي الله عنها – كأن يقول لها: «**يا عائش**»،

ويقول لها: «**يا حميراء**» ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: «**يا ابنة**

(١) رواه مسلم.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث السابع والعشرون في الأربعين النووية:

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات.

(٤) رواه أبو داود والنسائي.

(٥) سنن الترمذي.

الصديق» وما ذلك إلا تودداً وتقرباً وتلطفاً إليها واحتراماً وتقديراً لأهلها.

كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه ﷺ من إناءٍ واحد، فيقول لها: **«دعي لي»**، وتقول لـه: دع لي [١].

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئاً لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقاً – وهو العَظْمُ الذي عليه لحم – أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حَجْرِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حَجرِها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثمَ يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكّنها من اللعب.

عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قال: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة)[٢] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٣].

قال ﷺ : **«إن من أعظم الأمور أجرًا النفقة على الأهل»** [٤].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: **«اقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك»** فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: **«تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك»** فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: **«هذا بتلك»** [٥].

وقد روي أنه ﷺ وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها [٦].

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم والترمذي.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أحمد.
(٦) رواه البخاري.

يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه [(١)].

٣ – عدل النبي ﷺ :

كان عدله ﷺ وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين.

قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للّهِ وَلَوْ عَلَىَ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ}** [(٢)].

كان يعدل بين نسائه ﷺ ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة – رضي الله عنها – غيورة.

فعن أم سلمة – رضي الله عنها أنها أتت بطعامٍ في صحفةٍ لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة... ومعها فِهرٌ ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة وهو يقول: **«كلوا، غارت أُمكم»** – مرتين – ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أُم سلمة وأعطى صحفة أُم سلمة عائشة[(٣)].

قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: **«والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها»** [(٤)].

٤ – كلام النبي ﷺ :

كان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين، يعده العاد ليس بسريع لا يُحفظ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهديِّ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه)[(٥)]

وكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم فيما لا يَعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كرِه الشيء: عُرِفَ في وجهه.

٥ – أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) النساء: ١٣٥.

(٣) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم[1].

كان ﷺ يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه [2].

وكان ﷺ يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي ﷺ من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله**{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}**[3] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

خلقه ﷺ في معاملة الصبيان:

فإنه كان إذا مر بالصبيان سلم عليهم وهم صغار وكان يحمل ابنته أمامه وكان يحمل ابنة ابنته أمامه بنت زينب بنت محمد ﷺ وهو يصلي بالناس وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين ويضعهما بين يديه.

٦ – أخلاق النبي ﷺ مع الخدم:

ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفا رحيماً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

عن أنس رضي الله عنه قال: " خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا"؟ [4].

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله [5].

وفي رواية ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله[6].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

(٢) سنن أبي داود.

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مالك والشيخان وأبو داود.

تنتهك حرمة الله فينتقم".

٧ – رحمة النبي ﷺ :

قال تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[١].

وعندما قيل لـه: ادع على المشركين قـال ﷺ : **«إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمــة»** [٢].

"قال عليه الصلاة والسلام: **«اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها لــه زكاة وأجراً»** [٣].

كان من دعاء الـنبي ﷺ : **«اللهم من ولِيَ من أمرِ أمتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به»**.

قال ﷺ : **«هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم»** [٤].

قـال تعـالى:**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّــوا مِــنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ..}**[٥].

وقال ﷺ في فضل الرحمة: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** [٦].

وقال ﷺ في أهل الجنة الذين أخبر عـنهم بقولــه: **«أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم»** [٧].

٨ – عفو النبي ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان الـنبي ﷺ مـن أحســن النـاس خلقًـا، فأرسـلني يومًـا لحاجة، فقلت لـه والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني بـه ﷺ، فخرجـت حتـى أمـر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي ﷺ قد قبض بقفاي من ورائـي، فنظـرت إليـه وهو يضحك فقال: **«يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟»** قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله –

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) آل عمران: ١٥٩.
(٦) رواه الترمذي وصححه الألباني.
(٧) رواه مسلم.

فذهبت"[1].

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَه مَه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تزرموه، دعوه»**، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن»** قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه[2].

٩ – تواضعه ﷺ :

وكان ﷺ يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.

وكان ﷺ سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى:**{تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ}**[3].

فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول ﷺ : **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»** [4].

كيف لا وهو الذي كان يقول ﷺ : **«آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»**[5].

كيف لا وهو القائل بأبي هو وأمي ﷺ : **«لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت»** [6].

كيف لا وهو الذي كان ﷺ يحذر من الكبر أيما تحذير فقال: **«لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر»** [7].

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية.

عن أنس رضي الله عنه قال كان ﷺ يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.
(٢) رواه مسلم.
(٣) القصص: ٨٣.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه أبو يعلى وحسنه الألباني.
(٦) رواه الترمذي وصححه الألباني.
(٧) رواه مسلم.

فيجيب[1].

الإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث.

١٠ – مجلسه ﷺ :

كان يجلِس على الأرض، وعلى الحصير، والبِساط.

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له"[2].

عن أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال: **«لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا»** [3].

١١ – زهده ﷺ :

كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكا نبيا أو يكون عبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا.

كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمَالِهِ، وتارة على كِساء أسود.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي ﷺ فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي ﷺ : **«ما يبكيك يا عمر؟»** قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: **«أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»**؟ قال: بلى قال: **«هو كذلك»**[4].

وكان من زهده ﷺ وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الثلاثة أهلة في شهرين.

عن عروة رضي الله عنه قال: عن عائشة – رضي الله عنها – أنها كانت

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل.

(٢) رواه أبو داود والترمذي بلفظه.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجة وإسناده حسن.

(٤) مسند أحمد.

تقول: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان – التمر والماء[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير[2].

١٢ – عبادته ﷺ :

كان عليه الصلاة والسلام أعبد الناس، ومن كريم أخلاقه ﷺ أنه كان عبداً لله شكوراً.

فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض ثم يتمم ذلك بما يسّر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى كلما عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله ﷺ عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه إن الله تعالى قال: **«وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه..»** [3].

فقد كان ﷺ يعرف حق ربه عز وجل عليه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه – صلوات ربي وسلامه عليه – ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

فعن عبدالله بن الشخير – رضي الله عنه – قال: (أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري.

وبجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء)[1].

وعن عائشة – رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»** [2].

وكان من تمثله ﷺ للقرآن أنه يذكر الله تعالى كثيراً، قال عز وجل:**{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}**[3].

وقال تعالى:**{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}**[4]. ومن تخلقه ﷺ بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذاً لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال ﷺ : **«لأن أقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»** [5].

وقال ﷺ : **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت»** [6].

وقال ﷺ : **«ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»** [7].

كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي ﷺ أن يقول: **«اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»** [8].

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ قبل موته: **«اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»** [9].

١٣ – دعوته ﷺ :

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الأحزاب: ٣٥.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخاري.

(٧) أخرجه الطبراني بسندٍ حسن.

(٨) متفق عليه.

(٩) رواه النسائي وصححه الألباني.

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام شملت جميع الخلق، كان رسول الله محمد ﷺ أكثر رسل الله دعوة وبلاغًا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا.

وقد ذكر كتاب زاد المعاد حيث قال: أن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام كانت على مراتب:

المرتبة الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجنّ والإنس إلى آخر الدّهر.

وقد قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ :**{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[1].

وهذا أيضا من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، أهل العلم والبصيرة أهل العلم والإيمان أهل العلم والتقوى.

ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى.

فعن أبي أُمامة – رضي الله عنه – قال: إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: **«ادنه»**، فدنا منه قريباً، قال: **«أتحبّه لأمّك؟»** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»** قال: **«أفتحبه لابنتك؟»** قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: **«ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم»** قال: **«أفتحبه لأختك؟»** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **«ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم»**. قال: **«أفتحبه لعمتك؟»** قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: **«ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم»**. قال: **«أفتحبه لخالتك؟»** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **«ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم»** قال: فوضع يده عليه،

وقال: **«اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»** فلم يكن بعد ذلك

(١) يوسف: ١٠٨.

الفتى يلتفت إلى شيء[1]..

وقد انتهج النبي ﷺ ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، كان يتمثل في ذلك ﷺ قول الله عز وجل:**{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [2].

إن النبي ﷺ كان إذا أُسيء إليه يدفع بالتي هي أحسن يتمثل ويتخلق بقوله تعالى:**{...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** [3].

١٤ – مزاح النبي ﷺ :

وكان من هديه ﷺ أن يمازح العجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ : «**يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز**»، فولت تبكي، فقال: «**أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز**، إن الله تعالى يقول:**{إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً}**[4]».

وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه.

كرم النبي ﷺ :

من كرمه ﷺ أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها ﷺ.

١٥ – صبر النبي ﷺ :

كان النبي ﷺ يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة.. وهذه الشدة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان..

قال تعالى:**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}** [5].

ومن صبر النبي ﷺ أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت

---

(١) رواه أحمد.

(٢) النحل: ١٢.

(٣) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٤) الواقعة: ٣٥ – ٣٧ رواه الترمذي في الشمائل وحسنه الألباني.

(٥) الفتح: ٢٩.

أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ : **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»**، والأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس وقعيقعان.

فقد أخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال: (رأيت إبراهيم وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: **«تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»** [(١)].

١٦ – تعاون النبي ﷺ :

قال عليه الصلاة والسلام : **«مَنْ استطاع منكم أنْ يَنْفَعَ أخاه فَلْيَنْفَعْه»** [(٢)].

(عن ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي لـه حاجته)[(٣)].

١٧ – نصيحة لنفسي ولأخوتي:

قال تعالى:**{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً}**[(٤)].

وقال تعالى:**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}**[(٥)].

فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي ﷺ، وأعظمهم اتباعا، لـه وأسعدهم بالاجتماع – معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال ﷺ : **«أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»** [(٦)].

وقال ﷺ : **«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»** [(٧)].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: **«إن من خياركم أحسنكم خلقا»** [(٨)].

(١) سنن ابن ماجه.
(٢) سنن الترمذي.
(٣) رواه النسائي والحاكم.
(٤) النساء: ٦٩، ٧٠.
(٥) الأحزاب: ٢١.
(٦) سنن الترمذي.
(٧) سنن الترمذي.
(٨) سنن الترمذي.

قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء**». وفي رواية: «**وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**» (١).

وقال ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله**». وفي رواية: لنسائهم. وروي عنه ﷺ قال: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا**» (٢).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن هذه الأخلاق من الله تعالى؛ فمن أراد الله به خيراً منحه خلقا حسنا**»، وروي عنه ﷺ : «**إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد**» (٣).

٢ – هل قرأت سيرته؟

إن المحب ليشتاق إلى معرفة نشأة حبيبه، وتطورات حياته وأخباره.

٣ – هل عرفت هديه؟

إن المحب يكون شغوفاً لمعرفة أفكار ومعتقدات وأقوال حبيبه، ولعل هذا يتحقق بقراءة كتب الأحاديث المبسطة مثل" رياض الصالحين".

٤ – هل تتبع سنته (الواجب منها والمستحب)؟

إن المحب يكون مولعاً بتقليد حبيبه، ولعل هذا يتحقق بالتعرف على سنته من خلال كتابي "فقه السنة"، و"منهاج المسلم".

٥ – هل زرت مدينته؟

إن المحب ليشتاق إلى ديار حبيبه، والمشي فوق خطواته.

٦ – هل تحب آل بيته الكرام وأصحابه وأتباعه رضوان الله تعالى عليهم؟

إن المحب يحب أحباب حبيبه.

٧ – هل تحدثت عنه مع غيرك ممن لا يعرفون عنه شيئا؟

إن المحب يود دائما لو ظل يتحدث عن حبيبه مع كل الناس.

(١) مسند أحمد.

(٢)سنن الترمذي.

(٣) الترمذي.

٨ – هل ترضى بحكمه فيما شجر بينك وبين غيرك من خلافات؟

إن المحب ليرضى بحكم حبيبه في شتى الأحوال، فما بالك إذا كان الحبيب هو محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى؟!

فإذا كانت إجاباتهم كلها ب"نعم"، فهم يحبونه بالفعل، أما إن كانت الإجابة على بعض الأسئلة ب"لا" فهم محتاجون إلى أن يراجعوا أنفسهم، وإعادة النظر في طريقة حبهم له ﷺ.

وإذا كانت إجاباتهم كلها ب"نعم" وشعروا برغبة شديدة في رؤيته ﷺ في الدنيا، فيمكن أن نروي لهم هذه القصة اللطيفة؛ مع توضيح أن رؤيته – بشكل عام – فضلٌ من الله، وعطيَّة يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين: (جاء تلميذ إلى أستاذه وقال: " علمت أنك ترى رسول الله ﷺ في رؤياك"، فقال الأستاذ: " فماذا تريد يا بني؟ " قال: " علِّمني كيف أراه"، فإني في شوق إلى رؤياه، فقال له: " فأنت مدعو لتناول العشاء معي هذه الليلة لأعلمك كيف تراه ﷺ.

وذهب التلميذ لأستاذه الذي أكثر له من الملح في الطعام، ومنع عنه الماء، فطلب التلميذ الماء، فمنعه الأستاذ، بل أصر على أن يزيده من الطعام، ثم قال له: " ثم وإذا استيقظت قبل الفجر فسأعلمك كيف ترى النبي ﷺ "، فبات التلميذ يتلوى من شدة العطش والظمأ، فقال له أستاذه حين استيقظ: "أي بني قبل أن أعلمك كيف تراه أسألك: "هل رأيت الليلة شيئا؟ " قال: " نعم"، قال له" ما رأيت؟ "، فقال: " رأيت الأمطار تمطر، والأنهار تجري والبحار تسير" فقال الأستاذ: " صدقت نيتك فصدقت رؤيتك، ولو صدقت محبتك لرأيت رسول الله.

ومن الأمور بالغة الأهمية أن نوضح لهم الفرق بين أن نحبه ﷺ وبين أن نغالي ونتعدى الحد، فمن أراد أن يُرضي الله بحب النبي ﷺ فعليه أن يحبه كما أراد الله ورسوله، وليس كما يوافق هواه!!!

(ومن منطلق أن حبه ﷺ عبادة، فإن العبادة يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، كما يجب أن تكون على طريقة رسول الله،

وإذا خرجت عن هذين الشرطين، صارت بدعة، ومن ثم فهي مردودة على صاحبها، فقد قال تعالى:**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ**

دِيناً}[1]، فقد تم الدين ولم يترك شيئاً لم يتحدث عنه، وما ارتضاه الله تعالى لنا لا ينبغي أن نغيره، فقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أشد حباً لــه، ولكنهم لم يكونوا يفعلون محرماً من أجله ﷺ ؛ فكانوا لا يقومون إليه حين يأتيهم، كما يقوم الأعاجم الكفار لملوكهم؛ وكانوا لا يبالغون في إطراءه حين نهاهم عن ذلك قائلاً: **«لا تُطْروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ لله، قولوا: "عبد الله ورسوله"»**.

وحين جاءه ﷺ رجل فراجعه في بعض الكلام، فقال: " ما شاء الله وشئت"، فقال لــه: **«أجعلتَني مع الله نداً؟»** بل قل: **«ما شاء الله»**.

فلا ينبغي أن نُغضب الله سواء بالمغالاة في مدحه ﷺ بأن نرفعه فوق قدره، أو بمجافاته ﷺ بالعقل أو القلب... ولكن علينا بالوسطية، وهي التزام السنة، ومن ثم فعلينا أن نعلم أطفالنا مثلاً أنه لا يجوز الاستغاثة برسول الله ﷺ، أو الاستجارة به بعد وفاته، لأنه لا يملك لنا شيئا، كما لا ينبغي أن نفعل كما يفعل البعض عند قبره الشريف من رفع الصوت لأن الله تعالى يقول:**{لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ}**[2]، ولا ينبغي أن ندعو أمام قبره ونحن ننظر إلى القبر، والصحيح أن ندعو ونحن متوجهون للقبلة، أما المباح من القول ونحن ننظر للقبر، فالسلام عليه والإكثار من الصلاة عليه.

كما ينبغي أن نتحدث معه عن بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي شاعت بين الناس، مثل" من حج ولم يزرني فقد جفاني" و"من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي "و" رأيت ليلة أُسري بي مكتوباً على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله... ".

* * * * *

(١) المائدة: ٣.

(٢) الحجرات: ٢.

المبحث الرابع:
أطفالنا وحب الإسلام

١ – ما هو الإسلام؟

هو أجل وأعظم وأشرف نعم الله على الإنسان.

وهو الاستسلام الكامل لأوامر الله سبحانه، والانتهاء عن نواهيه؛ استسلام الواثق بحكمته، المعتمد على قدرته؛ الطامع في رحمته.

٢ – ما هو حب الإسلام؟

هو أن تكره أن تخرج عنه؛ فتعود إلى الكفر، كما تَكره أن تُقذف في النار.

٣ – لماذا نحب الإسلام وننتمي إليه؟

أ – لأنه الدين الخاتم الذي قال عنه سبحانه تعالى في قرآنه المعجز في كل مكان وزمان: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ}** وقال عمن يتبعون غيره: **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ}**[1].

ب – لأنه الدين القيِّم، كما قال عنه جل وعلا في قرآنه – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – في كثير من المواضع؛ أي الدين الثابت الذي لا عوَج فيه، ولا زيغ، ولا ضلال.

ج – لأنه دين الحرية الذي حرر الإنسان من العبودية لغير الله، ومن الخوف إلا مِنْه، ومن الحاجة إلا إليه ومن الذل إلا له، ومن التوكل إلا عليه، فإذا كان مَن نعبده ونخشاه، ونذل له، ونتوكل عليه هو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، ومالك الملك، والقادر المقتدر، والعزيز الجبار، وذو الجلال والإكرام، والحي القيوم، والحفيظ المقيت، فهنيئاً لنا بهذا الدين.

د – لأنه دين الاعتدال الذي رفع الإصر والأغلال عمن اتبعوه، بعكس الأمم التي كانت من قبلهم، يقول العلامة سليمان الندوي: «ما من دين خلا من العبادة لله، لكن الأديان القديمة حسب أتباعها أن الدين يطالبهم بإيذاء أجسامهم وتعذيبها وأن الغرض من العبادة إدخال الألم على الجوارح وأن الجسم إذا زادت آلامه كان في ذلك طهارة للروح ونزاهة للنفس! وقد جاءت الشريعة الإسلامية برفع هذه الآصار فقد روي عن ابن عباس

(١) آل عمران: ٨٥.

رضي الله عنه: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» وهو الغلو الذي نعاه القرآن على أهل الكتاب ونهاهم عنه: **{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ}**[(١)].

وقد عُرف الرسول ﷺ في كتب الأولين بالأوصاف المميزة التالية: **{يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}**؛ وقد امتن الله برسوله على الناس فقال: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**[(٢)].

وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «**بُعثت بالحنيفية السمحة**»، فهي حنيفية العقيدة، سمحة في التكاليف والأحكام وإنما خصها الله بالسماحة والسهولة واليسر لأنه أرادها رسالة الناس كافة والأقطار جميعا، والأزمان قاطبة... ورسالة هذا شأنها من العموم والخلود لابد أن يجعل الله الحكيم في ثناياها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع...

وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة وفي العبادات خاصة؛ يقول الله تعالى في بيان رسالة المسلم في الحياة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**[(٣)]؛ ويقول في أعقاب ما ذكره من المحرمات في النكاح وإباحة ما وراء ذلك بشرطه: **{يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}**[(٤)].

هـ - لأنه دين التيسير الذي يتناسب مع الفطرة البشرية، فلا يكلف النفس إلا وسعها، ولا يحمِّلها إلا ما تطيق، بل وينهى عن المغالاة والتنطع والتشدد، خاصة في أمور الدين، يقول المولى جل وعلا: **{لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}**[(٥)].

كما يقول: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**[(٦)]؛ ويقول الرسول الكريم: **«إن هذا الدين شديدٌ فأوغل فيه برفق»**، ويقول: **«روِّحوا القلوب فإن القلوب إذا تعبت**

---

(١) المائدة: ٧٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) الحج: ٧٧، ٧٨.

(٤) النساء: ٢٨.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) البقرة: ١٨٥.

كلَّت وإذا كَلَّت مَلَّت» ومـن أقوالـه ﷺ : «**إن الدين يسر ولن يشادد الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا**»[1].

ونراه ﷺ حين بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري أميرين إلى اليمن كان من وصيته لهمـا: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[2].

ومن أوصافه عليه الصلاة والسلام أنه ما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختـار أيسـرهما مـا لم يكن إثماً.

وإذا كانت وجهة الإسلام هي التيسير فكل مسـلم يبغـي التشـديد والتعنـت إنمـا يعانـد روح الإسلام ولهذا وقف الرسـول الكـريم في وجـه المتعنـتين والمتشـددين وأخـبر بهلكـتهم ووبالهم فقال: **«ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون»** ولم يكن يكرر الكلمة ثلاثاً إلا لعظم خطر مضمونها.

و – لأنه دين العطاء الذي يعطي الأجر الوفير علـى مسـاعدة الغـير والتخفيـف عـنهم وإدخال السرور على قلوبهم، وإطعامهم، وعيادة مريضهم وإعانة ضعيفهم، وكفالة يتيمهم، وإغاثة ملهوفهم، وتعليم جاهلهم، وتوقير كبيرهم، والعطـف علـى صـغيرهم، والعفـو عـن مسيئهم.

ز – لأنه دين النظافة، والطهارة الظـاهرة والباطنـة، والخُلُـق الكـريم، والرقـي والسـمو والحضارة بنوعيها: المادية والروحية. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسـول الله ﷺ : **«عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشـاق المـاء، وقـص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»**؛ قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون: **«المضمضة»**، وقال وكيع: انتقاص الماء يعني: الاستنجاء"[3].

ويقول الله تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**[4].

أما الطهارة الباطنة فهي: تطهير النفس من آثار الذنب والمعـصية، وذلك بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والمعاصي، وتطهير القلب من أقذار الشرك والشك والحسد والحقـد والغـل والغش والكبر، والعُجب والرياء والسمعة، وذلك بالإخلاص واليقين وحـب الخـير والحلـم والصدق والتواضع، وإرادة وجه الله تعالى بكل النيات والأعمال الصالحة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٨).
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) سنن الترمذي.

وقد قال الرسول الكريم ﷺ عن أهمية طهارة القلب: **«تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا»** رواه مسلم. وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام ينهى أن يبلغه عن أصحابه ما يسوؤه، فيقول لهم: **«لا يبلِّغني أحد منكم عن أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»** [1].

ح - لأنه الدين الوحيد الذي عرف للمرأة قدرها وأعطى لها من الكرامة، والحقوق مالم نر مثله لدى أي دين أو ملة أو عقيدة أخرى.

ط - لأنه الدين الوحيد الذي اهتم بأتباع الأديان الأخرى، وكفل لهم حرية العقيدة، فقد قال تعالى: **{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** [2].

والآية الكريمة ترخص للمؤمنين في البر والصلة قولا وفعلا للذين لم يقاتلوهم لأجل الدين ولم يلحقوا بهم الأذى ولم يُخرجوهم من ديارهم، وترخص لهم ببرهم والإحسان لمن أحسن منهم والعدل في معاملاتهم وهذا خالد بن الوليد يعاهد أهل الحيرة في زمن أبو بكر رضي الله عنه على ألا يهدم لهم بيعة أو كنيسة وعلى ألا يُمنعوا من نواقيسهم أو إخراج صلبانهم وأن يُعال العاجز هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام.

كما يسوي الإسلام في الحقوق (بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى؛ فنجد الرسول ﷺ يقول: **«من ظلم معاهدا أو أنقصه حقه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة»** لذا نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وهو وال على مصر، يقول له " أن معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون الرسول الله ﷺ خصمك " ونراه حين فتح بيت المقدس يعقد معاهدة مع أسقفها جاء فيها: " هذا ما أعطى عمر أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم... فكان لغير المسلمين في بلاد الإسلام ما للمسلمين من حقوق عامة وعليهم ما على المسلمين كذلك).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) الممتحنة: ٨.

ى – لأنه دين الرحمة الذي أوصى بالضعفاء كالأطفال، واليتامى والنساء، وكبار السن، والمساكين، والخدم؛ فنرى الرسول ﷺ يوصي بهم قائلاً: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا»** [1].

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى [2].

«خير البيوت بيت فيه يتيم مُكرم» [3].

«استوصوا بالنساء خيرا» [4].

«من كان لــه ثلاث بنات فصبر على لأوائهن، وضرائهن، وسرائهن دخل الجنة» فقال رجل: وثنتان يارسول الله؟ قال: **«وثنتان»**، فقال آخر: " وواحدة؟ " قال: **«وواحدة»**.

وعن الخدم يقول: **«إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تطعمون، واكسوهم مما تلبسون»**... ولك أن تتأمل عظمة الإسلام في كلمة إخوانكم؛ فهو يحترم آدمية وكرامة الخادم لأنه – في النهاية – إنسان لـه مشاعر وأحاسيس.

كما يعتبر الإسلام أن من زار مريضاً كان كمن زار الله تعالى، ومن امتنع عن زيارته عاتبه الله! ونراه ﷺ يوصي بحُسن اختيار الزوج والزوجة كأحد حقوق الطفل، ثم بحسن اختيار أسمائهم، وحسن تأديبهم، والتصابي لهم، وإكرامهم والعطف عليهم؛ ثم يجعل من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم! كما نرى الله تعالى يوصي المؤمنين قائلاً: **«واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين»**، ونراه ﷺ يحب المساكين ويحسن إليهم ويدعو ربه أن يحشره في زمرتهم! فأي دين هذا؟

ك – لأنه دين المعاملة الحسنة الذي يجعل من الكلمة الطيبة صدقة، والتبسم في وجه الغير صدقة، ومن إماطة الأذى عن الطريق صدقة ويعطي أعظم الأجر على إفشاء السلام، بل ويجعل مما يحط الخطايا عن المسلم: مصافحة أخيه المسلم، والمسح على رأس اليتيم، وإطعام الرجل زوجته في فمها، وتزينه لها كما تتزين لـه، والحرص على عدم إيذاء الآخرين بالقول أو الإشارة أو الصوت المرتفع، فيقول المولى عز وجل: **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً}**، ويقول رسوله الكريم ﷺ : **«المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده»**، بل ويجعل المعاملة

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٥٤).

(٢) سنن الترمذي (١٨٤١).

(٣) سنن ابن ماجه (٣٦٦٩).

(٤) رواه مسلم.

الحسنة من أساسيات الدين، إذ يقول ﷺ : «**الدين المعاملة**»!.

ل – لأنه الدين الوحيد الذي يعطي أعظم الأجر على أفعال يسيرة يقوم بها المسلم؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

التصدق من المال الحلال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه – أي مهره – حتى تكون مثل الجبل**» (١).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ : «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**» (٢).

قول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**من قالها مائة مرة في يوم كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**» (٣).

صوم الأيام الست من شوال، فقد قال ﷺ : «**أن من صامها كان كمن صام الدهر**» (٤).

«**من قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً كان كمن قرأ القرآن كله**» (٥).

م – لأنه دين الوفاء الذي يعطي للمريض، والمضطر، والمسافر، وأمثالهم من الأجر مثل ما كان يعطي كلاً منهم وهو سليم، معافى، ومقيم.

ن – لأنه دين الحلم الذي لا يحاسب الإنسان الذي غاب عنه عقله أو وعيه، حتى يفيق أو يعي؛ يقول النبي ﷺ : «**رُفع القلم عن ثلاث: عن الصغير حتى يكبر، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**» (٦).

س – لأنه دين العلم الذي تميز بمعجزة القرآن، وكان أول ما نزل منه هو كلمة "اقرأ"،

---

(١) متفق عليه.

(٢) سنن النسائي (٣١٣٦).

(٣) البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٤) سنن أبي داود (٢٠٧٨).

(٥) سنن الترمذي (٢٨٢١).

(٦) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن عائشة بإسناد صحيح، ومعنى رفع القلم: امتناع التكليف؛ أي ليسوا مكلفين.

كما نرى الرسول ﷺ يقول في شأن العلم الكثير من الأحاديث منها:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» [١].

«مداد العلماء أفضل عند الله من دماء الشهداء»!

«من سلك طريقا يلتمس فيه علما كان في سبيل الله حتى يرجع» [٢].

«إن الله وملائكته والكائنات، حتى الحوت في بطن الماء لتصلي على معلم الناس الخير»[٣].

وقد التزم المسلمون الأوائل بهذه التعاليم حتى سادوا العالم بعلمهم وتتلمذ على أيديهم الطلاب الذين كانوا يأتونهم من شتى بقاع الأرض... ولكنهم لما ابتعدوا عن دينهم بتتابع الأجيال بدأت حضارتهم في التدهور، بينما بدأ الغرب في بناء صرح حضارتهم العلميه على أنقاض الحضارة الإسلامية المنصرمة.

ر – لأنه دين المودة والترابط الأسري، والاجتماعي الذي يجعل عقوق الوالدين من الكبائر، ويوصي بهما بعد عبادته تعالى قائلاً:**{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}**[٤].

ويحرم الجنة على قاطع الرحم، كما قال ﷺ : **«لا يدخل الجنة قاطع رحم»**، ويوصي بالجار؛ قائلاً: **«مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أن سيورِّثه»**، كما يوصي بالصديق، فيقول ﷺ : **«خير الصاحبَين عند الله تعالى خيرهم لصاحبه»**، بل ويوصي سبحانه بالصاحب في السفر، قائلاً: **«والصاحب بالجنب»**، كما نراه ﷺ يحض على الجماعة فيقول: **«يد الله مع الجماعة»**، ويقول: **«إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»**، بل ويعطي ثواباً على صلاة الجماعة أكثرمن صلاة الفرد، ويشرع لهم صلاة الجمعة وصلاة العيدين، والحج لكي يلتقون ببعضهم البعض ويتعارفون، فيتعاونون... ويصدق ذلك قوله تعالى:**{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** [٥].

ف – لأنه دين الرفق بكل الكائنات حتى أنه يُدخل بغياً الجنة لأنها سقت هرة، بينما

(١) صحيح البخارى.
(٢) سنن ابن ماجه (٢٢١).
(٣) سنن ابن ماجه (٢١٩).
(٤) النساء: ٣٦.
(٥) الحجرات: ١٣.

يُدخل امرأة أخرى النار لأنها حبست هرة دون أن تطعمها أو تطلق سراحها؛ ويُدخل رجلاً الجنة لأنه آثر على نفسه كلبا عطشاناً، فاجتهد ليسقيه قبل أن يشرب؛ (بل أن المسلمين في عهد الدولة الأموية كانوا يخصصون – في دمشق بسوريا – مكاناً لرعاية الحيوانات المسنة حتى تموت.

ويصدق ذلك قول الرسول ﷺ : «**إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما خلا منه شيء إلا شانه**» وقد تجسد هذا الرفق في سلوكه ﷺ مع الجمل لذي شكا له من صاحبه الذي يجيعه ويجهده، فقال لصاحبه: «**ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي أملكك الله إياها؟!**» [1].

* * * * *

المطلب الأول:

٣ – لماذا نحبب الإسلام إلى أطفالنا؟

أ – لأنهم لن يصبحوا مسلمين حقاً إلا إذا أحبوا الإسلام وعاشوا به، وله.

ب – لأن الأبناء (رعية استرعاهم الله آباءَهم، ومربيهم وأسرهم، ومجتمعهم، وهؤلاء جميعاً، مسؤولون عن هذه الرعية، ومحاسَبون على التفريط فيها، كما أنهم مأجورون إن هم أحسنوا إليهم واتقو الله فيهم.

ج – لأن مرحلةُ الطفولة(مرحلة صفاء وخلو فكر، فتوجيه الطفل للناحية الدينية يجد فراغاً في قلبه، ومكانا في فكره، وقبولاً من عقله.

د – لأن مرحلة الطفولة مرحلة تتوقد فيها ملكات الحفظ والذكاء، ولعل ذلك بسبب قلة الهموم، والأشغال التي تشغل القلب في المراحل الأخرى، فوجب استغلال هذه الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

هـ – لأن مرحلة الطفولة مرحلةُ طهر وبراءة، لم يتلبس الطفل فيها بأفكار هدامة، ولم تلوث عقلَه الميولُ الفكرية الفاسدة، التي تصده عن الاهتمام بالناحية الدينية، بخلاف لو بدأ التوجيه في مراحل متأخرة قليلا، حين تكون قد تشكلت لديه أفكار تحول دون تقبله لما تمليه الثقافة الدينية الإسلامية؛ يقول الشاعر:

وينفع الأدب الأحداث في صغر ::: وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ::: ولن تلين إذا قومتها الخشب

---

(١) سنن أبي داود (٢١٨٦).

و - لأن العالَم أصبح في ظل العولمة الحديثة، كالقرية الصغيرة، والفردُ المسلم تتناوشه الأفكار المتضادة والمختلفة من كل ناحية، والتي قد تصده عن دينية، أو تشوش عليه عقيدته، فوجب تسليح المسلمين بالثقافة الدينية، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، ويواجهوا هذه الأفكار بعقول واعية... لذا فإن غرس الثقافة الدينية في مرحلة الطفولة يؤثر تأثيرا بالغا في تقويم سلوك الطفل وحسن استقامته في المستقبل، فينشأ نشأة سليمة، باراً بوالديه، وعضواً فعالا في المجتمع.

* * * * *

المطلب الثاني:
٤ - كيف نحبب الإسلام لأطفالنا؟

بأن نحب الإسلام أولاً - لأن الطفل يرى بعيون والديه أو مربيه - ثم نراعي ظروف الطفل، ومشاعره، واحتياجاته، وإمكاناته في كل مرحلة عمرية؛ حتى يصبح - بعون الله - مسلماً سوياً نافعاً لنفسه وأهله ومجتمعه ودينه، ولنتذكر جيداً أن التربية النفسية للطفل تعتمد على أنه:

عندما يعيش في ظل النقد المستمر فإنه يتعلم أن يُدين الآخرين

وعندما يعيش في ظل الأمن فإنه يتعلم أن يجد الثقة في نفسه

وعندما يعيش في ظل العداوة فإنه يتعلم الهجوم

وعندما يعيش في ظل من يتقبلونه، فإنه يتعلم الحب

وعندما يعيش في ظل الخوف فإنه يتعلم ترقب الشر

وعندما يعيش في ظل الاعتراف به فإنه يتعلم أن يكون له هدف

وعندما يعيش في ظل الشفقة الزائدة عليه فإنه يتعلم أن يتحسر على نفسه

وعندما يعيش في ظل التأييد له فإنه يتعلم أن يحب نفسه

وعندما يعيش في ظل الغيرة الزائدة، فإنه يتعلم الشعور بالإثم

وعندما يعيش في ظل الصداقة فإنه يتعلم أن العالم مكان جميل.

وفيما يلي نرى مراحل تعليمه حب الإسلام:

نردد أمامه مثل الأناشيد التالية حتى يحفظها:

أنا يا قومي مسلم ::: أنا يا قومي مسلمٌ
إن سألتم عن إلهي ::: فهو رحمن رحيم
أو سألتم عن نبيي ::: فهو ذو خُلقٌ عظيم
أو سألتم عن كتابي ::: فهو قرآنٌ كريم
أو سألتم عن عدوِّي ::: فهو شيطانٌ رجيم
الكتكوت يقوم الصُبح ::: يقوم يسبّح
والعصفور يشوف النور ::: يطير ويفرح
والصلاة يا حلوين ::: هيّ عماد الدين
يا لا بينا نقوم نصلي ::: عشان نفلح
والصوم في رمضان ::: صحة للإنسان
يا لاّ نصوم وندعي ::: ربي علينا يفتح
واللي ماله كتير ::: يعطف عالفقير
ربنا يبارك له رزقه ::: وماله يربح
والحج المبرور ده ::: ذنبه مغفور
يرجع زي يوم ولادته ::: طفل يمرح

" اللهُ ربي، محمدٌ نبيي، وهو أيضاً قدوتي، والإسلامُ ديني، والكعبةُ قبلتي، والقرآن كتابي، والصيام حصني، والصَدَقة شفائي، والوضوء طَهوري، والصلاة قرة عيني، والإخلاص نِيَّتي، والصِدق خُلُقي، والجَنَّةُ أملي، ورضا الله غايتي ".

كما ينبغي أن نوضح لأطفالنا أن الإنسان دائماً ما يكون بحاجة إلى من يعتمد عليه ويتوكل عليه، وبحاجة إلى قوة عظمى عادلة تكفل له العيش الكريم، والأمن والاطمئنان.. قوة تعطيه ما يسأل، وتمنع عنه ما يخاف، وتفصل بينه وبين غيره بالحق، قوة تحقق له أمانيه، وتحفظ روحه وجسده من الهلاك، هذه القوة العظمى هي الله سبحانه وتعالى... ثم نشرح له ببساطة قوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ}**[1].

كما نخبره أن الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة أي الأعمدة

---

(١) الأعراف: ٥٤.

التي يقوم عليها الإسلام، وقد أمرنا الله تعالى أن نتفكر في مخلوقاته التي تدل على عظمته وقدرته سبحانه وتعالى، فهذه السماء وما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك ومجرات وهذه الأرض وما عليها من كائنات ونباتات وما فيها من كنوز، وهذه البحار وما فيها من عجائب وغرائب كلها من آيات الله المبهرة. وقد سُئل أعرابي عن الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال:

" الماء يدل على الغدير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات نجوم وكواكب، وأرض ذات فجاج طرق واسعة وبحار ذات أمواج... أما تدل على الصانع العليم الحكيم القدير؟

من الممكن أن نحكي لهم أمثال القصص التالية التي تترك أعظم الأثر في نفوسهم الصغيرة:

ربي موجود:

في يوم من الأيام حضر رجل لا يؤمن بوجود الله تعالى إلى أحد الخلفاء وقال له في ثقة:

" إنني لا أجد أحداً يقنعني بوجود إله وأتحدى أكبر عالم عندكم وإني واثق من النصر عليه، فسكت الخليفة قليلاً، وقال في نفسه: " إن أمرتُ بقتله فسوف يقول الناس أنني لم أستطع مواجهته بالدليل، ثم نادى وزيره ليستدعي له الإمام أبو حنيفة النعمان، فلما جاءهم طلب منه الخليفة إقناع هذا الرجل بوجود الله تعالى.

قال له الإمام أبو حنيفة: " سوف أثبت له ذلك ولكني أستأذنك لكي أنهي أمراً ضرورياً في القرية المجاورة، ثم أعود سريعاً، فأذن له الخليفة، ولكنه تأخر كثيراً، فأحس الرجل بالغرور والكبر وقال للخليفة: "إئذن لي بالانصراف، فقد هرب أبو حنيفة لأنه عاجز عن إقناعي"، ولكن أبو حنيفة ما لبث أن عاد، واعتذر عن التأخير، ثم أخبرهم أنه وجد في طريقه نهراً، ولم يجد قارباً، فجلس ينتظر حضور قارب، وطال انتظاره، ثم فجأة رأى أبو حنيفة أمراً عجيباً.. رأى أخشاباً تتجمع ومسامير تقف فوق الخشب وظهرت مطرقة وأخذت تدق على المسامير، حتى رأى أمامه قارباً متقن الصنع، فركبه وحضر.

فأخذ الرجل يضحك وقال: " إن هذا الكلام لا يقوله إلا مجنون، ولا يصدقه أحد، فكيف تطير المسامير والألواح في الهواء، وتتجمع على الماء ويتكون منها قارب دون أن يصنعه أحد؟! "

وهنا تبسم أبو حنيفة وقال: " إذا كان وجود قارب صغير بدون صانع لا يصـدقه عقـل، فهل يصدق العقل أن هذا الكون بكل ما فيه من أرض وسماء وشمس وقمر قد وُجد بنفسه دون أن يخلقه خالق؟!!! "

فبهت الرجل ثم قال: " صدقت، فلابد أن يكون لهذا الكون من خالق هو الـذي خلقـه ونظمه، هو الله.

كان بعض الزملاء يجلسون معا في فصلهم بالمدرسة فدخل عليهم أحـد الـزملاء ممـن لا يؤمنون بوجود الله تعالى، وقال لهم: " هل تروني؟ قالوا: نعم، قال: إذن أنا موجود ثـم قـال: "هل ترون اللوح؟ " قالوا: "نعم" قال: " إذن اللوح موجود"، ثـم قـال: " أتـرون الكراسـي؟ " قالوا: " نعم"، قال: " إذن الكراسي موجودة"، ثم قال لهم في مكر: " أتـرون الله؟ " قـالوا: "لا "قال: " فأين الله إن لم نكن نراه؟! "

فقام أحد التلاميذ الأذكياء وقال لزملائه: " هل ترون عقل زميلنـا؟ فقـالوا: "لا"، قـال: "إذن فعقله غير موجود!!.

ربي رحيم:

(كان يعيش في قديم الزمان رجل كثير الذنوب يداوم علـى معصـية الله تعـالى واسـتمر على ذلك حتى حضرته الوفاة، فقال لأبناءه إذا مِتُّ فاحرقوا جثتي ثم اسحقوها حتى تكـون رماداً، ثم انفخوا هذا الرماد في الجو في أماكن كثيرة من البحر حتى يـذوب رمـادي في مـاءه وتتناقله الأمواج فلا يكون لي أثر، ثم قال لهم: " فو الله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً مـا عذبه أحداً"

فلما مات فعلوا ما أمرهم أبوهم؛ فقال الله تعـالى لـلأرض أدِّي مـا أخـذتِ فتجمعـت ذرات الرماد وقام الرجل ماثلاً أمام الله سبحانه فسأله عن السبب الـذي مـن أجلـه أوصـى أولاده بذلك – وهو سبحانه أعلم – فقال الرجل: " خشـيتك يـارب"؛ فغفـر الله تعـالى لــه بسبب خشيته لـه!.

(كان تاجر يعيش في زمن بعيد، فكان يبيع للآخرين ويشتري مهم، وذات يوم تُوفي هذا التاجر، فاستقبلت الملائكة روحه، وقالوا لـه: "هل فعلت من الخير شيئا"؟

فقال لهم: " كنت أرسل فتياني إلى مَن لي عليه دين ليجمعـوا لـي هـذه الـديون ولكـني كنت أوصيهم بأنهم إذا وجدوا أحدا مُعسراً – أي لا يستطيع دفع دينه – أن يتجـاوزوا عنـه ولا يأخذوا منه شيئا وكنت أقول لهم: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنـا"فغفـر الله تعـالى لـــه وتجاوز عنه بسبب تجاوزه عن المعسرين.

ربي قادر:

في يوم من الأيام دخل الغني مع صـديقه الفقـير حديقـة الغـني الواسـعة وقـد امـتلأت بأشجار العنب والنخيل وفجر الله تعالى في وسطها نهراً، فاغتر الغني باتساع الحديقـة وكثـرة ثمارها، فقال لصاحبه: " ما أظن أن تنتهي ثمار هذه الحديقة، وزاد غروره فادعى أنه لو مات فلن يحرم من خيراتها بعد مماته، فنصحه صديقه الفقير بـألا يكفـر بـالله، وألا يتكـبر بنعمـه، وقال لـه: "انظر إلي أنا أقل منك في المال والولـد، ولكـن عسـى ربـي أن يعطـيني خـيراً ممـا أعطاك، فلماذا لا تقول: " ما شاء الله، لاقوة إلا بالله"؟ (أي أن كل هـذا مـن فضـل الله ولا يستطيع الحفاظ عليه غير الله) لكن الغني لم يستمع لنصيحته وفي الصباح دخل الغني حديقتـه ليتمتع بما فيه من خيرات وجمال، فوجد مفاجأة قاسية في انتظاره، فقد وجد حديقته بلا ثمـار ولا أوراق، فقد فسدت ثمارها وتساقطت أوراق أشجارها، فأخـذ يضـرب كفـا بكـف مـن هول المفاجأة وندم على ما قاله لصديقه وقال: " يا ليتني لم أشرك بربي أحدا، وهكـذا تكـون كل من اغتر بنعمة الله ولم يشكره على نعمه، ولم يعتمد على ربه ليحفظها لـه.

ومثل هذه القصة أيضاً قصة "أصحاب الجنة" التي وردت في سورة القلم.

* * * * *

المبحث الخامس:
الطفل وأركان الإسلام

كان الناس في الماضي يجلبون لأبنائهم مربين لينشؤوا صالحين ولكن نحـن تغـيرت معنـا الأحوال وتبدلت الظروف وأصبح كل واحد منا يربي كما يشاء أو يتخلى عـن المسـؤولية أو يجتهد في التربية المهم، أن تربي ونترك الأمر لله فلست مسؤولا عن النتائج فهذا والد إبراهيم عليه السلام كما مر معنا وولد نوح الذي عصاه وهما نبيان وحبيبـان إلى الله، أقـول مسـتعينا بالله تعالى أركان الإسلام هي أعمدة هذا الدين ومثل لولدك وابنتك البناء وبه الأعمـدة ومـا وظيفة الأعمدة وما يحدث للبناء إذا أزيل أحد الأعمدة، فكذلك هذا الـدين لـه أعمـدة إذا هدم أحدها سقط دينه ومن سقط دينه خسـر الـدنيا والآخـرة وعـادى الله ومـن عـادى الله أهلكه الله مالك الملك القوي القيوم يـابني أعمـدة هـذا الـدين خمسـة هيـا نقيمهـا في نفسـي ونفسك.

أولا: يا بني شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهذه الشهادة هي الركن الأول وأنا أقولها وأكررها دائما فقل: يا بني أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسـول الله يـابني

هاتان الشهادتان يسأل عنهما العبد في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة عند الله الشهادة الأولى معناها أنني لا أعبد أي شيء، لا أعبد الشمس ولا القمر ولا شيء من هذه الحياة نهائيا وإنما أعبد الله خالق هذا الكون وخالق الحياة وخالق الدنيا وخالق الإنس والجن وخالق السماوات والأرض وخالق الماء والزرع وخالق العقل والدم واللحم ومسير السحاب وهازم الأحزاب وناصر المظلوم وكاشف الكرب ودافع الغم والهم أنا أعبده يابني فاعبده وتوكل عليه ويا حبذا لو علمته أسماء الله الحسنى وشرحت له بعض معانيها وصفاتها - تقول له مثلا: العليم الذي يعلم والسميع الذي يسمع كل الأصوات وهكذا - حتى يعرف ربه بأسمائه وصفاته: «**إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المغيث الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الولي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور**»، سبحانه وتعالى.

يابني إنني أعبده يعني هو سيدي وله علي الطاعة الكاملة فإن قال: قلت لبيك.

وإن أمر قلت: سمعا وطاعة.

إنه يسمعنا ويرانا ومحيط بنا ونحن في يقظتنا ونحن في نومنا ونحن نلعب ونحن نأكل ونشرب وندرس.

يابني هو قريب وهو لطيف وهو معنا أينما كنا وأنه أغلى شيء عندي أغلى من المال والبيت والزوجة ومنك يابني نعم هو أغلى منك لأنه أعطاك لي وما كنت أستطيع أن أجدك لولاه يابني إنه يحيي ويميت إنه يعطي الأطفال لآبائهم ويفعل ما يشاء هو خالق الكون الجميل وانظر ساعات الأصيل وعند الشروق وعند هطول المطر هو القوي أما رأيت السماء وحجمها والشمس وحرارتها والنهار والليل وصوت الرعد،، بهذه الطريقة ربي ولدك وبنتك على المراقبة لله تعالى وأحي فيه العقيدة بسلوكك أولا وقبل كل شيء وقبل أن تحفظه أسطر وكلمات وكتب عرفه بربه منك ومن حبك له وخوفك منه فإن رآك خائفا من الله

سيخافه وإن رآك متجرئ عليه سيتجرأ عليه (أنت عقيدته) فانظر لنفسك:

الله رب الخلـــــــــــــق	:::	**أمـــــــدنا بـــــــــالرزق**
إذا دعـــــــاه الــــــداعي	:::	**يحقــــــق المســـــــاعي**
يســــــهل الأمــــــور	:::	**ويشــــــرح الصــــــدور**
وكـــــل شـــــيء عنـــــده	:::	**بحكمــــــــة أعـــــــده**
أكـــــرم بــــه مـــن مكـــرم	:::	**يـــــبر كــــــل محســـــن**

والشهادة الثانية: أشهد أي أقر وأعترف وأحب وأسمع وأطيع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من قريش ولد بمكة أنزل الله عليه القرآن وهو لا يقرأ ولا يكتب وجعله نبي هذه الأمة رسولها كلفه الله بدعوة الأمة وهدايتها وإخراجها من الكفر إلى الإيمان ونجاها من العذاب في النار إلى النعيم في الجنة بهذا الرسول فلو ذهب كل الناس لله من أي طريق غير طريق محمد لا يقبلهم الله ولا تفتح لهم أبواب الجنة لا بد أن يأتوا من طريق النبي محمد أتدري ما طريق محمد؟ طاعته فيما أمر والرضا بأمره ومحبته وتفضيله على النفس والمال والأهل؟.

أنا أحبه يابني وأسمع كلامه وأطيعه وكلي رضا بما أمر وحكم وهو يستحق هذا الحب فالله أحبه وأكرمه وفضله على جميع الخلق ولن يفتح أبواب الجنة لأحد قبله وهو عظيم عند الله وله عند الله مكانة عالية ومن أحب الله أحب رسوله محمد يابني أحبه وصلي عليه دائما فله الفضل عليك وعلى أبيك بعد فضل الله تعالى النبي محمد تزوج ورزقه الله أولاد بنين وهم: عبد الله والقاسم وإبراهيم،، وبنات وهن: فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وتزوج سيدة محبة لله هي خديجة بنت خويلد أولادها كلهم ماعدا إبراهيم من مارية القبطية وماتوا جميعا في حياته ماعدا فاطمة ماتت بعده بستة أشهر:

لما بعثه الله رسولا دعا أهل مكة للإسلام أطاعه بعضهم والأكثرية لم يسلموا فعذبوه وأرادوا قتله فحفظه الله القوي وحماه وخرج من مكة مهاجرا إلى المدينة المنورة وعاش فيها وأقام دولة الإسلام واستقبله أهلها فرحين مرددين:

طلـــــع البـــــدر علينــــــا	:::	**مـــــن ثنيـــــات الـــــوداع**
وجـــــب الشـــــكر علينــــــا	:::	**مــــا دعــــــا لــــــله داع**
أيهـــــا المبعـــــوث فينــــــا	:::	**جئـــــت بـــــالأمر المطـــــاع**
جئـــــت شـــــرفت المدينـــــة	:::	**مرحبـــــا يـــــا خـــــير داع**
طلـــــع البـــــدر علينــــــا	:::	**مـــــن ثنيـــــات الـــــوداع**

يا بني: الله سبحانه وتعالى لا نراه وهو يرانا ويسمعنا يابني هناك أشياء كثيرة لا نراها ولها تأثير كبير فالآلام التي تصيبنا لا نراها والكهرباء التي لها أثر واضح لا نراها في أسلاكها والعقول والقلوب لا نراها والهواء لا نراه وله كل التأثير فالله يابني لا نراه والسعيد من كان حظه رؤية الله في الجنة يوم القيامة ولكن هناك أشياء نرى فيها وجود الله فنراه فيما خلق، فهيا يابني نرى ونسمع ما قال القرآن – بعون الله سوف أتبع كل فقرة توضيحا ميسرا يناسب أعمار الأطفال المختلفة ويعتمد عليه الآباء والأمهات في تعليم أبنائهم فطفل بلا عقيدة وحقيقة إيمان لا شيء.

١ –**{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ}**[1].

الله سبحانه خلق الإنسان من تراب خلق أبانا آدم من التراب الذي نمشي عليه وهذا هو التراب يابني من يستطيع أن يخلق إنسانا أو يخلق حيوانا أو يخلق نحلة أو يخلق بعوضة؟ من؟؟ لا أحد، الله وحده القادر على الخلق فلا تنسى يابني إن من أسمائه الخالق.

ياولدي ويابنتي الله خلق لآدم زوجة اسمها حواء أنجبت له أولادا تكونوا في بطنها بقدرة الله بعد زواجها منه وكانت بدايتي في بطن أمي ماء ضعيف ثم أصبح هذا الماء قطعة لحم متجمد صغيرة ثم بعد مدة قصيرة أصبحت قطعة الدم قطعة أكبر من لحم مثل التي نمضغها ونبلعها ثم أصبحت عظاما سبحان الله هذا الإنسان القوي هذا كان بهذا الضعف نعم وعناية الله ترعاه ثم يكسا هذا العظم باللحم وفوقه الجلد وقد نفخت فيه روح يحيا بها ثم إذا تم تسعة أشهر بتقدير الله ينزل هذا المولود وكم كنت فرحا بولادتك أنا وأمك يابني لا يستطيع فعل هذا إلا الله فقل يابني: لا إله إلا الله القادر.

٢ –{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[2].

---

(١) الطارق: ٥، ٦.

(٢) الذاريات: ٢٠-٢٢.

نعم يابني إن أرض الله مليئة بالأشياء التي لم يخلقها إلا هو فالجبال خلقها الله وجعلها تمسك الأرض وتثبتها فلا تهتز ولا تضطرب والوديان بها أرض صالحة للزراعة لنزرع ونأكل والثمار الحلو منا والمالح والحامض واللذيذ والشهي وعديم الطعم والألوان المختلفة فيما خلق الله من ثمار وفواكه وخضروات وبقوليات كل هذا يروى بماء واحد وأنا أحب أشياء وأنت تحب أخرى وطعمه مختلف وماؤه واحد وأرضه واحدة.

نعم يابني إن جسمك هذا مليء بالعجائب انظر إلى العينين هل ترضى بهما بديلا؟ لا طبعا إنهما شيء واحد من كثير في جسمك.

ياابنتي إن الله الذي خلقنا بسهولة عليه يرزقنا يملك لنا أرزاقنا وهو صادق فيما يقول سبحانه واسمه الرازق تكفل بأرزاق جميع المخلوقات ليس الإنسان فقط كما يضمن لك ياولدي النفس من هوائه فيضمن لك الطعام من خزائنه التي لا تنفد.

٣ -**{فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَباً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَباً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَباً * مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ}**[1].

انظر يابني إلى الماء النازل من السماء كلنا بحاجة إليه إن المطر – وياحبذا لو كان ذلك وقت نزول المطر – لا يستطيع إنزاله من السماء إلا الله وحده هو المستطيع لذلك هل يستطيع أحد أن يأتي بالمطر؟ لا يابني.

ينزل هذا المطر فتروي منه الأرض وتخرج النباتات بإذن الله كما يخرج الأموات من قبورهم يوم القيامة للحساب ودخول الجنة، يخرج الله من الأرض بهذا الماء كل الثمار والمأكولات والخضروات والفواكه فالله يخرج بالماء الحبوب كالفول والعدس وغيرها والعنب وكل الخضار كالخيار والجزر والزيتون نأخذ منه الزيت ونأكله، ويخرج لنا النخل من الماء فنأكل التمر والبلح والرطب وكل أنواع البلح والتمر، ويخرج لنا من الماء البساتين الكبيرة والجميلة والمثمرة هذا كله نعمة من الله الوهاب لنا ولكل الناس وللبهائم والحيوانات حتى المفترس منها فهو يأكل لحوم الحيوانات التي تأكل العشب الأخضر، فمن لنا غير الله يابني إن ذهب مطر السماء أو حجب عنا القطر فلنقل يابني: اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ويجب علينا ألا نسرف في الماء ونشكر الله على هذه النعمة العظيمة.

---

(١) عبس: ٢٤-٣٢.

٤ -{أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١).

ياولدي ويابنتي صنع شيء أول مرة يكون صعبا ولكن في المرة الثانية يكون سهلا نعم أثناء الإعادة يظهر اليسر فالله يابني خلقنا من تراب سبحانه وهو القادر على ذلك قادر على خلقنا وقادر على بعثنا يوم القيامة بسهولة ويسر.

٥ -{أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ}(٢).

الله سبحانه يبعث المطر إلى الأرض الميتة التي ليس فيها زرع ولا نبات ثم بعد أيام من هذا المطر تمتلئ بالزروع والأشجار فكذلك نحن يابني كما أنه قادر على إخراج الزرع قادر على إحياء الإنسان بعد موته.

٦ -{يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}(٣).

إنها آيات الله خالق الكون يخرج البيضة الميتة من الدجاجة الحية والعكس ويحيى الأرض بالماء والزرع وكذلك نحن نخرج من قبورنا بعد موتنا بأمر الله، نعم من آياته خلق هذا الإنسان الفصيح المتكلم العاقل من تراب ثم ينطلق في الأرض في كل اتجاه أرضا مسخرة له لينتفع بظاهرهاوباطنها، وسبحانه جعل له زوجة من نفسه ليستريح عندها

(١) العنكبوت: ١٩، ٢٠.
(٢) السجدة: ٢٧.
(٣) الروم: ١٩-٢٧.

ويهدأ في بيتها ويربي أولاده ويطمئن وينام ويسكن في بيت زوجيته ومع زوجته وجعله يحب هذه الزوجة وأنا أحب أمك وأنت ستكبر وتتزوج وتحب زوجتك وهذا الحب للزوجات ومن الزوجات للأزواج أيضا من عند الله واهب الحياة.

وسبحانه خلق لهذا الإنسان مكانا يحيى فيه وأمنه بسقف عال واسع لا تحمله أعمدة أرأيت يابني سقفا بدون أعمدة إنها السماء العالية الممتدة التي يمسكها الله القوي الكبير ومد الله الأرض للإنسان لينعم بخيراتها ومائها ونباتها وسبحانه جعل الناس مختلفين في طباعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم فكم لغة يتكلم بها الناس وكم لونا للبشر وكم مكانا يعيشون فيه وما ذلك إلا ليرى من منهم المؤمن والمخلص لـه والطائع لأوامره ومن الكافر ليعذبه، يا ولدي نومك ليلا آية ونومك نهارا آية وسعينا في الحياة طلبا للرزق من فضل الله آية نعم أين يكون النوم قبل نومك؟ وأين يكون الاستيقاظ قبل استيقاظك؟ وأين يكون الرزق قبل حصولنا عليه في علم الله العليم بكل شيء؟.

الله سبحانه يحب العباد ويحب منهم الطاعة ويحب منهم فعل الخيرات ومن عصاه لا يعذبه مباشرة بل يحذره – وذلك من فضله علينا فيرينا البرق الناشئ عن احتكاك السحب ليبين لنا قوته وقدرته علينا فنطيعه لا نعصاه ثم يبين لنا رحمته وفضله بنزول المطر وإحياء الأرض لنحبه ونطيعه ففي طاعته كل السعادة وفي معصيته كل الشقاوة، والله قادر على بناء السماء وإقامتها بما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب وكذلك تبقى الأرض بأمره تعطي زرعها وخيرها للإنسان حتى يوم القيامة يوم دعوته لنا لنخرج من قبورنا ومن سباتنا للقائه وحسابه ورحمته وجنته أو عذابه جعلني الله وأنت والمسلمين لـه طائعين ولهدى نبيه متبعين.

يابني ليس من شيء تراه إلا هو ملك لله وليس لمخلوق شيء فأنا وأنت وما نملك وما يملكه كل الناس هو ملك الله يعطيه لمن يشاء ويأخذه ممن يشاء فالكل لـه عبد رضي بهذه العبادة أو لم يرضى وكلنا عبيده فلنعبده ياولدي برضا من قلوبنا حتى يعزنا بطاعته ويوفقنا برضاه عنا،، أليس هو الملك، نعم هو الملك وكل الكون وما فيه ملكه سبحانه سبحانه سبحانه.

٧ –**{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ}**[1].

---

(١) الروم: ٤٠.

نعم هذه الأربع ملك لله تعالى هو خلقنا فمن خلقنا غيره؟ هو رزقنا فمن رزقنا غيره؟ هو القادر على إماتتنا متى شاء من يميتنا غيره؟ من يحينا يوم القيامة وبعد نومنا كل يوم؟ إنه الله الحي القيوم المحيى المميت الواحد البديع فلنتوجه إليه يحمينا ويرزقنا ويعطينا وينصرنا فهو الركن الرشيد.

٨ -**{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[(١)] الله يابني جعل البخار يتجمع في السماء ويتجمع ثم يتداخل في بعضه مكونا ماء بإذن الله ثم لا يسقط إلا بإذن الله وحيث يشاء الله وعلى عباد يرضى عنهم الله ويعطيهم متاعا إلى حين، فتأتي الرياح بإذن الله فتحرك السحاب إلى حيث يشاء الله ثم يسقط المطر فيفرح الناس بالمطر سيخرج الزرع وسيشرب الحيوان والإنسان وسننعم فيا فرحتنا بهطول المطر ويا حزننا إذا لم ينزل، ويا فرحت من رويت أرضه وخرج زرعه وحلبت بقرته وسعدت أسرته فسبحانك يارب ترسل المطر بالفرح لنا لدخول الخير علينا، وسبحانك يارب ترسل الأمطار سيولا وأعاصير مهلكة تفعل ما تشاء سبحانك تحيي بالماء وبه أيضا تميت.

٩ -**{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ}**[(٢)].

يابني نحن نولد من أمهاتنا ضعافا لا نستطيع المشي ولا الوقوف ولا حتى مضغ الطعام، عراة أي شيء بسيط يستطيع إهلاك الطفل لولا الرحمة من الله في قلب أبويه هلك ومات في بضع دقائق ولكن الله الحنان المنان جعل له رحمة كبيرة في قلب أبويه وجعل له ينبوعان من اللبن الدافئ شتاء والبارد صيفا وجعل أمه تقبل منه أي شيء حتى بوله وبرازه وتنظفه بيديها ولو تركته عار لحظات مات مع هذا الضعف يتماسك شيئا فشيئا حتى يجلس بعد نومه المستمر ويحبو ويقف ويمشي وينمو ويكبر ثم تبلغ به القوة مداها فينسى ضعفه السابق أو يتناسى ولا يتأمل أن الذي أضعفه سابقا سيضعفه بعد قليل ثم أحيانا ينسى ربه معتمدا على قوته ولكن الله رحيم يمهله لعله يتوب ويرجع فإذا لم يرجع أمهله مرات ومرات هو

---

(١) الروم: ٤٨-٥٠.

(٢) الروم: ٥٤.

الحليم ثم يتقدم السن بالإنسان ويبدأ الضعف بعد القوة ويضعق الإنسان فيابني قبل الضعف أقبل على الله ليديم لك القوة ويمتعك بالصحة ولا تنسى ربك فينساك.

١٠ -{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[١].

الله يابنى خلق الأرض والسماء بالعدل والخير والحق ولم يخلق الدنيا عبثا ولا لهوا ولم يخلق عباد عبثا ولا لهوا وإنما خلقهم لخير عظيم ونعيم دائم في الآخرة وخلق البهائم سبحانه عجيبة الصنع والإبداع كالجمال العظيمة الهيئة والخيول البديعة المنظر والحمير القوية وهذا الصنع وهذا الخلق من أجلك أنت جعل لك هذه الحيوانات لتأكل لحمها ولتتمتع بركوبها والنظر إليها ولتحمل لك الأشياء إلى الأماكن البعيدة ولولا هدايته لهذه الحيوانات وتمكيننا منها بفضله ما استطعنا السيطرة عليها ولا الانتفاع بها وهو الذي خلق لنا وسائل النقل الحديثة من سيارات وطائرات وغيرها كل ذلك من صنع الإنسان والإنسان من صنع الله ومن خلقه فالله هو الخالق لكل قديم وحديث، وسبحانه يسيل الماء فتنبت الأشجار والثمار ويشرب الإنسان والطير والحيوان، وسبحانه جعل لنا ليلا لنستريح فيه وجعل لنا نهارا لنعمل فيه من غيره يستطيع إحضار النهار بعد الليل أو إحضار الليل بعد النهار ولو شاء لجعل الدنيا ليلا مستمرا أو جعلها نهارا مستمرا ولا يمكن تغير ما أراد سبحانه وليس الليل والنهار فقط من عجيب صنعه ولكن أيضا الشمس التي تضيء الدنيا من عجيب صنعه

(١) النحل: ٣-١٨.

فنحن نشتري مصباحا ليضيء لنا غرفة ولكن هل نستطيع إضاءة مدينة أو قرية أو دولة بمصباح أو بعدة مصابيح وتعطي قوة ضوء وحرارة مثل الشمس؟ لا يمكن هذا أبدا، وكذلك القمر الساحر في ضوئه الله سخره لك – ليأخذ كل مرب ولده وابنته ليرى هذه المخلوقات ويربطه بربهاـ والنجوم كذلك ليراها الناس فيعرفوا أن لها خالقا فيعبدوه وليعرفوا منها الاتجاهات الأصلية الشمال والجنوب والشرق والغرب والفرعية الجنوب الشرقي والجنوب الغربي والشمال الشرقي والشمال الغربي والنجوم زينة للسماء وجمال وهي متعددة الألوان والأحجام، وسبحانه وضع البحار والأنهار والمحيطات والبحيرات تحت تصرفنا نأخذ منها أسماكا لطعامنا وإسفنجا لراحتنا في جلوسنا ونومنا ولؤلؤا لزينتنا وتجارتنا وتحصيل أموالنا ونركب البحر بسفننا ومراكبنا للتجارة أو للصيد ولو شاء أوقفها في وسط البحر ولما استطعنا فعل شيء ولكن رحمته وسعت كل شيء، وجعل الجبال أوتادا تمسك الأرض من الاهتزاز والاضطراب سبحانه سبحانه!

١١ -**{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ * وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}**[1].

سبحانك يا خالقي ويا رازقي ويا محيي ويا مميتي سبحانك ما عبدتك حق عبادتك عملي في طاعتك غير كاف لنيل رضوانك، خلقت لي البهائم والأنعام وأخرجت لنا لبنا خالصا ناصع البياض تام النفع من بين اللحم والدم والبطون الحيوانات وما بها من أشياء أخرجت هذا الشراب العجيب العظيم، وأخرجت لنا من النخيل ثمارا عظيمة النفع لا يخرجها إلا أنت، وخلقت حشرة نافعة اسمها النحلة يخرج منها عسلا لذيذا مفيدا دواء سهل الهضم مقويا شافيا ألوانه مختلفة.

سبحانك يا قادر، وسبحانك خلقت الخلق ومنحتهم أعمارا فمنهم من يموت في بطن الأم قبل ولادته ومنهم من يموت بعد الولادة ومنهم من يموت في سن الطفولة ومنهم من

---

(١) النحل: ٦٦-٧١.

يعيش إلى الشباب ثم يموت ومنهم من يعيش حتى سن الرجولة ثم يموت ومنهم من يعيش عمرا طويلا ثم بعده يموت الكل إليك يرجع فيا بني اجعل عمرك كله لله تفز برضاه وتدخل جنته، سبحانك ربي قسمت أرزاق العباد كما قسمت أعمارهم فلكل رزق محدد فهذا غني وهذا فقير وهذا متوسط الحال وهذا مسكين فيا بني اعطف على المساكين والفقراء يعطف عليك الله واحنو عليهم يحنو عليك الله، يابني الله وهبنا خيرا كثيرا وأعطانا الأولاد والأموال والصحة والعافية ورزقنا وأنعم علينا فياربنا لك الحمد والشكر.

١٢ -**{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ}**(١).

اللهم لك الحمد مددت الأرض لينتفع بها بنو آدم وجعلت لها جبالا تثبتها وجعلت نباتها مقدر محكم متوازن، وخلقت لنا الثمار والمآكل والمشارب من الأرض ولكل المخلوقات عليها أنت رازقهم وأنت كافيهم ونحن معهم فلك الشكر.

١٣ -**{وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ}**(٢).

سبحان مجري الرياح ومجري السحب ومجري السفن العالية على سطح الماء فأنت ياربي صاحب الفضل في استمرار جريانها ولو شئت أوقفتها فمن لنا غيرك يجريها؟

ولو شئت أغرقتها براكبيها فمن لهم غيرك؟ سبحانك الملك ملكك والأمر أمرك ولا شريك لك.

١٤ -**{وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ القَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}**(٣).

---

(١) الحجر: ١٩، ٢٠.

(٢) الشورى: ٣٢-٣٤.

(٣) يس: ٣٣-٤٠.

الله يابني يرسل المطر على الأرض فتصبح مخضرة بالأطعمة للحيوان والإنسان، جعل فيها ربنا نباتات وفواكه وثمار لنأكل منها ونصنع عصيرات وغيرها، وجعل فيها عيونا وينابيع لحاجة البشر وللحيوان والطير ولا يستطيع خلق الثمار إلا الله فهو خالقها وموجدها ونحن نأكل فقط ويجب علينا الشكر، فهل جاء رجل وقال: أنا خلقت تفاحا أو زيتونا لا فالله الخالق وهو المتفضل علينا، ثم خروج الليل من النهار والنهار من الليل آية لا يعملها إلا الله الذي يخرج النهار من الليل المظلم والليل المظلم يدخله على النهار، فانظر يا بني عند غروب الشمس وعند صلاة المغرب لا يأتي الليل فجأة ولكنه يدخل على النهار ببطء وحكمة رويدا رويدا حتى يتم ظلام الدنيا كلها وعند الصباح وقبل وبعد صلاة الفجر ماذا يحدث: دخول النهار على الليل وانسحاب الليل من الدنيا ليترك المجال للنهار هذه آية ودليل واضح على وجود خلق مهيمن مدبر.

فتأمل يابني:

ثم هذا القمر الذي نعرف به بدايات الشهور العربية وللفائدة هي: المحرم، صفر، ربيع أول، ربيع ثان، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة، فيبدأ القمر بالظهور هلالا ضعيفا لا يكاد يرى ثم يكبر ويستدير حتى تتم استدارته عند ليلة الرابع عشر من كل شهر ثم يبدأ في التناقص شيئا فشيئا حتى يعود كما كان وليبدأ رحلة جديدة مع شهر جديد من المتحكم في هذا؟ إنه الله المسيطر القادر الحكيم، الشمس منطلقة في الكون والقمر كذلك والليل يأتي بعد النهار والنهار يعقب الليل ولا أحد يطغى على الآخر ولا أحد يسبق الآخر فليكن هذا لنا عبرة بنو البشر المسلمين فتأتلف قلوبنا ولنوحد صفنا ولنعلي كلمة الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

١٥ -**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[1].

---

(١) النور: ٤١-٤٥.

يا بني الكل يعرف الله المخلوقات كلها تسبح بحمده بلغات وأصوات يعلمها الله، والله يعلم أفعالها وحركاتها ويقدر أرزاقها تصبح جائعة وهي على يقين من رزق ربها فتنطلق للبحث عن رزقها وتعود وقد ملأت بطونها بالطعام من دون حرث ولا زرع سبحان رازقها ومطعمها، وربنا يؤلف بين السحاب ويجمعه مع بعضه ويتداخل ويكون الماء في السماء كالجبال العالية التي تحتك ببعضها فيظهر برقها كأنه يأخذ أبصار الناظرين إليه فيخرج من بينها الماء قطرات بإذن الله سبحانه يهب الله هذا الماء من يشاء من العباد ويمنعه عن من يشاء.

والله خلق المخلوقات التي تمشي على الأرض من ماء، ماء داخل في أجسامها فثلاث أرباع جسم الكائن الحي ماء تقريبا وخلق الله الدواب التي تدب على الأرض من ماء الخلق وهو مني في جسم الذكر وماء في جسم الأنثى يجتمعان في بطن الأم يخلق منهما الإنسان والحيوان فتبارك الله أحسن الخالقين هذه المخلوقات منها الزاحف كالأفاعي والماشي على رجلين كالإنسان والطير والماشي على أربع كالحيوانات والوحوش وغيرها مما يزيد على ذلك سبحانه يخلق ما يريد وعلى أي شكل يشاء. وماء المطر أصل الحياة على الأرض وإليك هذه القصة الجميلة: كنا بالطريق رجل يمشي ورأى سحابة مارة من فوقه فسمع صوتا بالسحابة يقول:

اسقي حديقة فلان (اسم رجل لا يعرفه) فتعجب أمرا للسحابة يحركها فراحت السحابة في إحدى الجهات فتبعها الرجل المسافر هذا وتبعها وتبعها حتى وصلت إلى مكان بستان وأفرغت ماءها كله فاقترب الرجل من الحديقة فرأى بها رجل يمسك فأسه ويحرث ويزرع يشتغل بالمزرعة فاقترب منه وقال له: ما اسمك؟؟ قال: فلان (الاسم الذي سمعه المسافر ينادي بالسحابة) فأخذت الرجل المسافر الدهشة والعجب وأخذ يلقي عليه بعض الأسئلة ماذا تزرع؟ وكيف؟ ولمن تعطي محصول حديقتك؟ فقال صاحب الحديقة: لماذا تسأل؟ قال: لأنني سمعت اسمك هذا بنداء للسحابة أن تنطلق فتفرغ ماءها بحديقتك فقال الرجل صاحب الحديقة: ما ذلك إلا لأنني أقوم بحصد محصولي ثم تقسيمه ثلاث أقسام قسم أعطيه للفقراء وقسم لأولادي وقسم أرده في حديقتي مرة أخرى ليخرج زرعا وأحصده من جديد وأفعل كل مرة ما فعلت في المرة الأولى فقال الرجل المسافر: هذا هو السبب رضا الله عليك وإكرامه لفعلك هذا هو الذي جعل السحابة تسقط كل ماءها بحديقتك وانصرف المسافر داعيا لصاحب البستان ونحن يابني إن جعلنا من مالنا جزء لله أخلفه الله علينا ولا سيما في المسلمين الكثير والكثير من المحتاجين والمساكين.

وبنهاية هذه القصة أقول لإخواني المربين آباء وأمهات: يدرس هذا المنهج لطفلك حسب استيعابه بمعلوماته العظيمة المستوحاة من القرآن الكريم الذي سمعه الصحابة واختلط بدمهم وعصبهم وكانوا مؤمنين حقا وغاية هذا الأمر هذه القصة التي حدثت للخليفة عمر مع أحد الرعاة الصغار السن، ذلكم الصبي راعي الغنم لسيده أحد سادات المدينة. مر عليه الخليفة بعيدا عن المدينة والصبي لا يعرف الخليفة عمر، فقال الخليفة: ياغلام بعني شاة فقال الغلام: هذا الغنم ليس ملكي فقال الخليفة (مختبرا أمانته وخوفه من الله) اعطني شاة وقل لسيدك إذا سألك: أكلها الذئب فقال الغلام: وأين الله؟ فبكى الخليفة عمر لما رأى خوف الرعية من الله.

إخواني، علموا أولادكم الخوف من الله بمعرفته أولا من خلال منهج القرآن الذي أوردت بعضه ولعل في المربين من يسدي إلي النصح فجزاكم الله خيرا ونفعنا بما نقول ونسمع ونكتب.

* * * * *

المبحث السادس:
طفلك وغراس الإيمان

الإيمان أهم وأعظم قضية يجب أن تغرس في نفوس الأبناء، فالإيمان حياة القلوب، وهو الأساس لأي بناء، والبناء بدون أساس كمنزل يريد أن ينقض يوشك أن يقع في أول لحظة.

وللصياغة الإيمانية للأطفال أسس ومنطلقات تصلح أن تكون علامات وأمارات يهتدى بها للوصول إلى المطلوب في تربية جيل منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله وتصديق الرسول وطاعته في كل صغير وكبير، فتكون تلك التربية بمثابة النور الذي ينمو مع الطفل يمصه مع اللبن من ثدي أمه.

معالم التربية الإيمانية للأطفال:

[١] تلقين الطفل التوحيد:

"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله" وفي ذلك يقول العلامة الإمام ابن القيم: "فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا[١]".

[٢] الاهتمام بالقرآن الكريم:

"وينبغي لولي الصغيرة والصغير أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى، وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم ومداركهم، وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشآ ويشبا على محبة القرآن والتعلق به والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه".

ولهذا يقول ابن خلدون: "تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أبصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أهل التعليم الذي ينبى عليه ما يحصل بعد من الملكات" [٢].

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، ص: ١٦٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ٥٣٧، ٥٣٨).

[٣] غرس روح مراقبة الله في السر والعلن في نفوس الأطفال:

مراقبة الله عز وجل هي من أهم المعالم الإيمانية التي يستقيم بها قلب الطفل ومن ثم جميع جوارحه، وهي الأساس الذي يبعد الطفل عن كل المعاصي والمخالفات، وهي أيضًا المدخل الصحيح لتعميق روح الإخلاص في نفسية الطفل ولذا فالله تعالى يقول:**{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}** [(١)]، وفي آية أخرى:**{إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ}**[(٢)] ومن ثم يجب على الوالدين تعويد الأطفال مراقبة الله وهم يعملون، وهم يفكرون، وهم يضمرون أمرًا ما وإلى هذا المعلم المهم أشار المربي الأول عليه الصلاة والسلام حين سئل عن الإحسان فأجاب: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** [(٣)].

قصة الأم مع ابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا في زيادة الربح، والبنت تذكرها بمنع أمير المؤمنين الأم تقول: أين نحن من أمير المؤمنين؟ إنه لا يرانا، وترد البنت بالجواب المفحم: "إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا".

[٤] غرس روح الخشوع والعبودية لله:

الخشوع لله عز وجل يتم من خلال معرفة أمرين، الأمر الأول معرفة مقام الله عز وجل وأنه الرب الجليل الأكبر، ومعرفة مقام الإنسان وعجزه وإشفاقه وتقصيره.

والأمر الثاني: أن الإنسان لا يستفز ولا تهدأ نفسه إلا بتمام الحب والذل لله عز وجل، ولكي نغرس الخشوع والعبودية في نفوس الأطفال لا بد أن نفتح بصائرهم على قدرة الله المعجزة، وملكوته الهائل الكبير في كل شيء، في الدقيق والجليل وفي الجامد والحي، وفي البذرة النابتة والشجرة النامية، فما يملك القلب إزاء ذلك إلا أن يخشع، ويهتز لعظمة الله، وما تملك النفس تجاه هذا إلا أن تحس بتقوى الله ومراقبته، وأن تشعر بكليتها وقرارة وجدانها بلذة الطاعة، وحلاوة العبادة لله رب العالمين.

ومن المستحسن أن يساعد الوالدان الأطفال على فهم الظواهر الكونية، ودور القدرة الإلهية فيها خلقًا وتنظيمًا وتصريفًا فالأطفال إذا تعلموا أن الشمس هي التي تبخر الماء، الرياح هي التي تسوق البخار، ونزول درجة الحرارة هو الذي يكشف ذرات الماء فتهطل مطرًا وغيرها من الظواهر الطبيعية المشاهدة ويراها الأطفال، فإذا ما استطاع الوالدان أن يبينا لهم أن تلك الظواهر لا تعمل وحدها، بل إن الله العظيم قد خلقها وهو الذي يسيرها

(١) الحديد: ٤.

(٢) آل عمران: ٥.

(٣) أخرجه البخاري، ك الأدب، ب المعاريض.

ويحركها وأعطاها القدرة على ذلك والانتقال من المحسوس المشاهد إلى المعقول المغيب هو مسلك القرآن، وهو مما تتقبله عقول وقلوب الأطفال بسهولة ويمكن الوصول من خلاله إلى قضية الإيمان عن اقتناع وحجة وبرهان.

[٥] غرس روح الاستعانة بالله عز وجل:

الأطفال الصغار ضعاف البنية قليلو الحيلة، وقد تعرض لهم مشكلاتهم الخاصة بهم: نفسية واجتماعية ومدرسية وتختلف هذه المشكلات قوة وضعفًا وتخفيف آلام الأطفال لا يكون إلا بترسيخ روح الاستعانة بالله، وأن الله قادر على حل كل المشاكل، فالاعتماد عليه وطلب العون منه يحقق الاستقرار ونمو روح التوكل في نفوس الصغار وهذا الشعور يجعل الطفل في جميع حالاته مرتبط بالله تعالى، وهذا هو المسلك النبوي في تعليم الصغار هذه القضية كما فعل النبي ﷺ مع ابن عباس وهو صغير.

[٦] تربية الطفل على الاستسلام لله وطاعة رسوله:

لا بد أن يوضح الوالدان للأطفال منذ نعومة أظفارهم أن الاستسلام لأحكام الدين وأوامره واجب؛ لأن الإسلام مشتق من الاستسلام، وأنه ليس لهم أن يقيسوا الدين بعقولهم وآرائهم، لأن العقل له حد ينتهي إليه، وكثيرًا ما تخطئ العقول وتعجز عن تفسير جميع أمور الدين، ويجب أن يوضحوا لهم أن المسلم الحقيقي هو الذي ينفذ أوامر الشرع دون معرفة السبب الذي خفي عليه.

ويقول الأستاذ محمد قطب: "وجميل جدًا أن يقتنع الطفل بحكمة ما يفعل، لأن ذلك أيسر للتنفيذ القلبي، وأرجى للثمرة من التنفيذ بغير اقتناع، ولكن أن يكل الوالدان تنفيذ الحق إلى الاقتناع به فهذا أمر لا يأتيه إلا من سفه نفسه؛ حيث إن منهج التربية الإسلامية يقوم ابتداءً على طاعة الله التي هي طاعة تسليم سواء علم الإنسان الحكمة أم لم يعلم، وسواء اقتنع بها عقله أم لم يقتنع. يقول الله تعالى:**{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم}**(١)، فليوضحا للطفل بأنه من حق المسلم أن يسأل: لماذا؟ فإذا علم أنه أمر الله ورسوله فقد انتهى السؤال ووجبت الطاعة وليس معنى هذا هو التحكم الفارغ من الأبوين لمجرد الإلزام بالطاعة وتعويد الطفل عليها، فذلك حري أن ينتهي به على التمرد والاستكانة وكلاهما فاسد إنما معناه أن يتحرى الوالدان القصد في الأوامر" لذا فمن الصفات الهامة التي ينبغي على الوالدين زرعها في نفوس الأطفال مسألة

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

طاعة الله ورسوله ﷺ، وأن يبدأ في ذلك منذ الطفولة المبكرة، ويقصا عليهم من القصص مما يناسب إدراكهم، وسنهم، وفهمهم، ومن ذلك قصة هاجر رضي الله عنها حين تركها إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع ومعها طفلها إسماعيل في مكة، وليس فيها يومها عشب ولا شجر ولا بئر ولا نهر ولا حيوان ولا بشر، ولما أراد أن يذهب ويتركها هناك قالت له: أتتركنا هنا وليس هنا ماء ولا طعام؟ هل أمرك الله بهذا؟ فقال إبراهيم: نعم، فقالت: إذن لا يضيعنا وأيضًا قصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم يوم الذبح، وغيرها من القصص التي تعمق مفهوم روح الامتثال والطاعة في نفوس الأطفال[1].

[٧] تنشئة الأطفال على عبادة الله عز وجل وأداء الشعائر الدينية:

العبادة: هي الوسيلة الفعالة لتربية القلب؛ لأنها تعقد الصلة الدائمة بالله عز وجل، والشعائر التعبدية كالصلاة والصوم والزكاة والحج الحكمة الأساسية منها ربط العبد بربه وتمتين الصلة به، أما إذا ضعفت الصلة بالله عز وجل فسوف تذبل النفس وتضمر، ويهبط الإنسان، ويسلك في حياته ما يشبع جسده، ويحبس نظره، وآماله على هذه الأرض وهذه الحياة الدنيا وتعويد الطفل شعائر العبادة وفي مقدمتها الصلاة يكون عن طريق التربية بالعادة، فهي تتحول بالتعويد إلى عادة لصيقة لا يستريح حتى يؤديها، وكذلك الحال في جميع أنماط السلوك الإسلامي، وكل الآداب والأخلاقيات الإسلامية والأبوان المسلمان يعودان الطفل هذه العادات بالقدوة، والتلقين، والمتابعة، والتوجيه، حتى إذا اكتمل نموه يكون قد اكتمل تعوده العادات الإسلامية.

والتعويد لا يتم بسهولة، بل يحتاج إلى جهد، ولكنه بعد أن يتم يصبح أمرًا سهلاً ينفذ بأيسر جهد، أو بغير جهد، وتكوين العادة في الصغر أيسر من تكوينها في الكبر، ومن أجل هذه السهولة في تكوين العادة في الصغر، يأمر الرسول ﷺ بتعويد الأطفال الصلاة قبل موعد التكليف بها بزمن كبير، حتى إذا جاء وقت التكليف كانت قد أصبحت عادة بالفعل، وجميع آداب الإسلام وأوامره سائرة على هذا المنهج، وإن كان الرسول ﷺ لم يحدد لها زمنًا معينًا كالصلاة، فكلها تحتاج إلى تعويد مبكر، وكلها تحتاج بعد فترة من الوقت إلى الإلزام بها إن لم يتعودها الصغير من تلقاء نفسه[2].

ولكن على الوالدين أن يأخذا فائدة العادة ويتجنبا ضررها، وذلك بأن يكونا هما

(١) منهج التربية الإسلامية، ٢/ ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢/ ١٤٥-١٤٨.

مستشعرين للقيم والمبادئ الإسلامية من وراء سلوكهما اليومي، ولا يكونا مؤدبين لهذا السلوك بطريقة آلية، وخاصة في الصلاة التي هي عنوان الإسلام.

[٨] الإيمان بالغيب:

الأطفال عادة يقوم إدراكهم على الملموسات، ويعتريهم الشك فيما لا تراه عيونهم، لذلك يجب على الوالدين إدراك ذلك والتعرف على مكونات نفوس الأطفال فيحصل معهم نوع من التدرج في الأمور الدينية من الملموس إلى الغيبي، ويحاولان الوصول إلى إقناع الأطفال بما يعرضانه عليهم متخذين لذلك الوسائل والأساليب المناسبة.

ومن أفضل الوسائل والأساليب التي تقرب المعنى الغيبي إلى أذهان الأطفال ما استخدمه القرآن الكريم ومنها:

[أ] تشبيه الغيبيات بأمور محسوسة ملموسة تقرب المعنى، مثل: أطعمة الجنة في قوله تعالى:**{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ...}**(١).

[ب] تشبيه الغيبيات بغيبيات لها في الأذهان صورة معينة يمكن الإنسان من تخيلها وتصورها، كتصوير شجرة الزقوم**{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}**(٢)، فالعرف جار بأن الشيطان مثال للبشاعة والقبح.

فضرب الأمثال من الأسباب التربوية الهامة التي على الوالدين أن يلجآ إليها؛ لأنها تلعب دورًا هامًا في تقريب المعنى لذهن الطفل، ورسم صورة ولو مختلفة قليلاً عن الواقع تقريبية، تكون أفضل من ترك الطفل يشط بخياله بعيدًا عن الواقع.

[٩] الحذر من الوقوع في المخالفات العقدية:

على الوالدين أن يبعدا الأطفال عن الخرافات، والأساطير، والخزعبلات، والأوهام التي يهذي بها أهل الشعوذة، والدجل، والسحر، والكهانة، والعرافة، وغيرها وأن يغرسا في أذهانهم أن الركون إلى أهل البدع من الكبائر التي قد تحبط عمل المؤمن، وتهدد آخرته، لما ورد عنه ﷺ : **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** (٣).

وأن يوضحا لهم أنه لا يوجد أحد من البشر قادر على أن يعلم الغيب، لأن هذا العلم

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) الصافات: ٦٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإسلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم ٢٢٣.

استأثر الله به لنفسه، قال تعالى:{**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا۝ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**}[1].

وأيضًا يوضحان لهم أنه لا يجوز الحلف والقسم بغير الله، وأن هذا شرك أصغر، مثل "وحياتك" و"النبي" "بذمتك" "بأمانتك"، "بشرفك" وغير ذلك من أنواع القسم الدارجة على الألسن، لقوله ﷺ : «**من حلف بغير الله فد كفر أو أشرك**»[2].

ومن الأخطاء في العقيدة التي يجب أن يتجنبها الوالدان في البداية؛ ومن ثم يجنباها الأطفال: إقامة الأعياد البدعية لعيد الميلاد، وعيد الأم، ونحو ذلك، ويبنيان لهم أن الحكمة من وراء ذلك:

1ـ إنها بدعة لم تشرع.

2ـ لأهل الإسلام عيدين في السنة لا غير، عيد الفطر، وعيد الأضحى.

3ـ هذه الأعياد مشابهة للكفار، من أهل الكتاب وغيرهم في إحداث أعياد لم تشرع.

[١٠] غرس روح الاعتزاز بالإسلام:

ينبغي على الوالدين أن يغرسا في نفوس الأطفال منذ الصغر شعور العزة بالإسلام، وأنهم يجب أن يتميزوا عن الكفار في كل أمر، في المظهر والمخبر والغاية وفي الآمال، وأن يستشعروا أنهم ينتسبون إلى أمة موصولة بالله، وهي تسير على هدي الله، وتملك ما لا تملكه سائر البشرية وهو كتاب الله، ومنهج الله، ونور الله، وسنة رسول الله ﷺ، كما عليهما أن يعلموهم منذ الصغر أن أمتهم تواجه من أعدائها أعتى الحملات، وأعنف الهجمات، فتنهب خيراتها، ويشرد أبناؤها، وتستحيل حرمانها، وتهتك شرفها، وتستباح أراضيها.. إلخ، ولذلك فهي تنتظر من كل أبنائها بنين وبنات أن يكون كل فرد منهم على ثغرة من ثغورها، فيسد الخلل، ويجبر الضعف ويكمل النقص ويعينها على نوائب الدهر.

* * * * *

---

(١) الجن: ٢٦، ٢٧.

(٢) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٢٤١.

الباب الثاني:

الإسلام

كمنهج وسلوكيات

من الممكن أن نعرِّفهم بآداب وسلوكيات الإسلام في هذه المرحلة عن طريق بعض أشرطة الفيديو من أمثلة: " سلام وفرسان الخير"، وسلسلة "الابن البار"، وتحكي قصصاً تغرس القيم الدينية في قلوب الأطفال بلطف، وسلسلة "أخلاق من حكايات"، وسلسلة "من أخلاق النبي ﷺ للأطفال".

كما ينبغي أن نبدأ تعليمه ذكر الله تعالى بأن يقول حين يصبح: " أصبحنا وأصبح المُلك لله، والحمد لله"؛ وحين يمسي: " أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله"، و" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" كما نعلمه أن يبدأ كل عمل له ببسم الله، وأن يختمه بالحمد لله، كما نعلِّمه ما يقول حين يدخل الخلاء وحين يخرج منه، وأن يتلو آية الكرسي قبل أن ينام لقوله ﷺ : **«من قرأ آية الكرسي ليلاً لم يزل عليه من الله حافظاً حتى يصبح»** [1].

وكما نشجعه على طاعة الله، فينبغي أن نشجعه أيضاً على اللعب وممارسة الرياضة، ونخبره أن الرسول ﷺ كان يسابق السيدة عائشة، وهي صغيرة السن، وكان يأمر صغار الصحابة قائلا: **«ارموا فإن أباكم كان راميا»**، ويعقد بينهم السباقات والمبارزات المختلفة، وأن عمر بن الخطاب – أمير المؤمنين – قال: "علِّموا أولادكم السباحة، والرماية، وركوب الخيل".

ومما يعين الوالدين على تحمل الجهد والمشقة من أجل لعب الأولاد وممارستهم الرياضة أن تكون نيتهم من ذلك هي تربية جيل مسلم صحيح النفس والجسد؛ وإدخال السرور على قلوب أبنائهم، فيهون التعب، وينالوا الأجر والثواب على ذلك إن شاء الله.

١ – شهادة التوحيد:

(فشهادة التوحيد هي بداية الطريق، والاستجابة لله هي معالم هذا الطريق) فينبغي أن نتحدث إليه عن الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له، فهو وحده كل شيء وما عداه لا شيء، (فالإنسان به موجود، وبدونه لا وجود له... أو بعبارة أخرى هو صفر لايساوي شيئاً، والناس كلهم أصفارٌ، مهما كثر عددهم، ولا يكون لهم مدلول إلا إذا وُضعوا عن يمين الواحد القهار!!! فعندئذٍ فقط يصيرون بعونه – تعالى – ذوي قيمة).

كما ينبغي أن يعرف الطفل أن المسلم يؤمن بوجود الملائكة التي هي جند الله ينفذون أوامره ولا يعصونه، يسبحونه ليل نهار ولا يفترون.

---

(١) سنن الدارمي (٣٢٤٩).

كما يؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها على رسله لتمهد لنزول القرآن الكريم؛ الكتاب المعجز الجامع المانع، وأن الرسل كلهم عباد الله إخواناً، أرسلهم الله تعالى ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

وأن المسلم لابد أن يرضى بقضاء الله مهما بدا له أنه شر، فعسى أن يكره الإنسان شيئاً وهو خير له، ونضرب له الأمثال على ذلك من حياتنا اليومية؛ مع التوضيح بأن الله تعالى يحب الصابرين ويكون معهم؛ وأن هؤلاء الصابرين ينالون أجرهم يوم القيامة بغير حساب**!!!**

٢ – الصلاة:

ينبغي أن يعي الطفل أن الصلاة ليست إسباغ الماء على مواضع الوضوء، ثم الإتيان بحركات متكررة وتلاوة بعض الآيات المتكرر بعضها أيضا، لأنهم لو صلوا بهذه الطريقة فسرعان ما يصيبهم الملل؛ فيسأموها والعياذ بالله... بل ينبغي أن يعرفوا أنها لقاء مع رب الأرباب، مع مالك الملك، مع الغفور الودود، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد**!!!**

ومن ثم ينبغي أن يعرفوا مراتب الناس في الصلاة التي صنَّفها الداعية الإسلامي الأستاذ "عمرو خالد" في كتابه"عبادات المؤمن" ليختاروا المرتبة التي يحبونها لأنفسهم...

وهذه المراتب هي:

١ – الذي لا يحافظ على الصلاة، ولا على وقتها، ولا وضوءها، ولا أركانها الظاهرة من القيام والركوع والسجود والخشوع... فهذا معاقَب بإجماع العلماء.

٢ – الذي يحافظ على الوضوء ووقت الصلاة والأركان الظاهرة بلا خشوع... وهذا محاسَب على صلاته حساباً شديدا.

٣ – الذي يحافظ على الوقت والوضوء والأركان الظاهرة، ثم يجاهد شيطانه، فيخشع لبعض الوقت، ويسهو لبعض الوقت؛ فالشيطان يختلس من صلاته ويسرق منها... فهذا في صلاة وجهاد، فله أجران**!**

٤ – الذي يحافظ على الوقت، والوضوء، والأركان الظاهرة والخشوع... فأجره عظيم؛ وهو نوع نادر.

٥ – الذي يحافظ على الوقت والوضوء والأركان الظاهرة، ولكنه قد خلع قلبه وأسلمه لله عز وجل... فهذا أعلاهم مرتبة**!**

الصلاة في المسجد:

من الواجب أن نشرح لـه معاني الآية الكريمة: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}** [1]؛ وأن نوضح لـه أن من صلى في المسجد فقـد زار الله تعـالى في بيتـه، وحـق علـى المَزور أن يكرم زائره، فإذا كان المَزور هو الكريم، الجواد، خـير الـرازقين... فمـا أجملـها مـن زيارة؛ وما أعظمه من أجر!

كما نرغّبه فيها من خلال أحاديث الرسول ﷺ عن هذه الصلاة؛ مثـل: «**من غـــدا إلى المسجد** أو راح، **أعد الله لـــه نُزُلاً في الجنة كلما غدا أو راح**» [2].

و «**من تطهر في بيته ثم غدا بيتا من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانــت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**» [3].

٣ – الصوم:

في هذه المرحلة يكون الطفل قادراً على إتمام اليوم مـن حيـث تحمـل الجـوع والعطـش، ولذلك يجب أن يتقدم عـن المرحلـة السـابقة بمعرفـة روح الصـوم وأنـه لم يُفـرض لتعـذيب المسلمين، وأن أحد أهداف الصوم: هو الشعور بجوع الفقراء، وترويض النفس علـى الصـبر وتحمل الشدائد، وتغذية الروح بطاعة ربها مع الإقلال من تغذية الجسد، والوصـول بالمسـلم إلى تقوى الله في السر، والعلـن، كمـا ينبغـي أن يعـرف أن الصـوم يعـني كـف أذى اللسـان والجوارح عن الغير، وغض البصر عن محارم الله تعالى، وأن ثواب الصـائمين لا حـدود لـــه وأن الله سبحانه هو وحده الذي يقرر مقداره لأن الصوم عبـادة إخـلاص لله عـز وجـل ولا يعرف مدى صدقها والإخلاص فيها إلا هو.

٤ – الزكاة:

في هذه المرحلة ينبغي أن نتلو عليه آيـة مصـارف الزكـاة:**{إِنَّمَــا الصَّــدَقَاتُ لِلْفُقَــرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْــنِ السَّبِيلِ}**[4] ونكررها معه حتى يحفظها، مع شرح معانيها.

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) مسند أحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) التوبة: ٦٠.

وينبغي أن نعرِّفه أن الإنفاق على ذوي الأرحام والجيران أفضل وأعظم أجراً من الإنفاق على غيرهم، فقد قال رسول الله ﷺ : **«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»** [1].

كما ينبغي أن نوضح لـه معنى الآية الكريمة: **{وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ}**[2] فالصدقة تقع في يد الرحمن قبل يد الفقير، لذا فقد كانت عائشة رضي الله عنها تعطِّر الدراهم قبل أن تتصدق بها!

٥ – الحج:

في هذه المرحلة يستطيع الطفل أن يفهم الحكمة من الحج، فهو المؤتمر الإسلامي الأكبر الذي يجمع المسلمين من شتى بقاع الأرض، ومن كل فج عميق؛ على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، ولا يتبقى لهم لغة إلا لغة التوحيد والإخلاص لله تعالى والتجرد لـه وحده، دون الأهل والولد والمال، وغيرهم؛ **{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}** [3] فيختلطون ويتعارفون ويؤثرون بعضهم بعضاً ويتعاونون، ويعلمون أنهم جميعا في دين الله إخوانا.

(وأنه رحلة الاتجاه إلى الله وحده بالنفس والقلب والحواس، وهي بداية عهد وميثاق جديد مع مالك الملك الغني عن العالمين، وهي رحلة إعلان الرفض للشيطان، ومناهجه وخطواته، وهي تعبير عملي وإعلان عن بدء حياة جديدة في طريق الحق، وعن الخضوع المطلق لله... فهي شرف لا يطاوله شرف آخر، فتلبية دعوة الله شرف وتكريم من الله تعالى للحاج، فمن قصد البيت شهد الجدران وكسوة الأركان، ومن قدِم على رب البيت شهد من جلاله ما هو أهل لـه).

وأن (الحج هو جهاد النساء، فقد سألت عائشة رضي الله عنها قالت: " يارسول الله، هل على النساء من جهاد؟ " قال: **«عليهن جهاد لا قتال فيه.. الحج والعمرة»** [4].

ويقول ﷺ : **«الحُجاج والعُمَّار وفد الله، إن دعوه أجابهم وإن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم»** [5].

---

(١) مسند أحمد.

(٢) البقرة: ٢٦٧.

(٣) الحج: ٢٨.

(٤) سنن ابن ماجه (٢٨٩٢).

(٥) سنن ابن ماجه (٢٨٨٣).

وفي هذه المرحلة يمكن أن نفهمهم المزيد عن آداب وأخلاقيات الإسلام، ومنها ما حواه هذا الحديث الشريف من منهاج جامع للمسلم: **«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلقٍ حسن»** [1].

(فهو يجدد علاقة الإنسان مع ربه أولاً، فيقول له: اجعل بينك وبين عذاب الله تعالى وقاية من خلال خشيته في السر والعلن، فإن كان الخلق لا يرونك في موضع، فالله يراك في كل المواضع؛ ثم علاقته مع نفسه قائلاً له: لا تقسُ كثيراً على نفسك إذا وقعت في معصية وإن كبُرَت، فأنت بشر، وكل ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوابون، فإياك أن تتصور أن ذنبك أكبر من عفوه تعالى، إذا عصيته فلا تيأس وإنما سارع بالتوبة والأعمال الصالحة قبل أن يتلقاك الشيطان وأعوانه فيصدوك عن سبيل الله؛ وفي النهاية تعامل مع الناس - كل الناس - بأخلاق نبيك الكريم، الذي كان أعداءه يحبونه ويشهدون بحسن خلقه قبل أصدقاءه، ولنا فيه الأسوة الحسنة) ومن المفيد أن نهدي إليه كتيب يحوي الأدعية الخاصة بالنوم والاستيقاظ وتناول الطعام والدخول للخلاء والخروج منه ودخول البيت والمسجد... إلخ؛ أو نلصق ملصقات بها هذه الأدعية في أماكنها المختلفة بالبيت، حتى يحفظها.

* * * * *

(١) سنن الترمذي (١٩١٠).

الفصل الأول:
ب - مرحلة ما بين الثالثة والسادسة

يكون الطفل في هذه المرحلة شغوفاً بالاستماع للقصص، لذا فمن المفيد أن نعرِّفه ببساطة وتشويق برسول الله ﷺ، فهو الشخص الذي أرسله الله تعالى ليهدينا ويعرفنا الفرق بين الخير والشر، فمن اختار الخير فله الجنة ومن اختار الشر فله النار والعياذ بالله، ونحكي له عن عبد الله، وآمنة والدي الرسول الكريم، وقصة ولادته ﷺ، وقصة حليمة معه، ونشأته يتيماً(حين كان أترابه يلوذون بآبائهم ويمرحون بين أيديهم كطيور الحديقة بينما كان هو يقلِّب وجهه في السماء... لم يقل قط: " يا أبي" لأنه لم يكن له أب يدعوه، ولكنه قال كثيراً، ودائماً: " يا ربي"!!! "

ومن المهم أن نناقش الطفل ونطلب رأيه فيما يسمعه من أحداث مع توضيح ما غمض عليه منها.

ويستحب أن نحفِّظه الآيتين الأخيرتين من سورتي "التوبة"، و"الفتح"التي تتحدث عن فضائله ﷺ ؛ مع شرح معانيها على قدر فهمه.

كما يمكن تحفيظه كل أسبوع أحد الأحاديث الشريفة القصيرة، مع توضيح معناها ببساطة، من هذه الأحاديث مثلاً:

«من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» [١].

«إن الله جميل يحب الجمال» [٢].

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» [٣].

«خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه» [٤].

«إماطة الأذى عن الطريق صدقة» [٥].

(١) صحيح البخاري (٣١٨٠).
(٢) صحيح مسلم (١٣١).
(٣) صحيح مسلم (١٣٢٩).
(٤) صحيح البخاري (٤٦٣٩).
(٥) صحيح البخاري (٢٧٦٧).

«لا يدخل الجنة نمَّام»[1].

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2].

«ليس مِنَّا مَن لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا»[3].

«المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده»[4].

«الكلمة الطيبة صدقة»[5].

«لا تغضب، ولك الجنة»[6].

«تَبسِّمك في وجه أخيك صدقة»[7].

«الراحمون يرحمهم الرحمن»[8].

«من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[9].

«خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عملـــه»[10].

«الدين ا لنصيحة»[11].

«تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة»[12].

«التائب من الذنب كمن لا ذنب لـــه»[13].

«جُعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

---

(١) صحيح مسلم (١٥١).

(٢) مسند أحمد (٢٠٨٣٦).

(٣) مسند أحمد (٦٦٤٣).

(٤) صحيح مسلم (٥٧).

(٥) مسند أحمد (٧٧٦٣).

(٦) صحيح البخاري (٥٦٥١).

(٧) سنن الترمذي (١٨٧٩).

(٨) سنن الترمذي (١٨٤٧).

(٩) سنن ابن ماجه (٣٩٦٦).

(١٠) مسند أحمد (١٩٥٤٦).

(١١) سنن أبي داود (٤٢٩٣).

(١٢) سنن الترمذي (٢٠٥٦).

(١٣)سنن ابن ماجه (٤٢٤٠).

«الحياء من الإيمان» [٢].

«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب وإذا وعد اخلف، وإذا اؤتمن خان» [٣].

* * * * *

المبحث الأول:
تربية الطفل على طاعة الوالدين

يلعب الوالدان الدور الأكبر في تربية الأطفال، فالمسؤولية تقع على عاتقهما أولاً وقبل كلّ شيء، فهما اللذان يحدّدان شخصية الطفل المستقبلية، وتلعب المدرسة والمحيط الاجتماعي دوراً ثانوياً في التربية.

والطفل إذا لم يتمرّن على طاعة الوالدين فإنه لا يتقبل ما يصدر منهما من نصائح وإرشادات وأوامر إصلاحية وتربوية، فيخلق لنفسه ولهما وللمجتمع مشاكل عديدة،

فيكون متمرداً على جميع القيم وعلى جميع القوانين والعادات والتقاليد الموضوعة من قبل الدولة ومن قبل المجتمع.

وتربية الطفل على طاعة الوالدين تتطلب جهداً متواصلاً منهما على تمرينه على ذلك؛ لأنّ الطفل في هذه المرحلة يروم إلى بناء ذاته وإلى الاستقلالية الذاتية، فيحتاج إلى جهد إضافي من قبل الوالدين، وأفضل الوسائل في التمرين على الطاعة هو إشعاره بالحبّ والحنان، يقول الدكتور يسري عبدالمحسن: (أهم العوامل التي تساعد الطفل على الطاعة.. الحب والحنان الذي يشعر به الطفل من كلٍّ أفراد الأسرة)[٤].

ومن الوسائل التي تجعله مطيعاً: هي إشباع حاجاته الأساسية وهي (الأمن، والمحبة، والتقدير، والحرية، والحاجة إلى سلطة ضاغطة)[٥].

ويرى الدكتور فاخر عاقل هذه الحاجات بالشكل التالي (الحاجة إلى توكيد الذات، أو المكانة، أن يعترف به وبمكانته، وأن ينتبه إليه.. والحاجة إلى الأمان والحاجة إلى المحبة والحاجة

---

(١) مسند أحمد (١٨٨٤٦).

(٢) صحيح مسلم (٥٠).

(٣) صحيح مسلم (٨٩).

(٤) قاموس الطفل الطبي: ٣٢٨.

(٥) علم النفس، لعبدالعزيز القوصي: ٢٦٤.

إلى الاستقلال) [1].

فإذا شعر الطفل بالحب والحنان والتقدير من قبل والديه، فإنه يحاول المحافظة على ذلك بإرضاء والديه وأهم مصاديق الإرضاء هو طاعتهما.

فالوالدان هما الأساس في تربية الطفل على الطاعة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما»**.

وأسلوب الإعانة كما حدّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتألف له، وتعليمه وتأديبه**».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله من أعان ولده على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله**»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به...**».

وحبّ الأطفال للوالدين ردّ فعل لحبّ الوالدين لهما[3].

فإذا كان الحبُّ هو السائد في العلاقة بين الطفل ووالديه، فإنّ الطاعة لهما ستكون متحققة الوقوع، وعلى الوالدين أنْ يُصدرا الأوامر برفق ولين بصورة نصح وإرشاد فإن الطفل سيستجيب لهما، أمّا استخدام التأنيب والتعنيف فإنه سيؤدي إلى نتائج عكسية، ولذا أكدّ علماء النفس والتربية على التقليل من التعنيف كما جاء في قول أنور الجندي: (يقتصد في التعنيف عند وقوع الذنب، لأنّ كثرة العقاب تهون عليه سماع الملامة وتخفّف وقع الكلام فى نفسه) [4] وإطاعة الأوامر لا يجد فيها الطفل الذي حصل على المحبة والتقدير أية غضاضة على حبه للاستقلال، وبالمحبة التي يشعرها تتعمق في نفسه القابلية على تقليد سلوك من يحبّهم وهما الوالدين، فينعكس سلوكهما عليه، ويستجيب لهما، فإنه إذا عومل كإنسان ناضج وله مكانة فإنه يستريح إلى ذلك ويتصرّف بنضج وبصورة لا تسيء إلى والديه، فيتمرّن على الطاعة لوالديه، ومن ثم الطاعة لجميع القيم التي يتلقاها من والديه أو من المدرسة أو من المجتمع.

* * * * *

---

(١) علم النفس التربوي، لفاخر عاقل: ١٠٠، ١٠١.

(٢) عدة الداعي: ٦١.

(٣) علم الاجتماع، لنقولا الحداد: ٢٥٢ - دار الرائد ١٩٨٢ م ط٢.

(٤) التربية وبناء الأجيال: ١٦٧.

المبحث الثاني:
الإحسان إلى الطفل وتكريمه

الطفل في هذه المرحلة بحاجة إلى المحبّة والتقدير من قبل الوالدين وبحاجة إلى الاعتراف به وبمكانته في الأسرة وفي المجتمع، وأن تسلّط الأضواء عليه، وكلّما أحسَّ بأنّه محبوبٌ، وأنّ والديه أو المجتمع يشعر بمكانته وذاته فإنّه سينمو (متكيفاً تكيّفاً حسناً وكينونته راشداً صالحاً يتوقف على ما إذا كان الطفل محبوباً مقبولاً شاعراً بالاطمئنان في البيت)[1].

والحبُّ والتقدير الذي يحسّ به الطفل له تأثير كبير على جميع جوانب حياته، فيكتمل نموه اللغوي والعقلي والعاطفي والاجتماعي، والطفل يقلّد من يحبه، ويتقبّل التعليمات والأوامر والنصائح ممّن يحبّه، فيتعلم قواعد السلوك الصالحة من أبويه وتنعكس على سلوكه إذا كان يشعر بالمحبة والتقدير من قبلهما.

وقد وردت عدة روايات تؤكد على ضرورة محبة الطفل وتكريمه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم**» [2]، ورحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه والتألف له وتعليمه وتأديبه.

ومن مصاديق محبة الطفل وإشعاره بمكانته التشجيع له ومدحه على ما ينجزه من أعمال وإنْ كانت يسيرة والتجاوز عن بعض الهفوات، وعدم تسفيه أقواله أو أعماله وعدم حمله على مالا يطيق كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به...**».

وتقبيل الطفل من أفضل الوسائل لإشعاره بالحب ومن مصاديق إشعار الطفل بأنه محبوب: إسماعه كلمات الحبّ والودّ.

ففي روايةٍ: (جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر وقال: «**هذان ريحانتاي من الدنيا**»[3].

---

(١) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ١١١ - دار العلم للملايين ١٩٨٥ ط ١.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٦٦١).

(٣) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٧: ١٤ - دار الفكر ١٤٠٥ هـ ط١.

ومن أجل إشعار الطفل بمكانته الاجتماعية لتتعمق الثقة بنفسه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلّم على الصغير والكبير كما جاء في الخبر إنّه: (مرّ على صبيان فسلّم عليهم)[1].

وإشعار الطفل بالحب والحنان من أهم العوامل التي تساعده على الطاعة والانقياد للوالدين[2].

والأفضل أن يكون إشعار الطفل بأنّه محبوب مرافقاً لـه في كلِّ الأوضاع والأحوال حتّى وإنْ أخطأ أو ارتكب ما يوجب التأنيب أو العقاب، والأفضل أن نجعل الطفل مميّزاً بين الحب لـه وعدم كراهيته في حالة خطئه أو ذنبه، يقول الدكتور سپوك: (إنّنا كآباء يجب أن لا نجعل الطفل يشعر في أي مرحلة من مراحل عمره بأنّه منبوذ ولو حتى بمجرد نظرة عين، إنّ الطفل لا يستطيع أن يفرّق بين كراهية والديه لسلوكه وبين كراهيتهما لـه.

ولكن بالتدريب وتكرار العمل يمكننا أن نقنع الطفل بأنّ العمل الخاطئ الذي يرتكبه مبغوضاً من قبل والديه، أو من قبل المجتمع مع بقاء المحبوبية لـه، ونحاول إقناعه بالإقلاع عن الأعمال الخاطئة وإشعاره بأنْ الحب والحنان سيصل إلى أعلى درجاته في هذه الحالة.

* * * * *

المبحث الثالث:
التوازن بين اللين والشدّة

تكريم الطفل والإحسان إليه وإشعاره بالحب والحنان وإشعاره بمكانته الاجتماعية وبأنه مقبول عند والديه وعند المجتمع، يجب أنْ لا يتعدى الحدود إلى درجة الإفراط في كلِّ ذلك، وأن لا تُترك لـه الحرية المطلقة في أن يعمل ما يشاء، فلابدّ من وضع منهج متوازن في التصرّف معه من قبل الوالدين، فلا يتساهلا معه إلى أقصى حدود التساهل، ولا أن يعنّف على كلِّ شيء يرتكبه، فلا بدّ أنْ يكون اللين وتكون الشدّة في حدودهما، ويكون الاعتدال بينهما هو الحاكم على الموقف منه حتى يجتاز مرحلة الطفولة بسلام واطمئنان، يميّز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ، لأن السنين الخمسة الأولى أو الستة من الحياة هي التي تكوّن نمط شخصيته.

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٩.

(٢) قاموس الطفل الطبي: ٣٢٨.

وفي حالة ارتكاب الطفل لبعض المخالفات السلوكية، على الوالدين أنْ يُشعِرا الطفل بأضرار هذه المخالفة وإقناعه بالإقلاع عنها، فإذا لم ينفع الإقناع واللين يأتي دور التأنيب أو العقاب المعنوي دون البدني، والعقوبة العاطفية خيرٌ من العقوبة، الاعتدال والتوازن بين اللين والشدّة.

والإفراط أو التفريط يؤدي إلى تأثيرات سلبية على الطفل من جميع الجوانب العقلية والعاطفية والخلقية.

ويجب في ضوء المنهج التربوي السليم أنْ يحدث التوازن بين المدح والتأنيب، فالمدح الزائد كالتأنيبْ الزائد يؤثر على التوازن الانفعالي للطفل، ويجعله مضطرباً قلقاً، فالطفل (الناشيء في ظل الرأفة الزائدة لا يطيق المقاومة أمام تقلبات الحياة، ولا يستطيع الصراع معها).

وقد أكدّت الروايات على الاعتدال في التعامل مع الطفل فلا إفراط ولا تفريط.

ويتأخر النضوج العاطفي عند الطفل المدلل، (وتطول فترة الطفولة لديه)[1] فيبقى محتاجاً لوالديه في كلِّ المواقف التي تواجهه وتكون هذه الحالة معه حتى في كبره، فنجد في واقعنا الاجتماعي أطفالاً أو كباراً ينتظرون من المجتمع أن يلبي مطالبهم أو يؤيد آرائهم، أو يمدحهم ويثني عليهم، فهم لا يستطيعون مواجهة المشاكل التي تقف في طريق تلبية طموحاتهم، ونفس الكلام يأتي في سلوك الطفل المنبوذ أو المتعرّض للإهانات أو التأنيب الزائد من قبل والديه ومحاسبته على كلِّ شيء يصدر منه.

ولذا نجد في المجتمع أنَّ الأحداث المنحرفين المتصفين بصفات عدوانية تجاه الآخرين كانوا معرضيّن للإهانات والعقوبات المستمرة.

وعلى الوالدين أنْ يضعوا للأطفال برنامجاً يوضّحون لهم المحبوب والمذموم من الأعمال، ويكون المدح أو التأنيب منصبّاً على العمل المرتكب، لكي نزرع في قلوبهم حبّ الأعمال الصالحة وبغض الأعمال غير الصالحة، وأن تعمل على تقوية الضمير في نفس الطفل في هذهِ المرحلة حتى يكون صماماً له في المستقبل فنزرع في قلبه الخوف من ارتكاب العمل غير الصالح والشوق إلى العمل الصالح، بدلاً من الخوف من العقوبة أو الشوق إلى المدح والإطراء، وعلى الوالدين أن يجعلوا المدح أو التأنيب خالصاً من أجل تربية الأطفال، وأن لا يعكسوا أوضاعهم النفسية في التربية، كمن يواجه مشكلة فيصّب غضبه على الطفل دون أي مبرّر.

---

(١) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٥٣٥.

وهنالك بعض الحالات يجب على الوالدين الانتباه إليها لكي لا تأتي على عقل الطفل وعواطفه بآثار عكسية، فمثلاً يقوم الطفل بكسر شيء ثمين فيصيبه الفرح لأنه يرى نفسه قد أقدم على شيء جميل بأن حوّل هذا الشيء إلى شيئين عن طريق عملية الكسر، فهو يحتاج في نظره إلى مدح وثناء، وهنا تأتي بدلاً من المدح العقوبة فيتفاجأ الطفل، وتكون للعقوبة تأثيراتها النفسية عليه.

وفي حالات أُخرى يكون الطفل بحاجة إلى التأنيب أو الذّم أو الهجران أو العقوبة البدنية أحياناً كما يقول الدكتور سپوك: (إنّ الأطفال في معظم الأحوال يفرحون لأنّ الوالد قد وضع حداً لوقاحتهم)[1].

والطفل في حالة مرضه بحاجة إلى الرعاية المتوازنة فلا إفراط ولا تفريط، فلا اهتمام زائد ولا عدم اهتمام، والتوازن أفضل، وهو إشعاره بالاهتمام في حدوده المعقولة لأنّ (طريقة المبالغة التي تتبعها الأمهات عندما يصاب أطفالهنّ بالمرض تؤثر على نفسية الطفل في الكبر... يخلق منه طفلاً مكتئباً كثير الشكوى سريع الانفعال) [2].

ويجب مراعاة وحدة الأسلوب التربوي من قبل الوالدين، والاتفاق على منهج واحد من أجل أنْ يتعرّف الطفل على الصواب والخطأ في سلوكه، فلو استخدم الأب التأنيب مع الطفل لخطأ معين، فعلى الأم أن لا تخالف الاب في ذلك،

وكذا الحال في المدح لأنّ (الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين... كتناقضات أسلوب المعاملة، كالتذبذب بين التسامح والشدة... والتدليل والإهمال، وتكون نتيجة هذه التطورات إما خلق روح العدوان والجنوح وبرود العاطفة والإحباط والوسواس من ناحية أو المغالاة في الاعتماد على الغير والسلوك المدلّل وضعف الشخصية من ناحية أُخرى)[3].

* * * * *

(١) مشاكل الآباء: ٧٥.

(٢) قاموس الطفل الطبّي: ٢٧٨.

(٣) أضواء على النفس البشرية، للدكتور الزين عباس عمارة: ٣٠٢ - دار الثقافة ١٤٠٧ هـ ط ١.

المبحث الرابع:
العدالة بين الأطفال

الطفل الأول في الأسرة يكون موضع حب وحنان وعناية من قبل والديه لأنّه الطفل الأول والطفل الوحيد، فيمنح الاهتمام الزائد، والرأفة الزائدة، وتلبّى كثيراً من حاجاته المادية والنفسية، فنجد الوالدين يسعيان إلى إرضائه بمختلف الوسائل ويوفرّون له ما يحتاجه من ملابس وألعاب وغير ذلك من الحاجات، ويكون مصاحباً لوالديه في أغلب الأوقات سواء مع الأم أو مع الأب أو مع كليهما وبعبارة أُخرى يلقى دلالاً واهتماماً استثنائياً، ومثل هذا الطفل وبهذه العناية والاهتمام، سيواجه مشكلة صعبة عليه في حالة ولادة الطفل الثاني، وتبدأ مخاوفه من الطفل الثاني، لأنه سيكون منافساً له في كلِّ شيء، ينافسه في حب الوالدين ورعايتهم له، وينافسه في منصبه باعتباره الطفل الوحيد سابقاً، وينافسه في ألعابه، وتبدأ بوادر الغيرة عليه منذ أول يوم الولادة، إذ ينشغل الوالدان بالوضع الطارئ الجديد وسلامة الوالدة والطفل، فإذا لم ينتبه الوالدان إلى هذه الظاهرة، فإن غيرة الطفل الأول ستتحول بالتدريج إلى عداء وكراهية للطفل الجديد، وينعكس هذا العداء على أوضاعه النفسية والعاطفية، ويزداد كلمّا انصّب الاهتمام بالطفل الجديد وأُخرج الطفل الأول عن دائرة الاهتمام، فيجب على الوالدين الالتفات إلى ذلك والوقاية من هذه الظاهرة الجديدة، وإبقاء الطفل الأول على التمتع بنفس الاهتمام والرعاية وإشعاره بالحب والحنان، وتحبيبه للطفل الثاني، وإقناعه بأنه سيصبح أخاً أو أختاً له يسلّيه ويتعاون معه، وأنه ليس منافساً له في الحب والاهتمام، ويجب عليهما تصديق هذا الإقناع في الواقع بأن تقوم الأم باحتضانه وتقبيله ويقوم الأب بتلبية حاجاته أو شراء ألعاب جديدة له، إلى غير ذلك من وسائل الاهتمام والرعاية الواقعية، والحل الامثل: هو العدالة والمساواة بين الطفل الأول والثاني فإنها وقاية وعلاج للغيرة والكراهية والعداء وتتأكد أهمية العدالة والمساواة كلمّا تقدم الطفلان في العمر، إذ تنمو مشاعرهما وعواطفهما ونضوجهم العقلي واللغوي بالتدريج يجعلهما يفهمان معنى العدالة ومعنى المساواة، ويشخّصان مصاديقها في الواقع العملي، وقد وردت الروايات المتظافرة لتؤكد على إشاعة العدالة بين الأطفال، والعدالة بين الأطفال مطلقة وشاملة لكلِّ الجوانب الحياتية التي تحيط بالأطفال في جانبها المادي والمعنوي، أي في إشباع حاجاتهما الماديّة وحاجاتهما المعنوية للحب والتقدير والاهتمام جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال

صلى الله عليه وآله وسلم: «**فهلاّ ساويت بينهما**» [1] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله تعالى يحبّ أن تعدلوا بين أو لادكم حتى في القُبَل**»[2].

وأكدّ صلى الله عليه وآله وسلم على العدالة في العطاء والهدية سواء في الأكل والشرب والثياب والألعاب إلى غير ذلك.

والعدالة لا تعني عدم التفضيل بين الأطفال، فبعض الأطفال يكونون أكثر جاذبية من بعض من قبل الوالدين، والتفضيل يجب أن يكون مستوراً لا يظهره أمامهما ويحتفظ به في مشاعره القلبية، أمّا في الواقع فلا يعمل إلاّ بالعدالة والمساواة» لأن عدم العدالة له تأثيره السلبي على نفسية الأطفال تؤدي إلى زرع روح الكراهة والبغضاء بينهم وتؤدي بهم في النتيجة إلى العداء المستحكم، واتخاذ الموقف غير السليم كما فعل إخوة يوسف به حينما ألقوه في البئر.

وقد كانت السيرة قائمة على أساس إشاعة العدالة بين الأطفال سواء كانوا إخوة أو أرحام، فعن عبدالله بن عبّاس قال: (كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا).

فإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين ابن بنته، ومع كلٍّ هذهِ الاختلافات في الروابط فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفرّق في المعاملة بينهما.

وفي رواية: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فجاء الحسن والحسين فارتدفاه، فلما رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فلمّا عاد عادا، فلما انصرف أجلس هذا على فخذه الأيمن وهذا على فخذه الأيسر).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين يمشيان ويعثران (فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه).

ومن مصاديق العدالة والمساواة: هو عدم إقامة المقارنة بين الأطفال، في صفاتهم الجسمية والمعنوية والنفسية، فلا يصح أن يقال فلان أجمل من فلان، أو أذكى منه أو أكثر خُلقاً منه لأنها ستكون منبعاً للحقد، لأنّ المقارنة بين الأطفال تؤدي إلى (الغيرة من بعضهم وإلى التنافس).

والمقارنة تؤدي إلى فقدان الثقة بين الأشقاء والعكس صحيح (عدم التفرقة في المعاملة هو أكبر دعامة لخلق جو من الثقة المتبادلة بينه وبين سائر أفراد العائلة)[3].

---

(١) كنز العمّال ١٦/ ٤٤٥ / ٤٥٣٥٠.

(٢) كنز العمّال ١٦/ ٤٤٤ / ٤٥٣٤٦.

(٣) قاموس الطفل الطبي: ٢٧٤.

ونلاحظ عند كثير من الآباء مواقفَ غير مقصودة بأن يقول: إن ابني فلان يشبهني، وفلان لا يشبهني، فحتى هذه المقارنة تعمل عملها في الغيرة والتنافس، والأفضل اجتنابها.

ومن العدالة: هو عدم التمييز بين الولد والبنت، لأنّ التميز يؤثر تأثيراً سلبياً على نفسية البنت، وعلى زرع العداوة والحقد بين الأخت وأخيها، وهذه ظاهرة شائعة في أغلب البلدان، حيثُ يميل الأبوين إلى الابن أكثر من ميلهما إلى البنت، ويلبيّان مطاليب الولد أكثر من مطاليب البنت، ولغرض التقليل من شأن هذهِ الظاهرة جاءت الروايات لتعطي للبنت عناية استثنائية، والبدء بالإناث لا يوّلد أي تأثير سلبي على الطفل الابن، لأنّه يراه أمرا طبيعياً فلابدّ من تقديم أحدهم، وغالباً ما يسكت الطفل ولا يلتفت إلى التمييز إنْ حصل على عطاء والديه، سواء كان العطاء أولاً أو ثانياً.

والعدالة بين الأطفال لا تعني أن لا نتخذ أسلوباً للتشجيع بأن تخصص هدية إضافية لمن يعمل عملاً صالحاً، فإن ذلك ضروري لتشجيع الطفل على السلوك الصالح، وقد ينفع في إقامة المنافسة المشروعة بين الأطفال لا تؤثر على نفسياتهم بصورة سلبية، بل يجدونها أمراً مشروعاً وحقاً طبيعياً، وعلى الوالدين التعامل بحذر في مثل هذه الحالة بالتعرّف على نفسية أطفالهم، وابتكار الأساليب الناجحة في التشجيع المنسجمة مع حالاتهم النفسية التي لا تؤدي إلى الشعور بعدم العدالة.

ومهما تحققت العدالة والمساواة بين الأطفال فإنّها لا تستطيع إنهاء بعض المظاهر السلبية كالشجار والصراع بين الأطفال، وهي ظاهرة طبيعية تحدث بين الأطفال في كلٍّ أو أغلب الأسر، فتحدث حالات من النقاش الحاد أو الاشتباك بالأيدي بين الأطفال، ويتهم أحد الأطفال أخاه أو أخته بأنه المقصر في حقه أو البادئ في العدوان عليه، وفي مثل هذه الحالة على الوالدين أن يدرسا المشكلة دراسة موضوعية وأن ينظرا إلى الشجار والصراع بأنّه حالة طبيعية، فإذا كان سهلاً وبسيطاً ومحدوداً، فالأفضل عدم التدخل في إنهائه، وأن يترك الأطفال يعالجون أمورهم بأنفسهم لإنهاء الشجار، وليس صحيحاً أن يدخل الوالدان أو أحدهما كقاضي في الحكم بينهما، لأنّ الحكم لأحد الأطفال دون الآخر لا ينسجم مع مبدأ تطبيق العدالة والمساواة مع الأطفال، أمّا إذا تكرر الشجار والصراع عدة مرّات أو كان مستمراً طول النهار، أو كان قاسياً وخطراً على الأطفال، يأتي دور الأبوين في التدخل لإنهائه، بإصدار الأوامر لكليهما بالتوقف السريع عن الاستمرار به، أو إلفات نظرهم إلى موضوع آخر، وإشغالهم به، أو التدخل لإبعاد أحدهم عن الآخر، وإذا تطلبّ الأمر استخدام التأنيب أو العقوبة المعنوية فالأفضل أن تكون موجهة لكليهما انسجاماً مع تطبيق العدالة بين الأطفال.

* * * * *

المبحث الخامس:
الحرية في اللعب

اللعب استعداد فطري عند الطفل يتم من خلاله التخلّص من الطاقة الزائدة وهو مقدمة للعمل الجدي الهادف، وفيه يشعر الطفل بقدرته على التعامل مع الآخرين، وبمقدرته اللغوية والعقلية والجسدية، ومن خلاله يكتسب الطفل المعرفة الدقيقة بخصائص الأشياء التي تحيط به، فللعب فوائد متعددة للطفل وهو ضروري للطفل في هذه المرحلة والمرحلة التي تليها، فالطفل (يتعلم عن طريق اللعب عادات التحكم في الذات والتعاون والثقة بالنفس... والألعاب تضفي على نفسيته البهجة والسرور وتنمي مواهبه وقدرته على الخلق والإبداع)[1].

ومن خلال اللعب يتحقق (النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والانفعالي للطفل... ويتعلم الطفل من خلاله المعايير الاجتماعية، وضبط الانفعالات والنظام والتعاون... ويشبع حاجات الطفل مثل حب التملك... ويشعر الطفل بالمتعة ويعيش طفولته، فاللعب حاجة ضرورية للطفل، فلا يمكن أن نتصور أو نرى طفلاً لا يلعب، وحتى الأنبياء والصالحين فإنهم مرّوا في مرحلة اللعب وإن اختلفوا عن الآخرين في طريقة وأسلوب اللعب، ولذا جاءت الروايات لتؤكد على إشباع هذه الحاجة مرحلة ما قبل الثامنة من العمر هي مرحلة اللعب، وعلى الوالدين أن يمنحا الطفل الحرية في اللعب دون ضغط أو إكراه، باستثناء الألعاب الخطرة التي يجب إبعادها عن الطفل أو إبعاده عنها.

والحرية في اللعب تعني عدم تدخل الوالدين في اختيار وقت اللعب أو نوعه أو أسلوبه، ما دام اللعب لا ينافي الأخلاق العامة ولا خطورة فيه على الطفل أو على الآخرين، والطفل في هذه المرحلة لا يحبذ تدخل الوالدين في شؤونه، ولا يحبّذ كثرة الأوامر الصادرة إليه.

وأفضل اللعب عند الطفل هو اللعب الذي يختاره، أو يصنعه بنفسه، أو يكتشف بنفسه طريقة جديدة للعب، أو طريقة خاصة لاستعمال اللعب، ومن الأفضل للطفل أن يقوم الوالدان بتوفير اللعبة التي يحتاجها الطفل، وتكون منسجمة مع رغباته يقول الدكتور سپوك: (إننا يجب أن نترك للأطفال إدارة شؤون ألعابهم حتى يستطيعوا التعلم منها... لابد أن نترك له قيادة الأمر بنفسه، وأن يتبع ما يقوله له خياله، بهذا فقط تصبح اللعبة مفيدة،

(١) العلاج النفسي الجماعي للأطفال، لكاميليا عبدالفتاح: ١٦٢ - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥ م.

إنها يجب أن تكون معلّمة لـه، ولابدّ أن يخضعها لأفكاره، وعندما يجد نفسـه في حاجـة إلى مساعدة أحد الوالدين لإدارة الكمية من المشاكل الطارئـة مـع لعبتـه، فلابـدّ أن يسـاعده الوالدان) [1].

ويؤكد جميع علماء النفس والتربية على حرية الأطفال في اللعـب (إذا حـاول الأطفـال رسم برنامج خاص لهم في أعمالهم فلا تمنعوهم من ذلك، لأنّ مواصلة تطبيق خطّة مرسـومة دون وقوف العوائق في طريق ذلك عامل فعّال في تكّون الشخصية عندهم) [2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم يشـجّع الحسـن والحسـين علـى المصـارعة بينهما فإنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل ذات ليلة بيت فاطمة عليها السلام ومعه الحسـن والحسين عليهما السلام فقال لهما: قوما فاصطرعا...

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمنح الحريـة الكاملـة للحسـن والحسـين في التعامل معه، فكان الحسن والحسين أحياناً (يركبان ظهر الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، ويقولان: حَلْ حَلْ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: **«نعم الجمل جملكما»** [3].

ومثل هذه العملية تتكرر في علاقة الطفل مع أبيه إذ يقوم الأطفال بالركوب على ظهـر أحد الوالدين في الصلاة، ولذا يجب على الوالـدين عـدم تعنيـف الطفـل علـى ذلـك وتـرك الحرية لـه، فإنه سيتركها بمرور الزمن.

وكان رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم يشـارك الحسـن والحسـين في فعلـهما، ومشاركته لا تعني التدخل في شؤونهما، وإنّما يشارك متصرفاً كأنّه أحدهما فكان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبرك للحسن والحسين ويخالف بين أيـديهما وأرجلـهما، ويقـول: **«نعم الجمل جملكما»**.

ومشاركة الوالـدين أو أحـدهما للأطفـال في اللعـب ضـروري جـداً وهـي مـن (أهـم العوامل لتنمية قدرات الطفل وأهمها أن يصبح مستقلاً وقويّ الشخصية)[3].

وأفضل طرق المشاركة في اللعب أن يتكلم الوالدان مع الأطفال بالكلمات والعبـارات التي يفهمونها والمتناسبة مع مستواهم اللغوي والعقلي، وبمعنى آخر أن يتصرّف وكأنّه طفـل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كان عنده صبي فليتصابَّ لـــه**».

---

(١) مشاكل الآباء: ١٠٦.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية ٢: ٦٤، عن كتاب نحن والأبناء ٥٦.

(٣) قاموس الطفل الطبي: ٢٢٢.

وقد أكدّ علماء التربية هذه الحقيقة، يقول موريس تي يش: (يجب أن تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء، أن تعملوا معهم، أن تشاركوهم في اللعب... أن تتحدثوا معهم بعبارات الودّ والصداقة... إنّ الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها.

واللعب مع الأطفال يمنحهم الإحساس بالمكانة المرموقة ويُدخِل عليهم البهجة والسرور فيجب (على الكبار الخضوع لرغبة الصغار إذا طلبوا منهم اللعب معهم).

واللعب وسيلة من وسائل التربية والإعداد للعمل الجدي فهووسيلة لفهم نفسيات الأطفال، والوقوف على استعداداتهم، ووسيلة لتعليمهم وتربيتهم اجتماعياً وخلقياً ويعتبر لعب الأطفال تعبيراً حقيقياً عن سلوكهم السوي أو المضطرب (فالطفل أثناء لعبه يعبر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها، ويسقط ما بنفسه من انفعالات تجاه الكبار على لعبه) ومن هنا فعلى الوالدين مراقبة الأطفال في لعبهم دون أنْ يشعروا بالمراقبة، فسيحصلون على معلومات متكاملة عن جميع الجوانب لدى الطفل، في التفاعل الاجتماعي بينهم، وملاحظة الأحاديث والانفعالات التي تصاحب اللعب، وملاحظة أسلوب تعبير الطفل عن رغباته وحاجاته ومخاوفه ومشكلاته، وخصوصاً في حالة التكرار المتزايد، وملاحظة سلوك الأطفال من حيثُ اللين والعنف، والاضطرابات العاطفية، وملاحظة آرائه بوالديه، وخصوصاً في حالة تمثيل الطفل لدور الأب أو دور الأم، ومن خلال المراقبة والملاحظة يمكن التعرّف على نموه اللغوي والعقلي والعاطفي، ويأتي دور الوالدين بعد المراقبة في وضع منهج متكامل للتوجيه والتربية ينسجم مع حالة الطفل العاطفية والنفسية والعقلية.

والملاحظة والمراقبة غير المباشرة تجدي نفعاً أكثر من الملاحظة والمراقبة المباشرة عن طريق المشاركة في اللعب، لأنّ الطفل في هذهِ الحالة المباشرة يخفي كثيراً من عواطفه وآرائه وتصوراته خجلاً من والديه أو خوفاً منهم.

* * * * *

المبحث السادس:
التربية الجنسية وإبعاد الطفل عن الإثارة

التربية الجنسية من أصعب وأعقد أنواع التربية، وهي من الظواهر التي تسبب إحراجاً للوالدين، وتتنوع طريقة التربية تبعاً للمنهج الذي يتبنّاه الوالدان وتبعاً للعادات والتقاليد الحاكمة على المجتمع، وتبعاً لدرجة الإدراك والوعي التي يحملها الوالدان، ولذا نجد إفراطاً أو تفريطاً في كثير من أساليب التربية الجنسية، والطفل سواء كان ذكراً أم أنثى يبدأ بالتساؤل

عن كثير من الأمور المتعلقة بالجنس، فيتساءل عن كيفية خلقه في بطن أُمّه، واختصاص الأم بالحمل دون الأب، وكيفية الولادة، ويتساءل عن عدم الحمل عند الطفلة الصغيرة أو المرأة غير المتزوجة، ويتساءل عن الفرق بين الذكر والأنثى وعن سببه، إضافة إلى العديد من الأسئلة، ومن العقل والحصانة أن يعتبر الوالدان أنّ هذهِ الأسئلة طبيعية، فلا يظهروا مخاوفهم منها، والأفضل عدم منع الطفل من هذه الأسئلة لأنّه سيبحث عن الإجابة من غير الوالدين فتسبب له أتعاباً وانزعاجات وقلقاً إن كانت إجابات غير شافية أو إجابات صريحة، فعلى الوالدين أن يكونا على استعداد تام لمساعدة الطفل بإجابات معقولة مريحة تشبع فضولهم وتقطع تساؤلاتهم بعد الإقناع والوثوق بها، على أن تكون منسجمة مع فهم الطفل وإدراكه ودرجة تقبله، وعلى سبيل المثال إن سأل عن الحمل، فيكون الجواب (إن الله تعالى يضع الطفل في بطن أمه)، وإن سأل على الاختلاف بين الجنسين يكون الجواب (أنتَ مثل والدك، وأنتِ مثل والدتك) أو يقال له: (لقد خلق الله الاولاد مختلفين عن البنات)، وأن تكون الإجابة بشكل طبيعي بعيداً عن القلق والإضطراب بل بشكل هادئ لا يفهم الطفل من خلالها أنّ سؤاله والجواب عنه غير طبيعي لأنه يدفعه للبحث بنفسه عن الجواب.

وهنالك رغبات عند الأطفال يجب أنْ تُعالج بصورة هادئة ومرنة دون تزمّتٍ باستخدام التأنيب أو الضرب، ففي المرحلة التي تقع بين السنة الثالثة والخامسة أو السادسة من العمر يميل الأطفال إلى (التلذذ بعرض أجسامهم من حين لآخر)[1].

وبعض الأطفال يعبثون باللعب بأعضائهم التناسلية، فعلى الوالدين إبعادهم عن ذلك بالأسلوب الهادئ وإشغالهم بشيء آخر، وعليهم أن لا يتعرّوا أمام الأطفال، فإن معظم الأطباء النفسيين قرروا من واقع خبراتهم وتجاربهم (إن عري الأبوين وكشفهم لما يجب أن يستر، أمر مزعج للطفل)، ويعلّق الدكتور سپوك على ذلك قائلاً: (أقترح على كلٍّ الآباء والأمهات، أن يراعوا ذلك ويستروا ما يجب أن يستر إلى الحد المعقول في وجود الطفل دون أن يحيطوا الأمر بهالات الانزعاج العفوية التي تحدث في كلّ أسرة).

وأغلب الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة من العام الرابع حتى السادس تصبح عندهم (أعضاء التناسل منطقة مولدّة للذة) ثم تأتي بعدها مرحلة الكمون[2].

---

(١) علم النفس العلاجي: ١٠٦.

(٢) علم النفس العلاجي: ١٠٦.

ولهذا حذّر من إثارة الطفل الجنسية في هذه المرحلة، وأفضل طريقة لإبعادهم عن الإثارة الجنسية هو إبعاده عن رؤية المباشرة بين الوالد والوالدة والطفل في هذه المرحلة يحاكي سلوك الأبوين ويقلدّهم (فيعمل ما يعمله أبواه) [1].

وبما ان (اللعبة المفضلة في تلك الأعمال هي لعبة العريس والعروسة)[2].

لذا فإنّ الأطفال سيمارسون في لعبهم ما شاهدوه من ممارسات جنسية من قبل الوالدين، وقد يستمرّون عليها في مراحل العمر المتقدّمة.

فيجب على الوالدين التجنّب عن ذلك، والتجنب عن مقدماته كالتقبيل وغيره ومن الخطأ الفاحش الذي يقوم به بعض الوالدين هو التحدث عن أمور الجنس أمام الأطفال في بعض المناسبات، فإن ذلك يدفع الأطفال إلى زيادة فضولهم، وعلى الوالدين أن يحتاطوا في إجراء المباشرة حتى في حالة نوم الطفل خوفاً من استيقاظه فجأة، فإنّ ذلك يولد في أعماقه صدمة نفسية تبقى كامنة في اللاشعور.

وعلى الوالدين أن يراقبوا سلوك أبنائهم وطريقة ألعابهم، وخصوصاً في أماكن اختلائهم بعضهم بالبعض الآخر.

ويجب على الوالدين وقاية الأطفال من الإثارة الجنسية، وهو التفريق بينهم في حالة المنام، بأن توضع فاصلة بينهم فلا ينامون تحت غطاء واحد بحيث يحتك جسم أحدهم بالآخر، وقد وردت عدة روايات تؤكد هذه الوقاية أن ﷺ يفرّق بين الصبيان في المضاجع لعشر سنين.

والتفريق مطلق بين الذكور والذكور، وبين الإناث والإناث، وبين الذكور والإناث.

وفي وقتنا الحاضر وبعد انتشار أجهزة السينما والتلفزيون والفيديو تكون الحاجة شديدة إلى إبعاد الطفل عن الإثارة الجنسية، ويجب على الوالدين في البلدان التي لا تتبنى الإسلام منهجاً لها في الحياة، وتعرض الأفلام المثيرة، ان يقوما بجهدٍ إضافي في مراقبة الأطفال ووقايتهم من النظر إلى هذه الأجهزة حذراً من مشاهدة الأفلام غير المحتشمة، وفي الخصوص في البلدان التي ترى أن أفضل أسلوب لتحرير الأطفال من الكبت المستقبلي هو عرض الأفلام الجنسية، وقد أثبت علماء النفس والتربية صحة النظرية الإسلامية في ذلك فالدكتور سپوك الأمريكي يقول: (إن النسبة المعتدلة من التحريم التي فرضت علينا جميعاً أثناء الطفولة والتي نقلناها نحن بدورنا إلى أبنائنا، تلعب دوراً إيجابياً، في تحرير عقل الطفل في أثناء

(١) التربية وبناء الأجيال، لأنور الجندي: ١٦٦ - دار الكتاب بيروت ١٩٧٥ م ط١.

(٢) مشاكل الآباء: ٢٠٥.

سنوات الدراسة للتفرغ لاهتمامات غير ذاتية مثل الكتابة والقراءة والحساب)[1].

ولذا نراه ينتقد الممارسات الخاطئة في أمريكا وهو عري الرجال وعري النساء على الشواطئ الأمريكية.

وخلاصة القول: إنّ على الوالدين أن يجيبوا على أسئلة الأطفال حول مسائل الجنس بهدوء لا تزمّت فيه، وأن يبعدوهم عن الإثارة الجنسية بمختلف ألوانها وأشكالها وخصوصاً في عصر السينما والتلفزيون والفيديو.

* * * * *

المبحث السابع:
تنمية العواطف

العواطف من أهم دوافع الإنسان للعمل، وتبدأ العواطف كما تقدم منذ الأيام الأولى في مرحلة الرضاعة ثم تنمو بالتدريج حينما يتقدم الطفل في العمر، وحينما يتسع محيطه الاجتماعي، ويتأثر نمو العواطف وتغيّرها بالفكر الذي يؤمن به الطفل في حدود إدراكه العقلي، فحينما يؤمن الطفل بأنّ أداء العمل الفلاني يرضي والديه أو يرضي الله تعالى فإنه يندفع لأدائه، والعكس صحيح، ويمكن تقسيم العواطف إلى أربعة أقسام: الفردية، والعالية، والاجتماعية، والخلقية.

ونقصد بالعواطف الفردية: هي العواطف التي تتعلق بذات الإنسان كحب التملك وحب الاستقلال وحب التفوق على الآخرين، وحب المكانة الاجتماعية واحترام الآخرين له، وهي العواطف التي تجلب له المنفعة الشخصية والذاتية.

والعواطف العالية: هي العواطف التي تسمو بالطفل في حدود إدراكه العقلي إلى المثل الأعلى فتحبّب إليه الارتباط والتعلّق بالمطلق وهو الله تعالى مصدر اللطف والإنعام والرأفة والرحمة، وتحبّب إليه الحقيقة والخير، وليس فيها تحصيل المنفعة الشخصية والذاتية.

والعواطف الاجتماعية: هي العواطف التي تدفعه إلى الارتباط بالآخرين ابتداءً بالوالدين والإخوة والأخوات والأقارب وانتهاءً بالمجتمع والإنسانية جمعاء.

والعواطف الخلقية هي العواطف التي تتعلق بالممنوع وغير الممنوع من أنواع السلوك، كالتعلق بالصدق وترك الكذب، وسائر الأخلاق الممدوحة والمذمومة.

---

(١) مشاكل الآباء: ٢٨٤.

وأفضل الطرق والوسائل لتنمية العواطف عند الطفل من قبل الوالدين: إشعاره بالحب عن طريق إحاطته بالحنان والرأفة وإشباع حاجاته المادية والروحيّة، فاذا استشعر الطفل بذلك فإنّه يرتبط ارتباطاً عاطفياً بمصدر الحب والحنان وهما الوالدان فتزداد ثقته بهما وتقليدهما، والاستجابة أو الاقتناع بكل ما يطرحانه عليه من أفكار ومفاهيم ومثل، ويكون مستعداً للاستجابة إلى أوامرهم وتنفيذ ما يطلبانه منه، فتصبح لهما القدرة على الهيمنة على عواطفه، وتوجيهها توجيهاً حسناً، ومتابعة خبراته ونشاطاته وخصوصاً أثناء اللعب، فيتمّ لهما العمل على تنمية عواطفه وتهذيبها بالصورة المنسجمة مع المفاهيم والقيم الصالحة وخلق التوازن بين مختلف أنواع العواطف لديه، وأهم العواطف التي يجب تنميتها هي العاطفة نحو الله تعالى، فتنمو عنده مشاعر الحب والثقة بالله تعالى والتقديس له، حينما يؤمن بأن الله تعالى هو مصدر الإنعام والرحمة والمغفرة، وأنه تعالى خلق النعيم الدائم في الجنة للصالحين والمطيعين، ويجب على الوالدين تنمية عواطف الطفل اتجاه رسول الله ﷺ وسائر الرسل والأنبياء وأفضل طريقة في هذا المجال: هي طريق السرد القصصي الهادف، والذي يحقق فائدتين:

الأولى: تعميق حبّهم في قلبه.

والثانية: محاولة الاقتداء بهم بعد التعلق بسلوكهم في الحياة.

فتنمو في داخله العواطف المختلفة كحب الإخلاص وحب الكرامة وحب الشجاعة والكرم والإيثار وحب القيم والسلوك الصالح، والابتعاد عن كلٍّ ما ابتعدوا عنه، وتنمو عواطف البغض والكره والنفور من الذين خالفوهم ووقفوا في مواجهتهم واجتناب سلوكهم في الحاضر أو في المستقبل.

ومن الأساليب الأخرى لتنمية العواطف: هو الإرشاد والتوجيه المستمرين، حتى يفهم الطفل المسموح والممنوع من السلوك، وكذلك التشجيع على الارتباط والتعلق بالقيم والاعمال الصالحة، والتشجيع على ممارستها في الواقع، فحينما يعطي شيئاً من ألعابه لطفل آخر يتم تشجيعه على ذلك بالكلام الحسن، وتعويضه بإهداء لعبة أُخرى له، وحينما يصدق في قوله، أو يحترم الآخرين أو يرأف بالفقراء أو يساعد إخوانه أو والديه في أداء بعض الأعمال يشجّع على ذلك بالمدح والثناء والإطراء أمامه وأمام الأسرة وأمام أقاربه وأصدقائه.

والتعامل مع الطفل كصديق يشجّعه على التعبير عن عواطفه ومشاعره المكبوتة وهذا التعبير مفيد جداً في تحقيق التوازن العاطفي، وتهذيب العواطف غير المرضيّة.

ونحن نجد من خلال التجربة أنَّ الأسلوب القصصي من أفضل الأساليب في تنمية العواطف، وخصوصاً الأسلوب المنسجم مع إدراكه وقدرته العقلية، فيمكن أن نقصَّ عليه قصصاً عن الطيور والحيوانات تتضمن القيم الصالحة والقيم الطالحة التي يتخذها الطير الفلاني أو الحيوان الفلاني فتنمو عنده العواطف اتجاه العدل أو التعاون أو الإيثار أو القيم الأخلاقية الأخرى، وتنمو عنده عاطفة حبّ المظلومين وبغض الظالمين.

والقصص عن الطيور والحيوانات مرغوبة ومحبّبة لدى أطفال هذه المرحلة، فيستمعون إليها بشوق وتلهّف أكثر من القصص الواقعية، وتتضمن أحداثاً كثيرة تتوقف على خيال الوالدين في السرد القصصي، وتكون شاملة لإظهار جميع أنواع وأقسام العواطف.

مرحلة ما بين السابعة والعاشرة:

في هذه المرحلة يمكننا أن نحكي لهم مواقف الرسول ﷺ مع الأطفال، وحبه لهم، ورحمته بهم، واحترامه لهم، وملاطفته ومداعبته لهم... وهي مواقف كثيرة فيما يلي نذكر بعضها، مع ملاحظة أن البنت سوف تفضل حكاياته مع البنات، والعكس؛ ولكن في جميع الأحوال يجب أن يعرفونها كلها؛ فالقصص تحدث آثاراً عميقة في نفوس الأطفال وتجعلهم مستعدين لتقليد أبطالها.

أ – موقفه مع حفيديه الحسن والحسين، حيث كان ﷺ يحبهما ويلاعبهما ويحنو عليهما، وفيما يلي بعض المواقف لهما مع خير جد.

عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ، فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر الرسول الكريم، وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي؛ فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: " يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يُوحى إليك، فقال: **«كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»** [1]!

---

(١) سنن النسائي (١١٢٩).

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: "كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما، ووضعهما بين يديه، ثم قال: **«صدق الله إنما أموالُكم وأولادُكم فتنة، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»** (١).

أبا هريرة رضي الله عنه قال: " قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده "الأقرع بن حابس التميمي "جالس، فقال الأقرع: "إن لي عشرة من الولد، ماقبَّلت منهم أحداً"، فنظر رسول الله ﷺ إليه ثم قال: **«مَن لا يَرحم لا يُرحم»**، وروت عائشة رضي الله عنها أن أعرابي جاء إلى النبي ﷺ وقال: **«أتقبِّلون صبيانكم؟!»** فما نقبِّلهم"، فقال له النبي ﷺ : **«أو أملِك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»** (٢).

وكان ﷺ يتواضع للأولاد عامة، ولأولاده خاصة، فكان يحمل الحسن رضي الله عنه على كتفه الشريفة، ويضاحكه ويقبله، ويريه أنه يريد أن يمسك به وهو يلعب، فيفر الحسن هنا وهناك، ثم يمسكه النبي ﷺ. وكان يضع في فمه الشريف قليلاً من الماء البارد، ويمجه في وجه الحسن، فيضحك.

ومن تمام حبه لهما وحرصه على مصلحتهما أنه كان يؤدبهما بلطف مع بيان السبب، فقد روي أبو هريرة قائلا: "أخذ الحسن بن علي رضي الله تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ : **«كخ، كخ، إرم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة؟»**.

ب – وموقفه مع أخٍ أصغر لأنس بن مالك، وكان يُدعى "أباعمير"، حين علم أنه اشترى عصفوراً، وكان شديد الفرح به، فكان ﷺ يداعبه كلما رآه قائلاً: **«يا أبا عمير مافعل النغير؟»** – والنغير صيغة لتصغير "النُغَّر"، وهو العصفور الصغير – وذات مرة كان ﷺ يمشي في السوق فرآه يبكي، فسأله عن السبب، فقال له: "مات النغير يا رسول الله"، فظل ﷺ يداعبه، ويحادثه، ويلاعبه حتى ضحك، فمر الصحابة بهما فسألا الرسول ﷺ عما أجلسه معه، فقال لهم: **«مات النغير، فجلست أواسي أبا عمير»** (٣)!

ج – رحمته ﷺ لبكاء الصبي في الصلاة، حتى أنه كان يخففها، فعن أنس رضي الله عنه قال: " ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم من النبي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي، فيخفف عنه مخافة أن تُفتن أمه"، ويؤكد الرسول ﷺ ذلك بنفسه،

---

(١) سنن النسائي (١٣٩٦).

(٢) مسند أحمد (٢٣١٥٦).

(٣) مسند أحمد (١١٦٩٤).

فيقـول: **«إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكاءه»** [1].

د - " اصطحابه ﷺ الأطفال للصلاة ومسحه خدودهم، رحمة وإعجاباً وتشجيعاً لهـم، فعـن جابر بن أبي سمرة رضي الله عنه قال: "صليت مع رسـول الله ﷺ صـلاة الأولى - أي الظهـر - ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحـداً، قـال: "وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها ﷺ من جونة عطار"**!!**

هـ - إعطاؤه ﷺ الهدايا للأطفال فعن أبي هريرة قال: " كان النـاس إذا رأوا أول الثمـر جاؤوا به رسول الله ﷺ، فإذا أخذه قال: **«اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدِّنا»**، ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر**!!!** [2].

و- صلاته ﷺ وهو يحملهم، فقد ثبت في الصحيحين عن "قتادة " أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله، وهي لأبي العاص بن الربيع، فـإذا قـام حملها، وإذا سجد وضعها، فلما سلَّم حملها [3].

ز - احترامه ﷺ للأطفال، ودعوته لعدم الكذب علـيهم، فقـد كـان الصـغار يحضـرون مجالس العلم والذكر معه، حتى كان أحد الغلمان ذات يوم يجلس عن يمين الـنبي ﷺ، وعلـى يساره الأشياخ، فلما أتى النبي بشراب شرب منه، ثم قال للغـلام: **«أتـأذن لي أن أعطـي هؤلاء؟»** فقال الغلام: " لا يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فأعطاه لـه النبي ﷺ [4]**!!**

وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه، قال: "دعتني أمـي ورسـول الله ﷺ قاعـد في بيتنـا فقالت: ها تعال أعطك"، فقال لها ﷺ : **«ما أردت أن تعطيه؟»** قالت: "أعطيـه تمـرا"، فقـال لها: **«أما أنك لو لم تعطِه شيئا كُتبت عليك كذبة**[5].

---

(١) سنن ابن ماجه (٩٨٠).

(٢) رواه مسلم.

(٣) مسند أحمد (٢١٤٨٦).

(٤) صحيح البخاري (٥١٨٩).

(٥) سنن أبي داود (٤٣٣٩).

ح – وصيته ﷺ بالبنات – حيث كان العرب يئدونهن في الجاهلية – قائلاً: **«من كـــان لــــه ثلاث بنات فصبر على لأوائهن، وضرائهن، وسرائهن دخل الجنة»** فقال رجل: "وثنتان يا رسول الله؟ " قال: **«وثنتان»**، فقال آخر: " وواحدة؟ " قال: **«وواحدة»** [1].

ط – حرصه ﷺ على إرشادهم إلى الصواب وتصحيح مفاهيمهم وأخطـائهم بالحكمـة، وبصورة عملية لاستئصال الخطأ من جذوره؛ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أن أحد أصحابه ﷺ وكان مولى من أهل فارس قال: "شهدت مع الـنبي ﷺ غـزوة أُحـد فضربت رجلاً من المشركين فقلت: "خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليَّ النبي وقال: **«هلا قلت خذها مني وأنا الغلام الأنصاري؟»**.

ى – تعليمه ﷺ لهم حفظ الأسرار، "فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: "أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليّ حديثا لا أحدث به أحداً من الناس")[2]

ك – رفقه بخادمه "أنس بـن مالـك" رضـي الله عنـه، حيـث كـان يناديـه ب"يـا بُـني" أو "يا أُنيس" – وهي صيغة تصغير للتدليل – يقول أنس: " خدمت الـنبي ﷺ عشـر سـنين، والله ما قال لي أف، ولا لِم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟.

ل – عقده ﷺ المسابقات بين الأطفال لينشِّط عقولهم، وينمِّي مـواهبهم ويرفـع همَّـتهم، ويعزِّز طاقاتهم المخبوءة، فقد تصارع "سمرة"، و"رافع" رضي الله عنهما أمـام رسـول الله ﷺ عندما أرادا الاشتراك في جهاد الأعداء فردهما رسـول الله لصـغر سـنهما، فزكـى الصـحابة "سمرة" لأنه يحسن الرمي، فأجازه ﷺ، فقال "رافع" أنه يصارعه – أي أنه أقـوى منـه – رغـم أنه لا يحسن الرمي، فطلب الرسول الكريم منه أن يصارعه، فـدخلا معًـا مبـاراة للمصـارعة فصرعه رافع، فأجازهما رسول الله ﷺ **!!**

م – رحمته ﷺ بالحيوان، ومن الأمثلة على ذلك:

قصته مع الغزالة، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال: مر رسول الله ﷺ على قوم قد اصـطادوا ظبيـة فشـدوها علـى عمـود فسـطاط فقالـت: يـا رسـول الله إنـي أُخـذت ولـي خشفان(رضيعان) فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم فقال: **«أين صاحب هـــذه؟»** فقـال القوم: نحن يا رسـول الله"، قـال: **«خلُّوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم»**، فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: **«أنا»** فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إلـيهم فأوثقوهـا فمر بهم رسول الله ﷺ فاشتراها منهم وأطلقها.

---

(١) سنن ابن ماجه (٣٦٥٩).

(٢) صحيح مسلم (٥١٧).

وقصته مع الجمل الذي رآه ﷺ حين دخل بستاناً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل فما إن رأى النبي ﷺ حتى حنَّ وذرفت عيناه فأتاه الرسول الكريم فمسح ذفراه فسكت، فقال الرسول ﷺ : **«من رب هذا الجمل؟»** (1).

فقال فتى من الأنصار: " أنا يا رسول الله، فقال له: **«ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي أملكك الله إياها؟! فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»** (2).

* وهذا جمل آخر كانت تركبه السيدة عائشة رضي الله عنها لتروِّضه، فجعلت تذهب به وتجيء، فأتعبته، فقال لها ﷺ : **«عليك بالرفق يا عائشة»** (3).

... وهكذا إلى آخر الحكايات المروية عنه ﷺ المتاحة بكتب السيرة المعروفة، مما يناسب هذه المرحلة العمرية.

وإذا استطعنا أن نصحب طفلنا معنا لزيارة قبر الرسول ﷺ بعد التمهيد له عن آداب المسجد – وخاصة المسجد النبوي والمسجد الحرام – وبعد أن نوضح له أن الله تعالى يرد عليه روحه حين نصلي عليه، ليرد علينا السلام؛ ونوضح له أننا حين ندعو ونحن بجوار القبر الشريف يجب أن نكون متوجهين للقبلة، فالمسلم لا يدعو إلا الله، ولا يرجو سواه.

كما نعرِّفه فضل الروضة الشريفة، ثم نحرص على أن نصحبه ليقضي بها ماشاء الله له.... فنحن نتكلف الكثير من أجل تعليم أولادنا – لضمان مستقبلهم الدنيوي – والترفيه عنهم، وكسوتهم... إلخ وفي رأي كاتبة هذه السطور أن هذه الزيارة لا تقل أهمية عن كل ذلك؛ فهي تعلِّمه وترفع من معنوياته، وتزيده قربا من الله ورسوله، ومن ثمَّ تؤمن له مستقبله في الآخرة إن شاء الله!

وقد ثبت بالتجربة أن هذه الزيارة إذا كانت في المراحل الأولى من عمر الطفل، فإنها تكون أشد تأثيراً وثباتاً في نفس الطفل، بل وأكثر معونة له على الشيطان، وعلى الالتزام بتعاليم الدين في بقية عمره؛ هذا إن أحسن الوالدان التصرف معه أثناء هذه الرحلة المباركة، وساعداه على أن يعود منها بذكريات سعيدة بالنسبة له كطفل.

وإذا أوضحنا له أن هذه الزيارة مكافأة له على نجاحه مثلاً، أو لحسن خُلُقه، أو غير ذلك كان التأثير أبلغ، وكان ذلك أعون له على مواصلة ما كافأناه من أجله.

(1) مسند أحمد.

(2) سنن الترمذي.

(3) سنن أبي داود.

ومما يعين أيضاً على حبه ﷺ أن نكافئ الطفل على صلاته على النبي عشر مرات – مثلا – قبل النوم، وبعد الصلاة، وعندما يشعر بضيق أو حزن... حتى يتعود ذلك في هذه المرحلة ينبغي أن نحبب إليهم الإسلام من جانبين:

أولاً: كدين لــه أركان:

١ – شهادة التوحيد: (فإذا عرفوا الله تعالى في وقت مبكر تنامت هذه المعرفة، وتراكم هذا العلم، وتعمقت تلك التجربة، وكلما ازدادوا يوماً في عمرهم، ازدادوا قرباً من الله عز وجل، فالذي يشب على طاعة الله شيء، والذي يتعرف إلى الله في وقت متأخر شيء آخر، وكُلاً وعد الله الحسنى).

فالله ربنا واحد لا شريك لـه ولا نظير ولا وزير، فلا يصح أن يكون هناك أكثر من قائد للمجموعة الواحدة وإلا اختلفا وفسد أمر هذه المجموعة، كما أننا لا نراه بأعيننا لأننا لن نحتمل ذلك، لأن نوره أقوى من أن تتحمله أعين-نا، ويمكن أن نحكي لهم قصة موسى عليه السلام والجبل.

ولكننا نستطيع أن نراه سبحانه في الجنة فقط؛ فهذه هي أعظم نعمة يمن بها الله تعالى على عباده المتقين في الجنة.

أما في الدنيا فهو – سبحانه – يرانا ويسمعنا أينما كنا، ونحن نشعر به ونراه في كل شيء جميل من مخلوقاته، وقد كان الرسول ﷺ حين يرى الهلال أول كل شهر ينظر إليه قائلاً: **«ربي وربك الله»!**

٢ – الصلاة: إن الصلاة عماد الدين، بها يقام، وبدونها يهدم – والعياذ بالله – لذا فإن تعليمهم إياها وترغيبهم فيها من أهم واجبات الوالدين التربوية، وفي تفصيلات هذا الموضوع يتحدث مقال بعنوان "كيف نحبب الصلاة لأبناءنا؟ ".

٣ – الزكاة: في هذه المرحلة يتم تدريب الطفل على الزكاة من خلال تدريبه على الصدقة، فنتصدق أمامه بما تيسر، ونخبره أن الصدقة تطفئ غضب الرب وأن المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة، فقد قال الرسول ﷺ عن فضلها:

عن النبي ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ،**

ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت

عيناه» [1].

«تصدقوا ولو بتمرة؛ فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار».

«داووا مرضاكم بالصدقة».

فالمال الذي نملكه هو مال الله عز وجل استودعه لدينا ليختبرنا به، ويرى ماذا سنصنع؟ كما ينبغي أن نشرح لـه الآية القرآنية:**{مَثَلُ الذين يُنفقون أموالَهم في سبيل الله كَمَثَل حبةٍ أنبَتَت سبعَ سنابلَ في كل سنبلةٍ مائةُ حبة، واللهُ يُضاعفُ لمن يشاء}**[2].

وأن نعطيه الصدقة ليعطيها بنفسه للفقير والمحتاج، ليشاركنا الأجر، ويشعر بحلاوة ذلك ويعتاده.

ونعلّمه أن التصدق لا يكون بالمال فقط، وإنما بالملابس، والأحذية والكتب، والحلوى، والآنية، والأدوات المدرسية... وما إلى ذلك من الأغراض التي تزيد عن حاجتنا، ويمكن أن يحتاجها الفقراء.

وجدير بالذكر أن الطفل في نهاية هذه المرحلة يكون أكثر حرصاً على ممتلكاته، وأشد اهتماماً بأناقته وحسن مظهره من ذي قبل، فإذا رفض التصدق من ملابسه وأحذيته مثلاً، تركناه كما يشاء، واقترحنا عليه أن يتصدق من لعبه أو كتبه، أو غير ذلك مما يختاره هو، ولا ينبغي أبداً أن نُكرهه على الصدقة، أو غيرها، ولنتذكر قول الله تعالى:**{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين}**[3].

ويمكن أن نخصص في البيت صندوقاً للصدقات يضع فيه الوالدان والأولاد ما هم في غنى عنه أو ما يستطيعون التصدق به، وكلما امتلأ قاموا بترتيب هذه الأغراض وأعطوها لمن يستحقها.

وينبغي أن نخبره بأن الصدقة (تحفظ المال من الآفات والمُهلكات والمفاسد، وتحل فيه البركة، وتكون سبباً في إخلاف الله على صاحبها بما هو أنفع له وأكثر وأطيب، وقد دلت على ذلك النصوص الثابتة والتجربة المحسوسة؛ فمن النصوص الدالة على أن الصدقة جالبة للرزق قول من لا تنفد خزائنه:**{وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**[4].

كما نخبره بأن الأمر لا يقتصر على المجازاة على الصدقة بمثلها؛ بل يتجاوز ذلك إلى حال

---

(١) البخاري (٦٢٠).

(٢) البقرة: (٢٦١).

(٣) البقرة: (٢٥٦).

(٤) سبأ: ٣٩.

المتصدق عليه؛ إذ بمقدار إدخالها للسرور عليه، وإزالتها لشدائده، وتفريجها لمضايقه، وإصلاحها لحاله، ومعونتها له وسترها عليه؛ ينال المتصدق أجره من الله من جنس ذلك، يدل على ذلك قوله ﷺ : **«من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على مُعسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»** [١].

وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع ذلك فقال ﷺ : **«كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا...»**، وينبغي أن نحكي لهم أمثال القصص التالية:

قوله ﷺ : **«بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: "اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة (أرض ذات حجارة سوداء)؛ فإذا شرجة (ساقية) قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: " يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ " فقال: "إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان – لاسمك – فماذا تصنع فيها؟ " قال: "أما إذ قلتَ هذا؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه»** وفي رواية: **«وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين»** [٢].

وقصة الرجل الذي اشترى حُلة، فتصدق بحُلته القديمة، ثم جاءه مسكين، وفي يده رغيفاً، فأعطاه كسرة منه، ثم رأى أعمى قد ضل الطريق، فمشى معه وأرشده حتى وصل إلى غايته؛ فلما لقي ربه ورأى ثواب أعماله تلك؛ قال متحسراً: "يا ليتها كانت الجديدة (أي الحُلة)، يا ليته كان كله (أي رغيف الخبز)، يا ليته كان بعيداً (أي المشوار)

وقصة الأبرص، والأقرع، والأعمى الذين عافاهم الله تعالى ورزقهم؛ ثم نسوا فضل الله عليهم ولم ينفقوا مما رزقهم، إلا الأعمى فرضي الله عنه وسخط على صاحبيه.

فإذا استقر حب الصدقة في قلب الطفل ونفسه ورأيناه بدأ يتصدق من مصروفه أعلمناه أن الله تعالى فرض على المسلم أن يعطي المحتاجين نسبة قليلة ينبغي حسابها بدقة، هذه النسبة تعد أقل بكثير من الصدقات التي ننفقها، هذه الفريضة هي الزكاة، ونحن لسنا مُخيَّرين في أن ننفقها وإنما نحن مخيرون في الصدقة فقط!

كما ينبغي أن يعلم الطفل أن زكاة القوة أن نعين الضعفاء، وزكاة العلم أن نعلِّم

---

(١) مسند أحمد (١٠٣٤٣).

(٢) مسند أحمد (٦٧٠٠).

الجاهلين، وزكاة الصحة أن نعود المرضى ونقضي حوائجهم... وهكذا؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: " يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني المسجد النبوي) شهرا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»** صدق رسول الله ﷺ [(١)].

٤ – الصوم: لقد فرض الإسلام تعليم الصبي الصلاة منذ السابعة من العمر حتى العاشرة، أما الصيام فهو أشق على النفس من الصلاة... ولكنه أحياناً يكون لدى بعض الأطفال الكسالى – الذين يُعرضون عن الطعام بطبيعتهم – أيسر من الصلاة!!! بينما نجده مشكلة لدى الطفل الأكول، لذا فإنه من واجبنا أن نعلِّمهم: **«نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»** ونعينهم على تنفيذه اتباعاً للسنة، وتمهيداً لتيسير الصيام عليهم بالتدريج، ثم صيانةً لهم من الأمراض في المستقبل.

وبشكل عام، فإن تدريبهم على الصيام ينبغي أن يتم تدريجياً، ووفق الظروف الصحية للطفل؛ ففي شهر رمضان من كل عام، يرى الطفل والديه، والكبار من الأقارب والجيران والمدرسين يصومون فيشعر بالغيرة والرغبة في تقليدهم، لذا يجب أن نعينه على ذلك وننتهز هذه الفرصة بأن نشجعه ونتركه يصوم لمدة ساعتين مثلاً، ثم نزيد عدد الساعات حسب قدرة الطفل، وإذا رغب في الطعام تركناه حتى يشعر أن هذا أمر يخصه وأنه شيء بينه وبين ربه، ولا ينبغي أبداً أن نخاف عليه من الضعف أو الهزال؛ فشهر رمضان كالعطر يتبخر سريعاً، كما أن الطفل إذا اشتد به الجوع، فسيكون أمامه أحد أمرين:

إما أن يأكل لأنه لم يعد يتحمل الجوع، وبذلك نطمئن عليه.

وإما أن يحاول أن يتحمل الجوع ويجاهد نفسه، وبذلك يتعود مجاهدة النفس والصبر على طاعة الله، فنطمئن عليه أكثر!!!

---

(١) مسند أحمد (٢٤٢٩٩).

ولا ينبغي أن ننسى مكافأته على اجتيازه فترة الصوم المحددة بنجاح، ويكون ذلك بزيادة مصروفه مثلاً، أو أن تقول لـه الأم مثلاً: "أنا فخورة بـك، فقـد أصـبحت الآن مثـل الكبـار تستطيع مجاهدة نفسك ومقاومة الشعور بالجوع والعطش"

وإذا جاء شهر رمضان في أيام الدراسة فللطفـل الـذي لا يـزال في مرحلـة التـدريب أن يختار أن يصوم في فترة وجوده بالمدرسة، ثم الإفطار بقية اليوم؛ أو العكس... حتـى يسـتطيع أن يتم اليوم، خاصة وأن بعض المدارس تقلـل سـاعتين مـن فـترة الـدوام في رمضـان بينمـا تتوقف الدراسة في هذا الشهر في البعض الآخر.

ولنتذكر أن مستقبل الطفل الحقيقي هو الآخرة، لذا ينبغي أن نعده لهـا خـير إعـداد وأن نخاف عليه من مخالفة أوامر الله أكثر مما نخاف عليه من الضعف أو التقصير في الدراسة.

٥ – الحج: مما يساعد على تهيئة نفس الطفل لحـب فريضـة الحـج والشـوق إليهـا أن نصحبه معنا لأداء العمرة بعد أن نتحدث معه عن مشاعر المسلم هناك ومدى كرم الله تعـالى لضيوفه وترحيبه بوفده، والرحمات التي تحيط بالكعبة ومواطن إجابة الـدعاء حولهـا، وفضـل وحلاوة زيارة قبر الرسول ﷺ، والبقاء في الروضـة الشـريفة... والأهـم مـن ذلـك أن يـرى الوالدين مشتاقين إلى هذه الرحلة ويسمعهما يتحدثان عنها، ويعدان لها بفرحة.

وبعد ذلك يمكننا أن نخبره بأن الحج – وهو صورة مكبرة من العمرة – فرض علـى كـل مسلم ومسلمة في العمر مرة وأنه واجب على كل مستطيع بـالغ عاقـل، والاسـتطاعة تكـون بالمال، والصحة، وتوفُّر الأمن حول طريق الحج.

وأن **«الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب»** [1]، كما قال ﷺ.

ولفضيلة الشيخ الشعراوي – رحمة الله تعالى عليه – قول في هـذا، وهـو: "إن المسـلم لا ينبغي أن يعيش مرفهاً مترفاً ثم يقول: " أنا لست مستطيعاً من الناحية المادية إذن لـيس لـي حـج" ولهؤلاء أقول أن الاستطاعة المادية تعني أنك لديك ما يفيض عن سد حاجاتـك الأساسـية، فـإذا كان لديك جهاز تبريد (ثلاجة) مثلاً، فعليك ببيعها وادخار ثمنها للحج"!! أ. هـ.

ولمثل هؤلاء تقول أيضاً كاتبة هذه السطور: "أن من نوى طاعة ربه أعانـه تعـالى بقدرتـه على ذلك، ومن تكاسل وماطل وكَّله الله إلى نفسه"

وقد ثبت بالتجربة أن من يدَّخر من قوته ولو بمقدار جنيه مصـري كـل يـوم بنيـة تأديـة فريضة الحج أو حتى الذهاب للعمرة؛ فإن الله تعالى يبارك لـه في هذا المـال، ويزيـده لـــه بمـا يكفيه لذلك،

---

(١) مسند أحمد (١٥١٤٢).

ويشكل يتناسب مع قدرته تعالى... وصدق الله العظيم القائل:**{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}**[1].

ومثل هذه الأفكار يجب أن يسمعنا أطفالنا ونحن نقولها ونحكيها لغيرنا حتى تترسب في عقولهم الباطنة ويشبُّوا عليها، فيصبحون مسلمين حقاً.

* * * * *

الفصل الثاني:
مرحلة ما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة

يمكن في هذه المرحلة أن نحكي لـه - بطريقة غير مباشر ة - عن أخلاق وطباع الرسـول

(١) الطلاق: ٢، ٣.

ﷺ ؛ أي أثناء اجتماع الأسرة للطعام أو اجتماعها للتنزه في نهاية الأسبوع، أو نقـوم بتشـغيل شريط يحكي عنه في السيارة أثناء الذهاب للنزهة ونهـديهم كتبـاً تتحـدث عنـه ﷺ بأسـلوب قصصي شيق، مثل: "إنسانيات محمد" لخالد محمد خالد، و"أخلاق النبي ﷺ " لنجـوى حسـين عبد العزيز، و" معجزات النبي ﷺ للأطفال " لمحمد حمزة السعداوي".

ومما يمكن أن نحكي لهم في هذه المرحلة:

* * * * *

المبحث الأول:
مرحلة الصبا والفتوة

تبدأ هذه المرحلة من نهاية العام السابع إلى نهاية العام الرابع عشر من عمر الطفل، وهي مرحلة إعداد الشخصية ليصبح الطفل راشداً ناضجاً وعضواً في المجتمع الكبير، وفي بداية هذه المرحلة أو قبلها بعامٍ ينتهي بالتدريج تقليد الطفل للكبار ويبدأ بالاهتمام بما حوله، وتكون إمكانياته العقلية قادرةً على التخيّل المجرد، وقادرة على استيعاب المفاهيم المعنوية.

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بالتفكير في ذاته وينظر إلى نفسه أنها كائن موجود مستقل، له إرادة غير إرادة الكبار، فيحاول أن (يتحدى وأن يفعل ما يغيظ الأهل ليعلن أنه كائن موجود مستقل).

ويحاول التأكيد على استقلاليته بشتى الوسائل والمواقف والتي تكون غالباً مخالفة لما ألفه في المرحلة السابقة، فيختار كل ما يخصّه أو يتعلّق به بأسلوبه الخاص وبالطريقة التي يفهمها، فيكون له ذوق خاص في اختيار ملابسه، والرغبة في اكتساب المهارات العقلية والعلمية بمفرده، ويحاول إقامة علاقات اجتماعية مع بقية الأطفال بالطريقة التي يختارها.

وهذه المرحلة هي من أهم المراحل التي ينبغي للوالدين إبداء عناية تربوية إضافية بالطفل؛ لأنّها أول المراحل التي يدخل فيها الطفل في علاقات اجتماعية أوسع من قبل، وهي مرحلة الدخول في المدرسة.

ومن العوامل المؤثرة في إعداد وبناء شخصية الطفل، علاقاته مع والديه وباقي أفراد أُسرته، هذه العلاقة بجميع تفاصيلها تؤدي إلى اتّصافه بصفات خاصة تصحبه حتى الكبر، وللمدرسة أيضاً أثر عميق في شخصيته حيثُ يجد فيها أطفالاً من مختلف المستويات العلمية أكثر أو أقل منه ذكاءً أو أكثر أو أقل نشاطاً منه (فيباريهم أو يتغلب عليهم أو يخضع لهم فيؤثر ذلك في تكوين شخصيته)[1].

وهنالك عوامل أُخرى مؤثرة في بناء الشخصية وهي مواصفات الجسم من حيثُ الطول والقصر ومن ناحية الضخامة والضعف، ومن ناحية الصحة والمرض.

---

(١) علم النفس، لجميل صليبا: ٣٨٥.

ومن أهم العوامل الأخرى هو تأثير الأفكار التي تعلمها الطفل في بناء شخصيته وفي هذه المرحلة تزداد حاجاته، فيجب على الوالدين إشباعها ومنها[1] الدوافع الحيوية كالحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

والحاجة إلى السلامة النفسية والعاطفية والتحرر من القلق.

والحاجة إلى القبول من قبل المجتمع أثناء علاقته به.

والحاجة إلى الاهتمام به وتقدير مكانته.

والحاجة إلى تعلم المهارات اللازمة للنجاح في الحياة الجديدة.

ونضيف إلى ذلك الحاجة إلى فلسفة وأفكار ومفاهيم ملائمة لمستواه العقلي، وهذه المرحلة هي مرحلة الحاجة إلى التربية المكثّفة والمتابعة المكثّفة، مع ملاحظة الحاجة إلى الاستقلال المتولدة عند الطفل.

فهذه المرحلة مرحلة تربوية شاقّة لرغبة الطفل في الاستقلال، ولتوسع علاقاته خارج الأسرة، فتحتاج إلى جهد متواصل في التربية والمراقبة في جميع ما يخصُّ الطفل، في أفكاره وعواطفه وفي علاقاته، وفي دراسته وتعلمّه، وفي إشباع حاجاته المختلفة فهو بحاجة إلى التوجيه المستمر والارشاد والتعليم، والمساعدة في رسم طريق الحياة وتحمّل ما يصدر منه برحابة صدر وانفتاح مصحوباً بالحسم في كثير من الأحوال. وتتحدد معالم هذه المرحلة بما يأتي:

* * * * *

المطلب الأول:
تكثيف التربية

التربية الصالحة وحسن الأدب من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين، وهي حق للطفل أوجبه الإسلام على الوالدين، والطفل في هذه المرحلة التي تسبق بلوغ سن الرشد بحاجة إلى تربيّة مكثّفة وجهد إضافي، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «وأمّا حق ولدك... إنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه»[2].

---

(١) علم النفس التربوي، لفاخر عاقل: ٤٧٨ - ٤٨٦.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ٥٤٦.

ولحراجة المرحلة التي يمرُّ بها الطفل فإنّ الوالدين بحاجة إلى الرعاية الإلهية للقيام بمهام المسؤولية التربوية، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «اللهّم ومُنّ عليّ ببقاء ولدي... وربِّ لي صغيرهم... وأصِحّ لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم... واجعلهم أبراراً أتقياء بُصراء... وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرِّهم... وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم»

وقد أكدّت الروايات على المبادرة إلى التربية وحسن الأدب.

والتربية في هذه المرحلة أكثر ضرورة من المراحل الأخرى، لأن فطرة الطفل في هذه المرحلة لا تزال سليمة ونقية تتقبّل ما يُلقى اليها من توجيهات وإرشادات ونصائح قبل أن تتلوّث ويستحكم التلوث فيها، فيجب على الوالدين استثمار الفرصة لأداء المسؤولية التربوية.

والمنهج التربوي المراد تحكيمه في الواقع هو المنهج الإسلامي الذي يدور حول العبودية والطاعة لله تعالى في كلِّ شؤون الحياة.

عليٌّ تربّى في مرحلة الصبا في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يُبعث، فآمن في اللحظات الأُولى لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأخلص في إيمانه وطاعته لله ولرسوله، وكان قمة في الشجاعة والإقدام وفي التضحية والفداء وفي الكرم والتواضع والصدق وفي كلِّ الفضائل الخلقية، وربّى عليه السلام بدوره أبناءه فكانوا على شاكلته في الارتقاء إلى القمة الشامخة في جميع المكارم والفضائل، وهكذا كان بقية الأئمة عليهم السلام.

وتزداد مسؤولية الوالدين في التربية والتأديب كلمّا ابتعد المجتمع عن الإسلام أو كان مجتمعاً إسلامياً في الظاهر ولم يتبنَّ الإسلام منهاجاً له في الواقع العملي لتأثير العادات والتقاليد والأفكار والمناهج التربوية غير السليمة على تربية الطفل وخصوصاً أجهزة الإعلام كالراديو والتلفزيون والسينما وغيرها.

ويلحق بالتربية الروحية والنفسية والعاطفية، شطرها الآخر وهوالتربيةالبدنية فهي ضرورية جداً للطفل للحفاظ على صحته البدنية وإعداده للعمل البدني، حيثُ حثّ عمر رضى الله عنه على التربية البدنية قائلاً: علمّوا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل.

والصحة البدنية لها تأثير واضح على الصحة النفسية كما هو مشهور عند علماء النفس والتربية.

* * * * *

المطلب الثاني:
المبادرة إلى التعليم

التعليم في هذه المرحلة ضروري للطفل، فهي أفضل مرحلة للمبادرة إلى التعليم، لنضوج القوى العقلية عند الطفل، وللرغبة الذاتية لدى الطفل في (اكتساب المهارة العلمية)

والطفل في هذه المرحلة لديه الاستعداد التام لحفظ كل ما يُلقى على مسامعه، والتعليم في هذهِ المرحلة يساعد على رسوخ المعلومات في ذهنه وبقائها محفوظة في الذاكرة، «حفظ الغلام كالوسم على الحجر» ولضرورة تعليم الطفل أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوالدين به: «**مروا أولادكم بطلب العلم**».

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعليم الطفل باباً من أبواب الرحمة الإلهية للأب فقال: «**رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتألف له وتعليمه وتأديبه**».

والتعليم حق للطفل على والديه، والتعليم على القراءة والكتابة في عصرنا الراهن تقوم به المؤسسات التعليمية وخصوصاً المدرسة، ولكنّ ذلك لا يعني انتفاء الحاجة إلى الوالدين في التعليم، بل يجب التعاون بين المدرسة والوالدين في التعليم.

ويجب أن يكون التعليم غير مقتصر على القراءة والكتابة بل يكون شاملاً لكلٍّ جوانب العلم، في مجالاته المختلفة كعلوم الطبيعة والعلوم الإنسانية كالأدب والتاريخ والفلسفة وغيرها، إضافة إلى التركيز على الجوانب الروحية والعبادية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تأكيده على تعليم القرآن: «... **ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين فكسيا حلّتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنة**»[1].

وتعليم القرآن يكون شاملاً لجميع جوانبه ابتداءً بتعلّم القراءة الصحيحة وفق الضوابط اللغوية ثم التشجيع على الحفظ مع مراعاة المستوى العقلي للطفل، والتعليم على التفسير الصحيح لبعض الآيات والسور التي يحتاجها الطفل في هذه المرحلة، وخصوصاً ما يتعلّق بالجانب العقائدي والأخلاقي، والجانب الفقهي المتعلّق بالأحكام الشرعية المختلفة من العبادات والمعاملات.

وفي هذه المرحلة يجب تعليم الطفل على كيفية العبادات ومقدماتها كالوضوء والصلاة، والطفل بحاجة إلى تعلّم الحديث لتحصينه من التأثر بالتيارات المنحرفة، ومن مصاديق التعليم تعليم الرمي والسباحة كما تقدّم، ولأهمية التعليم شجّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعلّم والصبي والوالدين على حدٍ سواء.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٧: ٥.

* * * * *

المطلب الثالث:

تمرين الطفل على الطاعات

الطاعات وإن كانت سهلة ويسيرة إلاّ أنّها تحتاج إلى تمرين وتدريب ينسجم مع القدرة على الأداء، والطفل يحتاج إلى عناية خاصة في التمرين والتدريب على الطاعات من أجل أن تذلّل مشقتها عليه وأن يحدث الأنس بينه وبينها فتكون متفاعلة مع عواطفه وشعوره لكي تتحول إلى عادة ثابتة في حياته اليومية، يقدم عليها بشوق واندفاع ذاتيين دون ضغط أو إكراه أو كلل أو ملل.

ويبدأ المنهج التربوي الإسلامي في وضع قواعد أساسية تتناسب مع أعمار الأطفال للتمرين على الطاعات مع مراعاة القدرة العقلية والبدنية للأطفال، ففي التمرين على الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً**» [١].

وفي رواية: «**مروا صبيانكم بالصلاة اذا بلغوا سبع سنين واضربوهم إذا كانوا أبناء عشر سنين**»[٢].

والمقصود من الضرب إمّا الضرب الحقيقي في حالة تمرّد الأطفال أو استخدام الشدّة النفسية، فإنها وإن كان لها ضرر سلبي على الطفل ولكنّه ضرر وقتي سرعان ما ينتفي، ولا يمكن اعتباره ضرراً بالقياس إلى المصلحة الأكبر وهو التمرين على الصلاة.

والأفضل أن يكون التمرين غير شاق للطفل، لأنه يؤدي إلى النفور من الصلاة وخلق الحاجز النفسي بينه وبينها، فيجب على الوالدين مراعاة الاستعداد النفسي والبدني للطفل، وعدم إرهاقه بما لا يطيق، فيبدأ معه بالصلاة الواجبة دون المستحبّة، فإذا تمرّن عليها وحدث الأنس بينه وبينها فإنّه على غيرها أقدر إن تقدّم به العمر.

ويبدأ التمرين على الصوم من العام السابع ويستمر بالتدريج كلما تقدّم العمر مع مراعاة الطاقة والقدرة البدنية والاستعداد النفسي له.

فاذا تمرّن على الصيام في السنوات السابقة لسن التكليف فإنه سيؤديه بأتم صورة ولا

---

(١) سنن الترمذي٣٧٢.

(٢) صفوة الصفوة، لابن الجوزي ٢: ٩٥ - دار المعرفة ١٤٠٥ هـ ط ٣.

يجد في ذلك حرجاً.

ويستحب تمرين الطفل على عمل الخير كالصدقة على الفقراء والمساكين، مر الصبي فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن كان قليلاً.

فتمرين الطفل على الصدقة من أفضل أساليب التربية على عدم الركون إلى الدنيا والتقليل من تأثير حب المال في نفس الطفل، وهو تمرين لـه على التعاطف مع الفقراء والمساكين.

وتمرين الطفل في مرحلة الصبا على الطاعات والعبادات تجعله يداوم عليها في كبره، فيجب على الوالدين تشجيع الطفل على التمرّن على العبادات والطاعات بالأسلوب الأنجح، بالإطراء والمديح أو بإهداء الهدايا الماديّة والمعنوية لـه.

* * * * *

المطلب الرابع:
مراقبة الطفل

يحتاج الطفل في هذه المرحلة من أجل إنجاح العملية التربوية أن يقوم الوالدان بمراقبة الطفل سلوكياً وإرشاده إلى الاستقامة والصلاح، وكذلك مراقبة أفكاره وتصوراته وعواطفه بالأسلوب الهادئ غير المثير لـه، وأن يتعامل الوالدان معه كأصدقاء لمساعدته في شق طريقه في الحياة.

ومراقبة سلوكه في المجتمع أكثر ضرورة منه في البيت، فيختار لـه الأصدقاء الصالحين، ويمنع من مسايرة الأصدقاء غير الصالحين، وتكون العقوبة أحياناً ضرورية إنْ لم ينفع الإرشاد والتوجيه، ويجب تمرين الطفل على محاسبة نفسه، وتقبّل المحاسبة من قبل الآخرين، إضافة إلى ترسيخ مفهوم الرقابة الإلهية في أعماقه لتكون رادعاً لـه من الانحراف في حالة غياب المراقبة من قبل والديه.

والمراقبة من حيثُ الأساليب والوسائل متروكة للوالدين، كل حسب وعيه وتجربته في الحياة، وهما بحاجة إلى التعاون في هذا المجال، ومراقبة الوالدة للطفل ذكراً كان أم أُنثى أكثر ضرورة لانشغال الوالد غالباً بأعماله خارج المنزل.

ومن الضروري: أن يشعر الطفل بأنّه غير متروك من قبل والديه، وإنهما يحرصان عليه ويراقبان سلوكه، ويمكن للوالدين الاستعانة بغيرهما في المراقبة، كالاعتماد على الأقارب والأصدقاء في المجالات الحياتية للطفل التي لايدخلها الوالدان، كالمدرسة مثلاً وبعض تجمعات الأطفال، والتعاون في هذا المجال مثمر جداً في تربية الطفل تربية صالحة، وإنقاذه من الانحراف الذي يمكن أن يطرأ عليه في حالة الغفلة والإهمال.

* * * * *

المطلب الخامس:
الوقاية من الانحراف الجنسي

الانحراف الجنسي من أخطر أنواع الانحرافات التي تؤدي إلى تدمير المجتمع من جميع النواحي، المادية والصحية والعاطفية والأخلاقية، ولهذا أبدى الإسلام عناية خاصة بالوقاية منه قبل الحدوث وعلاجه بعده، وتربية الأطفال على العفّة من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين إذا ولد وأن يعلمّه الكتابة إذا كبر، وأن يعفّ فرجه إذا أدرك».

والتربية على العفّة تستلزم الوقاية من الانحراف في مرحلة ما قبل البلوغ.

وأوّل بوادر الوقاية: إبعاد الطفل عن الإثارة الجنسية، وإبعاده عن الاطلاع على صورتها ومن أساليب الوقاية التفريق بين الصبيان أثناء النوم» والتفريق بين الصبيان والنساء أكثر ضرورة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصبي والصبي، والصبي والصبيّة، والصبية والصبية يفرّق بينهم في المضاجع لعشر سنين**» [(1)].

وإذا حدث الانحراف الجنسي فيجب استخدام العقوبة للحدّ من تكرار الممارسة.

ويجب في وقتنا المعاصر منع الصبي عن كلٍّ ما يؤدي إلى إثارته من قصص وروايات وصور وما يعرض من أفلام منافية للعفّة ويجب مراقبة الصبيان في خلواتهم وفي علاقاتهم مع الآخرين، للوقاية من الانحراف الجنسي.

* * * * *

المطلب السادس:
ربط الطفل بالقدوة الحسنة

الطفل في الأعوام المتأخرة من هذه المرحلة يحاول التشبه بالأشخاص الأكثر حيوية والأشد فاعلية في المجتمع، ويطلق علماء النفس مفهوم المحاكاة للتعبير عن التشبه الفجائي السريع الذي ينتهي بانتهاء المؤثر، فهو تشبه آني ويطلقون عبارة الاقتباس على التشبه البطيء الذي يستحكم في العقل والعاطفة ومن مصاديقه التقليد والاقتداء، والنماذج العالية من الشخصية هي المؤثرة في التشبه، فأهل الكرامة وأهل القدوة يكرمهم الشعب ويبجلهم

---

(1) سبق تخريجه.

وهم الذين يقتدي بهم عامة الشعب[1].

والطفل غالباً ما يتشبه بمن لهم سلطان روحي ونفسي على الناس ومنهم الملوك والحكام، والفائزون والناجحون في الحياة، وكلّ من لـه تأثير على الناس كالمعلم وعالم الدين.

ويرى بعض علماء النفس الحاجة إلى تصور المثل الأعلى لدى كل إنسان [3]وهي حاجة ضرورية، والمثل الأعلى في رأي هؤلاء العلماء يختلف باختلاف الناس، ويتبدل بتبدل ظروفهم المادية والنفسية والاجتماعية، ويعتبرون المثل الأعلى متجسداً في القيم المعنوية والأهداف المتوخاة في الحياة.

والمثل الأعلى بهذا المفهوم ضروري جداً لكلّ إنسان وخصوصاً الطفل في الأعوام المتأخرة من هذه المرحلة، ولكنّ المثل الأعلى إن لم يتحول من المفهوم إلى المصداق وإلى من تتجسد فيه قيم هذا المثل الاعلى يبقى محدوداً في حدود التصورات، فالطفل بحاجة إلى التشبه والاقتداء بما هو ملموس في الواقع الموضوعي، وخير من يتجسد به المثل الأعلى هو النموذج الأعلى للشخصية الإنسانية.

والاقتداء بالأسلاف (أكثر من الاقتداء بالطبقة العليا)

ومن هنا فالضرورة الحاكمة في الاقتداء هي الاقتداء بالسلف الصالح وهم الأنبياء والأئمة من أهل البيت، والصالحين من الصحابة والتابعين، والماضين من علماء الدين، فهم قمم في الفضائل والمكارم والمواقف النبيلة، وممّا يساعد على التشبّه والاقتداء بهم تأثيرهم الروحي على مختلف طبقات الناس الذين يكنّون لهم التبجيل والتقديس.

وحياة الصالحين مليئة بجميع القيم والمكارم التي يريد الإنسان التمسك بها. والاقتداء هو الذي يجعل الطفل إنساناً عظيماً تبعاً لمن يقتدي بهم، وإذا فقد الاقتداء جمدت جذوة الحياة وضعف الطموح وانحرف عن مساره للتعلق والاقتداء بالهامشيين من الأشخاص العاديين. فالواجب على الوالدين توجيه أنظار الطفل وأفكاره وعواطفه ومواقفه نحو الشخصيات النموذجية ابتداءً من آدم وانتهاءً بالعظماء المعاصرين، ولكلّ نبي أو إمام من أئمة الهدى تاريخ حافل بجميع المكارم والقيم والمواقف السائدة في الحياة. والقدوة الصالحة لها تأثير ومواقف مشرّفة في كلّ زاوية من زوايا الحياة، والاقتداء بها تنعكس آثاره على جميع جوانب شخصيّة

(١) علم الاجتماع: ١٤٠.

الطفل العاطفية والعقلية والسلوكية، فتندفع الشخصية للوصول إلى المقامات العالية التي وصلها الصالحون المقتدى بهم.

* * * * *

المطلب السابع:
الاهتمام بالطفل اليتيم

اليتيم بعد فقد والده يشعر بالحرمان المطلق، حرمان من إشباع حاجاته العاطفية والروحية، وحرمان من إشباع حاجاته المادية كالحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس، فتنتابه الهواجس والمخاوف، ويخيّم عليه القلق والاضطراب، فالشعور بالحرمان من العطف والحنان له تأثيراته السلبية على كيان الطفل وعلى بناء الشخصية، ومن خلال متابعة الواقع الاجتماعي نجد أن أغلب الأيتام الذين لم يجدوا العناية والاهتمام من قبل الآخرين كانوا مضطربي الشخصية تتنابهم العقد النفسية وسوء التوافق مع المجتمع الذي حرمهم من العناية والاهتمام، لذا أوصى الإسلام برعاية اليتيم رعاية خاصة لا تقل إن لم تَزِدْ على الرعاية الممنوحة للأطفال الآخرين، فأكّد على إشباع جميع حاجاتهم المادية والروحية، وكانت الآيات القرآنية المختصة برعاية الأيتام أكثر من الآيات المختصة بعموم الأطفال.

وأول الحاجات التي أكدّ الإسلام على إشباعها هي الحاجات المادية.

قال سبحانه وتعالى: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}**[(1)].

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ}[(2)].

{وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ}[(3)].

وجعل الله تعالى لليتيم حقاً في أموال المسلمين **{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}**[(4)] وقال تعالى: **{قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}**[(5)].

ونهى تعالى عن التصرّف بأموال اليتيم إلاّ بالصورة الأحسن التي تجدي له نفعاً

---

(١) الإنسان: ٨.

(٢) البلد: ١٤، ١٥.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) الأنفال: ٤١.

(٥) البقرة ٢١٥

وربحاً{**وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**} [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من عال يتيماً حتى يستغني، أوجب الله له بذلك الجنّة**» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا وكافل اليتيم في الجنّة كهاتين – وهو يشير بأصبعيه**»[2] وراعى المنهج الإسلامي إشباع الحاجات المعنوية لليتيم كالإحسان إليه والعدل معه.

قال سبحانه وتعالى:{**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**} [3].

وقال تعالى:{**... وأن تقوموا لليتامى بالقسط**}[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيرُ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه**»، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مداراة اليتيم والرفق به وتكريمه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**حثّ الله تعالى على برِّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم، فمن صانهم صانه الله تعالى، ومن أكرمهم أكرمه الله تعالى، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله تعالى له في الجنّة بكلِّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا وما فيها...**».

«ومن رعاية اليتيم: معالجة المشاكل التي تواجهه والتي تسبب له الألم والقلق والاضطراب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا بكى اليتيم اهتزّ العرش على بكائه فيقول الله تعالى: ياملائكتي اشهدوا عليّ أنَّ من أسكته واسترضاه أرضيته في يوم القيامة**»، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا بكى اليتيمُ في الارض يقول الله من أبكى عبدي وأنا غيّبت أباه في التراب فوعزتي وجلالي إنّ من أرضاه بشطر كلمة أدخلته الجنّة**»[5].

ومن الوصايا بشؤون اليتيم: إدخال الفرح على قلبه بإشباع حاجاته المادية أو الروحية من احترام وتقدير ومحبّة أو مدح وتشجيع إلى غير ذلك.

---

(١) الأنعام: ١٥٢. و الإسراء: ٣٤.

(٢) سنن الترمذي (١٨٤١).

(٣) البقرة: ٨٣.

(٤) النساء: ١٢٧.

(٥) كنز العمال: ١٧٠ / ٦٠٠٨.

ومن الاهتمام والعناية باليتيم هو القيام بتربيته تربية صالحة وإعداده لأن يكون عنصراً صالحاً في المجتمع.

فاليتيم الذي يحصل على العناية والرعاية والحب والحنان يشعر بالراحة والطمأنينة ويعيش سوّياً في عواطفه وفي شخصيته، أمّا في حالة الحرمان فإنّه لا يصبح سويّاً وقد يلتقطه بعض المنحرفين فيوجهه الوجهة غير الصالحة فيصبح عنصراً ضاراً في المجتمع.

* * * * *

المبحث الثاني:
مرحلة الخامسة عشرة حتى الثامنة عشرة

في هذه المرحلة يجب أن نوجه أبناءنا – بالحُسنى – إلى أن:

• شهادة التوحيد يجب أن تكون بالقلب واللسان، فالمسلم قد ينطق بالشهادة بلسانه، ولكنه يشرك مع الله تعالى ماله أو وولده، أو زوجته، أو أهواءه، أو عمله، أو الموضة، أو الناس... إلخ، وذلك بأن يحب أحد هؤلاء أكثر مما يحب الله عز وجل، أو يفضل ما يمليه عليه هؤلاء على مراد الله وأوامره ونواهيه. فينبغي أن يدرب نفسه – بمساعدة الوالدين أو المربين – على الإخلاص لله في القول والفعل؛ وأن يعلم أن مادون الله باطل، وأنه ينبغي أن يؤْثِر الله الباقي على كل ما هو دونه مما هو فانٍ.

ويمكن أن نناقش معه بعض معاني آية الكرسي – التي جمعت أصول التوحيد كلها على أتم وجه وأبلغ أسلوب في جمل موصولة من غير فاصل بينها بحرف من حروف العطف، فهي موصولة المبنى والمعنى، ويفسر بعضها بعضاً – كما ذكرها الدكتور "محمد بكر إسماعيل": (فالله هو المعبود بحق، ولا معبود سواه وهو الحي الباقي بقاءً سرمدياً، حياة لا يشاركه فيها أحد، وهو مدبر الأمر الذي يسوس المُلك بعلمه المحيط وإرادته التامة، وقدرته المهيمنة، فمن شأن المعبود بحق أن يقوم على حاجات عباده وتصريف شؤونهم!!

ومن المنطقي أن المعبود بحق الذي يدبر الأمر لا تقهره غفلة ولا نوم عن تدبير ملكه، وهذا توكيد على قيامه سبحانه على كل شيء وقيام كل شيء به.

وهو الذي لـه الملك كله إيجاداً وخلقاً وتقديراً وتدبيراً فهي ملكية لا ينازعه فيها أحد، ومن ثم فإن كل ما في ملكه – ولا ملك إلا ملكه – فهو عبد لـه، ناصيته بيده ماض فيه

حكمه، عدل فيه قضاؤه.

وهو المتفرد بأمر العباد، فلا يشفع أحد لأحد في شيء إلا بإذنه، فالعبيد جميعا يقفون في الحضرة الإلهية موقف العبودية، وهو موقف الخضوع والخشوع والاعتراف المطلق له بالهيمنة على خلقه... وما يتفاضلون بينهم إلا بالتقوى؛ وفق ميزان الله الدقيق.

وهو العليم الذي لا تَخفى عليه خافية من مكنونات الصدور ومطويات الضمير، بل أنه يعلم من أنفسهم ما لا يعلمون منها... هذا العليم لا يدرك أحد – بعقله القاصر – من علمه تبارك وتعالى إلا بمشيئته وحده وبالوسيلة التي يختارها لهم، فلا يدعي مُكابر أنه قادر على تحصيل شيء من العلم بملكاته الذاتية، أو يُفتتن بما أذن الله له فيه من علمه، سواء كان هذا الذي أذن له فيه علم شيء من نواميس الكون، أو رؤية شيء من غيبه في لحظة عابرة إلى حد معين.

أما كرسيه تعالى فهو من الأخبار التي يحملها السلف الصالح على ظاهرها من غير تأويل فيقولون: " لله كرسي دون العرش، لا يعلم حقيقته إلا هو جل شأنه"

وهذا المَلِك القائم على شؤون خلقه الذي دبر ملكه تدبيرا محكما يخلو من التفاوت والخلل، لا يُعجزه حفظ السماوات والأرض وما فيهما، فكل ما في ملكه في حيز قدرته التامة.

و بناءً على ما سبق؛ فهو المتفرد بالعلو والعظمة لا ينازعه فيهما أحد، فالكبرياء رداؤه والعظمة إزاره من نازعه أحدهما أصابه الهوان وداسته الأقدام.

كما ينبغي أن نوضح أن الله تعالى يبسط على عباده من رزقه وفضله ورحماته، في أحيان، ثم يقبضها عنه في أحيان أخرى... وهكذا يقلبه بين حال وحال، كي لا يغتر بنفسه أو يطيب له البسط فيبتعد عن ربه ويطمئن إلى الدنيا، وفي نفس الوقت كي لا يضيق بحياته إن استمر به القبض طويلاً... فينبغي على المسلم أن يظل عابداً للقابض الباسط وليس للأحوال، وأن يرضى بما قسمه الله له... يقول الإمام الغزالي رحمه الله: " ليس في الإمكان أبدع مما كان، ولو كُشف الغطاء لاخترتم الواقع، ولو أن كل إنسان انزعج من شيء ساقه الله إليه، ثم كشف الله تعالى له علم الغيب لما تمنى إلا أن يكون كما هو!!!)

كما يمكن إهداؤه كتاب "فاعلم أنه لا إله إلا الله" للشيخ عائض القرني، الذي يشرح بعض جوانب العقيدة من كتاب "التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأن الصلاة في المسجد سنة مؤكدة للرجال إلا بعذر، أما النساء فعليهن بالصلاة بالمسجد ما استطعن، وإلا فعليهن بالصلاة في أول الوقت(أي لا تؤخرها أكثر من ثلث ساعة بعد الأذان)

وأن الزكاة فرض على المسلم – أي أنه لا اختيار لـه في هـذا الأمـر – وينبغـي أن يحسـبها بدقـة، وألا يخلطها بأموال الصدقة، وأن ينفقها في مصارفها التي حددها الله في القرآن.

و أن الزكاة تطهر النفس من البخل، كما تطهر المال مما قد يختلط به مـن المـال المشـبوه، وتزكّي المؤمن فتزيد من حالته الإيمانية، وترفع درجاته عند ربه تبارك وتعالى.

كما ينبغي أن يعرف أنواع الزكاة؛ وأن لكل نوع طريقة في الحساب.

وأن الصوم ليس إمساك عن الشراب والطعام والشهوة فقط، وإنما هو التزام يؤدي على التقوى، وهو عطية غالية من الجواد الكريم، فلا ينبغي أن نضيعها.

ويمكن أن نستمع معه إلى درس يتحـدث في ذلـك بشـمولية وإيجـاز وهـو درس "كيـف تستقبل رمضان".

وأن من يترك أداء فريضة الحج وهو مستطيع فإنما يأتي عملاً من أعمال الكفر، والدليل قولـه تعـالى: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}**[1].

فمناسبة مجيء الكفر بعد ذكر الحج هو أن المسلم الرافض لأداء فريضة الحـج يـدخل في دائرة خطيرة؛ فهو يهدم ركناً قوياً من أركان دينه، وعموداً أساسياً من أعمدة إ يمانه.

(يقـول عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه في تـاركي الحـج: "والله لقـد هممـت أن أكتـب في الأمصـار أن مـن كـان غنيـا ويجـب عليـه الحـج فافرضـوا عليـه الجِزيـة**!!** "، ويقول سعيد بـن جبير – وهـو عـالم وفقيـه مـن أئمـة السـلف – لـو علمـت أن في البلـدة الـتي أعـيش فيهـا غـني مـن الأغنيـاء كـان يسـتطيع الحـج ولم يحـج ومـات علـى ذلـك مـا صليت عليه الجنازة**!!**

وفي حـديث الرسـول ﷺ أن امـرأة جـاءت لـه ﷺ فرفعـت صـبياً – مـا يـدل علـى أنـه صـغير السـن خفيـف الـوزن – وقالـت: " يـا رسـول الله ألهـذا حـج؟ قـال: **«نعــم، ولك الأجر»**[2].

(وفي الحج استشعار حقيقي لمشاهد من يوم القيامة حيث الزحام الشديد، والملابس الـتي تشبه الأكفان، والأذان بالحج يشبه النفخ في الصور، والكل في خشـية ووجـل مـن الله تعـالى طمعاً في المغفرة والثواب؛ وكيف لا، والله تعالى يقول في مطلع سورة الحج: **{يَا أَيُّهَا النَّـــاسُ**

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) رواه البخاري.

اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}[1]؛ فالحج صورة مصغرة من يوم الزلزلة.

كما أن الحج يدرب المؤمن على الجهاد والمثابرة ابتغاء مرضاة الله، حين يجرده من كل الرفاهية التي يعيشها في بيته وبلده.

وفيه تقوية لأواصر الوحدة بين المسلمين بشتى جنسياتهم واختلاف ألوانهم، وفيه إشارة لوجوب استمرار هذه الوحدة بعد الحج

كما أن الحج تربية أخلاقية عظيمة، فالحاج لا يرفُث ولا يفسُق ولا يجادل ولا يصخب ولا ينتصر لنفسه، ولا يكذب... إلى آخر الأخلاق الإسلامية الحميدة)

وفي هذه المرحلة ينبغي للطفل أن يعلم فضل أذكار الصباح والمساء المأخوذة عن السنة النبوية الشريفة، وأنها حصنه من الشيطان والنار، فنهديه كتيب مثل "حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة" لسعيد بن علي بن وهف القحطاني" ونشجعه على أن يهديه لأصحابه ومعارفه لنيل الأجر والثواب.

وبالإضافة إلى تعليم أولادنا أركان الإسلام وتحبيبهم فيها ينبغي أن نعلمهم ما يدعم هذه الأركان، ومن ذلك ما يلي:

* * * * *

المطلب الأول:
بر الوالدين

ينبغي أن يعرف الطفل فضل والديه والمراحل التي لم يرها من عمره وهو جنين، ثم وليد، ثم رضيع، من خلال القصص المشوقة، ومن خلال من يراهم ممن حوله من أبناء الأقارب والجيران وغيرهم.

كما ينبغي علينا أن نعينه على برنا كوالدين من خلال برنا به وإعطاءه حقوقه عندنا من الحب، والاحترام، والتقدير، والعطف، والشعور بالأمان... وغير ذلك؛ كما قال ﷺ : **«لاعبه سبعاً، وأدِّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً»**.

هذا بالإضافة إلى أن نكون لهم قدوة، فنبر نحن آباءنا ليبرنا أبناءنا!

كما ينبغي أن نعلمهم الدعاء للوالدين في حياتهم وبعد مماتهم. وأن نعلمهم أن رضاهما من رضا الله سبحانه، وأن الإحسان إليهما مقترن بطاعة الله تعالى، لقوله سبحانه: **{وَاعْبُدُوا**

---

(١) الحج: ١.

اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[1].

ويساعد على ذلك أن نحكي لهم من القصص الواقعية التي تبين فضل برهم، ومنه قصة أصحاب الغار الذين حُبسوا فيه بصخرة، ثم ظل كل منهم يدعو الله تعالى أن يخلصهم بفضل عمل صالح قام به، فكان أولهم يطعم والديه ويسقيهم قبل أولاده وزوجته، فلما عاد ليلة ووجدهما نائمين كره أن يوقظهما وفي نفس الوقت لم يرد أن يؤثر أولاده عليهما فترك أولاده يصطرخون من الجوع وهو جالس إلى جوارهما يحمل إناء اللبن حتى استيقظا؛ فسقاهما ثم سقى أولاده؛ فدعا الله قائلاً: اللهم إن كنت قد فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة قليلاً عن الغار بفضل صنيعه هذا.

* * * * *

المطلب الثاني:
مراقبة الله في السر والعلن ودوام ذكره

وهو أدب يتعلمه الطفل من خلال الصيام، ثم نقوِّيه لديه من خلال رواية بعض القصص الواقعية التي حدثت معنا وآثرنا فيها رضى الله حتى ولو لم يكن أحد يرانا غيره، ومثل قصة بائعة اللبن التي كانت أمها تريدها أن تغش اللبن بالماء، فلما رفضت وقالت لها الأم: " لماذا؟ إن عمر لا يرانا، فردت الابنة: " إذا كان عمر لا يرانا فإن الله يرانا"، فأُعجب عمر بن الخطاب – الذي سمعهما حين كان يتفقد أحوال الرعية – بقوة إيمانها وحرص على أن يخطبها لابنه، فكانت ثمرة الزواج هو خامس الخلفاء الراشدين الأمير "عمر بن عبد العزيز"!!!

والذكر في هذه المرحلة لا يكون فقط باللسان وإنما بالقلب، والله تعالى يقول:{**اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**}[2]، فهنيئاً لذاكر الله تعالى بالخير والرحمة والبركة والمغفرة، فإن من نسيه الله صار مغموراً ضائعاً لا ذكر له في الأرض ولا في الملأ الأعلى.

ويمكن أن نقول لأولادنا: (لك أن تتخيل أنه إذا ذكرك بالخير مدير المدرسة مثلا أو مدير النادي، أو محافظ البلدة التي نسكن بها، أو رئيس الجمهورية، فماذا يكون شعورك؟ أما إذا ذكرك مِلِك الملوك جل شأنه فماذا أيضاً يكون شعورك؟!).

* * * * *

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) البقرة: ١٥٢.

المطلب الثالث:
إخلاص النية في العمل لله

من المفيد أن يعلم الطفل أنه إذا نوى بكل ما يفعله مرضاة الله تعالى؛ فإنه سينال عظيم الأجر على كل ما يمارسه من أمور حياته فيروِّح عن نفسه لكي يقوى على الطاعة؛ ويمارس الألعاب الرياضية ليكون مسلماً قوياً؛ ويأكل باعتدال ليكون مسلما صحيحاً معافى في نفسه وبدنه، ويذهب إلى الأماكن الخلوية والمتنزهات ليتفكر في خلق الله ويَذْكره بين أناس غافلين؛ ويتعلم العلم الدنيوي والشرعي ليفيد المسلمين وغيرهم بعلمه؛ ولا يضر نفسه وغيره بجهله، ولأن العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ ويتعلم اللغات ليأمن مكر أعداءه وليدافع عن دينه، ويدعوإليه، ويستمع إلى الأخبار المحلية والعالمية ليهتم بشؤون غيره من المسلمين؛ ويحاول مساعدتهم ولو بالدعاء، وينوي بالزواج أن يكوِّن أسرة مسلمة تعبد الله وتذكره... وهكذا).

* * * * *

المطلب الرابع:
التوكل على الله

كان الرسول ﷺ يحرص على تعليم الغلمان من أولاد الصحابة كيف يتوكلون على الله حق التوكل، فقد كان يركب وراءه ذات مرة ابن عباس، فقال له: «**يا غلام إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت لينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعت ليضروك بشيء فلن يضرونك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1]..

فما أعظمه من حديث، لذا ينبغي أن يعلق في إطار على الحائط ليراه أهل البيت ويبث فيهم روح اليقين في الله، والرضا بقضاءه، والشجاعة والإقدام وحسن التوكل عليه تعالى، مع أهمية أن نشرح له أن التوكل يعني الأخذ بالأسباب بالجوارح مع التوكل على الله بالقلب، أي التيقن من أن تحقيق الغاية لن يتم إلا بأمر الله؛ فإذا لم يكن هناك أسباب يمكن اتخاذها فالأمر لله، وهنا ينبغي التضرع والدعاء له تعالى لتحقيق تلك الغاية، مع الثقة في حكمته وأن كل ما يأتي به الله خير.

ومما يعينه على ذلك أن نحكي له من مثل القصص الواقعية التالية:

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٤٠).

لما فتح القائد "عمرو بن العاص" مصر منع عادة عروس النيل التي تقضي بإلقاء فتاة شابة مزينة بالحلي في النيل ليفيض عليهم، فتوقف النيل عن الجريان لمدة ثلاثة شهور، فأرسل عمرو بن العاص إلى عمر ليستشيره، فأرسل يقول له: حسناً فعلت وأرجو أن تلقي في النيل رسالتي التالية: " هذه رسالة من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد، فإن كنت تجري من لدن الله فنسأل الله أن يجريك... وإن كنت تجري من لدنك، فلا تجري فلا حاجة لنا فيك"، فجرى النيل وفاض!

وهذه قصة واقعية أخرى لمسلم توكل على الله وافتخر بانتمائه للإسلام واعتز بتفضيل مراد الله على مراده:

يقول الدكتور "عبد الله الخاطر" الذي كان يعيش في انجلترا لدراسة الدكتوراه: "التقيت بشاب إنجليزي يعيش في جنوب لندن، وقد أسلم حديثاً، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع عثر على وظيفة، فحاول غيره من الشباب المسلمين أن يحذروه من أن يقول أنه قد أسلم حين يذهب للمقابلة الشخصية، حتى لايكون ذلك سبباً في عدم قبوله، فيتأثر نفسياً فيرتد عن دينه، إلا أن هذا الشاب توكل على ربه ولم يخشهم، فذكر لأصحاب العمل أنه قد أسلم وكان اسمه"رود"، فأصبح "عمر"، وقال لهم أيضاً بفخر: "لقد غيرت ديني واسمي وأريد وظيفة تتيح لي وقتاً للصلاة، فما كان منهم إلا أن قبلوه في تلك الوظيفة!!! وكان الأمر أعجب عندما قالوا له: " إننا نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات وأنت عندك قدرة عظيمة جداً في اتخاذها، فقد غيرت اسمك ودينك وهذا إنجاز كبير!!!

وينبغي أن نحكي لهم عن نماذج مشرفة عرفت الله حق معرفته فارتاحت وقنعت وسارت على الدرب الصحيح من أمثال "حاتم الأصم" الذي تتلمذ على يد "شقيق البلخي"، (وسأله معلمه يوما: " كم صحبتني؟ " فقال له: "منذ ثلاث وثلاثين سنة"، فقال له: " وما تعلمتَ مِنِّي؟ " قال: "ثمان مسائل"، قال شفيق: " إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم مني إلا ثمان مسائل؟! قال: " يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب"، فقال له: " هات ماهي حتى أسمعها"، قال حاتم:

نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

فقال أحسنت يا حاتم فما **الثانية؟** قال:

نظرت في قول الله تعالى:**{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ**

هِيَ الْمَأْوَى}[1].

فعلمت أن قوله تعالى هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت في طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله تعالى:**{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}**[2].

فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قوله تعالى:**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**[3].

فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، وأصلُ هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قوله تعالى:**{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا}** فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة عند الله فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يظلم بعضهم بعضا فرجعت إلى قوله تعالى:**{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواًّ}**[4].

فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوٌ لي فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت الواحد منهم يطلب كسرة الخبز فيذل بها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى:**{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}**[5].

فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت منهم متوكلين، على مخلوق، هذا على عقاره وهذا

---

(١) النازعات: ٤٠، ٤١.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) فاطر: ٦.

(٥) هود: ٦.

على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، فرجعت على قوله تعالى: **{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}** فتوكلت على الله فهو حسبي.

قال شقيق: " يا حاتم وفقك الله تعالى فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور، والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمانية، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة.

* * * * *

المطلب الخامس:
مجاهدة النفس

يعد جهاد النفس أقوى وأشد من مجاهدة العدو، ومما يعين عليه أن يحدد الإنسان هدفه، فهل يريد الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة؟ أم رضا الله والجنة؟ وإذا كان يريد الجنة فعليه أن يعلم أنها سلعة الله الغالية، ومن أجلها يجب أن يقدم الغالي والنفيس من الأوقات والأموال والجهد؛ ويتنازل عن الهوى والشهوات، ويستعين بالله على نفسه الأمارة بالسوء، ليطوِّعها ويجعل منها نفساً لوامة، وذلك بتربية الضمير لديه ومساعدته على الصبر على الحق والترفع عن الدنايا منذ نعومة أظفاره، كما ينبغي أن نحبب إليه الجميل من الأفعال ونبغِّض إليه القبيح منها.

واعلموا أن النفس كالطفل إن تتركه شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم، فإذا عرف الطفل هدفه – وهو الفوز برضا الله – وأحبه؛ عاش له وبه، وأراح والديه وأسرته ومجتمعه واستراح كذلك.

* * * * *

المطلب السادس:
دوام الاستغفار وتجديد التوبة

يجب أن يذكِّر الوالدين أبناءهم على الدوام بأن اليأس من رحمة الله وعفوه ذنب في حد ذاته لأنه يعطل أسماء كثيرة من أسماء الله الحسنى مثل: العفو، والغفور، والغفار، والغافر، والتواب. كما يذكِّرونهم بأن اليأس مدخل شيطاني يدخل به إبليس على قلب المؤمن ليعود به إلى المعصية، ثم الكفر – والعياذ بالله – رويداً رويدا، وينبغي أن يقولوا لهم دائما: " لا تيأسوا أبداً من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم"، فالحذر من ارتكاب المعاصي واجب ولكن إن غلبت على الإنسان نفسه فعليه بالمسارعة بالتوبة، ولا

ييأس من كثرة ذنوبه، فباب التوبة مفتوح للإنسان مادام لم يغرغر(أي يدخل في مراحل الموت)وأن يلزم باب الكريم ولا يبتعد عنه فينفرد به الشيطان وأعوانه؛ كما يجب أن يسمع الأولاد من والديهم قول "ابن القيم":

(لا تسأم من الوقوف على بابه ولو طُردت ولا تقطع الاعتذار ولو رُددت فإذا فُتح الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين وقل يارب مسكين فتصدق علي فإنما الصدقات للفقراء والمساكين!!!) كما ينبغي أن يسمعهما يتضرعان إلى الله بمثل هذه الأدعية:

«اللهم إن عظُمت ذنوبي فأنت أعظم وإن كبر تفريطي فأنت أكبر وإن دام بُخلي فأنت أجود».

«اللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجَى عندي من عملي»

عبادة الدعاء:

وهي التوجه لله سبحانه – دون غيره – بطلب ما يحتاجه المؤمن، وهي الاعتراف العملي بالافتقار إلى الواحد القهار... فهل هناك أحد يعيش بدون مشاكل تؤرقه؟

وهل هناك أحد ليس لديه آمال يحلم بتحقيقها؟

وهل هناك أحد يستطيع أن يستغنى عن ربه؟

أم هل هناك أحد لم يرتكب ذنباً ويخشى أن يؤاخذه لله عليه؟

وإذا علمنا أن الجنة لن يدخلها أحد – حتى رسول الله ﷺ – بعمله، إلا أن تتداركه رحمة ربه؛ (فهل هناك أحد يستطيع أن يستغنى عن رحمة ربه؟!

هل هناك أعز من الذل بين يديه والتمسح بأعتابه حتى يرضى؟

وهل هناك أذل ممن يرجون عباد الله فإن شاؤوا أعطوهم وإن شاؤوا منعوهم؟ وإن أعطوهم منُّوا عليهم، وإن أعطوهم مرة أو اثنان فهل يعطونهم الثالثة؟

(فهل يتعلق الغريق بغريق آخر؟ وهل يرجو الفقير فقير مثله؟ وهل يلوذ ضعيف بضعيف مثله؟) وينبغي أن نعلّمهم حديث رسول الله ﷺ : **«من لم يسأل الله يغضب عليه»**، وقول الشاعر الحكيم:

لا تسألنَّ بُنيَّ آدم حاجة ::: وسَل الذي أبوابه لا تُحجب

فالله يغضب إن تركتَ سؤله ::: وبُنيَّ آدم حين يُسأل يغضب!!

كما ينبغي أن نعلمهم آداب الدعاء، ومنها اليقين في الإجابة، وألا يستعجل الإجابة وأن يعلموا أن الدعاء منه ما يجاب ومنه ما يُدفع به البلاء، ومنه ما يُدَّخر ليوضع في ميزان

الحسنات يوم القيامة... والمؤمن حيت يرى دعاءه يوضع في ميزان حسناته يوم القيامة يتمنى لو لم تُجب لـه دعوة في الدنيا!

كما ينبغي أن يعرفوا أن الدعاء خيرٌ كله، كما جاء في حديث النبي ﷺ: **«إن الله تعالى حييٌ كريم، يستحي أن يرفع العبد يديه، ثم يردهما صُفراً خائبتين»** (1).

فنذكرهم دائماً بفضيلة الدعاء قائلين: "إن الله الواجد جل شأنه قريب مجيب رحيم ودود، فادعوه مخلصين لـه الدين، وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن من سأله أعطاه ومن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به هداه إلى صراط مستقيم، فهو الواجد الذي لا تنفد خزائنه، ولا تنتهي نعمه ولا تضيق رحمته بالعالمين.

وما أحلى الدعاء القائل: " اللهم إنا قد جئنا جوارك وأنخنا مطايانا ببابك نرجو رحمتك ونخشى عذابك فلا تبعدنا اللهم عن جنابك

وافتح لرجاءنا رحابك، ولدعاءنا أبواب السماء...

ودعاءه ﷺ: **«اللهم اهدني وسددني»** (2).

يجب أن نعلمه أن للاستغفار فوائد أخرى غير ستر الذنوب والخطايا ومحوها، وهي التي جاءت في سورة نوح: **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}** (3).

من تجارب الأمهات:

فيما يلي قصصا واقعية ترويها الأمهات عن خبرتهن في تحبيب أبنائهن في الإسلام.

في حب الإسلام: فوجئت الأم بطفلها البالغ من العمر إحدى عشر عاماً يسألها قائلاً: "أنا مسلم، نعم، ولكن لماذا يوجد أناس آخرين غير مسلمين؟ ولماذا لا أكون أنا أيضا غير مسلم؟ " فرأت أن الإجابة المباشرة لن يكون أثرها عميقا كما تريد، فاقترحت عليه أن يحاول البحث بنفسه عن إجابة، وأن يقوموا بعقد مسابقة بينه وبين أقرانه من الأقارب والجيران والأصدقاء للإجابة على سؤال محدد: " ماذا لو لم أكن مسلماً؟ " ونصحتهم بالاستعانة بمكتبة البيت أو النادي أو المدرسة، وتم تحديد يوم ليعرض كل منهم إجابته، فوجدت الأم إجابات مقنعة، منها ما قاله الأولاد:

---

(١) سنن أبي داود (١٢٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٤٩٠٤).

(٣) نوح: ١٠ - ١٢.

لو لم أكن مسلماً لما وجدت مكاناً محدداً أفزع إليه حين تصيبني مشاكل، ولما وجدت قوة تحميني حين أواجه مصاعب.. فمن سأنادي إن لم يكن معي أبي أو أمي أو مثلهم من البشر؟

و لسماني أبي اسما قبيحا، ولفرق أبي وأمي بيني وبين إخوتي في الحب والعطاء، ولاحتقرني الناس وهجروني بسبب شكلي أو لوني أوديني أو فقري أو جهلي، ولما وجدت من يرحمني حين أكون صغيراً، أوضعيفاً أو مريضاً، ولما احترمني غيري حين أكون كبير السن، ولظللنا نعيش بدون أمان يُغير بعضنا على بعض دون ضوابط، ولظللنا نبيت يقتلنا الهم والقلق على رزقنا وحياتنا ومستقبلنا، ولأكلنا الحيوانات الميتة، ولظل الفقير فقيراً يحقد على الغني، ولظل الغني غنياً يحتقر الفقير ويخاف من حسده وحقده، ولظللت أعيش بلا هوية أو هدف، أعطل عقلي ولا أحترمه، وأتبع أهوائي ولو كان على حساب غيري.

وقالت البنات: لولا الإسلام لوأدني أبي فور ولادتي، ولامتُهنت كرامتي، واستُبيحت حرمتي، ولظللت جاهلة بلا قيمة، ضعيفة بلا حول ولا قوة، ولتزوجني أخي وعمي وابني، ولفقدت اسمي بعد زواجي، ولما عرف أبنائي قيمتي وحقي عليهم، ولطلقني زوجي دون سبب وفي أي وقت، ولظللت محرومة من حقي في الميراث، ولنسيني أبنائي بعد موتي.

فنظرت الأم في النهاية إلى ابنها فرأت في عينيه أن إجابة سؤاله قد وصلت إلى قلبه قبل عقله، فحمدت الله الهادي.

* كانت الأم تحكي لطفلها منذ نعومة أظفاره سيرة الرسول ﷺ وكيف كان خَلقَه وخَلُقه، ولما بلغ العاشرة من عمره أكرمه الله تعالى بزيارة قبره ﷺ، ولما عاد قال لها: " إني أحب الرسول جداً وأتمنى رؤيته، ومقابلته في الجنة؛ ولكني لا أحبه أن يكون ملتحياً؛ فأنا أفضله بدون لحية! فكان على الأم أن تتصرف بلباقة فقالت له: " أنا متأكدة يا بني أنك حين تراه ستحبه أكثر بكثير، سواء كان ملتحياً أم لا"، ولكنه أصر قائلاً: "لا، أنا أحبه بدون اللحية"، فقالت له الأم: " هل تعلم لماذا كان يربي الرسول لحيته؟ " قال: "لا"، فقالت له: "لأن اليهود كانوا يحلقون اللحية، ويعفون الشارب، فأراد ﷺ أن يخالفهم... أم أنك كنت تفضل أن نتشبه بهؤلاء القوم؟! " فرد على الفور: " لا، لا يصح أن نتشبه بهم أبداً" وانتهى الحوار، ولم يعد يتكلم في هذا الموضوع أبداً.

** وكانت أم أخرى تعاني من أن أصحاب ابنها من الجيران والزملاء لا يلتزمون بالأخلاق التي ربته عليها، مما تسبب له في إحباط وعدم ثقة في تلك الأخلاق؛ لأنه لا يريد أن يشذ عن أصدقاءه وزملاءه، فقررت الأم أن تدعو مجموعة من هؤلاء الأصحاب في الإجازة الصيفية ليلعبوا معه بمختلف الألعاب التي لديه، وفي نهاية الجلسة كانت تقدم لهم بعض الفطائر والعصائر أو المرطبات وتجلس معهم لتحكي قصصاً عن خُلُق معين من

أخلاق الرسول ﷺ مع توضيح فائدة الالتزام بهذا الخُلُق، وكانوا هم يقاطعونها أحياناً ليكملوا حديثها، فكانت تتركهم يتكلمون - لأن ذلك يسعدهم - ثم تكمل حديثها؛ وكانت تكتفي بالحديث عن خُلُق واحد في كل مرة... حتى شعرت في نهاية الإجازة بتطور ملحوظ في سلوكياتهم جميعاً، وفي طريقة حديثهم عن رسول الله ﷺ.

وكانت أم ثالثة تحكي لأطفالها عن أخلاقه ﷺ، وطباعه، وكيف كان يفكر، وكيف كان يحل شتى أنواع المشكلات، حتى اطمأنت أنهم قد فهموا ذلك جيداً، فصارت بعد ذلك كلما مر أحدهم بمشكلة جمعتهم وسألت: " تُرى كيف كان سيحلها رسول الله ﷺ ؟ "

ثم تكافيء من يقدِّم الحل الصحيح... فكانت بذلك تعلمهم كيف يطبقون هَدْيَه ﷺ في حياتهم بطريقة عملية متجددة، حتى يعتادوا ذلك في الكِبَر، ويعتادوا أيضا مشاركة بعضهم البعض في حل مشكلاتهم.

طفولة العظماء:

رأت الأم أبناءها منبهرين بشخصيات الرسوم المتحركة والمجلات والأفلام الغربية من الأبطال، فعز عليها ذلك وقالت لهم: " إن هؤلاء أبطال غير حقيقيين، فهل أحدثكم عن أبطال حقيقيين؟ " فكانت إجابتهم بالفعل هي الإيجاب، فظلت تحكي لهم كل يوم قصة قبل النوم من قصص أبطال المسلمين من الأطفال أمثال: "علي بن أبي طالب" الذي نام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة وهو ابن عشر سنين.

و "الحسن" و"الحسين" الذين رأيا شيخا يتوضأ - وكانا غلامين - فلم يريدا جرح مشاعره بأن يقولا له أنه لا يحسن الوضوء، فقالا له: يا عماه لقد اختلفت وأخي فيمن يحسن الوضوء منا فهلا حكمت بيننا؟ وأرياه كيف الوضوء الصحيح. و"عبد الله بن الزبير" الذي عُرف عنه منذ صغره قوة في الحق وصراحة في الكلمة يعترف إذا أخطأ ويتحمل الجزاء إذا دعا الأمر، وقد كان يوما يلعب مع الصبية - وهو لا يزال صبي - وإذا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يمر بهم، ففروا من أمامه - لأنه كان يسألهم عن صلاتهم فإذا كانوا قد أدوها تركهم وإذا لم يؤدوها أمرهم بأدائها - أما "عبد الله" فوقف مكانه، فلما سأله "عمر" عن عدم فراره معهم قال: " لَم أرتكب ذنباً فأخافك، وليست الطريق ضيقة فأوسعها لك"، فسأله: " هل أديت فرضك؟ " قال " نعم يا أمير المؤمنين، وتلوت ما عليَّ من قرآن وحديث وأنا الآن أروِّح عن نفسي، فقال له: " جزاك الله خيرا يا ولدي". و"أسامة بن زيد" الذي علم أن رسول الله صلى الله عليه سلم يتجهز للغزو فأصر - وهو بعد لم يتجاوز العاشرة من عمره - على أن يكون

لـه دور، فذهب يعرض نفسه على الـنبي ﷺ، إلا أن الرسـول الكـريم أجابـه بأنـه مـا يـزال صغيرا لم يُفرض عليه القتال، فعاد باكياً، ولكنه عاود الكرة مرة ثانية وثالثة، وفي الثالثة طلب منه أن يطيِّب الجرحى من المقاتلين، ففرح فرحاً شديداً، ولمـا كـبر أوصـى الـنبي ﷺ أن يتـولى أسامة قيادة أحد جيوش المسلمين، فتم ذلك في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

* * * * *

المبحث الثالث:
تعاليـــم نبويــة

المطلب الأول:
النبى ﷺ يدعو للأبناء وهم فى أصلاب آبائهم

لما أذى النبى من أهل الطائف ورموه بالحجارة عـرض عليـه ملـك الجبـال أن يطبـق علـيهم الأخشبين (جبلين بمكة) عندها قال النبى المشفق الرحيم: **«أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مـــن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا»** كذلك يرشدنا لما فيه صلاح الابن فى المستقبل حيـث تكـون البداية ربانية لا شيطانية حيث قـال ﷺ : **«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، يولد بينهما ولد فلا يصيبه الشيطان أبدا»**[(1)].

ولقد أمرنا الله باختيار الصالحين والصالحات عند الزواج لتنشئة جيل صـالح لأن فاقـد الشيء لا يعطيه.

* * * * *

المطلب الثانى:
ويدعو لهم وهم نطفة فى رحم الأمهات

من مظاهر عناية الإسلام بالطفل وهو فى رحم أمه ما أمر به الإسلام من النفقة للمـرأة المطلقة ثلاثا إذا كانت حاملا وهذه النفقة لأجل جنينها وليست لأجلـها حيـث قـد سـقطت نفقتها بطلاقها ثلاثا، ومن العناية به وقايته مما قد يؤثر على صحته وهو فى رحـم أمـه ولـذا أبيح للحامل إذا خافت على جنينها أن تفطر فى رمضـان كـالمريض والمسـافر، ومـن العنايـة بالطفل وهو فى رحم أمه تأجيل العقوبة التى تستحقها إذا كان ذلك سوف يؤثر على الولـد أو يقضى عليه مثل قصة جهينة وقصة المرأة الغامدية.

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٦٧).

٣ – ويعلمنا ﷺ أذكار لنزول أحدهم بالسلامةمن رحم أمه:

إن لحظات الولادة من أشق اللحظات على الأم وجنينها لما فيها من المشقة والكرب وتكون الأم مكروبة فيها كربا عظيما وقد علمنا الرسول ﷺ دعاء يقال فى هذه الحالات حيث قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت**».

٤ – ويبين ﷺ منــزلته عند الله إذا سقط من بطن أمه قبل تمامه:

لقد ورد بشأن السقط أحاديث تسر السامعين فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته**» أى صبرت على فقده.

٥ – وبعد ولادهم يؤذن فى الأذن اليمنى للطفل:

عن أبى رافع قال: رأيت رسول الله ﷺ أذّن الحسن بن على حين ولدته فاطمة. وقال ابن القيم رحمه الله: وسر التأذين والإقامة أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوى المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام ومعروف أن الشيطان يفر ويهرب من سماع كلمات الآذان فيسمع شيطانه ما يغيظه فى أول لحظات حياته.

الإسلام يعد الأولاد من البشريات:

إن الأولاد نعمة من الله سبحانه وتعالى يهبها لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء ولما كانت هذه النعمة تسر الوالدين بشرت الملائكة بهم رسل الله من البشر وزوجاتهم

قال تعالى:**{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى}**[1]، وقالت عن امرأة إبراهيم الخليل:**{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}**[2] ولهذا ذم الله تعالى من تبرم من الأنثى واستثقلها لأنه تعالى هو الذى وهبها كما وهب الذكر والحياة لا تستمر إلا بالذكر والأنثى معا فقال تعالى:**{أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [3].

والنبى ﷺ يحنك المولود بالتمر ويدعو لــه ويبرك عليه

والتحنيك: هو مضغ الشىء ووضعه فى فم الصبى ودلك حنكه به يصنع ذلك بالصبى

(١) مريم: ٧.
(٢) هود: ٧١.
(٣) النحل: ٥٩.

ليتمرن على الأكل ويقوى عليه والمقصود من التحنيك: أن يطمئن الطفل ويجعله آمنا على استمرار غذائه والعناية به وبخاصة تحنيكه بالتمر الذى ترتفع فيه نسبة الحلاوة التى يتلذذ بها الطفل وفيه كذلك تمرين على استعمال وسيلة غذائه الجديدة وهى المص بالفم ليألفها.

ويرشد النبى محمد ﷺ الأبوين إلى تحصينه بالذكر من الآفات وشكر الله تعالى على موهبته:

لا شك أن الدعاء مجلبة لكل خيروفيه شكر الرحمن الذى يزيد من شكره قال تعالى: **{لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}** [1].

ويقسم ﷺ للمولود ميراثه بمجرد ولاته:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالاَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«لاَ يَرِثُ الصَّبِيُّ حَتَّى يَسْتَهِلَّ صَارِخًا قَالَ وَاسْتِهْلاَلُهُ أَنْ يَبْكِيَ وَيَصِيحَ أَوْ يَعْطِسَ»**[2].

ويأمر باخراج الزكاة عنه بمجرد الولادة أيضا:

عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[3].

ويرحم ﷺ طفولته ولو كان ولد زنا:

من رحمة النبى بالطفل وحرصه على أن يشب راضعا من ثدى أمه أنه لما جاءته المرأة الغامدية التى زنت ردها حتى تلد فلما وضعت ردها حتى ترضع طفلها ثم جاءت بالطفل بيده كسرة خبز دليل على فطامه فأقام ﷺ عليها الحد[4]، والناظر فى هذا الحديث يرى أمورا عجيبة:

- لم يأمرها النبى أن تسقط هذا الحمل من الزنا بل على العكس أمرها ان تذهب حتى تلد.

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) رواة البخاري ومسلم وغيرهم.

(٤) رواه مسلم.

- فلما ولدت أمرها أن تذهب حتى تفطمه فأرضعته ثم فطمته وقد أكل الخبز.
- أن النبى دفع بالصبى الى أحد المسلمين ليقوم على رعايته وتربيته.
تلك رحمة نبى الرحمة على ولد الزنا من الضياع فما ذنبه أن يتحمل آثار جريمة غيره؟!!

ويحتفل بالأطفال فى صغرهم فيوصى بالعقيقة عنهم

وللعقيقة فوائد كثيرة كما ذكر العلماء منهم ابن القيم فهى: قربان من الله تعالى وفيها الكرم والتغلب على الشح وفيها إطعام الطعام وهو من القربات، وهى تفك ارتهان المولود عن عدم الشفاعة لوالديه أو شفاعة والديه له، ومنها أنها ترسيخ للسنن الشرعية ومحاربة خرافات الجاهلية وفيها إشاعة نسب المولود وغيره.

* عَن الْحَسَن عَنْ سَمُرَةَ بْن جُنْدُبٍ عَنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«كُلُّ غُلَامٍ رَهِينٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّى»** [١].

عَنْ سِبَاعِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ سِبَاعٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّ كُرْزٍ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ: **«عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ وَعَنِ الْأُنْثَى وَاحِدَةٌ وَلَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَانًا كُنَّ أَمْ إِنَاثًا»** [٢].

يغير صلي الله عليه وسلم عادات الجاهلية في الاحتفال بهم:

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِنَا غُلَامٌ ذَبَحَ شَاةً وَلَطَخَ رَأْسَهُ بِدَمِهَا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كُنَّا نَذْبَحُ شَاةً وَنَحْلِقُ رَأْسَهُ وَنُلَطِّخُهُ بِزَعْفَرَانٍ.

ويسميهم بأحسن الأسماء:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»** [٣].

حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا هشام بن سعيد الطالقاني أخبرنا محمد بن المهاجر الأنصاري قال: حدثني عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ : **«تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**

(١) رواه النسائي والترمذي وصححه الالباني.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.
(٣) مسند أحمد.

وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة».

وينهي عن تسميتهم بأسماء قبيحة وغير جائزة شرعا:

عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «**لا تسم غلامك أفلح ولا نجيحا ولا يسارا ولا رباحا فإنك إذا قلت أثم هو أو أثم فلان**» قالوا: لا يأمر صلي الله عليه وسلم بحلق رأس الطفل يوم سابعه وتنظيفه وإزالة الأذي عنه.

عن علي بن أبي طالب قال: عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال: يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة قال فوزنته فكان وزنه درهما أو بعض.

وينهي عن تشويه الرأس بحلق بعضه وترك بعضه (القزع):

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن القزع قال عبيد الله قلت: وما القزع؟ فأشار لنا عبيد الله قال: إذا حلق الصبي وترك ها هنا شعرة وها هنا وها هنا فأشار لنا عبيد الله إلى ناصيته وجانبي رأسه قيل لعبيد الله فالجارية والغلام قال: لا أدري هكذا قال الصبي قال عبيد الله وعاودته فقال أما القصة والقفا للغلام فلا بأس بهما ولكن القزع أن يترك بناصيته شعر وليس في رأسه غيره وكذلك شق رأسه هذا وهذا.

ويداعب الصبي بلسانه وفمه:

عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بنى قينقاع متكئا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال: «**أين لكاع ادعوا لي لكاعا**» فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فمه في فمه ثم قال: «**اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**» ثلاثا قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني أو دمعت عيني أو بكت شك الخياط.

ويكني أهل الطفل باسمه:

حدثنا الربيع بن نافع عن يزيد يعني ابن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده شريح عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم؟**» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله ﷺ : «**ما أحسن هذا فما لك من الولد**» قال: لي شريح ومسلم وعبد الله قال: «**فمن أكبرهم؟**» قلت: شريح قال: «**فأنت أبو شريح**».

ويهتم بختان الطفل:

حدثنا سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رواية (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان

والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب).

ويجلسهم علي حجره وفخذة ويشفق علي مرضاهم:

حدثنا أبو بكر الحنفي قال حدثنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أم كرز الخزاعية قالت: أتي النبي ﷺ بغلام فبال عليه فأمر به فنضح وأتي بجارية فبالت عليه فأمر به فغسل.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول: **«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»** وعن علي قال حدثنا يحيى حدثنا سليمان عن أبي عثمان قال التيمي فوقع في قلبي منه شيء قلت: حدثت به كذا وكذا فلم أسمعه من أبي عثمان فنظرت فوجدته عندي مكتوبا فيما سمعت.

ويؤكد على الصدق معهم وعدم الكذب عليهم:

عن عبد اللَّه بن عامر قال: دعتني أمي، ورسول اللَّه صلي الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال صلي الله عليه وسلم: **«ما أردت أن تعطيه؟»** قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: **«أمَا إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبت عليك كذبة»** [1].

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم، فلا يجوز خداعهم بأي حال. قال أبو الطيب: وفي الحديث أن ما يتفوَّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب.

كذلك يراعى الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، وينبغي ألا يدخل الكذب في هذا كله.

ويترك للصغير فرصة يتلَهَّى معه صلي الله عليه وسلم:

ربما يمزح الطفل الصغير مع الرجل الكبير، وربما يعبث في ثوبه أو في لحيته، وزجْرُه في هذه الحالة كسرٌ لنفسه وجَرْحٌ لشعوره، وتعويدٌ له على الانطواء والوحدة، لكن مقابلة ذلك بالابتسامة والإعجاب، يُدخل السرور على الطفل، ويشجعه على مخالطة الكبار والاستفادة منهم، كما يربي فيه الشجاعة الأدبية.

وقد حدث مثل هذا مع النبي صلي الله عليه وسلم: فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد ابن العاص قالت: أُتِيَ النبي صلي الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال:

---

(١) سبق تخريجه.

«**مَن ترون أن نكسوَ هذه؟**» فسكت القوم، قال: «**ائتوني بأم خالد**»، فأُتِيَ بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها،وفي الرواية الأخرى: ثم قال صلي الله عليه وسلم: «**سَنَاه سَنَاه**». وهي باللغة الحبشية بمعنى: حَسَنَة، قالت: فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة (بين كتفيه) فزبرني (فزجرني) أبي، قال رسول اللَّه صلي الله عليه وسلم: «**دعها**». ثم قال رسول اللَّه صلي الله عليه وسلم: «**أبلي وأخلقي، ثم أبْلي وأخْلقي، ثم أبلي وأخلقي**».

قال عبد اللَّه: فبقيت حتى ذَكَرَ، يعني من بقائها. يعني طال عمرها بدعوة النبي ﷺ : «**أبلي وأخلقي**» ثلاث مرات، والثوب الخَلِق: هو البالي، وكانت الطفلة الصغيرة أم خالد مع أهلها في هجرة الحبشة، فلذلك داعبها النبي صلي الله عليه وسلم بلهجة أهل الحبشة التي تفهمها: «**سَنَاه سناه**» [١].

ويتوعد صلي الله عليه وسلم من يدلُّهم على فِعل المنكرات:

من رحمة اللَّه تعالى بالأطفال: أنه رفع عنهم التكليف في صغرهم، بل عافاهم من المؤاخذة على الذنوب؛ حتى ينضج الطفل ببلوغه الحلم، فإذا بلغ سجل القلم عليه ما يقول ويعمل.

عن علي وعمر رضي اللَّه عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم**» [٢].

ومهما كان الطفل صغيرًا ولم يبلغ الحلم بعد، فإنه لا يجوز لأحد أبدًا أن يدله على فعل ما هو معصية نهى عنها الإسلام أو يغريه بها، كأن يعلمه شرب المسكرات وفعل المنكرات، أو شرب الدخان وفعل القبائح، أو السب والشتم والبذاءة وسيئ القول والعمل.

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**كل مُخْمِرٍ خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرًا بُخست صلاته أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال صديد أهل النار ومن سقاه صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقًّا على اللَّه أن يسقيه من طينة الخبال**».
وطينة الخبال: هي عصارة أهل النار وصديدهم.

وكذلك فإن من ألبس الطفل الصغير حريرًا أو ذهبًا فلا إثم على الطفل لارتفاع التكليف عنه، وإنما الإثم على من ألبسه[٣].

ويصحبهم صلي الله عليه وسلم في الطريق واعظًا ومعلمًا على قدر عقولهم:

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٨٥).
(٢) سنن أبي داود (٣٨٢٢).
(٣) سنن الترمذي وأبو داود.

الطفل من حقه أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة، والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته.

وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم قدوة في ذلك، فعلمنا أنه صحب أنسًا، وكذلكم صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه. وها هو عبد اللَّه بن عباس، ابن عمه صلي الله عليه وسلم يسير بصحبة النبي صلي الله عليه وسلم على دابته، فيستفيد النبي صلي الله عليه وسلم من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خال، والقلب منفتح، فيعلّمه كلمات، على قدر سنِّه واستيعابه، في خطاب مختصر ومباشر وسهل، مع ما يحمله من معان عظيمة يسهلُ على الطفل فهمها واستخلاصها، يقول: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»** [١].

ويستخدم صلي الله عليه وسلم العبارات الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

من عوامل بناء الثقة في الطفل، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية: أن يُنادَى باسمه، بل بأحسن أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسن فيه. وقد كان رسول اللَّه صلي الله عليه وسلم قدوةً في ذلك؛ فتارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغره، فيقول: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات»**، و**«يا غلام سم اللَّه، وكُلْ بيمينك»**، و**«يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ؟»** وهكذا.

وتارة يناديه بقوله: **«يا بنيَّ»**. كما قال لأنس لَّما نزلت آية الحجاب: **«وراءك يا بني»**. وقال صلي الله عليه وسلم عن أبناء جعفر ابن عمه أبي طالب: **«ادعوا لي بني أخي»**. وسأل أمهم عن صحتهم فقال: **«ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة؟»**و عن الحسن ابن سعد عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: **«لا تبكوا على أخي بعد اليوم»** ثم قال: **«ادعوا لي بني أخي»** فجيء بنا كأنا أفرخ فقال: **«ادعوا لي الحلاق»** فأمره فحلق رؤسنا[٢].

وتارةً أخرى يناديهم صلي الله عليه وسلم بالكُنية، فالكنية تكريم وتعظيم، فكان يقول

(١) سبق تخريجه.

(٢) سنن أبي داود (٣٦٦٠).

للطفل الصغير الفطيم: **«يا أبا عمير، ما فعل النغير؟»** لطائر صغير كان يلعب به فمات[1].

وقد كان أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ينادون مَن وُلِد في الإسلام من أب مسلم بقولهم: يا بن أخي، فقد مدح المسيب البراء بن عازب بصحبة النبي صلي الله عليه وسلم وبيعته فقال له: **«يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»**.

وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول للشاب الذي سأله عن أبي جهل: يا بن أخي، وما تصنع به؟ وكان يريد أن يقتله في غزوة بدر، وقد كان.

ويأمر ﷺ بتلقين الطفل كلمة التوحيد:

عن جندب بن عبد اللَّه قال: "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا".

فعلمهم النبي ﷺ الإيمان قبل أن يعلمهم القرآن، والإيمان كما بالحديث: **«بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**. [2]

ويبشرهم ﷺ بالجنة إذا ماتوا صغارًا:

عن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قالت: دُعي رسول ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أوَ غير ذلك يا عائشة؟ إن اللَّه خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[3].

وقال ﷺ : «**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...**» إلى أن قال: «**قالا: انطلق، فانطلقتُ، فإذا روضة خضراء، وإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان**» إلى أن قال: «**إنكما طوفتماني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم ... قال: وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام، وأما الصبيان الذين رأيتَ فأولاد الناس، أما أطفال المشركين: فقد أخبر نبينا ﷺ بأنهم في الجنة يكونون فيها خدمًا لأهلها**»، عن عائشة قالت : قلت: يا رسول الله ذراري المؤمنين؟ فقال: **«هم من آبائهم»**، فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»** قلت: يا رسول الله فذراري المشركين قال: **«من آبائهم»** قلت: بلا عمل

---

(١) مسند أحمد (١٢٨٤٧).

(٢) سنن أبي داود (٤٠٥٦).

(٣) سنن النسائي (١٩٢١).

قال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»** [(١)].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبـي ﷺ : **«ما من الناس من مسلم يتـوفى لـه ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إيـاهم»** [(٢)]، يبشّـر ﷺ بشـفاعتهم لأبويهم إذا صبروا على فقْدِهِم.

وما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنْـث، إلا أدخلـهما اللَّـه وإيـاهم بفضل رحمته الجنة، وقال: يقال لهم: **«ادخلوا الجنة»**، قال فيقولون: حتى يجيء أبوانا، قال: ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم،بـل يخـبر ﷺ بتلقـيهم لأهلهم على أبواب الجنة يوم القيامة، قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما من مسلم يموت لـه ثلاثـة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ويبشر ﷺ من حُرِم الأولاد في الدنيا بهم في الآخرة»** [(٣)].

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسـول ﷺ : «**المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنـة كان حمله ووضعه وسِنُّه في ساعة واحدة كما يشتهي**» [(٤)].

قال المناوي في «فيض القدير»: ولا تعارض بينه وبين خبر العقيلـي بسـند صـحيح: «**إن الجنة لا يكون فيها ولد**»؛ لأن ذلك لمن لم يشـته، فـلا يولـد لــه، أمـا إذا اشـتهى فكمـا بـين الحديث. قُلْتُ: وهذا مصداق قول الله سبحانه:**{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [(٥)].

* * * * *

المبحث الرابع:
تربية الرسول ﷺ لبناته رضي الله عنهن

أجمع المؤرخون أن للنبي ﷺ أربع بنات كلهن أدركـن الإسـلام، وهـاجرن هـن: فاطمـة عليها السلام: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وزينب تزوجها العاص بن الربيع – رضي الله عنه – ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان – رضي الله عنـه – تـزوج أم كلثـوم بعـد وفاة رقية.

---

(١) سنن أبي داود (٤٠٨٩).
(٢) صحيح البخاري (١١٧١).
(٣) مسند أحمد (٣٣٧٣).
(٤) سنن الترمذي (٢٤٨٧).
(٥) الزخرف: ٧١.

و الحكمة من أن النبي ﷺ أباً للبنات – الله أعلم بها – ويرجعها البعض لأسباب:

منها: أن البنت في عُرف العرب قبل الإسلام عار يستحق الدفن حياً قال الله تعالى:**{إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}**[1].

جاء في تفسير هذه الآية: بأن الكظيم: هو الكئيب من الهم، ويمسكه على هون: أي يبقى البنت مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها.

فشاء الله أن يكون النبي محمد ﷺ أباً لبنات ليكون القدوة للمؤمنين فيما ينبغي للبنت من حقوق ومكانة لائقة أقرها لها الدين الإسلامي الحنيف.

فأبوة الرسول ﷺ لبناته حدثاً جديداً في حياة المرأة، وفي هذا قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: "والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ماأنزل وقسم لهن ما قسم.

ومنها: أيضاً – والله أعلم – حتى يكون النبي ﷺ بعيداً عن تهمة الاستنصار بالولد، والاعتماد عليه كما هي عادة العرب في ذلك الوقت. بل أن ما جاء به من دين نُشر في الأرض لأنه هو الحق ولا حق سواه، والحق دائماً أظهر وأقوى.

وقد كان العربي في الجاهلية يترقب الأولاد للوقوف إلى جانبه ومساندته، والدفاع عن الحوزة وحماية البيضة، أما البنت فكان التخوف من عارها يحملهم على كراهتهاحتى بعث الله نبينا محمد ﷺ بالدين الإسلامي خاتم الأديان الذي ارتضاه الله عزَّ وجل لعباده قال الله تعالى:**{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[2] وقال تعالى:**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}**[3].

فحفظ الإسلام للبنت حقوقها وأنزلها المنزلة اللائقة بها ووعد من يرعاها ويحسن إليها بالأجر الجزيل وجعل حسن تربيتها ورعايتها والنفقة عليها سبب من الأسباب الموصلة إلى رضوان الله وجنته، جاء في الحديث عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه»** [4].

---

(١) النحل: ٥٨.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) أخرجه مسلم.

يلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ ضم أصابعه، ولم يفرق بينهما كناية عن شدة قرب من عال جارتين من الرسول ﷺ في الجنة. وفي الحديث الآخر عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته فقال: **«من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن لــه ستراً من النــار»** أي حجاباً ووقاية من النار[1].

أيُّ فضل أعظم من هذا الفضل! وأيُّ أجر أعظم من هذا الأجر!.

وعلى الرغم من هذا الأجر العظيم الوارد في فضل تربية البنات والإحسان إليهن إلاَّ أن هناك من الناس من لا يُسر لمولد البنت – والعياذ بالله – فيظهر الهمَّ والحزن! وما هذا إلا جهل واعتراض على قدر الله، والبعض يفرط ويقصر في تربية وتوجيه بناته ولا يرعاهن الرعاية المطلوبة منه.

ولو أن الإنسان تفقه في دين الله ووقف عند حدوده واقتفى أثر الرسول ﷺ في كل أمر من أمور حياته لعاش مطمئناً مرتاح البال قرير العين، ولعرف كيف يعبد ربه، وكيف يتعامل مع إخوانه، وأهله، وزوجته، وكيف يربي أولاده فالحمد لله أنه ما من خير إلاَّ ودلنا ديننا الإسلامي الحنيف عليه وما من شر إلاَّ وحذرنا منه.

تربية النبي ﷺ لبناته في مرحلة الطفولة: من هديه ﷺ في تربية بناته في مرحلة الطفولة أنه كان يُسَّر ويفرح لمولد بناته رضي الله عنهن فقد سُرَّ واستبشر ﷺ لمولد ابنته فاطمة رضي الله عنها وتوسم فيها البركة واليمن، فسماها فاطمة، ولقبها بِـ (الزهراء) وكانت تكنى أم أبيها.

وفي هذا درس عظيم من دروس السيرة النبوية بأن من رزق البنات وإن كثر عددهن عليه أن يظهر الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه وتعالى على ما وهبه من الذرية، وأن يعزم على حسن تربيتها، وتأديبها، وعلى تزويجها بالكفء "التقي" صاحب الدين حتى يظفر بالأجر الجزيل من الله. ففاطمة – رضي الله عنها – كانت البنت الرابعة للنبي ﷺ، وهي أصغر ذريته ﷺ.

وفي مرحلة الطفولة يلزم الأبوين الاهتمام بالطفل وتوفير كافة الاحتياجات الخاصة بهذه المرحلة، الحاجات الجسمية والنفسية؛ وبالذات الأم فعليها تقع المسؤولية الكبرى في

---

(١) متفق عليه.

رعاية أولادها في مرحلة الطفولة فهم أكثر ما يكونون التصاقاً بها وقد حرصت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – على تربية ورعاية أولادها منذ ولادتهم (وكانت إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه في البادية حتى ينشؤوا على الفصاحة والشجاعة كما كانت عادة قريش. لا كما يفعله بعض الأمهات في زماننا من دفع أولادهم إلى الخادمات والمربيات الأمر الذي قد يحصل معه خلل في عقيدة الطفل وسلوكه.

وفي هذه المرحلة – مرحلة الطفولة – يجب على الأبوين أن يلقنا البنت مبادئ الإسلام، والعقيدة الصحيحة، وتلاوة القرآن الكريم، والصلاة، والتعوّد على لبس الحجاب حتى تنشأ البنت على ذلك منذ نعومة أظفارها.

رعاية النبي ﷺ لبناته في مرحلة الصبا: وإذا كبرت البنت قليلاً وجب على والديها أن يعلماها حقوق الله سبحانه وتعالى، وحقوق الوالدين، وحقوق الآخرين وحسن الخلق وحسن التصرف في شتى الأمور، وعلى المحافظة على لبس الحجاب والتستر والبعد عن أعين الرجال حتى تنشأ البنت على التربية الإسلامية الصحيحة تعرف ما يجب لها وما يجب عليها.

مع الأخذ في عين الاعتبار إعدادها لما هو منتظر منها من دور هام في الحياة بأن تكون زوجةً صالحة، وأماً حانية تربي أولادها وتعدهم لأن يكونوا صالحين مصلحين؛ "لأن للمرأة المسلمة أثراً كبيراً في حياة كل مسلم، فهي المدرسة الأولى في بناء المجتمع الصالح، وخاصة إذا كانت هذه المرأة تسير على هدى من كتاب الله في كل شيء.

وإذا قربت البنت من سن البلوغ (التكليف) يجب أن تدرب على أن تكون زوجة، وأماً وهذه هي سنة الله في خلقه وعلى الأم تقع مسؤولية ذلك، فقد بادرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – بتمرين ابنتها الكبرى زينب – رضي الله عنها – عندما كبرت على المشاركة في أعمال البيت والتدريب على الأمومة فكانت (زينب) لشقيقتها الصغرى فاطمة أماً صغيرة ترعى شؤونها وتمضي فراغها في ملاعبتها.

ولقد صدق القائل: "إن الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لأهلها وعون لبعلها، وكمال لبنيها، أهلها بها يفتخرون، وأولادها بها يسعدون، ومن ذا الذي لا يسرّ فؤاده بابنته الأديبة التي تدبر الأمور المعاشية بالمعرفة، وتدير الحركة المنزلية بالحكمة، ويجد في مجالستها أنيساً عاقلاً وسميراً كاملاً".

تزويج النبي ﷺ لبناته:

الزواج سنة من سنن الله في خلقه، وأمر مرغوب فيه حثّ إليه ديننا الحنيف ودعى إليه قال الله تعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**(١).

وقال تعالى:**{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}**(٢).

وامتثالاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ يجب على الأب أن يزوج بناته ولا يعضلهن ويمنعهن من الزواج لأي سبب من الأسباب فواجب الأب أن يزوج ابنته وأن يختار لها الكفء من الرجال والكفء معروف هو صاحب الدين والخلق قال النبي ﷺ : **«إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»**(٣).

وقد زوج النبي ﷺ جميع بناته من خيرة الرجال: فزوج زينب – رضي الله عنها – من أبي العاص بن الربيع القرشي – رضي الله عنه – وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد وأبو العاص كان من رجال مكة المعدودين مالاً، وأمانة، وتجارة.

وقد أثنى النبي ﷺ على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته خيراً وقال: **«حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي»** وكان قد وعد النبي أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها.

ومما يدل على شهامته وصدقه قصة إسلامه – رضي الله عنه – فقد كان في تجارة لقريش إلى الشام وفي طريق عودته إلى مكة المكرمة لقيته سرية فأخذوا ما معه، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب – وقد كانت في المدينة وفرق بينهما الإسلام فهو لم يدخل في الإسلام بعد – فاستجار بها فأجارته وخرجت والنبي ﷺ صلى بالناس الفجر فقالت: "أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع" فلما سلم الرسول ﷺ أقبل على الناس فقال: **«أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟»** قالوا: "نعم" قال: **«أما والذي نفسي بيده ما علمت بشئ حتى سمعت ما سمعتم وأنه يجير على المسلمين أدناهم»** ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: **«أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له»** قال: وبعث ﷺ

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) النحل: ٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي.

فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: "يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ " قالوا: "لا فقد وجدناك وفياً". قال: "فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلاَّ تخوف أن يظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت.

وقد زوجه النبي ﷺ من ابنته زينب عندما طلبت منه أمها خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – أن يزوجها له فوافق النبي ﷺ على طلبها، لما يعرف من رجاحة عقلها وثقتها بابن أختها فكانت تعده بمنزلة ولدها.

وهنا درس نبوي كريم في تزويج البنات هو أنه لا مانع من أخذ رأي والدة البنت والتشاور معها ففي ذلك إكراماً لها واعترافاً بحقها.

وزوَّج النبي ﷺ رقية من عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الخليفة الراشد الزاهد الجواد السخي الحيي، وكان من أبرز أخلاقه وأشدها تمكناً من نفسه خلق الحياء، الذي تأصل في كيانه؛ لذا فقد أشاد الرسول ﷺ بهذا الحياء الواسع العميم فقال: **«إن عثمان رجلٌ حييّ»**، وقال ﷺ : **«ألاَّ أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»** (1).

وكان النبي ﷺ يحبه كثيراً فلما توفيت رقية – رضي الله عنها – زوجه النبي ﷺ بأختها أم كلثوم ولما ماتت أم كلثوم قال النبي ﷺ : **«لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان»**.

وزوَّج فاطمة – رضي الله عنها – من علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ابن عمه ﷺ وكان أول من آمن برسول الله ﷺ من الصبيان، وكان قد تربى في حجر الرسول ﷺ قبل الإسلام ولم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً

يقول ابن كثير رحمه الله: "كان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس، وكان من أيسر بني هاشم: **«يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق حتى نخفف عنه من عياله»**، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه".

و البنت أمانة في بيت والديها ولابد أن تنتقل إلى بيت زوجها يوماً ما، وقد أوجب لها ديننا الإسلامي الحنيف حق الاستئذان في الزواج فلا يحل لوليها أن يعقد لها على رجل تكرهه قال النبي ﷺ : **«لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتنكح البكر حتى تستأذن»**. قالوا:

---

(1) أخرجه مسلم.

"يا رسول الله، وكيف إذنها؟ " قال: «**أن تسكت**» [1].

فكلمة تستأمر في حق الثيب تفيد طلب الأمر فلا يعقد عليها إلاً بعد طلب أمرها وإذنها بذلك، وكلمة تستأذن في حق البكر تعنى طلب إذنها وموافقتها على النكاح، وإذا عقد الأب لابنته وهي كارهة فالعقد مردود "عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها [2].

و كان النبي ﷺ يستشير بناته قبل تزويجهن فعندما خطب علي – رضي الله عنه – فاطمة – رضي الله عنها – قال لها الرسول ﷺ : «**إن علياً يذكرك**» فسكتت فزوجها"[3].

وهنا يجب على الآباء أن يتأكدوا من موافقة البنت قبل إجراء العقد لها.

ويخطئ بعض الآباء من ترديد كلمة نحن أعلم بمصلحتها – لا شك – أن الأب يفوق ابنته في الخبرة، وطول التجربة في الحياة، ومعرفة الرجال ولكن على الرغم من ذلك يجب عليه أن لا يحيد عن تعاليم الإسلام، ولا يجبر ابنته على رجل تكرهه بل عليه أن يستأذنها ويعرف رأيها قبل إجراء عقد النكاح، وفي ذلك خير كبير حيث تشعر البنت بكيانها وأهميتها وتبدى رأيها في الرجل الذي ستنتقل إلى بيته وهو أدعى لدوام السعادة والوفاق لاقتناع كل من الطرفين بصاحبه فالزوج أباح له الإسلام النظر إلى من ينوى نكاحها، وهي كذلك تراه وتستشار في الموافقة على إجراء العقد وهذه من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف.

صداق بنات النبي ﷺ :

والصداق في الزواج حق من حقوق الزوجة يدفعه لها الزوج قال الله تعالى:**{وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}** وسنة النبي ﷺ وهديه عدم التغالي في الصداق، بل إن خير الصداق أيسره قال الإمام ابن القيم – يرحمه الله: "إن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته وعسره " فقد زوَّج النبي ﷺ بناته على اليسير من الصداق فبعد أن تمت الموافقة على زواج علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – من فاطمة حُب رسول الله ﷺ وأصغر بناته جاء إلى النبي ﷺ فسأله النبي: «**ما تصدقها؟**» فقال علي: "ما عندي ما أصدقها" فقال الرسول ﷺ : «**فأين درعك الحطمية التي كنت قد منحتك؟**» قال علي: "عندي". قال النبي ﷺ : «**أصدقها إياها**» فأصدقها وتزوجها وكان ثمنها أربعمائة درهماً[4].

هذا هو صداق بنت رسول الله ﷺ وحبه وأصغر بناته سيدة نساء أهل الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وما يفعله بعض الناس في زماننا من التغالي في المهور هو أبعد ما يكون عن هدي رسول الله – صلى الله عليه – وهو أمر خطير له أضراره على الفرد وعلى المجتمع والدين الإسلامي دين اليسر والسهولة.

وفي أمر الزواج لا يقتصر اليسر على الصداق بل يمتد إلى الوليمة التي يُشهر بها الزواج وهي أمر دعى إليه الإسلام وحثّ عليه فكان النبي ﷺ يولم في زواجه باليسير من النفقة، فعن صفية بنت شيبة قالت: "أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بمدين من شعير".

وكذلك في زواج أصحابه رضي الله عنهم فعن أنس – رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، قال: **«ما هذا؟»** قال: "إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب"، قال: **«بارك الله لك، أولم ولو بشاة»** [1].

وفي زواج بناته رضي الله عنهن كذلك مظهر من مظاهر اليسر في الوليمة ففي ليلة زواج فاطمة رضي الله عنها قال الرسول ﷺ : **«يا علي لا بد للعروس من وليمة»**. فقال سعد بن معاذ – رضي الله عنه: **«عندي كبش»**. وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة وأولم الرسول ﷺ [2].

رعاية النبي ﷺ لبناته بعد الزواج:

يختلف الناس في النظر إلى علاقة البنت بوالديها بعد الزواج: فمنهم من يرى أنه يجب على الأبوين أن يتركوا البنت وشأنها بعد الزواج لدرجة أن علاقتهم بها شبه مقطوعة فلا تزاور من طرف الأهل، بزعمهم أن هذا أدعى لسعادتها الزوجية واستمرار العلاقة بينها وبين زوجها وأهله.

وفي المقابل نجد أن هناك من الأسر من يتدخل في حياة ابنتهم بشكل مباشر فيتطلعون إلى معرفة كل صغيرة وكبيرة في حياة ابنتهم، ولهذا التدخل سلبياته التي تؤدي إلى إفساد الحياة الزوجية، لدرجة قد تصل إلى الطلاق! فما هو الهدي النبوي في هذا الجانب من حياة البنات؟.

كان النبي ﷺ يزور بناته بعد الزواج ويدخل عليهن الفرح والسرور، فقد زار النبي ﷺ فاطمة – رضي الله عنها – بعد زواجها ودعا لها ولزوجها بأن يعيذهما الله وذريتهما من الشيطان الرجيم.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

ولم يكن يشغله ﷺ عن بناته – رضي الله عنهن – شاغل بل كان يفكر فيهن وهو في أصعب الظروف وأحلكها فعندما أراد النبي ﷺ الخروج لبدر لملاقاة قريش وصناديدها كانت رقية – رضي الله عنها – مريضة فأمر النبي ﷺ زوجها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن يبقى في المدينة؛ ليمرضها وضرب له بسهمه في مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة.

ويجب على الأب أن يحافظ على بيت ابنته وسعادتها مع زوجها وأن يتدخل إذا لزم الأمر ويحرص على الإصلاح بينها وبين زوجها بشكل يضمن إعادة الصفاء إلى جو الأسرة.

فقد حدث أنه كان بين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وزوجته فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – كلام فدخل عليهما النبي ﷺ حتى أصلح ما بينهما.

وأحياناً يقع الطلاق على الزوجة ظلماً وعدواناً، عندها تحزن البنت كثيراً ويحزن أهلها لحزنها، والعزاء في ذلك أن ابنتي الرسول ﷺ : رقية وأم كلثوم طلقتا من عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب ظلماً بدون سبب إلاَّ أنهما صدقتا ما قاله النبي ﷺ : من أنه أوحي إليه وأنه نبي هذه الأمة، الكلام الذي أغضب قريش فقد تزوج عتبة بن أبي لهب من رقية بنت رسول الله ﷺ فلما نزلت:**{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب وَتَبَّ}**[1] قال أبو لهب: "رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنت محمد ففارقها قبل الدخول".

ولم يكتف أبو لهب بذلك بل أمر ابنه عتيبة أن يطلق أم كلثوم بنت النبي ﷺ ظناً منه أنه بذلك يستطيع أن يشغل النبي ﷺ عن دعوته.

هنا درس للبنات وللآباء بأن يصبروا ويحتسبوا الأجر من الله جلَّ وعلا، وأن ما وقع من الطلاق ظلماً ما هو إلاَّ ابتلاء سوف يعوضهم الله خيراً فقد عوض الله ابنتي الرسول ﷺ خيراً من عتبة وعتيبة، عوضهما زوجاً صالحاً كريماً هو عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أحد العشرة المبشرين بالجنة وثالث الخلفاء الراشدين، فقد تزوج عثمان – رضي الله عنه – برقية وبعد وفاتها تزوج بأختها أم كلثوم قال الله تعالى:**{فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً}**[2].

وقد يحدث أن يفقد الأب بعض بناته بموتهن فالموت نهاية كل حي وهو المصير المحتوم الذي لا مفر منه قال الله تعالى:**{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ}**[3].

---

(١) المسد: ١.

(٢) النساء: ١٩.

(٣) الأنعام: ٦١.

وليعلم من ابتلي بفقد إحدى بناته أن الرسول ﷺ فقد جميع ذريته من الذكور والإناث ولم يبق بعد وفاته إلاّ فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – وهديه ﷺ في وفاة بناته رضي الله عنهن، أنه كان يحزن لوفاتهن وتذرف عيناه الدمع على فراقهن، يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه – في نبأ وفاة أم كلثوم – رضي الله عنها:شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ قال: ورسول الله – ﷺ – جالسٌ على القبر، قال فرأيت عينيه تدمعان، وقال: **«هل منكم رجل لم يقارف الليل؟»** قال أبو طلحة: "أنا" قال: **«فانزِل»** قال: "فنزل في قبرها" [1].والدموع هذه ليست دموع جزع وسخط من قضاء الله وقدره – والعياذ بالله – إنما هي دموع رحمة وشفقة تذرف من عيون الرحماء روى أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: "أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: أن ابناً لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: **«إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»** فأرسلت إليه تقسم ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع – قال: حسبته قال: كأنها شن – ففاضت عيناه، فقال سعد: "يا رسول الله ما هذا؟ " فقال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»** [2].ومن هديه ﷺ في وفاة بناته – رضي الله عنهن – أنه كان يشرف على غسلهن وتكفينهن، ويصلى عليهن ويدفنهن، ويقف على قبورهن ويدعو الله لهن. فعن أم عطية – رضي الله عنها – قالت: "دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً. فإذا فرغتن فآذنني»**. فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوة فقال: **«أشعرنها إياه»** [3].

وفي كيفية الغسل قالت أم عطية – رضي الله عنها – قالت: "لما غسلنا بنت النبي ﷺ، قال لنا ونحن نغسلها: **«ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»** [4].

وكان ﷺ يقف على قبر من توفي من بناته ويدعو لها فقد كانت رقية – رضي الله عنها – مريضة أثناء غزوة بدر فأمر النبي ﷺ زوجها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بالبقاء إلى جانبها لتمريضها. ولما عاد ﷺ من الغزوة وقد ماتت ابنته رقية، خرج إلى بقيع الغرقد ووقف على قبرها يدعو لها بالغفران.فنسأل الله تعالى أن يصلح بناتنا ويرزقهن العفاف والستر والاقتداء بأمهات المؤمنين وبنات الصادق الأمين ﷺ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سنن أبي داود (٢٧٣٤).

(٤) أخرجه البخاري.

* * * * *

المبحث الخامس:
التغيرات التى تحدث للولد والبنت عند البلوغ

تبدأ هذه التغيرات في بداية مرحلة البلوغ قبل ظهور الطمث بحوالي سنتين وهذه التغيرات هي تغيرات مرئية ومحسوسة ويمكن أن نلخصها كالآتي:

١) تغير في صوت البنت تجاه الطبيعة الأنثوية.

٢) زيادة في وزن الجسم.

٣) امتلاء الجسم واستدارة الأجزاء الخاصة بالأنثى.

٤) ظهور شعر العانة وشعر ما تحت الإبطين..

٥) نمو الثديين واستدارتهما

٦) زيادة في درجة ذكاء البنت

٧) وفي ملاحظة الأم لأي من التغيرات السابقة على ابنتها يجب عليها اتباع هذه التوجيهات والنصائح حتى تستطيع هي وابنتها مواجهة هذه التغييرات بدون حرج وبدون أي آثار جانبية على نفسية وسلوكيات البنت:

١ - يجب على الأم أن تفهم ابنتها أن هذه التغييرات هي تغيرات طبيعية ولابد من حدوثها لأي بنت عندما تبلغ هذه السن.

٢ - تفهيم البنت أنها من هذه اللحظة أصبحت أنثى كاملة النضج وأنها مكلفة بأداء كافة العبادات المفروضة عليها وعلى الأم أن تقرن أي أمر أو تكليف بآية قرآنية أو بحديث نبوي شريف (يمكن للأم أن تستعين ببعض الأشرطة الإسلامية المناسبة).

٣ - يجب على الأم أن تلزم ابنتها بالحجاب الشرعي وذلك بتغطية جميع أجزاء جسمها بالملابس الفضفاضة التي لا تشف ولا تصف قال الله تعالى:**{يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونسآء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً}**[1].

وقد قاس بعض العلماء الحجاب للمرأة بالصلاة حيث أن النبي ﷺ قد قال: **«مروهم بالصلاة لسبعٍ واضربوهم على تركها لعشرٍ وفرقوا بينهم في المضاجع»**[2].

---

(١) الأحزاب: ٥٩.

(٢) سنن أبي داود (٤١٨).

ومن هنا فتؤمر الفتاة بالحجاب الكامل في السابعة من عمرها وإن لزم الضرب عليه فيكون في العاشرة من العمر وذلك لأن الأطفال في هذه السن الصغيرة يمكن ترويضهم وتعويدهم على اكتساب القيم وتدريبهم عليها قبل الدخول إلى مرحلة التمرد والرفض ألا وهي مرحلة البلوغ والمراهقة.

كما يجب عليك أختي المسلمة أن تدربي ابنتك أو بناتك على الحجاب وهن في سن الرابعة وفي الخامسة والسادسة من العمر رغبي فتاتك في لبس الحجاب وعديها بالهدايا إذا حافظت على حجابها وحينما تبلغ السابعة مريها بالحجاب أمراً رادعاً وأكثري من كلمات الثناء والتشجيع والترغيب إذا ما أطاعت الأمر ولبست الحجاب راضية، كما يجب عليك أن تقرني أوامرك هذه بآيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقصص لأمهات المؤمنين والصحابيات بما يتناسب مع فهم فتاتك الصغيرة، أما إذا لم تطع الأمر حتى سن العاشرة فيجب عليك أيتها الأم المسلمة أن تستعملي معها وسيلة الترهيب والتخويف من السفور والاختلاط وعذاب النار وغضب الله سبحانه وتعالى، أما إذا لم ينفع كل ما سبق ذكره فيجب أن تضرب الفتاة ضرباً غير مبرح ووفق ضوابط تربوية شرعية..

٤ – على البنت أن تتحجب عن الرجال ولا تجلس في مجالسهم قال تعالى:**{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}**[1].

فهذه الآية المراد بها أزواج النبي ﷺ لكن الخطاب شامل لبقية نساء الأمة، بل إن نساء الأمة أولى بهذا الخطاب، فإن أزواج النبي ﷺ، أحصن النساء وأبعدهن عن الفواحش وذلك لمكان رسول الله ﷺ منهن.

٥ – يجب على البنت أن لا تمد يدها لمصافحة أي رجل غريب عنها لأن هذا يؤدي إلى الفتنة والشر سواء كان هذا الرجل عجوزاً أم شاباً، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني لا أصافح النساء..**» وقالت عائشة رضي الله عنها: وقد ندبنا الله للاقتداء بالنبي ﷺ، فقال:**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**[2].

٦ – يجب تفهيم البنت من هم المحارم وغير المحارم من الرجال بالنسبة لها حتى تشب وهي ملمة بهذه المعلومات وبذلك يكون من السهل على الأم توجيهها وقيادتها..

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

قال تعالى:**{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}**[(١)].

٧ - يجب على الأم أن تمنع الإختلاط بين بناتها وبين الأولاد المقاربين لها في السن سواء من الجيران أو الأقارب، لأن الاختلاط يؤدي إلى الفتن و**«الكوارث»!!** والفواحش التي من الممكن ألا يكون لها أي حل أو علاج.. كذلك تبين الأم لابنتها المصائب التي حلت على المجتمع الأوربي نتيجة الاختلاط وأن الاختلاط يفقد البنت كرامتها وهيبتها في حين أن الإسلام رفع شأنها وصان عرضها وحافظ على كرامتها وتوعد وهدد من أراد الإساءة إليها.

قال ﷺ : **«لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»** ومعنى قوله: **«الحمو»** يقال هو أخو الزوج كأنه كره له أن يخلو بها[(٢)].

وأيضا تمنع نوم أولادها الذكور مع الإناث في فراش واحد وخاصة إذا بلغوا سن العاشرة، لقول النبي ﷺ : **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»**[(٣)]..

وهنا أحب أن ألفت نظرك أختي المسلمة إلى نقطة هامة وأساسية قبل أن تبدئي بتوجيه هذه النصائح لابنتك كوني أنت أولاً القدوة الحسنة لها فحينما تكونين ملتزمة بما أمر الله مثلاً أن تلتزمي الحجاب الشرعي ولا تقابلي الرجال ولا تخالطيهم ونحو ذلك.

وبهذا تتعلم منك ابنتك هذه المثل عن رضى واقتناع، وربما تطلب منك ابنتك تقليدك في زيك وتصرفاتك منذ صغرها وبدون أمر وبذلك لن تجدي أيتها الأم المسلمة أي صعوبة في سياسة ابنتك وتعليمها وتطبيقها ما تريدينه من أحكام الشريعة الغراء.

* * * * *

---

(١) النور: ٣١.

(٢) سنن الترمذي (١٠٩١).

(٣) سبق تخريجه.

المبحث السادس:
كيف نربي بناتنا على الحجاب؟

إن الحجاب هو أحد أهم القضايا الإسلامية لذلك فإن واجبنا تجاه الأجيال الجديدة القادمة أن نربيهم عليه وأن نتدارك أمرها بتعليمها حب الحجاب منذ الصغر، فتنشأ الفتاة وهي تلم بيوم بلوغها سن التكليف تتشرف بارتداء حجابها، إرضاء لربها واعتزازًا بعفتها وحيائها.. فتصير لؤلؤة مكنونة وجوهرة مصونة كما أراد لها الله سبحانه! وفيما يلي أحاول أن أوضح للقراء الكرام لماذا من واجب كل أبوين أن يربيا بناتهما على الحجاب وكيف نربي بناتنا على حب الحجاب؟

لماذا نسعى لترغيب بناتنا – منذ الصغر – في الحجاب؟

هناك أسباب عدة تجعل كل أبوين يسعيان في تربية أبنائهما على الحجاب وهي كالتالي:

١– لأن الآباء والأمهات أو المربين سوف يقفون بين يدي الله تعالى ويسألهم عن بناتهم كيف ربينهم ولماذا لم يأمروهن بطاعة الله؟ يقول ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**[(١)].

٢– لأن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل التكليف بها أي قبل بلوغهم؛ فالصلاة مثلاً فرض عين على كل مسلم ومسلمة ولكن الرسول ﷺ أمرنا بأن ندربهم عليها منذ السابعة ونضربهم عليها في العاشرة، وذلك قبل بلوغهم سن التكليف؛ وقد اختص الرسول ﷺ الصلاة من بين العبادات لكونها عماد الدين والحجاب – كالصلاة – فريضة على المسلمة، بأمر صريح من الله ورسوله.

٣– لأننا لو أطلقنا لهن الحرية منذ الصغر في ارتداء ما يشأن – تقليدًا لغيرهن من غير الملتزمات – دون حزم أو توجيه فسوف يعتدن هذا، ثم يفاجأن – حين يصلن لسن التكليف – بمن يأمرهن بالحجاب، فتكون كالصدمة بالنسبة لهن، مما يؤدي إلى صعوبة الأمر عليهن وعدم قدرتهن على تنفيذ هذا الأمر.

٤– لأنهن لو لم يحببنه ويقتنعن به منذ الصغر؛ فقد يرتدينه بالإكراه خوفًا من أولي الأمر، مما يؤدي إلى تحايلهن – بعيدًا عن أعين ولي الأمر – بشتى الطرق لمسخه وإخراجه عن وظيفته.

---

(١) سنن الترمذي (١٦٢٧).

كيف ندرب بناتنا على حب الحجاب؟

قبل الزواج: إن أولى وأهم الخطوات هي التي يقوم بها الرجل حين يختار لبناته أمًا ذات خلق ودين تكون قدوة متحركة؛ فإذا تربت البنت في أحضان هذه الأم كان الحجاب أمرًا بديهيًا بالنسبة لها، وقضية لا جدال فيها، وأمنية غالية ترنو لتحقيقها.

تربية الأبناء علي منهج السلف:

إن الأبناء هبة ونعمة من الله سبحانه وتعالى، يسر الفؤاد برؤيتهم، وتقر العين بمشاهدتهم وتسعد الروح بفرحهم، وكان من دعاء زكريا عليه السلام:**{رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ}**. والبنون زينة الحياة الدنيا ولا يعرف عظم هذه النعمة إلا من حرمها، فتراه ينفق ماله ووقته في سبيل البحث عن علاج لما أصابه.

وأنت كأم مسؤولة عن هذه الأمانة التي حملك الله إياها،، إنها أمانة تربية أبنائك، والتي تسألين عنها يوم القيامة، أحفظت أم ضيعت؟ وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بالدين وحسن الخلق، وإلا كانت وبالاً على الوالدين في الدنيا والآخرة.

وقد اشتد حرص السلف على مباشرة هذه المهمة – مهمة تربية الأبناء – كما ذكر أن الخليفة العباسي المنصور بعث إلى من في السجن من بني أمية يقول لهم: ما أشد ما مر بكم في هذا السجن؟ قالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا.

إذاً يلزمني وإياك أمور مما يخص سن فوق سبع سنوات، وذلك في الجانب الإيماني والاجتماعي أما التربوي فكثير، ولكن مجالنا لا يتسع لذكره فأهم تلك الأمور: –

١– احرصي على سلامة عقيدتهم مما يشوبها، فجنبيهم لبس الحروز والتمائم وقراءة الكف وغير ذلك من أمور الكهانة، وعظمي في قلوبهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وما أظن تفشي شوائب العقيدة تلك كقراءة الكف بين الطالبات في المدارس إلا بسبب جهل الوالدين أو تساهلهم في توجيه أبنائهم وتوعيتهم.

٢– احرصي على غرس الإيمان في قلوبهم ورقابة الله عليهم. وتأملي وصايا لقمان لابنه**{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ}**[1] وذكريهم أن الله يراقبهم ومطلع على أعمالهم، فعن ثابت بن قيس

(١) لقمان: ١٦.

رضي الله عنه قال: أتى علي رسول الله وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، فقالت: وما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت(١). فانظري يا رعاك الله إليها لم تعاقبه حين أخفى عنها كما يفعل بعضهن.

كيف نعوّد أولادنا على الصّلاة؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنون

إن أولادنا أمانة عندنا، وهبها الله تعالى إيانا، وكم نتمنى جميعا أن يكونوا صالحين، وأن يوفقهم الله في حياتهم دينيا ودنيويا. تذكر قول النبي ﷺ : **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** وأولادك سوف تسأل عنهم، وتذكّر دعاء المؤمنين:**{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}**، وفي أسلوب معاملة أولادنا لاعبوهم سبعا وأدبوهم سبعا وصاحبوهم سبعا، ولنعلم أن أولادنا في حاجة لأمور كثيرة:

١ - هم في حاجة للحب

٢ - وفي حاجة للتقدير

٣ - وفي حاجة للحرية

٤ - وفي حاجة للنجاح

أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنون..

أنتم النماذج لأولادكم، وتذكروا قول الرسول ﷺ : **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث..»** الحديث (٢)، ومنهم ولد صالح يدعو لـه.. فليكن هدفنا أن يكون أولادنا صالحين.

الصلاة نور

فلنستمع معا بقلوبنا قبل آذاننا إلى قول النبي ﷺ : **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»** ويبين لنا أن **«رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة»** وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله.

ولنذكر جميعا وصية النبي ﷺ عند الوفاة: **«الصلاة – الصلاة وما ملكت أيمانكم»**.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سنن الترمذي.

كيف نعود أولادنا على الصلاة؟

قال تعالى:**{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}**(١).

أيها الأب.. أيتها الأم

* لقد علمنا مكانة الصلاة في الإسلام لذلك يجب علينا أن نعلم أن تعويد الطفل الصلاة هدف حيوي في التربية الإيمانيةً للطفل.

* ونذكّر بأن الطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ فيسهل على الطفل أداء الواجبات والفرائض.

مراحل تعليم الصلاة:

أولا: مرحلة تشجيع الطفل على الوقوف في الصلاة:

ففي بداية وعي الطفل يطلب منه الوالدان الوقوف معهما في الصلاة، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة»** ولنعلم جميعا أن الأبناء في بداية طفولتهم قد يمرون من أمام المصلين أو يجلسون أمامهم وقد يبكون، فلا حرج على الوالد أو الوالدة في حمل طفلهم في الصلاة حال الخوف عليه، خاصة إذا لم يكن في البيت من يلاعبه.

ويجب ألا ننهر الطفل في هذه المرحلة عما قد يحدث منه للمصلي.

ثانيا: مرحلة ما قبل السابعة:

١ - تعليم الطفل بعض أحكام الطهارة البسيطة مثل أهمية التحرز من النجاسة كالبول وغيره وكيفية الاستنجاء وآداب قضاء الحاجة، وضرورة المحافظة على نظافة جسمه، وملابسه، مع شرح علاقة الطهارة بالصلاة.

٢ - تعليم الطفل الفاتحة وبعض قصار السور استعدادا للصلاة.

٣ - تعليمه الوضوء، وتدريبه على ذلك عمليا كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم مع أبنائهم.

٤ - وقبل السابعة نبدأ تعليمه الصلاة وتشجيعه أن يصلي فرضا أو أكثر يوميا مثل صلاة الصبح قبل الذهاب إلى المدرسة، ولا نطالبه في سن السابعة بالفرائض الخمس جملة واحدة.

---

(١) طه: ١٣٢.

٥ – نذكر بأهمية اصطحاب الطفل إلى صلاة الجمعة بعد أن نعلمه آداب المسجد، فيعتاد الطفل إقامة هذه الشعائر ويشعر بداية دخوله المجتمع واندماجه فيه.

ثالثا: مرحلة ما بين السابعة والعاشرة:

ففي الحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» يتعلم الطفل هذا الحديث، وهو الآن يعرف أنه قد بدأ مرحلة المواظبة على الصلاة ولهذا ينصح بعض المربين أن يكون يوم بلوغ الطفل السابعة من عمره حدثا متميزا في حياته.

لقد خصص النبي ﷺ ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل الصلاة في نفوس الأبناء، ونكرر طلب الصلاة من الطفل باللين والرفق والحب وبنظرة حسابية نجد أن عدد التكرار قد يصل خلال هذه الفترة إلى أكثر من ٥٠٠٠ مرة في الثلاث سنوات.

أي أن الوالدين يذكّرون أولادهم ويدعونهم إلى الصلاة في هذه الفترة ومع أول حياتهم، وهذا يوضح لنا أهمية التكرار في العملية التربوية بما يناسب من بشاشة الوجه وحسن اللفظ وهذا هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «**مروا أولادكم بالصلاة، وعودوهم الخير فإن الخير عادة**» فكل الخير يكتسب بالتعود.

وينشأ ناشىء الفتيان منا ::: على ما كان عوده أباه

وخلل هذه الفترة يتعلم الطفل أحكام الطهارة وصفة صلاة النبي ﷺ وبعض الأدعية الخاصة بالصلاة وسيظل الوالدان القدوة العملية أمام الطفل دائما.

رابعا: مرحلة الأمر بالصلاة والضرب على تركها

من الضروري أن نكرر دائما – في مرحلة السابعة – على مسمع الطفل حديث رسول الله ﷺ الذي حدد مبدأ الضرب بعد العاشرة تحذيرا من التهاون في الصلاة، فإذا ما أصر بعد ذلك على عدم المداومة على الصلاة فلا بد أن يعاقب بالضرب، ولكن يظل الضرب معتبرا بالشروط التي حددها لنا الرسول الكريم ﷺ.

إذا نشأ الطفل في بيئة صالحة واهتم والداه بكل ما ذكرنا وكانا قدوة له في المحافظة على الصلاة، فإنه من الصعوبة ألا يرتبط الطفل بالصلاة ويحرض عليها خاصة مع التشجيع المعنوي والمادي.

وفي هذه المرحلة – بعد العاشرة – يجب على الوالد والوالدة ومن يقوم بتربية الأولاد أن يعلموهم أحكام صلاة الجماعة وصلاة السنن والوتر وكان رسول الله ﷺ يعلم أنس بن

مالك رضي الله عنه صلاة الاستخارة رغم صغر سنه.

كما يجب الاهتمام بصلاتي الفجر والعشاء في هذه المرحلة، وتعويد الطفل على المداومة على كل الفرائض مهما كانت الأسباب، خاصة أثناء الامتحانات **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}** فإذا فاتته صلاة ناسيا فليصلها متى ذكرها، وإن فاتته تكاسلا فلنعلمه أن يسارع بالاستغفار وأن يعمل بعض الحسنات كالصدقات من مصروفه وغير ذلك من أعمال الخير لعل الله يغفر له : **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»** وننبه بعد ذلك إلى ضرورة اتفاق الوالدين على الخطوات السابقة وتعاونهما معا على أن يكونا قدوة للطفل في كل لحظة، وعلى الوالدين أن يكثرا من هذا الدعاء **{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}** و**{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}**.

نصائح للوالدين:

١ – على الأب والأم أن يرى ابنهما فيه دائما يقظة الحس نحو الصلاة فمثلا:

أ) إذا أراد ابنك أن يستأذن للنوم قبل العشاء، فليسمع منك وبدون تفكير أو تردد "لم يبق على صلاة العشاء إلا قليل نصلي معا ثم تنام بإذن الله"

ب) وإذا طلب الأولاد منكم الذهاب للنادي أو زيارة أحد الأقارب وقد اقترب وقت المغرب فيسمعون منكم: "نصلي المغرب أولا ثم نخرج"

ج) ومن وسائل إيقاظ الحس بالصلاة لدى الأولاد، أن يسمعوا منكم ارتباط المواعيد بالصلاة فمثلا سنقابل فلانا في صلاة العصر، وسيحضر لزيارتنا بعد صلاة المغرب.

٢ – الإسلام يحث على الرياضة التي تحمي البدن وتقويه، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولكن يجب ألا يأتي حب أو ممارسة الرياضة على حساب تأدية الصلاة في وقتها، فهذا أمر مرفوض.

٣ – إذا حدث أن مرض الصغير بعد سن العاشرة فعليه أن نعوده أداء الصلاة حسب استطاعته حتى ينشأ ويعلم ويتعود أنه لا عذر له في ترك الصلاة حتى لو كان مريضا. وإذا كنت في سفر فعليك أن تعلم ولدك رخصة القصر والجمع، وتعلمه نعمة الله في الرخص وأن الإسلام تشريع مملوء بالرحمة.

٤ – تدرج في تعليم ولدك النوافل بعد أن تعلمه الفرائض.

٥ – اغرس في ولدك الشجاعة في دعوة زملائه للصلاة، وألا يجد حرجا في إنهاء مكالمة

تليفونية أو حديث مع شخص أو غير ذلك من أجل أن يلحق بالصلاة جماعة بالمسجد، وأيضا اغرس فيه ألا يسخر من زملائه الذين يهملون أداء الصلاة بل يدعوهم إلى هذا الخير.

يوم الجمعة: حاول أن تجلس مع زوجتك كل يوم جمعة للقيام بسنن الجمعة من قراءة سورة الكهف والإكثار من الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ولينشأ الأطفال بينكما وأنتما على هذا الخير ثم يشتركون معكما.

صلاة العيدين والاستسقاء وغيرها.

احرص أن يحضر معك أولادك هذه الصلوات، فيتعلق أمر الصلاة بقلبه وردد أمامه أنك صليت الاستخارة، وصلاة الحاجة وسجدت سجود الشكر.

أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنونة:

استخدما كل الوسائل المباحة شرعا لغرس الصلاة في نفوس أولادكما من ذلك:

* المسطرة المرسوم عليها كيفية الوضوء والصلاة

* إذا كنت تعلم أولادك الحساب وجدول الضرب استخدم الصلاة لبيان ذلك مثل: رجل صلى ركعتين ثم صلى الظهر أربع ركعات فكم ركعة صلاها؟ وهكذا، وإذا كان كبيرا فمن الأمثلة رجل بين بيته والمسجد ١٠٠٠متر ويقطع في الخطوة الواحدة ٣٠سم كم خطوة يخطوها حتى يصل إلى المسجد في الذهاب والعودة؟ وإذا علمت أن الله يعطي عشر حسنات على كل خطوة فكم حسنة يحصل عليها؟

* أشرطة الفيديو والكاسيت التي تعلم الوضوء والصلاة وغير ذلك مما أباحه الله.

الأم الحنون:

هذه ابنتك الغالية تنشأ بين يديك، فاجعليها ترى منك حسن المراقبة لله عز وجل، فإذا سمعت الآذان فأسرعي بإنهاء الأعمال التي معك حتى تؤدي الصلاة في أول وقتها.

واهتمي بحجاب ابنتك وغرس أهمية ذلك الحجاب عليها منذ الصغر وأن تستر جسدها من النظرات الشهوانية التي يطلقها أصحاب الشهوات سهاما من أسهم الشيطان.

أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنون..

ليكن أساسنا ونحن نعلم أولادنا الصلاة **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}** وهذا الصبر مطلوب باستمرار صغارا كانوا أم كبارا، ولنسارع من الآن، لأن التعليم من الصغر

كالنقش على الحجر.

واهتم وأنت تعلم أولادك الصلاة ما يلي:

١ – ترديد الآذان مع المؤذن والدعاء بعده.

٢ – دعاء الخروج من المنزل لأداء الصلوات في المسجد.

٣ – دعاء دخول المسجد والخروج منه.

٤ – دعاء دخول الخلاء والخروج منه.

٥ – التسبيح بعد كل صلاة وغير ذلك من الأمور المبينة في الكتب الموسعة في شرح الصلاة وفرائضها وسننها وأعمالها القلبية.

كما يجب التحذير من أداء الصلاة بطريقة نقر الغراب أو السرقة من الصلاة فضلا على أن تبين لـه حرمة ترك الصلاة وعقوبة تاركها.

كيف نعامل الأطفال؟!

* لقد حث رسول الله ﷺ على استخدام الرفق في كل شيء، وقال: **«الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** فليكن شعارنا هو الرفق والرحمة.

* على كل من يوجه الأطفال ان يتجنب كثرة الأوامر.

* يجب أن يثاب الطفل على السلوك الطيب بجوائز معنوية مثل إظهار الرضا، أو أخرى مادية.

* في حالة خطأ الطفل لا بد أن ينبه إلى خطئه برفق ولين ويتم التصحيح.

*إذا كرر الخطأ عدة مرات فيمكن حرمانه من بعض ما يحب، فإذا استمر فيمكن اللجوء إلى أسلوب الزجر ولكن دون إهانة أو تحقير وبخاصة أمام الأقارب والأصدقاء لأن ذلك يؤدي إلى الشعور بالنقص.

العقوبة البدنية:

ونتيجتها سريعة فهي تؤدي إلى نظام ظاهري سطحي يخدع ويغري الوالد بسرعة اللجوء إليها وهذا خطأ، ولاستخدام ذلك شروط:

١ – الضرب للتأديب كالملح للطعام لا بد أن يكون قليلا حتى لا يفقد قيمته.

٢ – أن يكون غير شديد ولا مؤذ.

٣ - لا تضرب وأنت في حالة الغضب الشديد خوفا من إلحاق الضرر بالولد.

٤ - تجنب الأماكن الحساسة كالرأس والوجه والصدر والبطن.

٥ - لا تزيد الضربات على ثلاث إذا كان الولد دون الحلم.

٦ - قم بذلك بنفسك ولا تتركه لأحد.

٧ - من الخطأ أيضا عدم إيقاع العقاب بعد التهديد.

٨ - يجب نسيان ما يتعلق بالذنب بعد توقيع العقوبة مباشرة.

٩ - لا ترغم الطفل على الاعتذار بعد توقيع العقوبة مباشرة لأن في ذلك إذلالا لـه.

١٠ - كما يجب ألا نطلب من الطفل عدم البكاء بعد العقوبة لأنه ربما يبكي بسبب إحساسه بالألم.

أخي الوالد الكريم.. أختي الأم الحنون..

لتتذكر دائما قول الله تعالى:**{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}**[1].

وقولـه تعالى:**{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}**[2].

* * * * *

---

(١) إبراهيم: ٤٠.

(٢) الفرقان: ٧٤.

الفصل الثالث:
كيف نزرع حب القرآن الكريم في صدور أطفالنا؟!؟!

إن طفلاً في جوفه القرآن، أو شيءٌ من القرآن، أو طفل يُحِبُّ القرآن لهو نورٌ في الأرض يتحرك وسط الظلام الأخلاقي الذي يسود أيامنا الحالية، وصِرنا نخشى اتساع رقعته في الأعوام القادمة.

وإذا كان الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - قد اعتبر زمانه زمان فِتن لأن الريح كشفت جزءاً من كعب امرأة رغما عنها، ورآه هو عن غير قَصد... فماذا نقول عن زماننا؟!

بل كيف نتصور حال الزمان الذي سيعيشه أبناؤنا؟!

وإذا كان المَخرج من هذه الفِتن هو التمسُّك بكتاب الله، وسُنَّة نبيه ﷺ، فما أحرانا بأن نحبِّب القرآن إلى أبناءنا، لعل القرآن يشفع لنا ولهم يوم القيامة.

وعساه أن ينير لهم أيامهم، ولعل الله ينير بهم ما قد يحل من ظلام حولهم.

وفي السطور القادمة محاولة لإعانة الوالدين - أو مَن يقوم مقامهما - على أن يربوا أطفالاً يُحبُّون القرآن الكريم.

فأرجو الله تعالى أن ينفع بها، وله الحمد والمِنَّة.

لماذا نحبِّب القرآن الكريم إلى أبناءنا؟

إن الأسباب - في الحقيقة - كثيرة... ولعل ما يلي هو بعضها:

1- لأن القرآن الكريم هو عقل المؤمن، ودستور حياته، فهو كلام الله الذي تولَّى حفظه دون سائر ما نزل من كتب سماوية، لذا فإن أطفالنا إذا أحبوه تمسَّكوا بتعاليمه، ومن ثمَّ لم يضلُّوا أبداً.

2- لأن القرآن الكريم هو خير ما يثبِّت في النفس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وخير ما يفسح أمام العقل آفاق العلوم والمعارف الإنسانية، وخير ما يسكُب في القلب برد الطمأنينة والرضا، وخير ما يمكن أن نُناجي به مولانا في هدأة الأسحار، "فإذا ارتبط قلب الطفل بالقرآن وفتح عينيه على آياته فإنه لن يعرف مبدأً يعتقده سوى مبادئ القرآن، ولن يعرف تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن، ولن يعرف بلسماً لروحه وشفاءً لنَفسِهِ سوى التخشُّع بآيات القرآن... وعندئذٍ يصل الوالدان إلى غايتهما المرجوة في تكوين الطفل روحياً،

وإعداده إيمانيا وخُلُقياً "

3- لأن القرآن الكريم هو "الرسالة الإلهية الخالدة، ومستودع الفِكر والوعي، ومنهج الاستقامة، والهداية، ومقياس النقاء والأصالة " فإذا أحبه الطفل كان ذلك ضمانا – بإذن الله – لهدايته، واستقامته، وسِعة أفقه، ونقاء سريرته، وغزارة علمه.

4- "لأن القرآن الكريم إذا تبوَّأ مكانةً عظيمة في نفوس أطفالنا شبُّوا على ذلك، ولعل منهم مَن يصبح قاضيا، أو وزيراً، أو رئيساً، فيجعل القرآن العظيم لـه دستوراً ومنهاجاً، بعد أن ترسَّخ حبه في نفسه منذ الصِّغَر".

5- لأن حب الطفل للقرآن يعينه على حفظه، ولعل هذا يحفظ الطفل، ليس فقط من شرور الدنيا والآخرة، وإنما أيضاً من بذاءات اللسان.... ففم ينطق بكلام الله ويحفظه يأنف، ويستنكف عن أن ينطق بالشتائم والغيبة والكذب وسائر آفات اللسان.

6- لأن أبناءنا أمانة في أعناقنا أوصانا الله تعالى ورسوله الكريم بهم، وسوف نسألُ عنهم يوم القيامة، وكفانا حديث رسول الله ﷺ : **«كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع مَن يعول»**؛ فالضياع قد يكون أخلاقياً، وقد يكون دينياً، وقد يكون نفسياً، وقد يكون مادياً – كفانا الله وإيَّاكم شر تضييع أبناءنا – ولن نجد أكثر أماناً من القرآن نبثه في عقول وأرواح أطفالنا حِفظاً لهم من كل أنواع الضَّياع!

7- لأن ذاكرة الطفل صفحة بيضاء، فإذا لم نملؤها بالمفيد فإنها ستمتلئ بما هو موجود!

فإذا أحب الطفل القرآن الكريم، أصبح فهمه يسيراً عليه، مما يولِّد لديه ذخيرة من المفاهيم والمعلومات التي تمكِّنه من غربلة، وتنقية الأفكار الهدامة التي تغزو فِكرَهُ من كل مكان.

8- لأننا مقبلون – أو أقبلنا بالفعل – على الزمن الذي أخبر عنه الحبيب ﷺ أن فيه: **«تلدُ الأَمَة ربَّتَها»** أي تتعامل الابنة مع أمها وكأنها هي الأم!

فلعل حب القرآن في قلوب الأبناء يخفِّف من حِدة عقوقهم لوالديهم في هذا الزمان.

9- لأن أطفالنا إذا أحبوه وفهموه، ثم عملوا به، وتسببوا في أن يحبه غيرهم... كان ذلك صدقة جارية في ميزان حسنات الوالدين إلى يوم الدين، يوم يكون المسلم في أمس الحاجة لحسنة واحدة تثقِّل ميزانه.

10- لأن هذا الصغير صغيرٌ في نظر الناس، لكنه كبير عند الله، فهو من عباده الصِّغار، لذا فمن حقه علينا أن نحترمه، وأن نعطيه حقه من الرعاية، والتأديب...

ولقد قال ﷺ : **«أدّبوا أولادكم على ثلاث خِصال: حب نبيكم، وحب آل بيته،وتلاوة القرآن فإن حَمَلة القرآن في ظل عرش الرحمن يوم لا ظِل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»** [١].

11- لأن القرآن الكريم هو حبل الله المتين الذي يربط المسلمين بربهم، ويجمع بين قلوبهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وما أحوج أطفالنا - حين يشبُّوا - لأن يرتبطوا بشتى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في وقت اشتدت فيه الهجمات على الدين الإسلامي والمسلمين من كل مكان!

* * * * *

(١) رواه الطبراني.

المبحث الأول:
كيف أغرس في قلب طفلي حب القرآن؟!

إن الهدف المرجو من هذا المقال والذي حثني علي أن أضعه بهذا المنتدي وهذا القسم علي وجه الخصوص هو مساعدة الطفل على حب القرآن الكريم، من أجل أن يسهُل عليه حِفظه، وفهمه، ومن ثمَّ تطبيقه.

ومن أجل ذلك علينا أن نبدأ من البداية، وهي اختيار الزوج أو الزوجة الصالحة،

فقبل أن ننثر البذور علينا أن نختار الأرض الصالحة للزراعة، ثم المناخ المناسب لنمو هذه البذور... حتى نضمن بإذن الله محصولاً سليماً من الآفات، يسُرُّ القلب والعين.

بعد ذلك تأتي المراحل التالية، والله المستعان عليها:

* * * * *

المطلب الأول:
مرحلة الأجِنَّة

في هذه المرحلة يكون الجنين في مرحلة تكوين من طَور إلى طَور... ولك أن تتخيل جنينك وهو ينمو ويتكون على نغم القرآن المرتَّل!

فلقد أثبتت البحوث والدراسات المتخصصة في علم الأجنة أن الجنين يتأثر بما يحيط بأمه، ويتأثر بحالتها النفسية، حتى أنه "يتذوق الطعام التي تأكله وهي تحمله، ويُقبل عليه أكثر مِمَّا يُقبل على غيره من الأطعمة! ".

كما أثبتت الأبحاث أن هناك ما يسمَّى "بذكاء الجنين.

أما أحدث هذه الأبحاث فقد أثبتت أن العوامل الوراثية ليست فقط هي المسئولة عن تحديد الطباع المزاجية للطفل، ولكن الأهم هي البيئة التي توفرها الأم لجنينها وهو ما زال في رحمها، فبالإضافة إلى الغذاء المتوازن الذي يحتوي على كل العناصر الغذائية والفيتامينات التي تحتاجها الأم وجنينها، وحرص الأم على مزاولة المشي وتمرينات ما قبل الولادة، فإن الحامل تحتاج أيضاً إلى العناية بحالتها النفسية، لأن التعرض للكثير من الضغوط يؤدي إلى إفراز هورمونات تمر إلى الجنين من خلال المشيمة، فإذا تعرض الجنين إلى ضغوط نفسية مستمرة، فإنه سيكون في الأغلب طفلاً عصبياً، صعب التهدئة، ولا ينام بسهولة... بل وربما يعاني من نشاط مُفرِط، ومِن نوبات المغص ".

إذن فالحالة النفسية للأم تنعكس – بدون أدنى شك – على الجنين، لأنـه جـزء منهـا... لذا فإن ما تشعر به الأم من راحة وسكينة بسبب الاسـتماع إلى القـرآن أو تلاوتـه ينتقـل إلى الجنين، مما يجعله أقل حركة في رحمها، وأكثر هدوءا، بـل ويتـأثر بـالقرآن الكـريم... لـيس في هذه المرحلة فقط، وإنما في حياته المستقبلية أيضاً!

ولقد أوضحت الدراسات المختلفة أن الجنين يستمع إلى ما يدور حول الأم.

ويؤكد هذا فضيلة الشيخ الدكتور "محمد راتب النابلسي" – الحاصل على الدكتوراه في تربية الأولاد في الإسلام – في قولـه: " إن الأم الحامل التي تقرأ القرآن تلد طفلاً متعلقا بالقرآن.

كما أثبتت التجارب الشخصية للأمهات أن الأم الحامل التي تستمع كثيراً إلى آيات القرآن الكريم، أو تتلوه بصوت مسموع يكون طفلها أكثر إقبالاً على سماع القرآن وتلاوته وتعلُّمـه فيما بعد، بل إنه يميِّزه من بين الأصوات، وينجذب نحوه كلما سمعه وهولا يزال رضيعاً!

لذا فإن الإكثار من تلاوة القرآن والاستماع إليه في فترة الحمل يزيد من ارتبـاط الطفـل عاطفياً ووجدانياً بالقرآن، ما يزيد من فرصة الإقبال على تعلُّمه وحِفظه فيما بعد.

ثانياً: مرحلة ما بعد الولادة حتى نهاية العام الأول:

تبدأ هذه المرحلة بخروج الجنين إلى الدنيا حيث أول محيط اجتماعي يحيط بـه، لـذا فإنهـا تعد الأساس في البناء الجسدي والعقلي والاجتماعي للطفل، ولها تأثيرها الحاسم في تكـوين التوازن الانفعالي والنضوج العاطفي، فلا عجب إذن أن يركز المنهج الاسـلامي علـى إبـداء عناية خاصة بالطفل في هذهِ المرحلـة، "فالطفـل في أيامـه الأولى، وبعـد خروجـه مـن محضـنه الدافئ الذي اعتاد عليه فترة طويلة يحتاج إلى التغذية الجسمية والنفسـية ليعـوِّض مـا اعتـاده وألفه وهو في وعاء أمه.

لذا نرى المولى سبحانه يوصي الأم بأن ترضع طفلها حولين كـاملين، ويجعـل هـذا حقـاً من حقوق الطفل، كما نراه – عز وجل – يكفل للأم في هـذه الفـترة الطعـام والكسـاء هـي ورضيعها، كما جاء في قولـه سبحانه:**{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لـــه رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف}**[1].

ولقد فطن العرب منذ آلاف السنين إلى تأثير فترة الرضاعة على تكوين شخصية وطباع الطفل فكانوا يختارون لأبنائهم المرضعة حسنة الخُلُق، الودودة.

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

ولطالما عجبت كاتبة هذه السطور من السيدة "آمنة بنت وهب" التي ألقَت بوليدها الوحيد بين أحضان امرأة أخرى يلتقم ثدياً غير ثديها، وينهل من حنان غير حنانها، وهي التي مات عنها زوجها، وهي بعد لم تزل عروسا زُفت إليه منذ شهور... ولكن التفكير في مصلحة الوليد كان فوق كل هذه المشاعر والأحاسيس، فقد كانت مكة تعد بلاد حَضَر، وكان العرب يرجون لأبناءهم جوا بدوياً ينشئون فيه " لكي يبتعدوا عن أمراض الحواضر، وتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنون اللسان العربي في مهدهم ".

كما كانت الصحابيات – رضوان الله عليهن – يُغنِّين لأطفالهن من الذكور أثناء الرضاعة أغاني تُحفِّز على البطولة والرجولة، لترسخ هذه المعاني في أذهانهم منذ نعومة أظفارهم.

فما بالنا بالأم التي ترضع وليدها على نغمات القرآن المرتل بصوتٍ ندي.... ألا يعينه ذلك على حب القرآن الكريم؟!!

وفي عصرنا الحالي، نرى "علماء النفس – على اختلاف مشاربهم – يولون هذه المرحلة أهمية قصوى باعتبارها الهيكل الذي تُبنى الشخصية على أساسه.، فنراهم يُجرون دراسات حول ما يسمى بذكاء الرضيع، ثم يقومون بمحاولات تربوية لاستغلال هذه الفترة في تنشئة أطفال عباقرة.

ومن ثم، فإن الأم التي تُرضع طفلها على صوت ندِي يتلو القرآن الكريم، فإن الراحة والسكينة والاطمئنان والحنان الذين يشعر بهم الطفل وهو بين أحضان أمه سيرتبطون في عقله اللاواعي بالقرآن الكريم... ومن ثَمَّ يصبح القرآن بالنسبة للطفل – فيما بعد – مصدرا للأمن والاطمئنان والسعادة، ونوعاً آخر من الزاد الذي يشبع قلبه وروحه، كما كانت الرضاعة تشبع بطنه وتُسعد قلبه، فإذا كانت الأم هي التي تتلو القرآن مجوَّداً، فإن ذلك يكون أقرب لوجدان الطفل وأشد تأثيراً فيه، وأهنأ له ولأمه.

ولنا أن نتخيل هل سيظل طفل كهذا يصرخ طوال الليل أو يكون نومه مضطرباً وهو محفوف بالملائكة بسبب القرآن الكريم.

ولعل الفائدة ستعم أيضاً على الأم، حيث يعينها الاستماع إلى القرآن على هدوء النفس وراحة الأعصاب في هذه الفترة، مما يجنِّبها ما يسمى باكتئاب ما بعد الولادة الذي تُصاب به معظم الوالدات.

ثالثاً: في العام الثاني من حياة الطفل:

تلعب القدوة – في هذه المرحلة – دورا هاماً ورئيساً في توجيه سلوك الطفل، لذا فإنه إذا شعر بحب والديه للقرآن من خلال تصرفاتهما فإن هذا الشعور سوف ينتقل إليه تلقائياً، ودون جهد منهما.

فإذا سمع أبيه يتلو القرآن وهو يصلي جماعة مع والدته، أو رأى والديه – أو مَن يقوم مقامهما في تربيته – يتلوان القرآن بعد الصلاة، أو في أثناء انتظار الصلاة، أو اعتاد أن يراهما يجتمعان لقراءة سورة الكهف يوم الجمعة في جو عائلي هادىء.... فإنه سيتولد لديه شعور بالارتياح نحو هذا القرآن.

وإذا لاحظ أن والديه يفرحان بظهور شيخ يتلو القرآن وهما يقلّبان القنوات والمحطات، فيجلسا للاستماع إليه باهتمام وإنصات، فإنه سيتعلم الاهتمام به وعدم تفضيل أشياء أخرى عليه.

وإذا رآهما يختاران أفضل الأماكن وأعلاها لوضع المصحف، فلا يضعان فوقه شيء، ولا يضعانه في مكان لا يليق به، بل ويمسكانه باحترام وحُب... فإن ذلك سيتسلل إلى عقله اللاواعي... فيدرك مع مرور الزمن أن هذا المصحف شيءٌ عظيم، جليل، كريم، يجب احترامه، وحُبه وتقديسه.

من ناحية أخرى، إذا تضايق الطفل من انشغال والديه عنه بتلاوة القرآن وأقبل عليهما يقاطعهما، فلم يزجرانه، أو ينهرانه، بل يأخذه أحدهما في حضنه، ويطلب من الطفل أن يقبِّل المصحف قائلاً له: " هذا كتاب الله، هل تقبِّله؟!! " فإن الطفل سيشعر بالود تجاه هذا الكتاب.

وإذا رأى الأم تستمتع بالإنصات لآيات القرآن الكريم وهي تطهو أو تنظف المنزل، ورأى نفس الشيء يحدث مع والده وهو يقوم بترتيب مكتبته مثلاً، أو رَيِّ الحديقة.... فإن ذلك يجعله يفضِّل أن يستمع إليه هو الآخر حين يكبر وهو يؤدِّي أعمالاً روتينية مشابهة.

رابعاً: منذ العام الثالث حتى نهاية الخامس:

يقول فضيلة الشيخ، الدكتور "محمد راتب النابلسي": " من دراستي في التربية علمت أن أخطر سن في تلقي العادات والتقاليد والمبادىء والقيم: هو سن الحضانة، ثم سن التعليم الابتدائي.

ويستطرد الشيخ قائلاً: " إن الطفل يستطيع أن يحفظ القرآن في سِنِي حياته الأولى، فإذا كبر فهم معانيه، ولكن بعد أن يصبح لسانه مستقيماً بالقرآن، فيشب وقد تعلم الكثير من الآداب"

كما يؤكد الدكتور "يحيي الغوثاني" – المتخصص في الدراسات القرآنية: إن الطفل إذا حفظ القرآن منذ صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه، لذا ففي هذه السن – غالباً – يمكننا أن

نبدأ بأنفسنا تعليمه تلاوة القرآن تلاوة صحيحة، فإن لم يتيسر ذلك، فلا بأس من اختيار معلمة أو معلم، يكون طيب المعشر، لين الجانب، حازم في رفق، ذو خُلُق قويم، واسع الأُفُق، وأن يكون مُحِبًّا لمهنته... كي ينتقل هذا الحب إلى تلاميذه، مع ملاحظة أننا "لا ينبغي أبداً أن نُجبر الطفل على حفظ القرآن أو نضربه إذا لم يحفظ، بل يجب أن تكون جلسة الاستماع إلى القرآن أو حفظه من أجمل الجلسات وأحبها إلى قلبه، وذلك من خلال تشجيعه بشتى الصور المحببة إلى قلبه، من مكافآت مادية ومعنوية، وغير ذلك... فإذا كان مَن يحفّظه يتّبع أسلوباً عنيفاً أو غير محبَّب فلنستبدله على الفور إن نهيناه ولم ينتهِ".

وهناك ملاحظة هامة، وهي مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال:

* فإن كان طفلك غير متقبل للحفظ في هذا السن، فعليك أن تُمهله حتى يصير مهيَّأً لذلك، مع الاستمرار في إسماعه القرآن مرتلاً.

* أما إذا كان لدى طفلك القُدرة والاستعداد قبل هذا العمر، فيجب أن تنتهز هذه الفرصة، وتشكر الله على هذه النِّعمة، فتشجعه وتعينه على حفظ القرآن الكريم، كما حدث مع "زهراء" الطفلة السعودية التي حفظت سوراً من القرآن الكريم مع إتقان كامل لمخارج الحروف.... وهي تبلغ من العمر عاماً ونصف العام.

وكذلك الطفل الإيراني "محمد حسين " الذي كانت والدته تصطحبه معها في جلسات لحفظ القران الكريم، وهو لم يتجاوز السنتين، وكانت وقتها تحفظ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، فلما عادت في إحدى الأيام للبيت، كان محمد يلعب ويردد شيئا، أراد والده ان يسمع ما الذي يقوله بهذا الاهتمام، فاستغرب كثيرا عندما علم أنه يردد الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، فذهب إلى زوجته متسائلا منذ متى وأنتِ تحفّظينه الجزء الثلاثين من القرآن الكريم؟.

فاستغربت الزوجة قائلة: أنا لم أفعل على الإطلاق، فذهب الوالد إليه مرة أخرى وحاول أن يمتحنه بالجزء الثلاثين فوجد أنه يحفظه بشكل جيد. حينها علم أن لولده ذو السنتين قابلية لحفظ القرآن، ففرح كثيرا وبدأ معه مشوار الحفظ، فلما بلغ محمد سن الخامسة كان قد أكمل حفظ القرآن الكريم!

وبعد ذلك حاز محمد على شهادة دكتوراه في العلوم القرآنية من جامعة لندن وكذلك حاز على شهادة الدكتوراه الافتخارية في علوم القرآن من جامعة الحجاز!

و كم هي مفيدة ومؤثرة كلمات والده الذي قال: " إن محمد حسين ليس إلا طفل عادي قد يفوق أقرانه بالقليل من الفطنه، لكن هناك الكثير من الأطفال الأذكياء الذين لم يفكر أحد باستغلال ذكائهم، فالذي ساعد ابني هو أنني في البيت مع زوجتي وأطفالي نردد القرآن في

الصباح والمساء وإن سكتنا نَسمعه من المسجل أو التلفزيون فكيف لا يحفظ القرآن طفل مثل علم الهدى؟ (هذا هو اللقب الذي يلقّبه به أبوه)

وينصح والده الآباء قائلاً: "لكي يكون لـديك طفـل مثلـه عليـك أنـت أن تغـير مـا في نفسك كي يسير طفلك في مَسارك"!!

ويختم والده كلامه قائلاً: "في النهاية أود أن أقول: أنه كلما ردَّدَ ابنك أغنية، فـاعلم انـه قادر على أن يحفظ ويردد القرآن كما حفظ تلك الأغنية!!!

هناك أيضاً الطفل الإيراني " مهيار حسين " الذي وُلد وهو غير قادر على النُّطق، وظـل كذلك حتى الخامسة من عمره... ولكنه بعد ذلك تمكن - بفضل الله - من أن يحفظ القـرآن الكريم، بأرقام الآيات والأحزاب والأجزاء، وَجِهة الصفحات.، وانطلق لسانه فأصبح يرتل القرآن ترتيلاً!!

وفي هذه المرحلة (ما بين العام الثالث والخامس) ينبغي أن نعلّم الطفل الأدب مع كتاب الله، " فلا يقطع أوراقه، ولا يضعه على الأرض، ولا يضع فوقه شـيئاً، ولا يـدخل بـه دورة المياه، ولا يَخُط به بقلم وأن يستمع إليه بانتباه وإنصات حين يُتلى.

ومن معالم هذه المرحلة: الولع بالاستماع إلى القصص، لذا يمكننا أن ننتقـي للطفـل مـن قصص القرآن ما يناسب فهمه وإدراكه، مثل: قصة أصحاب الفيل، وقصة ميلاد ونشأة نبينـا محمد ﷺ، وقصة موسى عليه السلام مع الخِضر، وقصـته مـع قـارون، وقصـة سـليمان عليـه السلام مع بلقيس والهدهد، وقصة أصحاب الكهف.... بشرط أن نقول لـه قبل أن نبدأ:

"هيا يا حبيبي لنستمتع معاً بقصة من قصص القرآن"!!

ومع تكرار هذه العبارة سيرتبط حبه للقصص بحب القرآن، وسترتبط المتعة الروحية التي يشعر بها - من خلال قربه من الأب أو الأم، ومـا يسـمعه مـن أحـداث مشـوِّقة - بـالقرآن الكريم، فيعي - مع مرور الزمن - أن القرآن مصدرا للسعادة والمتعة الروحية.

ومن المفيد أن نختم كل قصة بالعِبَر المستفادة منها.... ومما يسـاعد الوالـدين علـى ذلـك سلسلة شرائط " قصص الأنبياء" للدكتور طارق السويدان، وكتاب" قصص القرآن للأطفـال" للدكتور د. "حامد أحمد الطاهر[1]. ومن الضروري أن نجعل للطفل كرامة من كرامـة القـرآن الذي يحفظه، كأن يقول لـه الأب: لولا أنك تحفظ القرآن لعاقبتُك.

(١) صدر عن دار الفجر للتراث، خلف الجامع الأزهر بالقاهرة.

كما ينبغي أن نشرح لـه أهمية القرآن الكريم للمسلم والعـالَم، وكيـف كانـت البشـرية تعيش قبل نزولـه على النبي ﷺ.

ويظل دور القُدوة مستمراً مع الطفل، فإذا تردد على سمعه من والديه عبارات قرآنية مثل:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}(1).

{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ} (2).

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}(3).

{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} (4).

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ} (5).

{وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ}(6).

{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}(7).

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}(8).

{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}(9).

{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}(10).

{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}(11).

فإن الطفل سيرددها دون أن يعلم معناها، ولكنها مـع مـرور الوقـت ستصـبح مفهومـة لديه، ليس هذا فحسب، وإنما ستكون لـه نبراساً يضيء لـه ظلام حياته، ومنهاجا يعينه علـى ما يصادفه من مصاعب ومشكلات.

---

(1) الفاتحة: 2.

(2) آل عمران: 173.

(3) الجمعة: 4.

(4) الطلاق: 2.

(5) يوسف: 18.

(6) غافر: 44.

(7) يوسف: 86.

(8) يوسف: 21.

(9) الطلاق: 3.

(10) هود: 6.

(11) الشعراء: 88، 89.

وينبغي أن نستمر معه في رواية قصص القرآن - بنفس الطريقة - فنروي له في هذه المرحلة مثلاً:

قصة الخلق منذ آدم،، وقابيل وهابيل، ثم قصة نوح عليه السلام، وقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، وقصة مريم وعيسى عليهما السلام وهاروت وماروت، وأصحاب القرية، وأصحاب الكهف، وأصحاب الجنة.

سادساً: منذ العام الحادي عشر حتى الثالث عشر:

في هذه المرحلة تتسع دائرة الطفل الاجتماعية ويزداد حِرصاً على تكوين علاقات اجتماعية، كما يزداد ارتباطاً بأصحابه وزملائه... ويمكن استغلال ذلك في إلحاقه - وأصحابه إن أمكن - بحلقة تعليم أحكام التجويد، مع تشجيعه ومكافأته بشتى الطرق المادية والمعنوية، ومنها تعريفه بفضل تعلُّم القرآن وتجويده، مثل الأحاديث الشريفة:

قال رسول الله ﷺ : **«إن لله أهلين من الناس؟»** قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: **«أهل القرآن»** [١]، و**«الماهِرُ بالقُرآن مع السَّفَرَة الكِرِم البرَرة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتَعُ فيه، وهو عليه شاق، فله أجران»** [٢]، و**«خيرُكُم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمَه»** [٣]، و**«من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أرد الآخرة فعليه بالقرآن، ومَن أرادهما معا فعليه بالقرآن، ويَؤمُّ الناس أقرؤهم لكتاب الله تعالى»**.

ويمكن أن نعرِّفه بذلك بطريقة غير مباشره بحيث ندعو أصحابه المفضَّلين إلى المنزل، ونسألهم عدة أسئلة نعرف أنهم يعرفون إجابتها، ثم نسأل عن فضل تعلُّم القرآن وتجويده، فإن لم يعرفوا أقمنا بينهم مسابقة لمن يعثر على أكبر قدر من الأحاديث والآيات حول ذلك، مع توجيههم للاستعانة بمكتبة المدرسة أو أقرب مكتبة عامة، أو نعطيهم مما لدينا من كتب ومراجع.. فإذا وصلوا إلى المعلومة بأنفسهم كان ذلك أشد تأثيراً في نفوسهم، وأيسر إيصالاً للمعلومة إلى قلوبهم قبل عقولهم،كما يمكن أن نضع - في مكان بارز بالبيت - لوحة أو سبورة يمكن أن يكتب عليها الأولاد أحاديث شريفة عن فضل القرآن الكريم، بحيث يتسابقون في البحث عنها، ووضعها على هذه اللوحة، بمعدل حديث كل أسبوع، ليرونه كلما مروا بها فيحفظونه، ويتناقشون مع الأم أو الأب حول معناه.، وبعد ذلك تكون هناك جائزة لمن وضع أكبر عدد من هذه الأحاديث.

---

(١) سنن الدارمي (٣١٩٢).

(٢) صحيح مسلم (١٣٢٩).

(٣) صحيح البخاري (٤٦٣٩).

كما يمكن إلحاق الطفل مع أصحابه بمعسكرات الأشبال الصيفية التي تهتم بتعليم أحكام التجويد.

وينبغي في هذه المرحلة ان نستمر في رواية قصص القرآن لـه، أو إهداءه أشـرطة فيـديو، أو أقراص مضغوطة، بها تسجيل مصوَّر لهذه القصص.

ومما يناسب الطفل في هذه المرحلة من قصص القرآن:

قصة بعثة النبي ﷺ وجهاده في سبيل الله، وقصـة موسـى عليـه السـلام وبـني إسـرائيل، والأرض المقدسة، وقصة ذو القرنين، ويأجوج ومـأجوج، وأصـحاب الأخـدود، وطـالوت، ودواد، وجالوت عليهم السلام، وقصة الإنسـان والشـيطان، (الـتي وردت في الآيـة ١٨ مـن سورة الحَشر)، وقصة يوسف عليه السلام، وقصة أيوب عليه السلام.

ومن المفيد لـه في هذه المرحلة أن نشجعه على الاشتراك في المنتـديات الـتي تعينـه علـى حب القرآن الكريم وحفظه.

يقول الدكتور " يحيى الغوثاني": "قرأت فيما قرأت مقالاً للأستاذ نجيب الرفاعي يقول فيه:

اكتشف العلماء أن للمخ موجات ولكل موجـة سـرعة فـى الثانيـة ففـى حالـة اليقظـة يتحرك المخ بسرعة ١٣ – ٢٥ موجة في الثانية

وفى حالة الهدوء النفسى والتفكير العميق والإبداع يتحرك بسرعة ٨ – ١٢ موجة في الثانية

وفى حالة الهدوء العميق داخل النفس يتحرك بسرعة ٤ – ٧ موجة في الثانية.

وفى النوم العميق بسرعة ٣ موجات ونصف.

كانت هذه المعلومات واضحة فى ذهنى وأنا أتنقل فـى جنـاح أحـد مـؤتمرات التعلـيم فـى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لفت نظري جهاز كمبيـوتر يقـيس الموجـات الدماغيـة الأربعـة بكل دقة فاستأذنت فى أن أضع القبعة على رأسى لأرى أثر تلاوة القرآن على موجـات دمـاغى، فقرأت آية الكرسي وشاهدت على شاشـة الكمبيوتر انتقال المؤشر من سرعة ٢٥ موجـة / ثانيـة إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميقة، والراحة النفسية ٨ – ١٢ موجة/ ثانية.

استغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة وطلبت منـه أن أقـرأ القـرآن علـى أحـد رواد المعرض الذي رحب بالفكرة وكانت النتيجة وأنا أقرأ عليه آية الكرسي أكثر من مذهلة، فقد رأيت – كما رأى الحاضرون معي – انخفاض موجاته الدماغية بشكل سـريع إلى منطقـة ٨ – ١٢ موجة / ثانية وحينما انتهيت من القراءة قال لى: " قراءة جميلة ولو أنى لم أفهم منهـا شـيئا ولكنها ذات نغمات مريحة ... لقد أدخلتَ السرور على قلبى بكلام غريب لم أفهم منه حرفا واحدا ...

والحقيقة وأنا مغمض عينيَّ وأستمع إلى كلمات القرآن حاولت أن أقلد هـذه الكلمـات داخل قلبى ولكننى لم أستطع إنه كلام جميل ومريح "

"ولقد تكرر نفس الشيء مرة أخرى:

فتحت ظل شجرة فى حديقة ريجنت بارك فـى عاصـمة الضـباب لنـدن جلسـت مـع أحـد المشاركين فى دورة متقدمة فى علم البرمجة اللغوية وهو من الجنسية الأمريكية ودار هـذا الحوار:

سألته – هل تعرف شيئا عن الإسلام؟

فأجاب:

* أعرف معلومات عامة عنه ولكن ليس بتفصيل وأنا شخصيا أبحث عن دين.

سألته – هل سمعت بالقرآن وهل تعرف عنه شيئا؟

فأجاب: أعرف أنه كتاب المسلمين حاله حال الإنجيل عند النصاري ولكنني لم أسمع بـه من قبل.

سألته – حيث إنك لم تسمع تلاوة القرآن هل تمانع أن أقـرأ عليـك بعضـا مـن الآيـات القرآنـية؟

فنحن المسلمون نؤمن أن لتلاوة القرآن أثراً فى النفس، فالقرآن عندنا معاني، وكلمات، وصوت مؤثر!

فأجاب: إننى متحمس لهذه التجربة ... ليس لدى مانع!

فبدأت بتلاوة آية الكرسي وآية بعـدها بمـا لـدى مـن مهـارات فـى التجويـد والترتيـل تعلمتها من شيخ مسجد الهـاجرى الشـيخ عبـد السـلام حبـوس حفظـه الله وأثنـاء الـتلاوة لاحظت التالى:

بدأ هذا الإنسان الذي كان جالسا باستقامة على الكرسي بالانحناء قليلا.. قلـيلا، وبعـد لحظات أغمض عينيه.، ثم تغيرَت ملامح وجهه إلى الهدوء، والخشوع، والخضوع.

أحسست وأنا أتلو القرآن على هذا الإنسان وكأنني أقرؤه على مسلم مـن خـلال تـأثره السريع، مما أعطانى راحة نفسية كبيرة وسعادة لا توصف!

وبعد أن انتهيت من التلاوة، جلسنا فى لحظة صـمت، ثـم فـتح عينيـه ... وإذا العيـنين حمراوتين وبدأت الدموع تـترقـرق، والانشراح بادٍ على وجهه وهو يقول:

لقد عزلتنى بتلاوتك الجميلة عن هذا العالم الذى نعيشه، إن لهذه الكلمات تأثير غريـب على نفسي.

سألته: هل فهمت شيئا من هذه التلاوة؟

فأجاب: لقد تحدثت الآيات عن قوه عظمي هي قوة الرب التي نحتاج إليها فـى السـرَّاء والضراء والتي هى معنا فى كل وقت وكل حين وفى كل مكـان ثـم استرسـل فـى الحـديث مفـسـرا المعاني العامة لآية الكرسي.

فازداد عجبي كما ازدادت سعادتي وأنا أجرب أول مرة تلاوة القـرآن علـي شـخص لم يسمع به من قبل ويتأثر هذا التأثر بل ويفهم المعاني وهو جاهـل بالعربية.

قلت لـه: أريدك أن تكتب هذه المعاني علي ورقة.

قال: سأكتبها بكل سرور، وكان مما كتب عن هذه التجربة بيده:

إن مقدمتك من القرآن، كانـت ولازالـت ذات أثـر عظـيم فـى نفسـي، ولسـوف أحمـل تعابيرك الجميلة معي دائما.

سأحاول أن أعبر بكلماتي عن تجربتي لكلمات الرب..... رائع ممتع! شكرا لـك شـكرا لك.

سابعاً: منذ العام الرابع عشر، حتى السادس عشر:

في هذه المرحلة يمكننا أن نناقشه حول فكرة:

"هل يمكن أن يكون القرآن كلام بشر؟!"

وأن نشجعه على أن يبحث عن المعلومات بنفسه، ويتعاون مع أصحابه في عمل أبحـاث حول إعجاز القرآن في شتى المجالات، وأن يتبادل معهم الأبحـاث لـتعم الفائـدة بيـنهم، كمـا يمكن تشجيعهم جميعا على نشر هذه الأبحاث عبر البريد الإلكتروني، وفي المنتديات المختلفة، ويا حبذا لو كانوا يتقنون اللغات الأجنبيـة، فعندئـذٍ يمكـنهم أن يترجمونهـا إلى هـذه اللغـات وينشرونها أيضا على شبكة الإنترنت... ومما يشجعهم على ذلـك أن نحـيطهم علمـاً بـالأجر الذي سيحصلون عليه بسبب ما يفعلونه إن كانت النية خالصة لله تعالى.

كما يمكن أن نعقد جلسة أسبوعية تجمعه مع إخوته وأصحابه المقربين لنشـرح لهـم – في جو هادئ يسوده الود – الهدف من كل سورة من سور القرآن، مـع أسـباب نزولهـا، ويمكـن الاستعانة في ذلك بأحد التفاسير مثل " صفوة التفاسير"[1].

وبعـد ذلـك يمكـنهم أن يمارسـوا أي نشـاط ترفيهـي يفضـلونه، مـع تقـديم الحلـوى والمرطبات، لنجعل من هذه الجلسة الأسبوعية شبه احتفال.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني.

ومن خلال هذه الجلسات يمكننا أيضاً أن نوضح لهم معنى قول الله تعالى:**{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}**(١)؟!.

ومن أدلة هذا التيسير أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه مئات الألوف من الناس صغارهم، وكبارهم؛ فالتوراة - على سبيل المثال - لم يستطع أن يحفظها سوى أربع: "موسى"، وهارون"، و"عُزير"، و" يوشع".. حتى أن التوراة حين ضاعت في سَبي بابل لم يستطع كتابتها سوى "عُزير"!

كما يمكن أن نحكي لهم قصصاً عن نماذج مشرقة، مثل النماذج التالية:

الطفل السوري"بهاء القصاب " الذي يحفظ القرآن الكريم، بأرقام الآيات، وكان ترتيبه الثامن على العالم من بين سبعين طفل في مسابقة دبي للقرآن الكريم.

وفيصل الرمضاني القطري الجنسية الذي حفظ ثلث القرآن وهو لا يزال في العاشرة من عمره ويتمنى أن يصبح عالما في القراءات.

وأم صالح التي بدأت في حفظ القرآن في السبعين من عمرها، وقد بلغت الآن عامها الثاني والثمانين، من المفيد أن نُخبر أبنائنا أن الهجمات الشرسة على القرآن الكريم لا تتوقف، ومنها محاولة تشويهه وتحريفه، ولعل أشهرها - حتى وقت ليس ببعيد - هو ما صدر مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان: " الفرقان الحق" وهو قرآن جديد مزيج من التوراة والإنجيل والقرآن طُبعت منه آلاف النسخ، ويُتوقع له أن يغزو العالم الإسلامي في خلال السنوات العشرين القادمة!

كما ينبغي أن نوضح لهم أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، في قوله:**{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** (٢).

ولعل هذا يذكرنا بهذه القصة الطريفة:

" كان أحد المستشرقين يزور القاهرة منذ حوالي عامين، فقال لأحد شيوخ الأزهر: "سننزع الإسلام من صدوركم"! فقال له الشيخ: "على رِسلِك"

ثم أخذه إلى الشارع، فلقيا أطفالاً فطلب منهم الشيخ أن يقرؤوا - من الذاكرة - سوراً معينة من القرآن، فقرؤوا، والمستشرق ينظر إليهم في دهشة بالغة، فلما أفاق من دهشته سأل: " هل كل أطفالكم يحفظون القرآن؟! "

فسأله الشيخ: " وهل كل أبناءكم يحفظون كتبكم المقدسة "؟

---

(١) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) الحجر: ٩.

ثم أردف الشيخ: " مادام أطفال المسلمين يحفظون القرآن، فلن تستطيعوا أبداً أن تنزعوا الإسلام من قلوبنا"!!

ماذا لو لم أبدأ مع طفلي منذ البداية؟

إذا كان هذا هو حالك، فيمكنك أن تستعين بالله تعالى، وتدعوه في سجودك أن يشرح صدر أبنائك لحب القرآن والإقبال على حفظه وفهمه، وتطبيقه، وأن يخلطه بلحمهم ودمهم.

ثم تبدأ بالتدريج، وبالرفق واللين، مع كل منهم حسب مرحلته العمرية حتى يوفقك الله إلى مُبتغاك بفضله، فإن استصعبتَ الأمر فتذكر قول الله تعالى:**{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}**[(١)].

وإن أصابك الفتور في منتصف الطريق فتذكر قول الله عز وجل:**{وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}**[(٢)].

وقفـــة:

وماذا لو لم أُرزق بأطفال حتى الآن؟!!!

إن لم تكُن قد رُزقت بأطفال حتى الآن، فاعلم أن لديك خيرٌ كثير يفتقد إليه غيرك، ونعمة من الله يغبطك عليها الآخرون – وأنت لا تشعر – وهي وقت الفراغ الذي يمكنك استثماره بما يعود عليك بالنفع في الدنيا والآخرة، من خلال إفادة أطفال المسلمين بما علِمت، سواء كانوا من الأقارب أو الجيران، أو التلاميذ، أو اليتامى في دور رعاية الأيتام أو في بيوتهم.

فلا تتردد، بل توجَّه إليهم ومد إليهم يدك، فهم أحوج ما يكونون إليها، وأنت أحوج ما تكون إلى الأجر، فاقترب منهم وحاول أن تزرع في قلوبهم الصغيرة حب القرآن الكريم، واستعِن بالله، فهو خير مُستعانٌ به.

وأخيراً: فإن حب القرآن لهو شيءٌ عظيم، لا يُرزقه إلا كل سعيد، وإني لأرجو أن يكون أبنائكم وأبناء الأمه كلها – بعون الله وفضله – من أولئك السعداء، وأن يكون ذلك الحب شفيعاً لنا ولهم يوم القيامة.

* * * * *

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الحج: ٣٢.

المبحث الثاني:
مظاهر الغِيرة عند الطفل وكيفية معالجتها

إن كثرة الأولاد ليست سبباً في شِجار الإخوة فيما بينهم كما يتصورن بعض الأمهات الكريمات، بل الغيرة هيَ من أهم أسباب العراك بين أبناء الأسرة، وهي من الأمراض التي تدخل البيوت بدون إذن فَتَسلُبُ منها الراحة والاستقرار.

ولذا ينبغي الحرص على سلامة صحة الطفل النفسية في السبع سنوات الأولى من عمره أكثر من الاهتمام بصحته الجسدية، وكثير من الأمراض الجسدية التي تُصيب الطفل في هذه المرحلة تكون نتيجة لسوء صحته النفسية.

والغيرة من الأمراض النفسية الخطيرة التي تصيب الطفل في المرحلة الأولى من حياته فتسلب قدرته وفعاليته وحيويته في أعماله وسلوكه.

ويمكن للوالدين تشخيص المرض عند أطفالهم من معرفة مظاهره ودلائله، فكما أن الحُمَّى تدلُّ على وجود الالتهاب في الجسم، كذلك للغيرة علائم بوجودها نَستَدِلُّ عليها.

وفي السطور القادمة سنتحدث عن مظاهر الغيرة عند الطفل.

إن من أبرزِ معالم مرض الغيرة هو الشجار بين الإخوة، وكذلك بكاء الابن الصغير لأَتفَهِ الأسباب، فقد نجده في بعض الأحيان يبكي ويعلو صراخُه لمجرد استيقاظه من النوم، أو لعدم تلبية طلبه بالسرعة الممكنة، أو لسقوطه على الأرض.

أما العَبَث في حاجات المنزل فهو مَظهَرٌ آخر للغيرة التي تحرق قلبه وبالخصوص حين ولادة طفل جديد في الأسرة.

وكذلك الانزواء وترك مخالطة الآخرين فهو أخطر مرحلة يَصِلُ إليها الطفل الذي يعاني من الغيرة.

وحين انزواء الطفل قد يتصور الوالدان أنه لا يَوُدُّ الاختلاط مع أقرانه، أو أن له هواية معينة تدفعه إلى عدم اللعب معهم، أو أنه هادئ ووديع يجلس طوال الوقت جَنبَ والديه في زيارتهم للآخرين.

ولا يعلم الوالدان أن الغيرة حينما تصلُ إلى حدِّها الأعلى، فإنها تقضي على مرح الطفل وحيويته، وتجعله يترك الاختلاط مع الآخرين وينطوي على نفسه.

إن الغيرةَ وأيَّ مرضٍ نفسي أو جسدي لا بُدّ أن يأتي عارضاً علـى سـلامتنا، ولا يمكـن أن يكون فطرياً، فالسلامةُ هي أصل الخلقة وهي مـن الـرحمن الـتي ألـزم الله بهـا نفسـه عـزَّ وَعَلا:**{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}**(١).

والغيرة عند الطفل تبدو واضحة للوالدين في مرحلته الأولى، وتختفي مظاهرها فقط بعد السابعة، حيث يتصور الوالدان أن طفلهما أصبح كبيراً لا يَغَارُ، وهو خطأٌ.

فالطفل في المرحلة الثانية من حياته يَقِلُّ اهتمامه واعتماده على والديه ويجـد لـه وسـطاً غير الأسرة بين أصدقائه ورفاقه في المدرسة أو الجيران، ولا تنعكس مظاهرهـا إلا في شـجاره مع إخوانه في الأسرة.

أما في المجتمع فله القِسطُ الأوفرُ من آثار الغيرة التي يُصَابُ بها الأبناء. وأسـباب الغـيرة عند الطفل في المرحلة الأولى من عمره، كالتالي:

إن الكائن البشري سواء كان صغيراً أو كبيراً، امـرأةً أو رجـلاً، أسـوداً أو أبيضـاً، فهـو يمتلك قيمة وجودية من خلال سجود الملائكة لـه:**{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ}**(٢).

إضافة إلى أن كلَّ المخلوقات جاءت لتأمين احتياجاته ومُسَخّرَةً لخدمته:**{سَخَّرَ لَكُم مَّـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}**(٣).

وقد جاء في الحديث القدسي: **«يا ابنَ آدم خلقتُ الأشياءَ لأجلِكَ وخَلَقتُكَ لأجلي»**.

كما أن الإنسان بخلاف الكائنات الأخرى، فإنه يحمل نفحة من روح الله سبحانه وتعالى.

فإنه قد وَرَدَ في القـرآن الكريم:**{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}**(٤).

ولأهمية الكائن البشري اختصت بـه الأحكـام الإلهيـة منـذ ولادتـه، مثـل حرمـة قتلـه ووجوب دفع الدية حين تعرضه لأي أذىً مثل خدشهِ أو جرحهِ.

وينبغي عدمُ تَعَرُّضِهِ للأذى حتى في الطريق الذي يسير فيه بأن ترمـي الأوسـاخ فيـه أو تقطع الطريق عنه بسيارة أو حاجة، أو حتى وقوفك للصلاة فيه.

وإلى غير ذلك من الأحكام الشرعية التي تعكس لنا مَدَى اهتمام الخالق بوجود الإنسـان ووجوب احترامنا لـه.

---

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) البقرة: ٣٤.

(٣) الجـاثية: ١٣.

(٤) ص: ٧٢.

وحين يتعرض الطفل إلى تجاهل الآخرين يبرز العناد كوسيلة دفاعية لما يتعرض له من أذى في عدم الاهتمام به، كذلك حين يهتم الوالدان بواحد ويتجاهلان الآخر.

ولقد رفض الشارع الإسلامي هذا التعامل مع الابن لأنه يزرع الحقد في قلبه لأفراد أسرته وحتى لأبويه وللناس.

فلقد أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً له ولدان فَقَبَّلَ أحدَهُما وترك الآخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«فَهَلا ساويت بينهما»**.

* * * * *

المبحث الثالث:
هل تجب المساواة بين الأبناء؟

إن التربية الإسلامية ترفض الاهتمام بطفل مقابل تجاهُلِهِمَا الآخر.

ولكن لا بأس بالاهتمام بواحد أو أكثر من الأبناء الآخرين مع عدم تجاهل أحد منهم.

والقرآن الكريم حينما يتعرض إلى قصة يوسف وإخوته الذين حقدوا عليه وألقوه في البئر يَقُرُّ بأن نبي الله يعقوب – عليه السلام – كان يهتم ويحب جميع أبنائه، ولكنه يخص يوسف بنصيب أكبر لما يجد فيه من خيرٍ يفوقُ إخوتَه.

فورد في الآية الكريمة عن لسان إخوة يوسف:**{إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا}**[1].

ولم يقل إخوة يوسف أن أباهم كان ينفرد بِحُبٍّ يوسف دونهم، لأن تفضيل الوالدين لطفل على آخر – مع عدم تجاهل أي أحد من الأبناء – يدفع بالجميع إلى منافسة الطفل – الذي اختص بالعناية – في الميزة التي لأجلها اكتسب الأفضلية في قلب والديه، وتجعل الأبناء في حَلَبَةِ السباق إلى فعل الخير.

ويجدر بالآباء أن يمتلكوا الحكمة في معرفة الميزة التي بها يتم التفضيل بين الأبناء.

مثل الاستجابة لفعل الخير والبرّ بالآخرين وامتلاك صفة الكرم والصبر على الأذى، فمن الصحيح أن يُغدِقَ الوالدان الحُب لطفل أهدى لعبتَهُ المُحَبَّبَةَ لآخر مستضعف قِبال إخوته الذين يحرصون على أشيائهم.

إن هذا التفضيل يدفعهم إلى منافسته في هذا الفعل، علماً بأن التربية الإسلامية لا تشترط التفضيل، بل تراه صحيحاً.

وإن بعض الأمهات حين يفضلن طفلاً على آخر لامتلاكه صفة الجمال أو لأنه ذكر، فإن هذا النوع من التفضيل خطأ في المنظور الإسلامي، ذلك لأن الجمال أو الذكورة أو غيرها من المعاني لا يمكن التسابق فيها.

فلا يملك الطفل القدرة على أن يكون أجملَ من أخيهِ الذي اكتسب الحَظوَةَ عند أبيه، وعندها لا يكون أمام الطفل إلا منفذ واحد للخروج من أزمته النفسية، وهو الغيرة والحقد على من حوله في الأسرة والمجتمع.

* * * * *

---

(١) يوسف: ٨.

المبحث الرابع:
المقارنة بين الأبناء

إن مقارنة الوالدين بين الأبناء يُعتبرُ أمراً مزعجاً لهم، فكما أن الزوجة تنزعج حين يطلب الزوج منها أن تكون مثل الجارة ماهرة في إعداد الحلوى، كما يزعجها أيضا تعنيفه لها رافضاً منها أن تكون مثل الجارة مهملة في ترتيب البيت.

إضافة إلى الآثار الأخرى من انكماشها وعدم ارتياحها من الطرف الآخر المقارن معها.

فنفسية الطفل كذلك مثل الكبير، فكما أن المقارنة تزعج الأم وكذلك الأب، فهي تزعجه أيضاً، فتصيبُه حالةٌ من التوتر مقابل أخيه المقارن معه.

لذا ينبغي على الوالدين عدم استعمال المقارنة بين الأبناء بالمديح أو الذم، مثل أن تقول الأم لصغيرها: لماذا لا تكون مثل أخيك الذي يحافظ على ملابسه دوماً، أو تقول: لا تبكِ وتكون مزعجاً مثل أخيك.

* * * * *

المبحث الخامس:
كيف نعالج الغيرة عند الأبناء؟

إن معرفةَ الداءِ نصفُ الدواءِ، كما يقول الحكماء، ولذا فمعرفة أسباب الغيرة تنفعنا كثيراً في العلاج حين نتوقى العوامل المسببة للمرض.

إضافة إلى أن أَهَمَّ علاجٍ للغيرة يتركزُ في إشباع حاجتهم للحُبُّ والحنان مع الاهتمام بوجودهم وهي نفس الأسباب التي تدفعهم للعناد وعدم طاعة الوالدين.

فالغيرة والعناد قرينان حينما يبرز الآخر، ففي بادئ الأمر يكون الطفل معانداً لأسباب مرّت، فإذا لم يتم علاجه، يتفاقم الأمر عليه ويُصاب بمرض الغيرة فلا ينسى الوالدان أن يسمعاه كلمات الحُبُّ والإطراء والتقدير والمديح والاهتمام بوجوده.

وقد تُثيرُ الأمُّ الحديثةُ العهدِ بالولادة سؤالاً حول إمكانية توزيع الاهتمام على كل الأبناء في وقت يأخذ الرضيع كل اهتمام الأم ووقتها؟

والجواب أن الطريقة الصحيحية لمثل هذه الأم – التي حين تهتم برضيعها يقف الأكبر ينظر متألماً من الزائر الجديد الذي عزله عن والديه – أن تعالج الموضوع كما يلي:

١ – إشعار الطفل بأنه كبير:

إن الأم وهي ترضع صغيرها بإمكانها أن تتحدث مع الكبير قائلة: كم أتمنى أن يكبر

أخوك ويصبح مثلك يأكل وحده ولـه أسنان يمضغ بها، ويمشي مثلك و... حتى أرتـاح مـن رضاعته وتغيير فوطته، ولكنه مسكين لا يتمكن من تناول الطعام أو السيطرة على معدته.

وتقول لطفلها الأكبر حين يبكي الرضيع وتهرع إليه: نعم جئنا إليك فلا داعـي للبكـاء، إن أخاك سوف يعلمك أن تقول: إني جوعان بدل الصراخ والضجيج.

وبهذه الكلمات وغيرها من التصرفات يمكن إشعاره بأنه كبير، والصغير يحتاج إلى هـذه الرعاية.

كما يحسن بالأم أن لا تُحِطَّ من قدر ولدها الأكبر بأن تقولَ لـه: لا تبـك مثـل أخيـك الصغير، أو لا تجلس في حضـني مثـل الصـغار، أو لا تشـرب مـن زجاجـة الحليـب العائـدة لأخيك الصغير.

٢ – إعطاؤه جملة من الامتيازات:

لا بُدّ من الحرص على إعطاء الولد الأكبر جملةً من الامتيازات حتى يشعر حقيقة بأنه كبير.

وأن الاهتمام بالصغير هو لعجزه وعدم مقدرته، ويمكن عد الأمور التالية من جملة هـذه الامتيازات:

مثلاً أن تَخُصُّهُ بقطعة من الحلوى وتقول لـه: هذه لك لأنك كبير، ولا تعطيها لأخيـك لأنه صغير، وهذه اللعبة الجميلة لك لأنك كبير، أما هذه الصغيرة فهي للصغير.

وكذلك يجب الحذر من إعطائه لعبة بعنوان أنها هدية لـه مـن أخيـه الوليـد، لأن هـذا التصرف يوحي لـه بالعجز عن تقديم هدية لأخيه مثلما فعل الأصغر منه، وتزيد غيرته منه.

٣ – رفضُ إيذاءِهِ وقبولُ مشاعرِهِ:

لا بُدّ للأم أن تمنع بِحَزمٍ محاولة الطفل الكبير إيذاءَ أخيه الصغير بأن يرفـع يـده ليهـوى بها عليه بأن تُمسِكَ يديه أو تُمسِكَ الحاجة التي يحملُها لضربه، ومـع ذلـك تمسـكه وتحضـنه بعطف وتحمله بعيداً عن أخيه.

لأن الطفل بالحقيقة لا يريد إيذاء أخيه، ولكن سوء تعامل الوالدين واهتمامهم بالرضيع دونه دَفَعَهُ إلى هذا الفعل.

لذا ينبغي على الأم أن تمنع الأذى وتقبل مشاعره الغاضبة عنـده لأنـه لا يملـك القـدرة على التحكم بها.

٤ – الشجار بين الإخوة:

أما الخصام بين الإخوة فيمكن علاجه كالتالي:

يجدر بالوالدين عدم التدخل في الخلافات بين الأبناء، مادام التدخل لا فائدةً مَرجُوَّةً منه بسبب الغيرة التي هي وقود النـزاع بين الإخوة، والتي تحتاج إلى علاج كما أسلفنا.

هذا إن كانت الخلافات لا تتعدى الإيذاء الشديد، وأما إذا كان أحدهما ضعيفاً يتعرض للضرب الشديد دون مقاومة، فالأفضل في مثل هذه الحالة إيقاف النـزاع.

وعندها يجدر بهم أن لا يستمعا إلى أي أحد من أطراف النـزاع، ولا الوقوف مع المظلوم أو العطف عليه، لأن الاستماع وإبداء الرأي وإبراز العواطف لأحد دون آخر يزيد في الغيرة. كما يجدر بالوالدين عدم إجبار طفلهم الذي انفرد باللعب أن يشارك إخوته الذين يريدون اللعب معه أو بلعبته، لأن إجباره أيضاً يولّدُ عنده حالة الشجار فيما بينهم.

السلوكُ الحَسَنُ لدى الطفلِ:

كلُّ أمٍّ تطمحُ في أن يكون طفلها ذا سلوك حسن مع أفراد أسرته وجيرانه وأقربائه، وتشعر بالخجل فيما لو أساء التصرف بكلمة بذيئة أو مشينة.

إضافة إلى أن الطفلَ السيئ السلوك يكون منبوذاً مُحتَقَراً لدى الآخرين، مما يؤدي إلى تعاسة الطفل وشقائه، لذا كان من الضروري أن يَتَحَلَّى أطفالُنا بالسلوك المهذب.

و السلوك المهذب يأتي لدى الطفل في مرحلته الأولى بطبيعته تماماً، ولكن نحتاج معه إلى أمرين:

الأول – التعليم والإرشاد:

إن الطفل في المرحلة الأولى من عمره يحتاج إلى تعليمِهِ الآدابَ والأسسَ التي يتعامل بها مع الآخرين كباراً وصغاراً، وعلى تعليم هذه المرحلة من العمر تقوم أخلاقه في المرحلة الثانية.

وقد يهمل بعض الآباء ضرورة تعليم وإرشاد أبنائهم في السبع سنوات الأولى من عمرهم، وذلك بِحُجَّةِ انشغالهم بأمور أخرى مهمة لطلب الدين أو الدنيا، فيأتي التوجيه من الشارع الإسلامي للآباء:

وفي الحقيقة أن تأديب الطفل وتعليمه السلوك في المرحلة الأولى من عمره لا يحتاج إلى وقت بقدر ما يحتاج إلى وعي ومراقبة لسلوك الطفل والتدخل في الوقت المناسب، مع مراعاة الشروط اللازمة، وهي:

١ – ممارسة الوالدين للآداب:

إن تعليمَ آداب السلوك للطفل في المرحلة الأولى من عمره لا يأتي عن طريق إلقاء المحاضرات عليه وإسماعه بجملة من النصائح بقدرِ ما يأتي عن طريق التزام الوالدين بالسلوك.

ولا يمكن لأيٍّ فردٍ أن يلتزم بنصيحة المُرَبِّي قبل أن يُلزِمَ نفسَهُ بها.

ولذا نلحظ رسول الرحمة محمداً صلى الله عليه وآله يرفض طلب والدة منه في أن ينصحَ ولدَها بعدمِ تناولِ التمرِ بسببِ تناولِه صلى الله عليه وآله للتمرِ في ذلك اليوم، وطلب منها أن تأتيَهُ يومَ غدٍ حتى يمتنعَ صلوات الله عليه عن تناول التمر لِيُمكِنَهُ نصيحةَ الطفل.

نعم إن من الصعب جداً أن تطلب الأم من طفلها أن يعيرَ لعبتَه إلى ضيفه الزائر ليلهو بها بعض الوقت، ويجدها تمتنع من الاستجابة لطلب الجيران من استعارة ماكينة فرم اللحم.

إن الطفل يتعلم من تصرف أمه هذا، فهو يبغي الحرص على ما يملك، ولذا فإنه يتصرف كما يتعلم من والديه.

ومن هنا أكدَت التربية الإسلامية على ضرورة التزام الوالدين بما يطلبانه من الأبناء، ويؤكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله:**{كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**[1].

٢ – تعليم الطفل دون غضب وتوتر:

قلنا سابقاً: إن على الوالدين تعليم أولادهما أدب السلوك حتى يلتزموا به.

فالكائن البشري قابل للتعلم بخلاف الحيوان:**{علَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**[2].

فالإنسان لا يمكنه النُطقَ والتكلمَ بدونِ تعليمٍ، ولو تُرِك وحيداً لما تَعَلَّمَ الكلامَ واللُّغةَ.

أما الحيوان فيعجز عن النطق حتى مع التدريب والتعليم، وكذلك لو تركنا صغير الإنسان مع صغير الحيوان في غرفة، ووضعنا بجانبهما ناراً تشتعل، نلحظ أن الصغير يتوجه إليها متصوراً أنها لعبةٌ جميلةٌ، ويحذَرُها صغيرُ الحيوان لإدراكه بالفطرة، أما الإنسان فيدركها من خلال التعلم والتجربة.

ومن هنا كانت مسؤولية الآباء تعليم أطفالهم، شريطة أن يكون ذلك بدون غضب وتوتر، فكما أن الأم ترفض من زوجها التعامل معها بغضب، كذلك الطفل يرفض التعلم مع الغضب والتوتر.

فلا يصح على سبيل المثال أن تقول الأم للطفل وهي غاضبة: من المفروض أن تحافظ على ملابسك من الاتساخ، فالأَولى أن تقول له بهدوء: كم هو جميلٌ أن نحافظَ على ملابسنا من الاتساخ.

إن الطريقة الأولى تجعل الطفل معانداً للتعلم والعمل، بعكس الثانية التي توصِلُ بسرعةٍ إلى الهدف المطلوب.

---

(١) الصف: ٣.

(٢) العلق: ٥.

الثاني: حُبُّ الناس:

إن تنمية الاستعدادات الفطرية والغرائز المعنوية لدى الطفل أمر يعود بالنفع عليه وعلى والديه والمجتمع، ومن هذه الغرائز حُبُّ الناس.

وذلك لأن كلَّ إنسان اجتماعي بطبعه، وكلما ازداد حُبّاً لمن حوله كلما ازدَادَت بهجَتُهُ وأُنسُهُ في الحياة.

لذا نلحظ أن الإسلام اهتم بهذا الأمر كثيراً حتى جعل العمل في خدمة الناس أمراً تعبدياً به يحصل المعبود على القرب الإلهي.

وعلى هذا الأساس يجب العناية بغريزة حُبِّ الناس التي تولد مع الطفل وتحتاج إلى رعاية الوالدين لتنمو وتَتَجَذَّرَ.

ويمكن أن تكون الرعاية بالشكل التالي:

أ – سلوك الوالدين:

إن سلوكَ الوالدين ذو أثرٍ فعَّال على تربية الطفل وبناء شخصيته، والمنهج التربوي في الإسلام يحمل أتباعه على الانطلاق من قاعدة حُبّ الناس في تربية النفس وفي العمل التغييري في الأمة.

فالمؤمنُ له حقوقٌ وعليه واجباتٌ، فهو لا يَسخَرُ من أخيه ولا يُظهر عَيبَهُ ولا يخذله ولا يؤذيه، ويكون معه في الشدَّة، فإن سره كان في ظِلِّ الله، وإن آثَرَهُ على نفسِهِ حصل على القُرب الإلهي،وأخيرا نجد أن الملتزم بالإسلام لا يمكن إلا أن يمتلأَ قلبُه بحُبِّ الناس كلما ازداد إيماناً وارتباطاً بخالقه.

ويكتسب الطفل من والديه ويتعلم في ظلهما حُبَّ الناس حين ترحب أمه بالضيف لأنه حبيب الله.

ولا ترضى أن يُسمِعَها حديثاً من عُيُوبِ أقرانه لأنه من الغِيبة التي حرَّمَها الله، وتعطي للجيران ما يطلبونه منها حتى لا تكون من المنبوذين في القرآن:**{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ}**[1].

ب – المرور بالحوادث بوعي:

إن الطفل في سنواته السبع الأولى كثيراً ما يرافق والديه ويكون أكثر الوقت معهما.

ويمكن للآباء الاستفادة من بعض القضايا والحوادث لإحياء غريزته في حُبِّ الناس.

---

(١) الماعون: ٦، ٧.

فمثلاً حين المرور على البقال لشراء بعض الخُضرَوَاتِ منه، يمكن أن تُحَدِّثَ الأمُّ طفلَهَا عن الطعام الذي تعده من الخُضَرِ يكون بِفَضلِ البَقَّال الذي يذهب من الصباح الباكر – ونحن نائمون – إلى المزرعة ليأتينا بما نحتاج إليه من الطماطة والكرفس والخيار والبطاطا، حيث يقوم الفلاح في المزرعة بحرث الأرض و....

وهكذا يمكن سرد قصة تهدف إلى تكافل الناس وحُبٍّ بعضهم للآخر ليستفيدَ منها في حُبِّه للآخرين.

الطُرُقُ المؤدية إلى إخماد غريزة حُبِّ الآخرين:

ومن خلال سلوك الوالدين والاستفادة من بعض القضايا والحوادث التي يَمُرُّ بها الطفل وأخرى غيرها، يمكن إنماء غريزة حُبِّ الناس الوليدة في كل طفل.

كما نُحذِّر في الوقت نفسه من وَأدِ هذه الغريزة التي تؤدي بالطفل مستقبلاً إلى الشَّقَاءِ، فلا يمكن العيش براحة واستقرار والقلب لا يمتلك حُبّاً للآخرين.

أما السُبُلِ المؤدية إلى إماتَةِ هذه الغريزة عند أطفالنا فتكون بالشكل الآتي:

أولاً – التعلُّم من الوالدين:

سلوك الوالدين مرةً أخرى يفرض وجوده في التعليم، ولكنه في هذه المرة ذو بُعدٍ سلبي، حيث يقتل الغريزة الإنسانية بَدَلَ أن يرعاها.

فالأم مثلاً حين ترفض من طفلها الذي يصرُّ على ارتداء سروال الصوف في فصل الصيف بقولها له: إن الناس تضحك عليك حين يشاهدونك وأنت بهذا الشكل.

وحين تخشى عليه من الذهاب وحده لشراء حاجة، فتقول له: إن ذهبت وحدك فسوف يختطفونك ويسرقون ما عندك.

فإن هذه الأقاويل وغيرها مع فرض صحتها تُميتُ علاقته مع الناس وتُثبِتُ في نفسه حقداً عليهم لأنهم يقفون حائلاً دون تحقيق رغباته، والأجدر بالآباء أن يمنعوا أبناءهم بأعذار أخرى ليس لها آثار سلبية على الطفل وبالخصوص في المرحلة الأولى من عمره.

كذلك حين تُبدي الأمُّ ضَجَرَهَا من الضيوف الزائرين، أو تُجهدَ نفسها وأفراد عائلتها بترتيب وتنظيم البيت لاستقبال الضيوفِ اتِّقَاءً لكلام الناس مع أحاديثها المتواصلة عن الشرور التي تتلقاها من الناس، وصمتها عن كثير من المعروف الذي أُسدِي إليها، كلُّ هذه التصرفات تعكسُ للطفل أن الناسَ مصدرٌ للشرِّ والأذى دوماً.

ثانياً – أثر القصص الهَدَّامة:

إن للقصة أثراً بالغاً على نفسية الطفل في مرحلة حياته الأولى، فحينما يستمع الطفل إلى القصة تكون مثل البذر الذي يستقر في التربة ليثمر بعد حين.

وينبغي على الوالدين التفكر بهدف القصة قبل سردها للطفل، وقراءة بسيطة لقصة (ليلى والذئب) التي يعرفها أكثر أطفالنا مثلما يعرفون أسماءهم.

فتجد أنها تصور الناس بأنهم يظهرون لك الحُبَّ والولاء ويضمرون لك الشرَّ والعِداء، وهذا من خلال شخصية الذئب، الذي يمثل بصورة الجدَّة المُحبَّة للأطفال.

كذلك قصة (جُحا والحِمار) التي تصور الناس بأنهم يتصيدون حركات الأفراد للحديث عنهم بسوء، ولا بُدّ من اتقاء شرورهم التي تلاحقُكَ في كل حركةٍ صحيحةٍ أو خاطئةٍ.

وقصة (قَطر النَّدَى) التي يتمركز محورها حول شخصية (زوجة الأب) المؤذية الحقودة، التي تجعل الطفل قلقاً من أمثال هذه الشخصيات التي قد يُبتَلى بها.

والأجدرُ بالأدبِ القَصَصِي أن يَعكسَ صورة زوجة الأب بالمربية الحنونة التي تحب الأطفال وترعاهم.

ثالثاً: الإكراه في الكرم:

كثير من الآباء يفرضون حالة الكرم على أطفالهم الصغار، فالصغير حين يحمل قطعاً من الحلوى أو يلهو بلعبته المفضلة، تُبادرُ الأم حين مرورها بصديقة مع طفلِها أو تزورَها إحدى الصديقات، بأن يعطيَ الطفلُ جزءاً من قطعة الحلوى أو يشاركه في اللَّعِب، ويرفضُ طِفلُها فتُلِحُّ عليه كثيراً حتى يخشى غضبها فيعطيه الحلوى أو يشاركه في اللَّعِب.

فَفَرضُ الكرمِ على الطفل لا يخلقُ عنده خُلُق الكَرَم كما يتصور الوالدان، بل تبعث في نفسه كراهية وحقداً للناس.

العقوبة والتهديد

تختلف العوائل بعضها عن بعض في شكل العقوبة الموجهة للأبناء، وكلٌّ يدافع عن طريقته في العقاب وأثره في التربية.

ونحن هنا نستعرض ثلاث حالات يحتاج فيها الوالدان للعقوبة والتي هي:

١ – سوء السلوك:

حين يستعمل الطفل الكلمات النابية أو يُسيء للآخرين فلا يَجِدُ والدُه غير العقوبة رادعاً عن قلة الأدب.

٢ – التصرفات الخاطئة:

وهي حالة أخرى يوجِّهُ فيها الآباء – عادةً – العقوبةَ لأبنائهم حين يكون الطفلُ ثَرِثـاراً أو غير مبالٍ في اتساخِ ملابسه وتنظيمِ حاجاته.

٣ – العنادُ:

في عدم طاعة والديه يدفع الآباء إلى عقوبة أبنائهم.

إن الآباء – وبالخصوص أولئك الذين يستخدمون العقوبة القاسية – عليهم التَرَيُّثُ قليلاً، ليفكروا بأن ما أوصل الطفل إلى الحالة التي جعلته معانداً أو قليل الأدب أو غير ذلك هي نتيجةُ سوءِ تربيَتِهِم لـه، فما هو ذنب الأبناء إذن؟

نحن لا نقول: إن على الوالدين ترك أبنائهم مطلقاً دون عقاب، بل نؤكد على اختيار العقوبة المفيدة الرادعة للطفل، حيث نلاحظ أن أنواع العقوبة التي تَعَارَفَ عليها أفرادُ مجتَمَعِنَا هي باختصار:

الإيذاء الجسدي، بأن يستخدم الوالدان ضرب الطفل أو شدِّه إلى أحَدِ أركانِ البيت أو حرق أجزاء بدنه، إلى غير ذلك من العقوبات الجسدية.

الإيذاء النفسي، مثل الشتمِ والسَّب، أوأن يقول الوالدان للطفل: إننا لا نُحبُّكَ، أو عدم التكلمِ معه لمدةٍ طويلةٍ، وإلى غيرِ ذلك من الأساليب المؤذية.

إن كل أنواع هذه العقوبة تُعتَبَرُ – حسب المنظور الإسلامي للتربية – منهجاً خاطئاً: دَعِ ابنَكَ يلعبُ سبعَ سنين، ويُؤَدَّبُ سبعاً وأَلزِمهُ نفسَكَ سبعَ سنين.

بمعنى أن السبع سنوات الأولى من حياة الطفل تحمل عنوان اللعب، أي تعليمُهُ وإرشادُهُ دون إلزامِهِ وتَحَمُّلِهِ لمسؤولية فعله.

والعقوبة تعني تحميله مسؤوليات العمل، إضافة إلى أن الأذى الجسدي والنفسي الذي نُسبِّبُهُ للآخرين هو من الذنوب الجسيمة التي لا ينفع الاستغفار وحدَهُ لِمَحوهَا، بل نحتاجُ معها إلى الديَّةِ، والديَّةُ ضريبةٌ ماليةٌ تَتَحَدَّدُ قيمتُها بالأثر الذي يتركُهُ الأذى الجَسدي، وبدونها – الديَّة – لا يمكن تحقق العفو الإلهي إلا بِعَفوِ المقابلِ ورضاه.

وإن النهيَ عن استخدام العقوبة المؤذية للجسد والنفس، لا يعني ترك الطفل يتمادى في غيِّه دونَ فعلِ شيء.

فالشارع يدعونا إلى إظهار الخطأ بشكل لطيف وبدون أذىً للطفل.

ويُعتَبَرُ هذا النوع من العقوبة من أفضل الأنواع الرادعة، لِخُلُوِّهَا من الآثار السلبية على نفسية الطفل.

وبالإضافة إلى الجوانب الإيجابية في إعداد الطفل لتحمُّل المسؤولية في مرحلته الأولى.

فالشارع الإسلامي في الوقت الذي ينهى عن استعمال الضرب الـذي هـو ذا أثـرٍ سَيِّئٍ على الجسد.

وكذلك ينهى عن الإيذاء النفسي - لا تُطـل - أي لا تُطِـل مـدة عـدم تكليمـك إيـاه، والاكتفاء بهجرانه لمدة قصيرة بسبب خَطَئِهِ.

فتوضيح الخطأ للطفل من أهمِّ الأمور في هذه المرحلة، ولكن البعض من الآباء يعـاقبون أبناءهم دون أن يعرفوا ما الذي ارتكبوه، أو أن الأم تنظـر إلى طفلِهـا فـلا تمنعُـهُ مـن العمـل الذي يمارسه.

وفي وقتٍ آخر يتعرض للعقوبة بسبب الفعلِ ذاتِهِ، وهذه الحالة تُشَوِّشُ الطفلَ كثيراً، فلا تجعله يميز بين الخطأ والصواب.

وحين يأتي الطفل إلى أمه باكياً لأن لعبتَه انكسرت بيديه أو عند أصدقائه، فبكاؤه دليـل معرفتِهِ للخطأ.

فلا يصُحُّ من الأم أن تعاقبه، لأنه فهم كونه على الخطـأ، فعليهـا أن تداريـه وأن تبـدي تَأَسُّفَهَا وحُزنَهَا لما حدثَ لـه.

التهديد:

إذا كانت العقوبة لغرض التأديب، فليطمئِن الوالدان بأن التهديد يضعف من أثرِ التأديب.

لأن التهديد يدخل في أنواع العقوبة المؤذية التي لها آثار سـلبية فضـلاً عـن عـدم جـدواها في التأديب، وإذا لم يُنَفَّذ التهديد فهو خطأ جسيمٌ آخر لأنه يُضعِفُ من شخصية الأبوين أمام الطفل.

ومن هنا نلحظُ أن التهديدَ سواء نَفَذَ أم لم ينفذ فلا فائدة مرجوة منه ولا يَصِلُ بالوالدين إلى الهدف الذي ينشدانه في تأديب الطفل، حتى بالتهديد المثير للذعر، مثـل تخويفـه بالشـرطة أو بمن يسرقه أو بالحيوان المفترس.

فيجب على الوالدين تركه لأنه يؤثر على مشاعر الطفل ويزيد في مخاوفه ويُثِيرُ قَلَقَهُ.

ولعلَّ سائلاً يقول: لماذا تقـرُّ التربيـة الإسـلامية أسـلوب التهديـد؟ كمـا جـاء في الآيـة الكريـمة:**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}**[1] وجوابـه: أن العقوبـة الإلهية للعبد تختلف عن العقوبة التي يستخدمها الوالدان للطفل.

---

(١) الماعون: ٤، ٥.

فإن العقوبة الإلهية نتيجة طبيعية لفعل العبد، مثل حَصَادِ الأشـواك لمـن زَرَعَ بذرَتَـهُ، أو فَشَلِ الطالب الذي انشغل باللعب واللهو في وقت الامتحان.

وهذه تختلف عن عقوبة المربِّين بأنها عارضة على الإنسان، مثل ضرب الوالـدين للابـن لعدم اهتمامه بدراسته، أو طرد الفلاح من المزرعة لعدم زرعه النباتات المثمرة المفيدة.

فالعقوبة الإلهية إذن نتيجة طبيعية لفعل الإنسان، وعقوبة الوالـدين نتيجـة غـير طبيعيـة لفعل الأبناء.

ومن هنا كان التهديد الذي استعمله القرآن يختلف تماماً عـن التهديـد الـذي يسـتعمله المُرَبُّون، فهناك اختلافٌ كبيرٌ بين أن تقولَ للطالب مثلاً:

الويلُ لك إن لم تَهتَم بدراستك، فإن الفشل نصيبك، وبين أن تقـول: الويـلُ لـك إن لم تَهتَم بدراستك؟ فإن الضربَ المبرحَ نصيبُك.

فالنوع الأول من التهديد مفيد في التأديب والتربية، لأنه لا يستبطن العقوبة المؤذية.

أما النوع الثاني من التهديد فهو غير مفيد لعدم تأثيره في الفاعل للأسباب التي ذكرناهـا في موضوع التهديد.

ومن هنا كان الأسلوب القرآني في تربية العبد باستخدام التهديد مفيداً ومثمراً ومؤثراً.

وإن العوامل النفسية التي تكمن وراء اسـتخدام الوالـدين أنـواع العقوبـة القاسـية تجـاه أخطاء أبنائهم وكما يراها بعض علماء التربية، هي كما يلي:

١ – تَعَرُّضِ الوالدين في صِغَرِهِم لنفس العقوبة الـتي يسـتعملونها مـع أبنـائهم كـ(رَدَّة فعلٍ نفسية) يندفعَ إليها الفرد حينَ لا يتمكن من رَدِّ الأذى عنه في الصِغَر لضَعفِه.

٢ – تنفيس لحالة الغضب الـتي يعيشـها المعاقـب بسـبب تـوتره مـن كلمـةٍ أو إهانـةٍ أو مشكلةٍ يعاني منها لا يقدر على مواجهتها فتنعكس على الأبناء.

٣ – شعور الوالدين بالعجز تجـاه تصـرُّفات أبنـائهم الخاطئـة معهـم أو مـع الآخـرين، لضعف شخصيتهم وعدم ثقتهم بأنفسهم، وهذا ما يدفعهم إلى العقوبة القاسـية مـع أبنـائهم للتغطية على ضعفهم والخروج بمظهر القوة.

* * * * *

المبحث السادس:
مظاهر التوتر عند الطفل وأسبابه

التوترُ مرضٌ عارض يُصيب نفسيةِ الطفلِ لأسباب متعددة، ويرافقه طيلة يومه ولا ينفك عنه، فيفقده نشاطه ومَرَحَهُ في الحياة.

ويختلف هذا تماماً عن الغضب، ولأن أكثر الآباء لا يميزون بين الغضب والتوتر عند الطفل نطرح أهم مظاهر هذا المرض ليتمكن الوالدان تشخيص حالة المرض عند أبنائهم وهي كالتالي:

١ – ضعف الثقة بالنفس:

إن كلَّ الآثار التي يُخَلِّفُها التوتر على الطفل غير مرغوبة عند الوالدين بشكل عام.

فالأم يُحزِنُها أن تجدَ طفلَها قلقاً يَقضِمُ أظفاره ويتعرض للفشل طيلة حياته في نشاطاته المختلفة ابتداءً من المدرسة ثم حياته الزوجية والعملية.

وما نراه في مناطق كثيرة من أمم تعيش تحت سطوة الحاكم الجائر دون أن تسعى لتغيير ما عليها بكلمة أو حركة، ترجع أسبابه إلى الأفراد الذين تَتَكَوَّن منهم تلك الأمم ممن فقدوا ثقتهم بأنفسهم فأصبحوا أذلاء.

٢ – الجُبن:

إن الطفل حين يخشى الظلمة أو النوم في مكان بعيد عن والديه، أو خوفه من الماء، وغير ذلك من المخاوف التي تجعله جباناً لا يقدم ولا يؤخر، فكلُّ هذه المخاوفِ تأتي للطفل نتيجةَ توتره.

٣ – تقليد الآخرين:

الطفل في مرحلته الأولى قد يأتي والديه يوماً بحركة جديدة وتصرف غريب كلما يلتقي بأقرانه.

وحالة الطفل بهذا الشكل تثير غضب والديه متصورين الأمر مرتبطاً بانعكاس أخلاق قُرَنَاء السوء، والأمر ليس كذلك، بل هي حالة التوتر التي تدفعه لاكتساب هذا الخُلُق، وذلك دون أن يتعلمه من والديه.

٤ – ازدياد حالة الغضب:

للغضب نوبات حيث تزيد وتنقص في الطفل في سنواته الأولى حسب حالته النفسية، فإن كان متوتراً ازدادت عنده وتفاقمت، وهذا مما يثير إزعاج والديه.

أسباب التوتر:

يجدر بالآباء الوقاية من المرض، وذلك بمعرفة أسبابه وهي كالتالي:

١ – التعامل معه بحِدَّة:

إن نفسية الطفل في المنظور الإسلامي لا تختلف عن الكبير، ولذا يكون ما يزعجهم يزعجنا.

فالأم حين يتعامل أحد معها بِحِدَّة، كأن يأمرها الزوج بعصبية وحِدَّة أن تفعل كذا، فإنها – وبشكل طبيعي – تُصاب بحالة التوتر، كما أنها تندفع إلى عدم الاستجابة للفعل.

فكذلك الطفل يصيبه التوتر حينما تقول له الأم بحِدَّة: إخلع ملابسك بسرعة؟ لايعلو ضجيجك؟ انتهِ من الطعام بسرعة وإلخ، فيدفعه ذلك إلى التمرد والعناد وعدم الطاعة.

٢ – تعرضه للعقوبة القاسية:

إن استخدام العقوبة القاسية المؤذية للجسد أو النفس من قبل الوالدين، كالضرب، أو التحقير أو التثبيط تؤدي إلى توتر الطفل في المرحلة الأولى من عمره، وقد نهى الشارع الإسلامي عن أمثال هذه العقوبة كما طالب الأبوين بالتجاوز عن أخطاء أبنائهم.

فقد قال رسول الرحمة صلى الله عليه وآله: **«رَحِمَ الله من أعانَ ولدَه على برِّه، وهو أن يعفو عن سيئتِهِ»** [1].

٣ – شعوره بالغيرة:

إن الغيرة التي تصيب الطفل في السنوات السبع الأولى من عمره، وبسبب سوء التعامل معه تُعَدُّ من الأسباب التي تجعل الطفل متوتراً.

٤ – توجيه الإنذارات إليه:

إن الطفل في مرحلته الأولى لا بُدّ أن يكون سيداً كما نَصَّت عليه التربية الإسلامية.

ومن مصاديق سيادته أن يكون البيت مُهَيَّأً لحركته ولعبه، لأن تحذيرات الوالدين المتكررة للطفل في هذا العمر في عدم لمس هذه وعدم تحريك ذاك تجعل الطفل يعيش حالة القلق والتوتر والاضطراب.

وأخيراً وليس آخراً:

بمعرفة أسباب المرض يمكن للآباء الوقاية منه وتجنيب أبنائهم الإصابة به، ليتمتع الطفل بالثقة التي تؤهله للنجاح في حياته، كما يكون شجاعاً ومتمكناً من التغلب على مخاوفه.

---

(١) عدة الداعي: ٦١.

ويرتاح الوالدان من بعض التصرفات السلبية التي تصـدر علـى أثـر تـوتر الطفـل مثـل ضعف الشخصية الذي يدفعه إلى مُحَاكَاةِ أفعال الآخرين.

إضافة إلى ازدياد نوبات الغضب عنده، كما أن عدم معالجة نفسية الطفل المتوتر، تعرضه للإصابة بعدة أمراض وعادات سيئة، كالتَأَوُّهِ، وقَضم الأظـافر، وتحريـك الـرمش، والسُّعال الناشف، وغيرها.

* * * * *

المبحث السابع:
الغضبُ عند الطفلِ وعلاجُه

إن الغضب من الغرائز الفطرية المادية التي تولد مع الإنسان وهو يختلف تماماً عن التوتر.

فالغضب مفيد لأجل الحفاظ على النفس والدفاع عنها، وبه يستطيع المرء رَدَّ الاعتداء والانتصار لمظلوميته، وهو بهذا المقدار صحيح ومطلوب.

لكن زيادة الغضب بالاعتداء على المتعدي بأكثر مما سببه لـه مرفوض في المنظور الإسلامي، كالتمثيل بجثة القاتل، أو تعذيب السارق، فتقول الآية الكريمة: **{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}**[1].

والقاعدة الفطرية الصحيحة في الإنسان هي الغضب الذي يَدفَعُ لِرَدِّ الاعتداء مقابل أي عدوان يَتَعَرَّضُ لـه.

ويجد الأبوان - عادة - بوادرَ الغضب عند أبنائهم وبشكل ملحوظ في السنوات ما بين الثلاث إلى الخمس، فلا يكتفي الطفل حينها بِرَدِّ الأذى عنه، بل يعمد إلى إيذاء نفسه بالتمرغ في الأرض وكذلك ضرب الأرض بيده ورجليه وحتى رأسه، كما أنه قد يبادر إلى كسر ما يجده أمامه.

وإن وجدنا الطفل يقوم بهذه الحالة في الأسبوع مرة أو مرتين فهو أمر طبيعي، لأنه يجهل الطريقة التي يَرُدُّ بها الاعتداء عن نفسه، أو لشعوره بالعجز أمام المتعدي عليه.

أما إن تكررت هذه الحالة أكثر من ذلك فهو أمر غير طبيعي ويحتاج إلى علاج.

وقبل أن نبدأ بعلاج الحالات المرضية، لا بُدّ أن نشير إلى أمور مهمة نُذَكِّرُ بها الآباء باعتبارهم المسؤول الأول في زيادة الغضب عند أبنائهم، فلا الوراثة لها أثر على غضب الطفل وزيادته، ولا هو خُلق يتعلمه من الآخرين، بل زيادته تعود إلى تعرضه لسوء التربية، ومن أمثلة ذلك:

١ - تنفيذ ما يريده بعد غضبه:

إن بعض الأمهات حين يأتي الطفل إليها طالباً قطعة من الحلوى أو جَلبِ لعبةٍ معينة، فترفض طلبه أولاً لانشغالها بحديث أو أمور المنزل، يغضب الطفل ويعلو صراخه وضجيجه، فتحاول الأم إسكاته بالغضب عليه أو بأساليب متعددة، وهو لا يكف عن الصراخ والضجيج إلى أن تعجز الأم فتستجيب له وتعطيه ما أراد، وهذه الطريقة تدفع

---

(١) البقرة: ١٩٤.

الطفل إلى زيادة غضبه، والأولى بالأم أن تستجيب له في أول الأمر أو لا تستجيب له مطلقاً، وإن زادت المدة التي يصرخ فيها.

٢ – معاملتُهُ بِلُطفٍ عندَ غضبِهِ:

إن الطفل حين يغضب ويجد الوالدين يتعاملان معه بلطف في ظروف معينة ويستجيبان له في وجود الضيوف مثلاً أو في زيارة أحد الأصدقاء يتشجع على زيادة الغضب في مثل هذه الأوقات.

والأولى أن يكون التعامل بالاستجابة أو الرفض لطلباته في كل الأوقات بأسلوب واحد حتى لا يستخدم غضبه كورقة ضغط على والديه.

٣ – إصابته بتوتر النفس:

إن الطفل حين تُصابُ نفسيَّتُهُ بالتوتر – الذي تعود أسبابه إلى ما ذكرناه سابقاً – يتعرَّضُ إلى ازدياد نوبات الغضب وتكررها في أوقات مختلفة.

٤ – توجيه الأوامر إليه بصرامة:

إن الطفل في مرحلته الأولى تأبى شخصيته النامية أن توجه إليه الأوامر بِحِدَّةٍ وتَهَكُّم، لأن عدم احترام شخصيته يعتبر أحد أنواع الاعتداء التي تثير غضب الطفل، بل كل إنسان.

العلاج:

إن من الخطأ الاستهانة بالتصرفات التي تثير غضب الطفل وعدم الاكتراث بمعالجتها وبشكل سريع، لأن زيادة الغضب تجعله متوتراً وبعد مرور الوقت يصبح عدوانياً مشاكساً يفتقد إلى المحب والصديق، بل حتى إلى الحياة الحلوة الهانئة.

والطفل حين تأتيه نوبة الغضب يجدر بالوالدين التعامل معه بشكل يختلف عن التعامل معه في الأوقات الطبيعية وهو كالتالي:

١ – عدم مناقشته:

إن الطفل في السبع سنوات الأولى من حياته حين يغضب يصبح بشكل لا يفهم ولا يسمع ما يُقالُ له، فالغضب يَسُدُّ منافذَ وعيِهِ تماماً، فلا فائدة إذن أن يتكلم الوالدان أو يعترضا عليه بكلمة أو فعل.

٢ – قبول غضبه:

حين ترفض الأم طلب طفلها في مرحلته الأولى، يَهيج ويصرخ ويضرب رأسه بالأرض أو يحاول تكسير كل حاجة أمامه، وينبغي أن تمسك الأم طفلها بحنان وتمنعه من حركته المؤذية لنفسه أو أحد أفراد أسرته.

والحذر في مثل هذه الحالة أن تمسكه بقبول ورضا، لأن الغضب في هذه المرحلة – ولعدم استجابة والديه له – تُعتَبر طبيعية لا يُحاسَب عليها أولاً، وتُقابَل بِلُطفٍ ثانياً.

٣ – عدم معاقبته:

يحسن بالوالدين أن يتركا الطفل الغاضب وشأنه ويتحلَّونَ بالصبر وعدم معاقبته وكذلك مكافأته.

فليس من الصحيح أن تقول الأم لطفلها الغاضب وهو في المرحلة الأولى من عمره: لو تسكت أعطيك قطعة من الحلوى، أو تقول له: إذا لم تَكُف عن الصراخ سأضربك.

٤ – الاستمرار بالمطالبة:

لعل الأم تطلب من طفلها في مرحلته الأولى أن يخلع ملابسه أو يرتب أشياءَهُ بشكل ودي وجذاب، ولكن الطفل يثور ويغضب ويرفض الاستجابة للطلب.

ففي هذه الحالة على الأم أن تتركه في حالة غضبه دون أن تقول له أو تطلب منه شيئاً، حتى يرجع إلى وضعه الطبيعي ثم تكرر طلبها منه بشكل ودي أيضاً.

وهكذا تستمر دون عصبية وحِدَّةٍ حتى يستجيب لها، لأجل إفهام الطفل أن الغضب لا يَحُولُ دون الانصياع للأمر فيستخدم الغضب في كل مرة لا يريد فيها الاستجابة لوالديه.

* * * * *

المبحث الثامن:
السرقة عند الأطفال

إن السرقة عمل غير مقبول عرفاً وشرعاً، ولذا فالجميع يبغضونه وينكرونه وينظرون إلى فاعلِهِ بازدِرَاءٍ وحَقَارة.

والآباء الذين يبتلون بأولاد يمارسون هذا الفعل القبيح عليهم التمييز بين الطفل الصغير ذي الثلاث سنوات وآخر يتجاوز الخمس سنوات.

فالأول لا يُميِّز بين الخير والشر، ولذا نجده لا ينكر ما أخذه من الآخرين مقابل الثاني الذي يُخفِيهِ وينكر فعلَه.

وينبغي عدم توجيه اللَّومِ والعتابِ للطفل ذي الثلاث سنوات ما دام لا يفهم معنى السرقة وأنه عمل قبيح، والاكتفاء بالقول لـه: إن صديقك الذي أخذت لعبته قد يحتاج إليها.

أو: ليس من الصحيح أن نأخذ شيئاً من الآخرين دون إذن منهم، كما أننا لا نرضى أن يأخذ أشياءَنا أحدٌ من الناس.

أما الطفل الذي يتجاوز عمره الخمس سنوات والذي يمارس السرقة، فلا يعني أنه لم يَتَلَقَّ التربيةَ الحسنةَ أو أن والديه يبخلان عليه بالأموال.

وإن كان هذان العاملان يدفعان بالأولاد إلى السرقة، ولكن ليس دوماً، فما هي يا تُرى أسباب السرقة عند الأولاد إذن؟

١ – العلاقة مع الوالدين:

إن العلاقة الجافة بين الطفل ووالديه نتيجة عدم إشباع حاجته من الحُبِّ والحنان، أو لتعرضه للعقوبة القاسية، أو لشدتهما في التعامل معه في المرحلة الأولى من عمره، أو لعدم تعزيز شعوره بالاستقلال في المرحلة الثانية من عمره، تدفع بالطفل إلى السرقة.

وذلك خصوصاً في السابعة من عمره، لأجل أن يغدق عليه ويكسب منهم ما فقده في الأسرة من الحنان من جهة، وأخرى للانتقام من والديه بفعل يقدر عليه لشفاء غَيظِهِ من قساوة تعرَّضَ لها في مرحلة طفولته الأولى.

ثانياً – الشعور بالعُزلة:

إن شعور الطفل بالعزلة في المرحلة الثانية من عمره – وهو الوقت الذي يُؤَهِّلُهُ لاتخاذ موقعه في المجتمع وبين أقرانه – تُعتَبَرُ جزءٌ من تعاستِهِ.

لذا يندفع إلى السرقة لإغراق أصدقائه بالشراء والهدايا في محاولة لكسب وِدِّهِم نحوه بعد أن فشل في كسبهم لضعف شخصيته.

أو أنه يريد أن يَتَبَاهى أمام أقرانه بفعله البطولي في السرقة لينجذبوا نحو شخصيته القوية، كما يتصور.

كيف نتعامل مع السارق؟

إن الطفل الذي يمارس السرقة في المرحلة الثانية من عمره بالرغم من عيشه بين أبويه – اللذين لا يبخلان عليه بما أمكن من الألعاب والأمور الخاصة به – تَسهُلُ معالجَتُهُ وتقويمُهُ من خلال الوقاية من أسباب السرقة المتقدمة.

إضافة إلى إشباع حاجته للحنان، والتأكيد على استقلاليته، ومساعدته على اختيار الأصدقاء.

إن الوالدين يجب أن يتعاملوا مع أبنائهم بعد بلوغهم الخامسة من العمر - حين يمارسون السرقة - بِحَزمٍ وقُوَّةٍ.

ولا نقصد بها القَسوَةَ والشدَّةَ، بل يكفي أن يفهم الطفل أن هذا العمل غير صحيح وغير مسموح به، ولا بُدّ من إرجاع ما أخذه إلى أصحابه والاعتذار منهم.

ويجب الالتفات إلى نقطة مهمة، وهي:

من الخطأ إشعار الطفل بالذُّل والعار، لأن هذا النمط من التصرف يدفع الطفل إلى السرقة، وذلك اندفاعاً للانتقام ممن احتقره وامتهنه.

أسبابُ الكذب عند الأطفالِ وآثارِه:

إن الطفل في المرحلة الأولى من عمره قد يمارس الكذب بأن يختلق قصصاً لا وجود لها.

مثل أن يتحدث لأقرانه عن شراء أمه لفستان جميل، أو شراء أبيه لسيارة فاخرة، أو يتحدث لأمه عن الحيوان الجميل الذي رافقه في الطريق.

كما أن هناك نوعاً آخر من الكذب وهو إخفاء الحقيقة عن الآخرين، مثل ادعاء الطفل أن صديقه قد كسر الزجاجة أو إنكاره لضرب أخته.

وكل هذه الأنواع من الكذب ليس من الطبيعي وجودها عند الأطفال، لأن الصدق غريزة تولد معه، ولا يندفع إلى الكذب الا لوجود معارض لغريزة الصدق عنده، ويمكن إيجازُ أسبابِ الكذب عند الأطفال بما يأتي:

١ - جلب الانتباه:

حين تسمع الأم طفلها في المرحلة الأولى من عمره يتحدث لها عن أمور لا واقع لها، فإن سبَبَهُ يرجع إلى حرصه في أن يحتل موقعاً خاصاً عند والديه اللذين لا يصغيان إليه حين يتحدث إليهما كالكبار، فهو لا يفهم أن حديثه تافه لا معنى له،وكذلك حين يتحدث للآخرين عن قضايا لا وجود لها فهو بهذه الطريقة أيضاً يحاول أن يجد عندهم مكاناً لِشَخصِيَّتِهِ بعد أن تَجَاهَلَهُ الأبوين في الأسرة.

٢ - تعرضه للعقوبة:

حين تسأل الأم طفلَها الصغير عن حاجة قد تَهَشَّمَت أو أذىً أصاب أخاه أو عِلَّةَ اتساخِ ملابسِهِ، فلا يقول الحقيقة ويدَّعي براءته من هذه الأفعال، في حين أن نفسه تَهرَعُ لقول الصدق، ولكن خوفه من تعرضه للعقوبة يجعله ينكر الحقيقة.

وهكذا كلما يزيد الوالدين في حِدَّتِهِما وصرامَتِهِما كلما ازداد الكذب تجذراً في نفسه.

٣ – واقع الوالدين:

إن الطفل في سنواته الأولى يتخذ من والديه مثلاً أعلى لـه في السلوك، فحين يسمع أُمَّـهُ تُنكرُ لأبيه خروجَهَا من المنـزل في وقتٍ اصطَحَبَتهُ معها لزيارة الجيران.

أو يجد أباه يحترم رئيس عمله ويقدِّرُهُ إذا رآه، ثم يلعنه ويَسُبُّهُ بعد غيابه، وغيرهـا تجعـل الطفل يستخدم نفس الأسلوب الذي وَجَدَ أبويه عليه.

تبعات الكذب في نفسية الطفل:

إن وقاية الطفل من مرض الكذب أمر ضـروري، لأن الكـذب يختلـف عـن غـيره مـن الأمراض التي تُصيب النفس، لأنه يفقد صاحبه المناعـة مـن كـل الأمـراض، وممارسـة كافَّـةِ الأعمال القبيحة، تماماً مثل مرض فقدان المناعة الذي يكون صاحِبُهُ مُعَرَّضَاً للإصـابة بجميـع الأمراض الجسدية.

وينبغي عدم التساهل في نوعية الكذب البسيط منه والكبير، لأن الآثـار السـلبية الناتجـة من الكذب على النفس فادحة وتوجب فقدان المناعة في النفس.

مطالعةُ الأطفال للكتُب:

إن للوالدين تأثيراً كبيراً على انشداد أبنائهم نحو الكتـاب، فالطفـل يُولَـدُ ومعـه غريـزةُ طَلَبِ العلم وحُبُّـهُ، ومسـؤولية الوالـدين تِجَـاهَ الغرائـز المعنويـة مثـل غريـزة طلـب العلـم، كالفلاح الذي يرعى زرعَهُ حتى ينمو ويَتَجَذَّر.

والتقصير أو الإهمال في هذا الجانب في الصغر يدفعه إلى ممارسات لا تُحمَد عُقبَاها في الكِبَر.

والانشداد بالكتاب والرغبة في المطالعة تأتي من خـلال رعايـة الوالـدين لغريـزة طلـب العلم الناشئة عند الطفل في مرحلة الطفولة الأولى، وهي كما يلي بالتدريج:

أولاً: من ٢ إلى ٤ سنوات من العمر:

من الضروري أن توفر الأم لطفلها كتاباً يحتوي على الصور المختلفـة والملوَّنـة، وتجلـس معه بعض الوقت كل يوم وبيَدِهَا الكتابُ وتؤشِّرُ معه علـى العلامـات البـارزة في الصـورة، فهذِهِ قِطَّةٌ، وهَذَا بَيتٌ، وهَذَا طِفلٌ، وهَذِهِ أُمُّهُ، وهكذا في كل يوم.

وعلى الأم أن تَعتَبِرَ هذا العمل جزءاً من واجباتها المنـزلية.

ثانياً: من ٤ إلى ٦ سنوات من العمر:

ينبغي على الوالدين توفير أنواع أخرى من الكتب للطفل في هذه المرحلة، فالكتاب مثل الألعاب، يختلف مع تقدم العمر.

وفي هذه المرحلة يحتاج الطفل إلى الكتاب الذي يَتَضَمَّن القصص المصوَّرَة، فهـو في هـذا العمر بإمكانه أن يربط بين الأشياء الموجودة في الصورة وبين أحداثها المتعاقبة.

وهنا ينبغي على الأم أن تجلس معه لِتَحكِيَ لـه عن الصورة والشخصيات التي فيها، ثـم تَنتَقِلُ معه من حَدَثٍ إلى آخر من خلال الصور.

فهذا رجلٌ مريضٌ، وهَؤلاءِ أبناؤُهُ مُتحيِّرُونَ لا يعرفون كيف يُخَلِّصُونَهُ مـن الألم، وهـذه سيارةُ الإسعاف نَقَلَتهُ إلى المستشفى، وهذا طبيبٌ مُهِمَّتُهُ مُدَاوَاةِ الناس، وفرحَ الأبناءُ وشكروا الطبيبَ لأنهُ شَفَى أباهم من مرضِهِ.

كما ينبغي أن يمتلك الآباء بعض الكتب التي يقرؤون فيها ويحافظون عليهـا مـن التلَـفِ بحيث يلحظ الأطفال في هذا العمر اهتمام والديهم بالكتب.

وبالخصوص الأم التي تقضي مـع الطفـلِ وقتـاً أكـبر، فعليهـا أن تمتلـك بعـض الكتـب وتبدي اهتمامها بها، ليكون ذلك درساً عملياً يشـد الطفـل إلى الاقتـداء بهـا، والتمـرين في المستقبل على مطالعة الكتب النافعة التي هي في الواقع من أهم الأسـباب المؤديـة إلى ارتقـاء الوعي والتفـتح الـذهني، وامـتلاك الرؤيـة الشـمولية، والـتمكنِ مـن اختيـارِ أفضـلِ السُّبُلِ للوصولِ إلى الأهدافِ الساميةِ في الحياة.

* * * * *

الباب الثالث:

منهج لتربية أطفالنا

من القرآن والسنة

نحن في عصر التحديات للطفل والشاب والرجل والكهل وعموم النساء إننا بحاجة لرجال وأكتفي بكلمة رجال فهذه الكلمة تعني الكثير

وهؤلاء الرجال لابد وأنهم قد عاشوا فترة الطفولة والتي تؤثر في أصحابها بالغ التأثير

وينشأ ناشئ الفتيان منا ::: على ما كان عوده أبوه

والطفل بحاجة إلى:

أولا: أم وهذه الأم ذات صفات:

١ – دين (فاظفر بذات الدين تربت يداك)

٢ – عقل (فالعقل رأس مال من لا مال لـه)

٣ – علم (فإذا رزقت خليقة محمودة....... فقد اصطفاك مقسم الأرزاق)

٤ – ما زاد من الصفات فحسن كالمال والجمال والنسب وكذلك الإحساس بالمسؤولية

دقات قلب المرء قائلة لـه ::: إن الحياة دقائق وثوان

فاصنع لنفسك ذكرا قبل وفاتها ::: فالذكر للإنسان عمر ثان)

وغيرها، وخير الذكر ولد صالح

ثانيا: أب عامل:

إذا كان رب البيت بالدف ضارب ::: فشيمة أهل البيت الرقص

ثالثا: اتباع للسنة:

في آداب الزواج من رؤية المخطوبة وحسن المنبت وطيب الخلق.

والجماع بالبسملة قبل المباشرة فيه (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)[1].

و العقيقة فهي حق للمولود فالغلام مرتهن بعقيقته وإن شاء الله تكون سببا في عدم عقوقه لوالديه وهي للغلام شاتان وللبنت شاة تذبح وتقسم كالأضحية.

والاسم الحسن للطفل: وخير الأسماء ما عبد وما حمد: كعبد الرحمن وعبد الله وأحمد ومحمود وما يستحسن منها بحيث ألا يكون خارجا عن إطار الإسلام فقد قالت العرب: لكل شيء من اسمه نصيب.

---

(١) سنن الدارمي (٢١١٥).

رابعا: تهيئة المكان للتربية وشغل البال دائما بأهمية هذا الطفل في المستقبل إن شاء الله

ففي سنوات الطفل الأولى – وأقصد بالطفل الولد والبنت – يرعاه أبواه تمام الرعاية الأبوية الحنونة فيتناول حليب الأم ويرعاه والده ووالدته صحيا ونفسيا كما نرى العناية بالصغار من جميع المخلوقات.

فالطفل الذى يترك للبكاء والألم لا يستوي مع غيره ممن لقي الملاعبة والحنان والعناية

والذي شكل تحت الرعاية أبوين حريصين لا يكون كمن أهمل وترك للإهمال عاملة أو خادمة وهذا من أسباب فساد النشء.

ومن ترك لخادمة وضع في يد غير أمينة فالأم لا تعوض بحال من الأحوال

عند سن الثانية وما بعدها إذا بدأ في الكلام علمه دائما أن يقول:

لا إله إلا الله، إذا أفصح الغلام فعلمه لا إله إلا الله.

دائما ذكره بالله في كل أحوالك وأقوالك وأفعالك:

إذا أكلت فقل له: من خلق لنا هذا الطعام؟ من فاكهة وأرز ولحم وغيره – وهذا من دون تكليف فهو مازال في سن اللعب والمرح ولكن لعب في سبيل الله ومرح ضابطه الشرع ليتعود أن تكون الحياة كلها لله منذ الصغر. **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ}**[1] أي حياة الكبير والصغير كلها لله وما خسر المسلمون إلا حينما كانت الحياة لغير الله، أربطه بالله عند شرب الماء وقل له: الله الذي أنزل لنا الماء من السماء ولولا وجود الماء مابقي على الأرض أحد، قل له انظر إلى السماء الله خالقها وقل له: تعال نصلي معا في البيت أو المسجد ولو لعب لا تنهره ولكن علمه برفق كبير جدا ولا تخف من نظر الناس إليك أثناء تعليمك له لاعبه وقل له دائما أنت شجاع وعلمه أن يقول عن نفسه أنا شجاع أستمد قوتي من خالقي.

انظر معي بتأمل – أخي المربي – إلى قول الرسول ﷺ :

«علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر» [2].

انظر في قوله: مروا لمدة ثلاث سنوات يعني من سبع إلى عشر، ثلاث سنوات في كل سنة ٣٦٠ يوما تقريبا في ٣ سنوات = ١٠٨٠ يوما تقريبا في خمس أوامر عند كل صلاة تقول له: صل = ١٠٨٠ × ٥ = ٥٤٠٠ أمر بالصلاة بدون ضرب أو نهر أو تعذيب.

(١) الأنعام: ١٦٢.

(٢) سنن الترمذي (٣٧٢).

أتدري لماذا شغلتك بهذه الحسابات لتعلم أن الجبن فينا ليس من فراغ بل إنـه مـن سـوء التربية الذي جعلنا نرضي بأي وضع ونقبل بأي شكل من أشـكال الهـوان فـنحن بحاجـة إلى رجال شجعان لا يخافون في الله لومة لائم.

ألوان من التربية القرآنية لأخلاق الطفل:

ما المقصود بالأخلاق مع الله عز وجل؟! ومع رسول الله ﷺ ؟!

يقصد بالأخلاق مع الله عز وجل ذلـك السـلوك الـذي يقـوم بـه الإنسـان تجـاه ربـه.. وكذلك تجاه رسوله ﷺ وسنبدأ أولا بالحديث عن الأخلاق مع الله.

فالخلق القويم مع الله عز وجل هو أعظم الأخلاق وأوجبها على الإنسان، وعلى الأب أو المربي أن يبدأ في تربية ولده أو الطفل وهو يركز على هذا الجانب المهم، وأن يعمق الصلة بين الطفل والله، فالله عز وجل هو صاحب الفضل والمنة، وهو الخالق البارئ المـنعم الـرزاق ذو القوة المتين، وهو المستحق للحب والعبادة.

لذا فعلينا أن نعلم الطفل حسن التعامل مع الله عز وجل من خلال نقاط مهمة منها:

– إيقاظ الفطرة وتوجيهها: تعددت أقوال العلماء في معنى الفطرة، فمنهم من رأى أنها الإسلام، ومنهم من رأى أنها الإقرار بمعرفة الله سبحانه وتعالى، ومنهم من رأى أنها الإيمان، وقد جاء ذكر الفطرة في القرآن الكريم يحمل تلك المعاني السابقة، قال تعـالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}**(1) والفطرة الـتي فطـر الله الناس عليها: هي الإسلام.

وجاء في الحديث النبوي أن الرسول ﷺ قـال: **«كلُّ مولود يولد على الفطـــر فـــأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»** (2).

ومن خلال هذا المفهوم نعمق الصلة بين الطفل وربه، ولكن لا تقتصر الفطرة على هذا الإقرار والإيمان بالله فحسب، بل تميل بطبعها إلى الخير وتحبه، وتـبغض الشـر وترفضـه، وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فإنه من السهل توجيه الطفل، وتركيـز وتأصـيل ذلـك المفهـوم الحسن في نفسه، فيتأكد عنده بأن الله عز وجل هو الذي خلقنا، ورزقنا، ووهب لنا هذا الخير والوجود، وغير ذلك من فضائل ونعم لا تحصى.

---

(1) الروم: ٣٠.

(2) صحيح البخاري (١٢٩٦).

ومما لا شك فيه أن الطفل يكون مستجيبا بدافع فطرته إلى كل هذه المعاني الحسنة، وعندها يعمل الأب على تركيزها في نفسه، وربطها في واقع حياته.

وعلى المربي الواعي، والأب الحصيف أن يستغل الأوقات المناسبة، والخلوات الطيبة مع الطفل، فيعلم الطفل ما ينفعه، وما يربطه بربه، ونلمح هذه الأخلاقية الجميلة في تعليم رسول الله ﷺ ابن عباس عندما كان رديفه على الدابة، حيث علمه معاني من الأخلاق مع الله عز وجل، ومراقبته، وحسن التوكل عليه، فقال له: **«يا غلام – أو يا غليم – ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن»**.

فقلت: بلى.

فقال: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه»** [1].

وبهذا الأسلوب التربوي الأخلاقي، يتعلق الطفل بالله عز وجل ويقطع جميع العلائق دون الله عز وجل، ولا يسأل إلا الله، فيحفظ الله في خلواته، وعند قوته بتمام الاستقامة على منهجه، فيكون دائم المراقبة لله في الرخاء والشدة.

ويمكن للأب والمربي أن يوجه نظر الطفل إلى مخلوقات الله، فيوجه نظره إلى السماء الجميلة ذات البروج، وإلى النجوم المضيئة اللامعة، وإلى الأرض المزهرة والماء، وإلى الشمس والقمر والجبال، ثم يسأله: من خلق هذا؟ ومن نظم هذا الكون الجميل؟! ثم يغرس الإجابات الدقيقة والصحيحة في نفس الطفل.

وهناك بعض الأطفال الأذكياء الذين يندفعون في بعض الأوقات بطرح الأسئلة على أهليهم أو معلميهم، فربما يسأل الولد عن خالق الكون وموجوده، وقد يسأل عن طبيعة الأشياء، ولم وجدت على هذه الصورة، وهذه الهيئة، ويجيب الأب: الله... ويعني بذلك أن الله عز وجل هو الذي أعطى هذه المخلوقات تلك الصفات والهيئات.

ولا ينبغي للأب أن يهمل أسئلة الطفل وهو يظن بأنه صغير لا يعقل، أو لا يدرك هذه المعاني العليا، لأن الفطرة تتيقظ لخالقها في مرحلة مبكرة من عمر الطفل.

---

(١) سبق تخريجه.

مراقبة الله عز وجل سرا وعلانية: وهذه نقطة مهمة جدا في التربية الخلقية مع الله عز وجل، وهي جانب مهم من جوانب التربية الإسلامية إذ مراقبة الله عز وجل، واستشعار معيته، وإحاطته بالإنسان وأعماله، هي الثمرات التربوية الأخلاقية الحقة.

ولقد ركز القرآن الكريم ومنهج الإسلام في التربية على إثراء جانب مراقبة الله عز وجل في النفس الإنسانية، وخصوصا في نفس الطفل، ليكون فردا نافعا لآخرته ودنياه، ولأسرته ومجتمعه.

وقد تضمن القرآن الكريم كثيرا من الآيات الكريمة التي تشير إلى هذه المعاني، قال تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**[1]، فنعلم الطفل أن الخواطر، وأن الخطرات التي ترد على النفس يعلمها الله عز وجل، ويحيط بها علما، ويقول ربنا عز وجل: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**[2]، فالله عز وجل مع الإنسان أينما كان بعلمه الواسع الذي لا يحيط به أحد إلا بما شاء.

التربية النبوية للطفل مناهج جميلة تعطي صورة طيبة لتنشئة الطفل على العلاقة السليمة مع الله عز وجل، وتجعله من صفوة الناس وإن كان صغيرا، لأن التوجيه سليم وهادف.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد آمن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه:

لمحات في تربية الطفل على منهاج النبوة والسلف الصالح:

❖ البداية:

أقوال تربوية في أهمية تربية الطفل..

❖ قال رجل للأعمش - رحمه الله : هؤلاء الغلمان حولك! قال: اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك.

❖ قال رجلٌ لابن سحنون - رحمه الله : ممن يطلب ابنه العلم عنده:

إني أتولى العمل بنفسي، ولا أشغله عما هو فيه، فقال له: أعلمت أن أجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد؟

❖ بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال؛ وإن كان الكبير أوقد عقلاً، فإنه أشغل قلباً " حكمة"

---

(١) ق: ١٦.

(٢) الحديد: ٤.

❖ إنني أؤمن بقوة المعرفة، أؤمن بقوة الثقافة، ولكني أؤمن أكثر بقوة التربية " سيد قطب – رحمه الله".

❖ و كما تعلمون أحبتي.. أن المجتمع يُغالبنا على أبنائنا.. بمغرياته البراقة، ووسائله لملء فراغهم، بما لا ينفع ولا يغني عنهم من الجدِّ شيئاً، ولا يحبب إليهم العلم، ولا يبني لهم مستقبلاً، ولا يشدهم إلى عزائم الأمور، ومطامح ذوي الرشاد...

❖ ثم الهدف من هذه اللمحات هي إنشاء عقلية تربوية تساعد صاحب المشكلة على حلها، ولا يفترض من هذه اللمحات طرح مشاكل ثم حلها...

❖ و أما مفهوم التربية للطفل فأجمل ما قيل فيه ما قرره الإمام الغزالي – رحمه الله – في رسالته **«أيها الولد»**: أن معنى التربية يشبه عمل الفلاّح الذي يقلع الشّوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعه.

❖ فما أجمل هذا التعريف لمعنى التربية!

❖ ثم لنعلم أيها الأحبة في الله أن للولد حقاً على الوالد قبل حق الوالد على الولد..! وذلك كما أكد ابن القيم – رحمه الله – هذه المسؤولية، وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً، فقال:

❖ " قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فللابن على أبيه حق؛...

❖ فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت! إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً؛ وأضعتني وليداً؛ فأضعتك شيخاً.

❖ وقال سعيد بن العاص – رضي الله عنه – وهو يتحسس مسؤولية تربية ولده، وحقه عليه، فيقول: " إذا علمتُ ولدي القرآن؛ وحجّجْتُه؛ وزوجته، فقد قضيتُ حقّه، وبقي حقي عليه ".

❖ و قال سفيان الثوري – رحمه الله : " كان يقال: حق الولد على والده أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحجّجه، وأن يحسن أدبه ".

❖ ثم في ختام هذه المقدمة اليسيرة أختمها بقول الشاعر أبو العلاء:

و ينشأ ناشيء الفتيان منا ::: على ما كان عوّده أبوه

و ما دان الفتى بحجىً ولكن ::: يُعوِّده التّديَنَ أقربوه[1]

بعض الأخلاق الكريمة:

١ – الاستئذان بطرق الباب ثلاثا يفرق بين الثلاث وينتظر من يفتح لـه وإلقـاء السـلام عند الدخول والدعاء بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا اللهم إني أسالك خير المولج وخير المخرج – وقل لولدك هذا الدعاء يملأ البيت بركة. وعلمه لا ينظر في بيوت الآخرين وعلمه حسن الأسلوب في المخاطبة فلا يقل أنت أنت وليقل حضرتك وفضيلتك للكبير الذي يعرفه والذي لا يعرفه يا حضرت يا سيد يا أستاذ يا عم وهذا يتعلمه منك أنت.

٢ – السلام بقوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الكبير وللكثير وللجالس وللواقف وغيرها ولا يحجب السلام عن ناس دون ناس **«ألقي السلام على من عرفت ومن لم تعرف»** وللأسف نحن أصبحنا في شوارعنا وأسواقنا لا نسلم على بعضنا وإذا سلمنا كان سلامنا مبتور ناقص فلنعلم أبناءنا ما فقدناه نحن.

٣ – الدخول للخلاء (الحمام) والخروج منه، عند الدخول يدخل برجله اليسرى ويقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»** يعني ذكور الشياطين وإناثها ولا يتكلم في الحمام ولا يأخذ معه شيء لـه مكانة وتعظيم وعند الخروج يخرج باليمنى ويقول: **«غفرانك»** حفظه هذه الأدعية بالتعود والممارسة وعلمه أن ينظف مكان الخارج من السبيلين وقل لـه هذه الأشياء نجسة لا بد من تنظيفها بالماء والبول والبراز يجعل رائحة المسلم كريهة والله جميل يحب الجمال وعلمه الاحتراز من النجاسات.

٤ – الوضوء بالماء ثلاثا بعد أن يقول: بسم الله يغسل يديه ثلاث مرات ثم يتمضمض ويستنشق ويغسل وجهه ثلاث ثم يغسل ذراعيه إلى المرفقين وحدد لـه بعد المرفقين بقليل ثم يمسح رأسه مع أذنيه مرة واحدة من الأمام إلى الخلف ثم العودة ثم غسل الرجلين إلى الكعبين – وعلمه يتأكد من وصول الماء إلى هذه الأماكن تماما وإلا لا تصح الصلاة – ثم حفظه بعد الوضوء يقول: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل ' لمؤلفه: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد.

إن تعثر فلا تشق عليه فبالتعود والممارسة وبرؤيتك تفعل وتقول يعرف كل شيء.

صور من المنهج القرآني في تربية الأبناء:

وصية إِبْرَاهِيمُ لأبنائه:

{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [(١)].

الذي أمر به نبيه ﷺ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له.

ويعني بقوله:**{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ}**، عهد إليهم بذلك وأمرهم به.

وأما قوله: "ويعقوب"، فإنه يعني: ووصى بذلك أيضا يعقوبُ بنيه، كما: -

حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: "ووصى بها إبراهيم بنيه"، وصاهم بالإسلام، ووصى يعقوب بمثل ذلك.

قال أبو جعفر: وقال بعضهم: قوله: (ووصى بها إبراهيم بنيه): خبر منقض. وقوله: "ويعقوب" خبر مبتدأ. فإنه قال:**{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ}**. بأن يقولوا: أسلمنا لرب العالمين - ووصى يعقوب بنيه أن:**{يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}**.

ولا معنى لقول من قال ذلك. لأن الذي أوصى به يعقوب بنيه، نظير الذي أوصى به إبراهيم بنيه: من الحث على طاعة الله، والخضوع له، والإسلام.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، من أن معناه: ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب: أن"يا بني" - فما بال"أن" محذوفة من الكلام؟

قيل: لأن الوصية قول، فحملت على معناها. وذلك أن ذلك لو جاء بلفظ القول في تأويل قوله تعالى:**{يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}**.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله:**{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}**، إن الله اختار لكم هذا الدين الذي عهد إليكم فيه، واجتباه لكم.

وإنما أدخل"الألف واللام" في"الدين"؛ لأن الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك،

---

(١) البقرة: ١٣٢.

كانوا قد عرفوه بوصيتهما إياهم به، وعهدهما إليهم فيه، ثم قالا لهم - بعد أن عرفاهموه -: إن الله اصطفى لكم هذا الدين الذي قد عهد إليكم فيه، فاتقوا الله أن تموتوا إلا وأنتم عليه.

القول في تأويل قولـه تعالى:**{فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**[1].

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: أوَ إلَى بني آدمَ الموتُ والحياةُ، فينهى أحدُهم أن يموت إلا على حالة دون حالة؟

قيل لـه: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننتَ. وإنما معنى**{فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}**، أي: فلا تفارقوا هذا الدين - وهو الإسلام - أيام حياتكم. وذلك أن أحدا لا يدري متى تأتيه منيتُه، فلذلك قالا لهم:**{فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}** لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار، فلا تفارقوا الإسلام، فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذي اصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربُّكم ساخط عليكم، فتهلكوا.

القول في تأويل قولـه تعالى:

{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ}[2]

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقولـه:**{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ}**، أكنتم. ولكنه استفهم ب"أم"، إذ كان استفهاما مستأنفا على كلام قد سبقه، كما قيل:**{الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}**[3] وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه، تستفهم فيه ب"أم".

"والشهداء": جمع"شهيد"، كما "الشركاء" جمع "شريك" و"الخصماء" جمع "خصيم".

قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: أكنتم - يا معشر اليهود والنصارى، المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين نبوته، حضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموت، أي إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل، وتَنحلوهم اليهوديةَ والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم - وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم - بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصَّوْا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم. فلوحضرتموهم فسمعتم منهم، علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم.

---

(١) البقرة: ١٣٢.
(٢) البقرة: ١٣٣.
(٣) سورة السجدة: ١ - ٣.

وهذه آيات نزلت، تكذيبا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب: أنهم كانوا على ملتهم، فقال لهم في هذه الآية:**{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ}**، فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله:**{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ}**، يعني أهل الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:**{إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**[1]

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله:**{إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ}**، إذ قال يعقوب لبنيه". و"إذ" هذه مكررة إبدالا من"إذ" الأولى، بمعنى: أم كنتم شهداء يعقوب، إذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته.

ويعني بقوله:**{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي}** - أي شيء تعبدون،**{مِنْ بَعْدِي}**؟ أي من بعد وفاتي؟ قالوا:**{نَعْبُدُ إِلَهَكَ}**، يعني به: قال بنوه له: نعبد معبودك الذي تعبده، ومعبود آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق،**{إِلَهاً وَاحِداً}** أي: نخلص له العبادة، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا.

ويعني بقوله:**{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**، ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة.

ويحتمل قوله:**{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**، أن تكون بمعنى الحال، كأنهم قالوا: نعبد إلهك مسلمين له بطاعتنا وعبادتنا إياه. ويحتمل أن يكون خبرا مستأنفا، فيكون بمعنى: نعبد إلهك بعدك، ونحن له الآن وفي كل حال مسلمون.

وأحسن هذين الوجهين - في تأويل ذلك - أن يكون بمعنى الحال، وأن يكون بمعنى: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، مسلمين لعبادته.

وقيل: إنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق، لأن إسماعيل كان أسن من إسحاق.

أن ما جاء به النبي ﷺ يطابق - كما قلنا - ما جاء به الأنبياء قبله في أصول الدين وكلياته كتوحيد الله - تعالى - واختصاصه بالعبادة، وتصديق الأنبياء السابقين فيما أتوا به

---

(١) البقرة: ١٣٣.

عن الله – تعالى – والإيمان بالبعث وما يكون فيه من نعيم وعذاب والحض على مكارم الأخلاق، أما ما عدا ذلك مما يتعلق بتفاصيل العبادات وأحكام المعاملات فإن الشرائع تختلف فيه بوجه عام حسب ما يتناسب وحالة الأمة التي بعث الله لها رسولا كما قال تعالى:**{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً}** ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية بما لم يكن موجوداً في الشرائع السابقة، ومن مظاهر ذلك أن القرآن الكريم أعلن للناس، أن محمداً ﷺ من مميزات شريعته أنها أحلت للناس كل الطيبات وحرمت عليهم كل الخبائث ووضعت عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وشرعت لهم أموراً تتعلق بعباداتهم ومعاملاتهم امتازت باليسر والتخفيف.

ويعجبني في هذا المقام قول فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبد الله دراز: (يجب أن يفهم – أن تعديل الشريعة المتأخرة للمتقدمة – ليس نفضاً لها، وإنما وقوفاً بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدر.

مثل ذلك كمثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم إلى الطفل في الطور الأول من حياته، فقصر غذاءه على اللبن، وجاء الثاني من مرحلته التالية فقرر له طعاماً ليناً، وطعاما نشوياً خفيفاً، وجاء الثالث في المرحلة التي بعدها فأمر له بغذاء قوي كامل.

لا ريب أن ها هنا اعترافاً ضمنياً من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقاً كل التوفيق في علاج الحالة التي عرضت عليه، نعم إن هناك قواعد صحية عامة في النظافة والتهوية والتدفئة ونحوها، لا تختلف باختلاف الأسنان فهذه لا تعديل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين.

هكذا الشرائع السماوية، كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها، وكلها يصدق بعضها بعضاً من ألفها إلى يائها، ولكن هذا التصديق على ضربين:

تصديق للقديم مع الإذن ببقائه واستمراره، وتصديق له مع إبقائه في حدود ظروفه الماضية، ذلك أن التشريعات السماوية تحتوي على نوعين من التشريعات.

(تشريعات خالدة) لا تتبدل بتبديل الأصقاع والأوضاع (كالوصايا التسع ونحوها).

و (تشريعات موقوتة) بآجال طويلة أو قصيرة، فهذه تنتهي بانتهاء وقتها. وتجيء الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة.

فشريعة التوراة – مثلا – عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك (لا تقبل). (لا تسرق) فطابعها البارزتحديد الحقوق وطلب العدل والمساواة.

وشريعة الإنجيل تجيء بعدها فتقرر هذه الأمور، ثم تترقى فتزيد آداباً مكملة (أحسن إلى من أساء إليك).

وأخيراً تجيء شريعة القرآن فتراها تقرر كلا المبدأين في نسق واحد:**{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}** هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة، ولبنات متراكمة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع. وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أن أكملت البنيان وملأت ما بقي فيه من فراغ وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء.

وصدق رسول الله ﷺ حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير فقال: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسن وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**.

وبذلك يتبين لنا أن مطابقة الشريعة الإسلامية لغيرها من الشرائع السابقة إنما هي في الأصول والكليات، لا في الفروع والجزئيات.

دروس وعبر من سورة يوسف:

حكى – سبحانه – ما قاله يعقوب لابنه يوسف بعد أن قص عليه رؤياه فقال له:

{قَالَ يابني لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ على إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشيطان لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[1].

وقوله:**{يَا بَنِي}** تصغير ابن. والتصغير هنا سببه صغر سنه مع الشفقة عليه، والتلطيف معه.

وقوله:**{رُؤْيَاكَ}** من الرؤيا التى هى مصدر رأى العلمية الدالة على ما وقع للإنسان فى نومه، أما رأى البصرية فيقال فى مصدرها الرؤية.

وقوله: **{فَيَكِيدُوا لَكَ..}** من الكيد وهو الاحتيال الخفى بقصد الإضرار والفعل كاد يتعدى بنفسه، فيقال: كاده يكيده كيدا، إذا احتال لإهلاكه. ولتضمنه معنى احتال عدى باللام.

والمعنى: قال يعقوب لابنه يوسف – عليهما السلام – بشفقة ورحمة، بعد أن سمع منه ما رآه فى منامه:**{يَا بَنِي}** لا تخبر إخوتك بما رأيته فى منامك فإنك إن أخبرتهم بذلك

(١) يوسف: ٥.

احتالوا لإهلاكك احتيالا خفيا، لا قدرة لك على مقاومته أو دفعه..

وإنما قال لـه ذلك، لأن هذه الرؤيا تـدل علـى أن الله – تعـالى – سيعطى يوسـف مـن فضله عطاء عظيما. ويهبه منصبا جليلا، ومن شأن صاحب النعمة أن يكون محسودا من كثير من الناس، فخاف يعقوب من حسد إخـوة يوسـف لـه، إذا مـا قـص علـيهم رؤيـاه، ومـن عدوانهم عليه.

والتنوين فى قولـه:**{كَيْداً}** للتعظيم والتهويل، زيادة فى تحذيره من قص الرؤيا عليهم.

وجملة:**{إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}** واقعة موقع التعليل للنهـى عـن قـص الرؤيـا على إخوته، وفيها إشارة إلى أن الشيطان هو الذى يغريهم بالكيد لـه إذا ما قـص علـيهم مـا رآه، وهو بذلك لا يثير فى نفسه الكراهة لإخوته.

أى: لا تخبر إخوتك بما رأيته فى منامك، فيحتالوا للإضرار بك حسدا منهم لك، وهـذا الحسد يغرسه الشيطان فى نفوس الناس، لتتولد بينهم العداوة والبغضاء، فيفرح هـو بـذلك، إذ كل قبيح يقولـه أو يفعله الناس يفرح لـه الشيطان.

هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية أحكاما منها:

أنه يجوز للإنسان فى بعض الأوقات أن يخفى بعـض الـنعم التـى أنعـم الله بهـا عليـه، خشية حسد الحاسدين، أو عدوان المعتدين.

وأن الرؤيا الصادقة حالة يكرم الله بها بعض عباده الذين زكت نفوسـهم فيكشـف لهـم عما يريد أن يطلعهم عليه قبل وقوعه. ومن الأحاديث التى وردت فى فضل الرؤيا الصـالحة ما رواه البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت: " أول ما بدئ به رسـول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [1].. ".

وفى حديث آخر: **«الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»**.

وفى حـديث ثالـث: **«لم يبق من النبوة إلا المبشرات، وهى الرؤيا الصـالحة للرجـل الصالح، يراها أو ترى لـه»**.

كذلك أخذ جمهور العلماء من هذه الآية أن إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء.

---

(١) تفسير الطبرى / والحديث رواه البخارى.

قال الآلوسى عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: " والظاهر أن القوم – أى إخوة يوسف – كانوا بحيث يمكن أن يكون للشيطان عليهم سبيل، ويؤيد هذا أنهم لم يكونوا أنبياء.

وهذا ما عليه الأكثرون سلفا وخلفا. أما السلف فإنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه قال بنبوتهم.

وأما الخلف فكثير منهم نفى عنهم أن يكونوا أنبياء، وعلى رأى من قال بذلك الإمام ابن تيمية، فى مؤلف لـه خاص بهذه المسألة، وقد قال فيه:

الذى يدل عليه القرآن واللغة والاعتبار: أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، وليس فى القرآن ولا فى السنة ما يشير إلى أنهم كانوا أنبياء...

ثم حكى – سبحانه – ما توقعه يعقوب لابنه يوسف من خير وبركة فقال:

{وكذلك يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأحاديث وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وعلى آلِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَآ على أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [1].

والكاف فى قولـه:**{وكذلك}** حرف تشبيه بمعنى مثل، وهى داخله على كلام محذوف.

وقولـه**{يَجْتَبِيكَ}** من الاجتباء بمعنى الاصطفاء والاختيار، مأخوذ من جبيت الشىء إذا اخترته لما فيه من النفع والخير.

و**{تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}** معناه تفسيرها صحيحا، إذا التأويل مأخوذ من الأَوْل بمعنى الرجوع، وهو رد الشىء إلى الغاية المرادة منه.

والأحاديث جمع تكسير مفرده حديث، وسميت الرؤى أحاديث باعتبار حكايتها والتحدث بها.

والمعنى: وكما اجتباك ربك واختارك لهذه الرؤيا الحسنة، فإنه – سبحانه – يجتبيك ويختارك لأمور عظام فى مستقبل الأيام، حيث يهبك من صدق الحسَّ، ونفاذ البصيرة، ما يجعلك تدرك الأحاديث إدراكا سليما، وتعبر الرؤى تعبيرا صحيحا صادقاً.

" ويتم نعمته عليك " بالنبوة والرسالة والملك والرياسة " وعلى آل يعقوب " وهم إخوته وذريتهم، بأن يسبغ عليهم الكثير من نعمه.

{كَمَآ أَتَمَّهَآ على أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ} أى: من قبل هذه الرؤيا أو من قبل هذا الوقت.

وقولـه: " إبراهيم وإسحاق " بيان لأبويه.

---

(١) يوسف: ٦.

أى: يتم نعمته عليك إتماما كائنا كإتمام نعمته على أبويك من قبل، وهما إبراهيم وإسحاق بأن وهبهما - سبحانه - النبوة والرسالة.

وعبر عنهما بأنهما أبوان ليوسف، مع أن إبراهيم جد أبيه، وإسحاق جده، للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء - عليهم السلام - وللمبالغة فى إدخال السرور على قلبه، ولأن هذا الاستعمال مألوف فى لغة العرب، فقد كان أهل مكة يقولون للنبى ﷺ يا بن عبد المطلب، وأثر عنه ﷺ أنه قال: **«أنا النبى لا كذب - أنا ابن عبد المطلب»** وجملة:**{إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** مستأنفة لتأكيد ما سبقها من كلام.

أى: إن ربك عليم بمن يصطفيه لحمل رسالته، وبمن هو أهل لنعمه وكرامته، حكيم فى صنعه وتصرفاته.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد نوهت بشأن القرآن الكريم، وساقت بأسلوب حكيم ما قاله يعقوب لابنه يوسف - عليهما السلام - بعد أن قص ما رآه فى المنام.

ثم حكى - سبحانه - بعد ذلك حالة إخوة يوسف وهم يتآمرون عليه، وحالتهم وهم يجادلون أباهم فى شأنه. وحالتهم وهم ينفذون مؤامراتهم المنكرة وحالتهم بعد أن نفذوهاوعادوا إلى أبيهم ليلا يتباكون.

حكى - سبحانه - بعد ذلك ما وصى به يعقوب أبناءه عند سفرهم فقال:**{وَقَالَ يابني لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وادخلوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ...}**[1].

أى: وقال يعقوب - الأب العطوف - لأبنائه وهو يودعهم: يا بنى إذا وصلتم إلى مصر، فلا تدخلوا كلكم من باب واحد، وأنتم أحد عشر رجلاً بل ادخلوا من أبوابها المتفرقة، بحيث يدخل كل اثنين أو ثلاثة من باب.

قالوا: وكانت أبواب مصر فى ذلك الوقت أربعة أبواب.

وقد ذكر المفسرون أسباباً متعددة لوصية يعقوب هذه لأبنائه، وأحسن هذه الأسباب ما ذكره الآلوسى فى قوله: نهاهم عن الدخول من باب واحد، حذراً من إصابة العين، أى من الحسد، فإنهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة.. فكانوا مظنة لأن يعانوا - أى لأن يحسدوا - إذا ما دخلوا كوكبة واحدة...

ثم قال: والعين حق، كما صح عن رسول الله ﷺ وصح أيضاً بزيادة: **«ولو كان شئ يسبق القدر سبقته العين»**.

---

(١) يوسف: ٦٧.

وقد ورد أيضاً: **«إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»**.

وقيل: إن السبب فى وصية يعقوب لأبنائه بهذه الوصية، خوفه عليهم من أن يسترعى عددهم حراس مدينة مصر إذا ما دخلوا من باب واحد، فيترامى فى أذهانهم أنهم جواسيس أو ما شابه ذلك، فربما سجنوهم، أو حالوا بينهم وبين الوصول إلى يوسف – عليه السلام...

وقوله:**{وَمَآ أُغْنِي عَنكُمْ مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ}** اعتراف منه – عليه السلام – بأن دخولهم من الأبواب المتفرقة، لن يحول بينهم وبين ما قدره – تعالى – وأراده لهم، وإنما هو أمرهم بذلك من باب الأخذ بالأسباب المشروعة.

أى: وإنى بقولى هذا لكم، لا أدفع عنكم شيئا قدره الله عليكم، ولو كان هذا الشىء قليلا.

{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ} أى: ما الحكم فى كل شئ إلى لله – تعالى – وحده لا ينازعه فى ذلك منازع. ولا يدافعه مدافع.

{وَعَلَيْهِ} وحده**{تَوَكَّلْتُ}** فى كل أمورى.

{وَعَلَيْهِ} وحده**{فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}** أى المريدون للتوكل الحق، والاعتماد الصدق الذى لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب التى شرعها الله وأمر بها.

إذ أن كلا من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد، إلا أن العاقل عندما يأخذ فى الأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده فى كل الأمور، وأن الأسباب ما هى إلا أمور عادية، يوجد الله – تعالى – معها ما يريد إيجاده، ويمنع ما يريد منعه، فهو الفعال لما يريد.

ويعقوب – عليه السلام – عندما أوصى أبناءه بهذه الوصية، أراد بها تعليمهم والاعتماد على توفيق الله ولطفه، مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة تأدباً مع الله – تعالى – واضع الأسباب ومشرعها...

ثم بين – سبحانه – أن الأبناء قد امتثلوا أمر أبيهم لهم فقال:**{وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا}**[1].

والمراد بالحاجة هنا: نصيحته لأبنائه بأن يدخلوا من أبواب متفرقة، خوفاً عليهم من الحسد. ومعنى:**{قَضَاهَا}** أظهرها ولم يستطع كتمانها يقال: قضى فلان حاجة لنفسه إذا أظهر

---

(١) يوسف: ٦٨.

ما أضمره فيها.

أى: وحين دخل أبناء يعقوب من الأبواب المتفرقة التى أمرهم أبوهم بالدخول منها،**{مَا كَانَ}** هذا الدخول**{يُغْنِي عَنْهُمْ}** أى يدفع عنهم من قدر**{اللَّهِ مِن شَيْءٍ}** قدره عليهم، ولكن الذى حمل يعقوب على أمرهم بذلك، حاجة أى رغبة خطرت فى نفسه**{قَضَاهَا}** أى: أظهرها ووصاهم بها ولم يستطع إخفاءها لشدة حبه لهم مع اعتقاده بأن كل شئ بقضاء الله وقدره.

وقوله – سبحانه:**{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ}** ثناء من الله – تعالى – على يعقوب بالعلم وحسن التدبير.

أى: وإن يعقوب – عليه السلام – لذو علم عظيم، للشئ الذى علمناه إياه عن طريق وحينا، فهو لا ينسى منه شيئاً إلا ما شاء الله.

وقوله:**{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** أى: لا يعلمون ما يعلمه يعقوب – عليه السلام – من أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله – تعالى – أو: ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما أعطاه الله – تعالى – لأنبيائه وأصفيائه من العلم والمعرفة وحسن التأتى للأمور.

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد فصلت الحديث عما دار بين إخوة يوسف وبين أبيهم فى شأن سفر أخيهم معهم..

يمضى يعقوب – عليه السلام – فى رده على أولاده فيأمرهم أن يواصلوا بحثهم عن يوسف وأخيه، وأن لا يقنطوا من رحمة الله فيقول:**{يابني اذهبوا فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ القوم الكافرون}** [1].

والتحسس: هو طلب الشيء بطريق الحواس بدقة وحكمة وصبر على البحث.

أى: قال يعقوب لأبنائه: يا بنى:**{اذْهَبُوا}** إلى أرض مصر وإلى أى مكان تتوقعون فيه وجود يوسف وأخيه:**{فَتَحَسَّسُوا}** أمرهما. وتخبروا خبرهما، وتعرفوا نبأهما بدون كلل أو ملل.

وفى التعبير بقوله:**{فَتَحَسَّسُواْ}** إشارة إلى أمره لهم بالبحث الجاد الحكيم المتأنى:**{وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ الله}** أى: ولا تقنطوا من فرج الله وسعة رحمته، وأصل معنى الروح: التنفس.

يقال: أراح الإنسان إذا تنفس، ثم استعير لحلول الفرج.

---

(١) يوسف: ٨٧.

وكلمة:{رَّوْحِ} - بفتح الراء - أدل على هذا المعنى، لما فيها من ظل الاسترواح من الكرب الخالق بما تتنسمه الأرواح من رحمة الله.

وقوله:{إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ} تعليل لحضهم على التحسس أى: لا تقصروا فى البحث عن يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من رحمة الله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون، لعدم علمهم بالله - تعالى - وبصفاته وبعظيم قدرته، وبواسع رحمته...

أما المؤمنون فإنهم لا ييأسوا من فرج الله أبداً، حتى ولو أحاطت بهم الكروب، واشتدت عيهم المصائب.

واستجاب الأبناء لنصيحة أبيهم، فأعدوا عدتهم للرحيل إلى مصر للمرة الثالثة، ثم ساروا فى طريقهم حتى دخلوها، والتقوا بعزيز مصر الذى احتجز أخاهم بنيامين.

دعوات إبراهيم عليه السلام:

سورة ابراهيم:

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[(١)].

هذه بعض الدعوات التى ابتهل بها إبراهيم - عليه السلام - إلى ربه، وقد تقبلها الله - تعالى - منه قبولا حسنا.

وفى هذه الدعوات تنبيه لمشركى مكة الذين بدلوا نعمة الله كفرا، والذين جحدوا نعم الله عليهم، بأن من الواجب عليهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يستجيبوا لدعوة الحق، وأن يقتدوا بإبراهيم - عليه السلام - فى إيمانه وشكره لخالقه - سبحانه.

و " إذ " ظرف لما مضى من الزمان، وهو منصوب على المفعولية لفعل محذوف

و " رب " منادى بحرف نداء محذوف أى: يا رب.

والمراد بالبلد: مكة المكرمة شرفها الله - تعالى.

والمعنى: إبراهيم - عليه السلام - فى دعائه نعمة الأمن على غيرها - لأنها أعظم أنواع النعم، ولأنها إذا فقدها الإنسان، اضطرب فكره، وصعب عليه أن يتفرغ لأمور الدين

(١) إبراهيم: ٣٥، ٣٦.

أو الدنيا بنفس مطمئنة، وبقلب خال من المنغصات والمزعجات.

قال الإمام الرازى: " سئل بعض العلماء: الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ولا يمنعها هذا الكسر من الإقبال على الرعى والأكل والشرب.

ولو أنها ربطت – وهى سليمة – فى موضع، وربط بالقرب منها ذئب، فإنها تمسك عن الأكل والشرب، وقد تستمر على ذلك إلى أن تموت.

وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف، أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد.

وقال الإمام ابن كثير ما ملخصه: " يذكر الله – تعالى – فى هذا المقام – محتجا على مشركى مكة الذين كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم قد تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن وقد استجاب الله له فقال – تعالى:**{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس مِنْ حَوْلِهِمْ..}**[1] وقال تعالى:**{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً..}**[2] وقال صاحب الكشاف: " فإن قلت: أى فرق بين قوله – تعالى – فى سورة البقرة:**{رَبِّ اجعل هذا بَلَداً آمِناً..}** وبين قوله هنا:**{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً}**[3].

قلت: قد سأل فى الأول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها ولا يخافون، وسأل فى الثانى أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمنا.. "

وقوله – سبحانه:**{واجنبني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأصنام}** حكاية لدعوة أخرى من الدعوات التى تضرع بها إبراهيم – عليه السلام – إلى خالقه – سبحانه.

وقوله:**{وَاجْنُبْنِي}** بمعنى وأبعدنى مأخوذ من قولك جنبت فلانا عن كذا، إذا أبعدته عنه، وجعلته فى جانب آخر، وفعله جنب من باب نصر.

والمراد ببنيه: أولاده من صلبه، أوهم من تناسل معهم.

---

(١) العنكبوت: ٦٧.
(٢) آل عمران: ٩٦.
(٣) إبراهيم ٣٥.

والأصنام جمع صنم، وهو التمثال الذى كان مشركوا العرب يصنعونه من الحجر ونحوه لكى يعبدوه من دون الله.

والمعنى: أسألك يا ربى أن تجعل مكة بلدا آمنا، كما أسألك أن تعصمنى وتعصم ذريتى من بعدى من عبادة الأصنام، وأن تجعل عبادتنا خالصة لوجهك الكريم.

وقد بين – سبحانه – فى آيات أخرى، أنه قد أجابه فى بعض ذريته دون بعض.

ومن ذلك قوله – تعالى:**{سَلاَمٌ على إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصالحين * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وعلى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}**[1] وقوله:**{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ الناس..}**[2] تعليل لسؤال إبراهيم ربه أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام.

أى: يا رب لقد تضرعت إليك بأن تعصمنى وبنىّ عن عبادة الأصنام، لأنها كانت سببا فى إضلال كثير من الناس عن اتباع الحق، وعن الهداية إلى الصراط المستقيم.

وأسند الإضلال إليها مع أنها جمادات لا تعقل، لأنها كانت سببا فى إضلال كثير من الناس، فكأنها أضلتهم، فنسبة الإضلال إليها مجازية من باب نسبة الشئ إلى سببه، كما يقال: فلان فتنته الدنيا وأضلته، وهو إنما فتن وضل بسببها.

وقوله – سبحانه –**{فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** بيان لموقفه – عليه السلام – من المهتدين والضالين.

أى: فمن تبعنى من الناس فى دينى وعقيدتى، فإنه يصير بهذا الاتباع من أهل دينى وهو دين الإسلام، ومن عصانى ولم يقبل الدخول فى الدين الحق، فإنى أفوض أمره إليك، فأنت – سبحانك – لا تسأل عما تفعل وغيرك يسأل.

فالجملة الكريمة تدل على الأدب السامى، والخلق العالى، الذى كان يتحلى به إبراهيم – عليه السلام – فى مخاطبته لربه – عز وجل – حيث فوض الأمور إليه دون أن يقطع فيه برأى، كما تدل على رقة قلبه وشفقته على العصاة من الوقوع فى العذاب الأليم.

وشبيه بهذه الآية ما حكاه – سبحانه – عن عيسى – عليه السلام – فى قوله:**{إِن**

(١) الصافات: ١٠٩.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم}[1] هـذا، ولا نـرى وجهـا لمـا ذهب إليه بعض المفسرين، من أن قول إبراهيم - عليـه السـلام:{وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} كان قبل أن يعلم بأن الله لا يغفر الشرك، أو أن المراد بالمعصية هنا ما دون الشرك، أو أن المغفرة مقيدة بالتوبة من الشرك.. "

نقول: لا نرى وجها لكل ذلك، لأن الجملة الكريمة ليس المقصود بها الدعاء بالمغفرة لمن عصى، وإنا المقصود بها تفويض أمر العصاة إلى الله - تعالى - إن شاء غفر لهم ورحمهم، وإن شاء عذبهم.

فتية فى الكهف:

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَـا مِـنْ أَمْرِنَـا رَشَدًا}[2].

{الْفِتْيَةُ}: جمع قلة لفتى. وهو وصف للإنسان عندما يكون فى مطلع شبابه.

وقولـه:**{وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا}**: من التهيئة بمعنى: تيسير الأمر وتقريبه وتسـهيله حتـى لا يخالطه عسر أو مشقة.

والمراد بالأمر هنا: ما كانوا عليه من تركهم لأهليهم ومساكنهم، ومن مفارقتهم لمـا كـان عليه أعداؤهم من عقائد فاسدة.

والرشد: الاهتداء إلى الطريق المستقيم مع البقاء عليه. وهو ضد الغى. يقال: رشد فـلان يرشد رشدا ورشادا، إذا أصاب الحق.

أى: واذكر - أيها الرسول الكريم - للناس ليعتبروا، وقت أن خرج هـؤلاء الفتيـة مـن مساكنهم، تاركين كل شىء خلفهم من أجل سلامة عقيدتهم فالتجؤوا إلى الكهف، واتخـذوه مأوى لهم، وتضرعوا إلى خالقهم قائلين: يا ربنـا آتنـا مـن لـدنك رحمـة، تهـدى بهـا قلوبنـا، وتصلح بها شأننا، وتردُّ بها الفتن عنا، كما نسألك يا ربنا أن تهيئ لنا مـن أمرنـا الـذى نحـن عليه - وهو: فرارنا بديننا. وثباتنا على إيماننا - ما يزيدنا سدادا وتوفيقا لطاعتك.

وقال - سبحانه:**{إِذْ أَوَى الفتية..}** بالإظهار - مع أنه قـد سـبق الحـديث عـنهم بـأنهم أصحاب الكهف لتحقيق ما كانوا عليه مـن فتـوة، وللتنصـيص علـى وصـفهم الـدال علـى قلتهم، وعلى أنهم شباب فى مقتبل أعمـارهم، ومـع ذلـك ضـحوا بكـل شـىء فـى سـبيل

---

(١) المائدة: ١١٨.

(٢) الكهف: ١٠.

عقيدتهم.

والتعبير بالفعل **{أَوَى}** يشعر بأنهم بمجرد عثورهم على الكهف. ألقوا رحالهم فيه واستقروا به استقرار من عثر على ضالته، وآثروه على مساكنهم المريحة، لأنه واراهم عن أعين القوم الظالمين.

والتعبير بالفاء فى قوله - سبحانه: **{فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً..}** يدل على أنهم بمجرد استقرارهم فى الكهف ابتهلوا إلى الله - تعالى - بهذا الدعاء الجامع لكل خير.

والتنوين فى قوله: **{رَحْمَةً}**: للتهويل والتنويع. أى: آتنا يا ربنا من عندك وحدك لا من غيرك. رحمة عظيمة شاملة لجميع أحوالنا وشؤوننا. فهى تشمل الأمان فى المنزل، والسعة فى الرزق؛ والمغفرة للذنب.

قال القرطبى ما ملخصه: هذه الآية صريحة فى الفرار بالدين وهجرة الأهل والأوطان.. خوف الفتنة، ورجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين...

ثم بين - سبحانه - ما حدث لهؤلاء الفتية بعد أن لجؤوا إلى الكهف، وبعد أن دعوا الله بهذا الدعاء الشامل لكل خير. فقال: **{فَضَرَبْنَا على آذَانِهِمْ فِي الكهف سِنِينَ عَدَداً}**.

وأصل الضرب فى كلام العرب يرجع إلى معنى التقاء ظاهر جسم، بظاهر جسم آخر بشدة.

يقال: ضرب فلان بيده الأرض إذا ألصقها بها بشدة، وتفرعت عن هذا المعنى معان أخرى ترجع إلى شدة اللصوق.

والمراد بالضرب هنا النوم الطويل الذى غشاهم الله - تعالى - به فصاروا لا يحسون شيئا مما حولهم، ومفعول ضربنا محذوف.

والمعنى: بعد أن استقر هؤلاء الفتية فى الكهف، وتضرعوا إلينا بهذا الدعاء العظيم، ضربنا على آذانهم وهم فى الكهف حجابا ثقيلا مانعا من السماع، فصاروا لا يسمعون شيئا يوقظهم، واستمروا فى نومهم العميق هذا **{سِنِينَ}** ذات عدد كثير، بينها - سبحانه - بعد ذلك فى قوله: **{وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وازدادوا تِسْعاً}**.

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}[1].

" نحن " وحدنا يا محمد، نقص عليك وعلى أمتك خبر هؤلاء الفتية قصصا لحمته وسداه

---

(١) الكهف: ١٣.

والحق والصدق، لأنه قصص من ربك الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

وقولـه:**{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}** كلام مستأنف جواب عن سؤال تقديره ما قصتهم وما شأنهم بالتفصيل؟

أى: إنهم فتية أخلصوا العبادة لخالقهم، وأسلموا وجوههم لبارئهم، وآمنـوا بربوبيتـه – سبحانه – إيمانا عمقياً ثابتاً، فزادهم الله ببركة هذا الإخلاص والثبات على الحق، هداية على هدايتهم، وإيمانا على إيمانهم.

وقولـه – سبحانه:**{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بالحق}** إيماء إلى أن قصة هؤلاء الفتية كانـت معروفة لبعض الناس، إلا أن معرفتهم بها كانت مشوبة بالخرافات والأباطيل.

قال ابن كثير: ما ملخصه: ذكر الله – تعالى – أنهم كانوا فتيـة – أى شـبابا، وهـم أقبـل للحق من الشيوخ، الذين عتوا فى ديـن الباطـل، ولهـذا كـان أكثـر المسـتجيبين لله ولرسـوله شبابا، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل.

واستدل غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره بقولــه:**{وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}** إلى أن الإيمـان يزيد وينقص...

ثم حكى – سبحانه – جانبا من مظاهر هدايته لهم فقال:**{وَرَبَطْنَــا علــى قُلُــوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ}**.

وأصل الربط: الشد، يقال، ربطت الدابة، أى: شددتها برباط، والمراد به هنا: مـا غرسـه الله فى قلوبهم من قوة، وثبات على الحق، وصبر على فراق أهليهم، ومنه قولهم: فلان رابط الجأش، إذا كان لا يفزع عند الشدائد والكروب.

والمراد بقيامهم: عقدهم العزم على مفارقة ما عليه قومهم من باطل، وتصـميمهم علـى ذلك تصميما لا تزحزحه الخطوب مهما كانت جسيمة.

ويصح أن يكون المراد بقيامهم: وقوفهم فى وجه ملكهـم الجبـار بثبـات وقـوة، دون أن يبالوا به عندما أمرهم بعبادة ما يعبده قومهم، وإعلانهم دين التوحيد، ونبذهم لكل ما سـواه من شرك وضلال.

قال القرطبى ما ملخصه: قولـه – تعالى:**{إِذْ قَامُوا}** يحتمل ثلاثة معان. أحدها: أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدى الملك الكافر، وهو مقـام يحتـاج إلى الـربط علـى القلـب حيـث خالفوا دينه، ورفضوا ما دعاهم إليه.

والمعنى الثانى فيما قيل: إنهم أولاد عظماء تلك المدينة فخرجوا واجتمعوا وراءها من غير ميعاد، وتعاهدوا على عبادة الله وحده.

والمعنى الثالث: أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله – تعالى – ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا، إذا عزم عليه بغاية الجد.

وعلى أية حال: فالجملة الكريمة تفيد أن هؤلاء الفتية كانت قلوبهم ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذى اهتدت إليه، معتزة بالإيمان الذى أشربته، مستبشرة بالإخاء الذى جمع بينها على غير ميعاد، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**.

ثم حكى – سبحانه – ما قالوه بعد أن استقر الإيمان فى نفوسهم فقال:**{فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السماوات والأرض لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إلها..}**.

أى: أعلنوا براءتهم من كل خضوع لغير الله – عز وجل – حين قاموا فى وجه أعدائهم، وقالوا بكل شجاعة وجرأة: ربنا – سبحانه – هو رب السموات والأرض، وهو خالقهما وخالق كل شىء، ولن نعبد سواه أى معبود آخر.

ونفوا عبادتهم لغيره – سبحانه – بحرف – " لن " للإشعار بتصميمهم على ذلك فى كل زمان وفى كل مكان، إذ النفى بلن أبلغ من النفى بغيرها.

قال الآلوسى: وقد يقال، إنهم أشاروا بالجملة الأولى – وهى: ربنا رب السموات والأرض – إلى توحيد الربوبية، وأشاروا بالجملة الثانية – لن ندعو من دونه إلها – إلى توحيد الألوهية، وهما أمران متغايران، وعبدة الأوثان لا يقولون بهذا، ويقولون بالأول:**{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض لَيَقُولُنَّ الله}**(١) وحكى – سبحانه – عنهم أنهم يقولون:**{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى}**(٢) وصح أنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

وقوله – سبحانه –**{لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً}** تأكيد لبراءتهم من كل عبادة لغير الله – تعالى.

والشطط: مصدر معناه مجاوزة الحد فى كل شئ، ومنه: أشط فلان فى السَّومْ إذا جاوز الحد، وأشط فى الحكم إذا جاوز حدود العدل: وهو صفة لموصوف محذوف، وفى الكلام

---

(١) الزمر: ٣٨.

(٢) الزمر: ٣.

قسم مقدر، واللام فى " لقد " واقعة فى جوابه، و" إذا " حرف جواب وجزاء فتدل على شرط مقدر.

أى: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دون إلها. ولو فرض أننا دعونا وعبدنا من دونه إلها آخر، والله لنكونن فى هذه الحالة قد قلنا إذا قولا شططا، أى: بعيدا بعدا واضحا عن دائرة الحق والصواب.

والأية الكريمة تدل على قوة إيمان هؤلاء الفتية، وعلى أن من كان كذلك ثبت الله – تعالى – قلبه، وقواه على تحمل الشدائد، كما تدل على أن من أشرك مع الله – تعالى – إلها آخر، يكون بسبب هذا الإشراك، قد جاء بأمر شطط بعيد كل البعد عن الحق والصواب وصدق الله إذ يقول:**{وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السمآء فَتَخْطَفُهُ الطير أَوْ تَهْوِي بِهِ الريح فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}**[1] ثم حكى – سبحانه – عن هؤلاء الفتية أنهم لم يكتفوا بإعلان إيمانهم الصادق، بل أضافوا إلى ذلك استنكارهم لما عليه قومهم من شرك فقال:**{هَؤُلاۤءِ قَوْمُنَا اتخذوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ}**.

{هَؤُلاۤءِ} مبتدأ، و**{قَوْمُنَا}** عطف بيان، وجملة**{اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً}** هى الخبر.

و " لولا " للتحضيض، وهو الطلب بشدة والمقصود بالتحضيض هنا: الإنكار والتعجيز، إذ من المعلوم أن قومهم لن يستطيعوا أن يقيموا الدليل على صحة ما هم عليه من شرك.

والمراد بالسلطان البين: الحجة الواضحة.

أى: أن أولئك الفتية بعد أن اجتمعوا، وتعاهدوا على عبادة الله – تعالى – وحده، ونبذ الشرك والشركاء قالوا على سبيل الإنكار والاحتقار لما عليه قومهم: هؤلاء قومنا بلغ بهم السفه والجهل، أنهم اتخذوا مع الله – تعالى – أصناما يشركونها معه فى العبادة، هلا أتى هؤلاء السفهاء بحجة ظاهرة تؤيد دعواهم بأن هذه الأصنام تصلح آلهة لا شك أنهم لن يستطيعوا ذلك.

قال صاحب الكشاف وقوله:**{لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ}** تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على صحة عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد، وأنه لا بد فى الدين من حجة حتى يصح ويثبت.

---

(١) الحج: ٣١.

وشبيه بهذه الآية فى تعجيز المشركين وتجهيلهم قوله تعالى:**{قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ}**[1] وقوله – سبحانه -:**{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرض أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السماوات ائتوني بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هاذآ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[2] ثم ختم – سبحانه – الآية الكريمة بما يدل على تكذيبهم لقومهم، ووصفهم إياهم بالظلم فقال:**{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً}**.

أى: لا أحد أشد ظلماً من قوم افتروا على الله – تعالى – الكذب، حيث زعموا أن له شريكا فى العبادة والطاعة، مع انه – جل وعلا – منزه عن الشريك والشركاء:**{أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ}** ثم حكى – سبحانه – بعد ذلك ما تناجوا به فيما بينهم، بعد أن وضح موقفهم وضوحا صريحا حاسما، وبعد أن أعلنوا كلمة التوحيد بصدق وقوة.

الأطفال والاستئذان:

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [3].

ذكر المفسرون فى سبب نزول قوله – تعالى:**{يا أيها الذين ءَامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ...}** روايات منها: أن امرأة يقال لها أسماء بنت أبى مرثد، دخل عليها غلام كبير لها، فى وقت

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) الأحقاف: ٤.

(٣) النور: ٥٨ – ٦٠.

كرهت دخوله فيه، فأتت النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومنها ما روى من أن الرسول ﷺ بعث فى وقت الظهيرة غلاما من الأنصار يقال له مدلج، إلى عمر بن الخطاب، فدق الغلام الباب على عمر - وكان نائما - فاستيقظ، وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر: لوددت أن الله - تعالى - نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا من الدخول علينا فى هذه الساعة إلا بإذن ثم انطلق عمر مع الغلام إلى النبى ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا لله - تعالى.

وقد صدرت الآية الكريمة بندائهم بصفة الإيمان. لحضهم على الامتثال لما اشتملت عليه من آداب قويمة. وتوجيهات حكيمة.

واللام فى قوله:**{لِيَسْتَأْذِنكُمُ}** هى لام الأمر والمراد بما ملكت أيمانهم: الأرقاء سواء أكانوا ذكورا أم إناثا، ويدخل فيهم الخدم ومن على شاكلتهم.

والمراد بالذين لم يبلغوا الحلم. الأطفال الذين فى سن الصبا ولم يصلوا إلى سن البلوغ إلا أنهم يعرفون معنى العورة ويميزون بين ما يصح الاطلاع عليه وما لا يصح.

والمعنى: يا من آمنتم بالله حق الإيمان من الرجال، والنساء، عليكم أن تمنعوا مماليككم وخدمكم وصبيانكم الذين لم يبلغوا سن البلوغ، من الدخول عليكم فى مضاجعكم بغير إذن فى هذه الأوقات الثلاثة، خشية أن يطلعوا منكم على ما لا يصح الاطلاع عليه.

فقوله - تعالى:**{ثَلاَثَ مَرَّاتٍ}** تحديد للأوقات المنهى عن الدخول فيها بدون استئذان، أى: ثلاث أوقات فى اليوم والليلة.

ثم بين - سبحانه - هذه الأوقات فقال:**{مِّن قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ}** وذلك لأن هذا الوقت يقوم فيه الإنسان من النوم عادة، وقد يكون متخففا من ثيابه. ولا يجب أن يراه أحد وهو على تلك الحالة.

{وَحِينَ تَضَعُونَ ثيابكم مِّنَ الظهيرة} أى: وحين تخلعون ثيابكم وتطرحونها فى وقت الظهيرة، عند شدة الحر، لأجل التخفيف منها وارتداء ثياب أخرى أرق من تلك الثياب، طلبا للراحة واستعدادا للنوم.

{وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ} لأن هذا الوقت يتجرد فيه الإنسان من ثياب اليقظة، ليتخذ ثيابا أخرى للنوم.

وقوله - سبحانه:**{ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ}** خبر مبتدأ محذوف، والعورات: جمع عورة.

وتطلق على ما يجب ستره من الإنسان، وهى - كما يقول الراغب: مأخوذة من العار، وذلك لأن المظهر لها يلحقه العار والذم بسبب ذلك.

والمعنى: هذه الأوقات من ثلاث عورات كائنة لكم - فعليكم أن تعودوا مماليككم وخدمكم وصبيانكم. على الاستئذان عند إرادة الدخول عليكم فيها، لأنها أوقات يغلب فيها اختلاء الرجل بأهله، كما يغلب فيها التخفف من الثياب، وانكشاف ما يجب ستره

وقوله - سبحانه:**{لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ}** بيان لمظهر من مظاهر التيسير فى شريعة الإسلام.

أى: وليس عليكم أيها المؤمنون والمؤمنات، ولا عليهم، أى: أرقائكم وصبيانكم "جناح ": حرج أو إثم فى الدخول بدون استئذان " بعدهن " أى: بعد كل وقت من تلك الأوقات الثلاثة.

وقوله - تعالى -**{طوافون عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ}** تعليل لبيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان فى غير الأوقات التى حددها الله - تعالى.

أى: لا حرج فى دخول مماليككم وصبيانكم عليكم فى غير هذه الأوقات بدون استئذان لأنهم تكثر حاجتهم فى التردد عليكم، وأنتم كذلك لا غنى لكم عنهم فأنتم وهم يطوف بعضكم على بعض لقضاء المصالح فى كثير من الأوقات.

وبذلك يجمع الإسلام فى تعاليمه بين التستر والاحتشام والتأدب بآدابه القويمة، وبين السماحة وإزالة الحرج والمشقة.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله:**{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الايات والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**.

أى: مثل هذا البيان الحكيم يبين الله - تعالى - لكم الآيات التى توصلكم متى تمسكتم بها، إلى طريق الخير والسعادة، والله - عز وجل - عليم بما يصلح عباده، حكيم فى كل ما يأمر به، أو ينهى عنه.

وهكذا تسوق لنا الآية الكريمة ألوانا من الأدب السامى، الذى يجعل الكبار والصغار يعيشون عيشة فاضلة، عامرة بالطهر والعفاف والحياء، والنقاء من كل ما يجرح الشعور، ومن كل تصور يتنافى مع الخلق الكريم.

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن حكم البالغين بالنسبة للاستئذان، بعد حديثها عن حكم غير البالغين بالنسبة لذلك فقال - تعالى:**{وَإِذَا بَلَغَ الأطفال مِنكُمُ الحلم فَلْيَسْتَأْذِنُواْ**

كَمَا استأذن الذين مِن قَبْلِهِمْ...}.

أى: وإذا بلغ الأطفال منكم – أيها المؤمنون والمؤمنات – سن الاحتلام والبلوغ الذي يصلح معه الزواج، فعليهم أن يستأذنوا فى الدخول عليكم فى كل الأوقات، كما استأذن الذين هم أكبر منهم فى السن عندما بلغوا سن الاحتلام،

فقد أمر سبحانه أمرا عاما بذلك فقال:**{ياأيها الذين آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ على أَهْلِهَا...}**.

قال صاحب الكشاف: " والمعنى أن الأطفال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلا فى العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة، بأن يحتلموا، أو يبلغوا السن التى يحكم عليهم فيها بالبلوغ، وجب أن يفطموا عن تلك العادة، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات، كما هو الحال بالنسبة للرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن.

وهذا مما الناس منه فى غفلة، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة. وعن ابن مسعود: "عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم.. ".

ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله:**{كذلك يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** أى: والله – تعالى – عليم بأحوال النفوس وبما يصلحها من آداب، حكيم فى كل ما يشرعه من أحكام.

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك بعض الأحكام التى تتعلق بالنساء اللاتى بلغن سن اليأس، فقال:**{والقواعد مِنَ النسآء اللاتي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتِ بِزِينَةٍ...}**[(١)].

والقواعد: جمع قاعدة – بغير تاء – لاختصاص هذه الكلمة بالنساء كحائض وطامث.

وقالوا: سميت المرأة العجوز بذلك، لأنها تكثر القعود لكبر سنها.

أى: والنساء العجائز اللاتى قعدن عن الولد أو عن الحيض، ولا يطمعن فى الزواج لكبرهن، فليس على هؤلاء النساء حرج أن ينزعن عنهن ثيابهن الظاهرة، والتى لا يفضى نزعها إلى كشف عورة، أو إظهار زينة أمر الله – تعالى – بسترها.

---

(١) النور: ٦٠.

فقولـه – سبحانه:**{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ}** بيان لمظهر من مظاهر التيسـير فى شريعة الإسلام، لأن المرأة العجوز إذا تخففت من بعض ثيابها التـى لا يفضـى التخفـف منها إلى فتنة أو إلى كشف عورة... فلا بأس بذلك، لأنها – فى العـادة – لا تتطلـع النفـوس إليها، وذلك بأن تخلع القناع الذى يكون فوق الخمار، والرداء الذى يكون فوق الثياب.

وقولـه – تعالى:**{غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ}** حال. وأصل التبرج: التكلف والتصنع فى إظهار ما يخفى، من قولهم: سفينة بارجة أى: لا غطاء عليها.

والمراد به هنا: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الذين لا يصح لهم الاطلاع عليها.

أى: لا حرج على النساء القواعد من خلع ثيابهن الظاهرة، حال كونهن غـير مظهـرات للزينة التى أمرهن الله – تعالى – بإخفائها، وغير قاصدات بهذا الخلع لثيابهن الظاهرة التبرج وكشف ما أمر الله – تعالى – بستره.

وقولــه – سبحانه:**{وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ}** أى: وأن يـبقين ثيـابهن الظـاهرة علـيهن بدون خلع، خير لهن، وأطهر لقلوبهن، وأبعد عن التهمة، وأنفى لسوء الظن بهن.

وسمى الله – تعالى – إبقاء ثيـابهن علـيهن اسـتعفافا. أى: طلبـا للعفـة، للإشـعار بـأن الاحتشام والتستر... خير للمرأة حتى ولو كانت من القواعد.

وقولـه – تعـالى:**{والله سَمِيعٌ عِلِيمٌ}** أى: سميـع لكـل مـا مـن شـأنه أن يُسـمع، علـيم بأحوال النفوس وحركاتها وسكناتها.

وبذلك نرى هذه الآيـات الكريمـة، قـد بينـت للنـاس أقـوم المنـاهج، وأسمـى الآداب، وأفضل الأحكام التى باتباعها يسعد الأفراد والجماعات.

وصايا لُقْمَانُ لِابْنِهِ:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَـامَيْنِ أَنِ اشْـكُرْ لِـي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَـا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْـتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْـهَ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْـشِ

فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[1]

قال ابن كثير – رحمه الله: اختلف السلف فى لقمان، هل كان نبيا أو عبدا صالحا من غير نبوة؟ والأكثرون على أنه لم يكن نبيا.

وعن ابن عباس وغيره: كان لقمان عبدا حبشياً نجارا...

قال لـه مولاه: اذبح لنا شاة وجئنى بأخبث ما فيها؟ فذبحها وجاءه بلسانها وقلبها. ثم قال لـه مرة ثانية: اذبح لنا شاة وجئنى بأحسن ما فيها؟ فذبحها وجاءه – أيضاً بقلبها ولسانها، فقال لـه مولاه ما هذا؟ فقال لقمان: إنه ليس من شىء أطيب منهما إذا طابا، وليس من شىء أخبث منها إذا خبثا.

وقال لـه رجل: ألست عبد فلان؟ فما الذى بلغ بك ما أرى من الحكمة؟ فقال لقمان: قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وتركى مالا يعنينى.

ومن أقواله لابنه: يا بنى اتخذ تقوى الله لك تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة. يا بنى، لا تكن اعجز من هذا الديك الذى يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك، يا بنى، اعتزل الشر كما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.

يا بنى، عليك بمجالس العلماء، وبسماع كلام الحكماء، فإن الله – تعالى – يحيى القلب الميت بنور الحكمة.

يا بنى، إنك منذ نزلت الدنيا استدبرتها، واستقبلت الآخرة، ودار أنت إليها تسير، أقرب من دار أنت عنها ترتحل.

وقال الآلوسى ما ملخصه: ولقمان: اسم أعجمى لا عربى وهو ابن باعوراء. قيل: كان فى زمان داود – عليه السلام – وقيل: كان زمانه بين عيسى وبين محمد – عليهما الصلاة والسلام.

ثم قال الآلوسى: وإنى اختار أنه كان رجلا صالحا حكيما، ولم يكن نبيا

وقوله – سبحانه:**{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ}** كلام مستأنف مسوق لإبطال الإشراك بالله – تعالى – عن طرق النقل، بعد بيان إبطال عن طريق العقل، فى قوله – سبحانه –

(1) لقمان: 12 – 19.

قبل ذلك:{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} والحكمة: اكتساب العلم النافع والعمل به. وهى: العقل والفهم. أو هى الإصابة فى القول والعمل.

والمعنى: والله لقد أعطينا – بفضلنا وإحساننا – عبدنا لقمان العلم النافع والعمل به.

وقوله – سبحانه –{أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} بيان لما يقتضيه إعطاء الحكمة. أى: آتيناه الحكمة وقلنا له أن اشكر لله على ما أعطاك من نعم لكى يزيدك منها.

قال الشوكانى: قوله:{أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} أن هى المفسرة: لأن فى إيتاء الحكمة معنى القول. وقيل التقدير: قلنا له أن اشكر لى.. وقيل: بأن اشكر لى فشكر، فكان حكيما بشكره.

والشكر لله: الثناء عليه فى مقابلة النعمة – واستعمالها فيما خلقت له، وطاعته فيما أمر به.

ثم بين – سبحانه – حسن عاقبة الشكر وسوء عاقبة الجحود فقال:{وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

أى: ومن يشكر الله – تعالى – على نعمه، فإن نفع شكره إنما يعود إليه، ومن جحد نعم الله – تعالى – واستحب الكفر على الإيمان، فالله – تعالى – غنى عنه وعن غيره، حقيق بالحمد من سائر خلقه لإنعامه عليهم بالنعم التى لا تعد ولا تحصى: فحميد بمعنى محمود.

فالجملة الكريمة المقصود بها، بيان غنى الله – تعالى – عن خلقه، وعدم انتفاعهم بطاعتهم، لأن منفعتها راجعة إليهم، وعدم تضرره بمعصيتهم. وإنما ضرر ذلك يعود عليهم. وعبر – سبحانه – فى جانب الشكر بالفعل المضارع، للإشارة إلى أن من شأن الشاكرين أنهم دائما على تذكر لنعم الله – تعالى – وإذا ما غفلوا عن ذلك لفترة من الوقت، عادوا إلى طاعته – سبحانه – وشكره.

وعبر فى جانب الكفر بالفعل الماضى، للإشعار بأنه لا يصح ولا ينبغى من أى عاقل، بل كل عاقل عليه أن يهجر ذلك هجرا تاما، وأن يجعله فى خبر كان.

وجواب الشرط محذوف، وقد قام مقامه قوله – تعالى:{فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} والتقدير: ومن كفر فضرر كفره راجع إليه. لأن الله – تعالى – غنى حميد.

ثم حكى – سبحانه – ما قاله لقمان لابنه على سبيل النصيحة والإرشاد فقال – تعالى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يابني لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

وقولـه:{**يَعِظُهُ**} من الوعظ، وهو الزجر المقترن بالتخويف. وقيـل: هـو التـذكير بوجـوه الخير بأسلوب يرق لـه القلب.

قالوا: واسم ابنه " ثاران " أو " مانان " أى: واذكر – أيها العاقل – لتعتبر وتنتفـع، وقـت أن قال لقمان لابنه وهو يعظه، ويرشده إلى وجوه الخير بألطف عبـارة، يـا بنـى:{**لاَ تُشْـرِكْ بِاللَّهِ**} – تعالى – لا فى عبادتـك ولا فـى قولـك، ولا فـى عملـك، بـل أخلـص كـل ذلـك لخالقكم – عز وجل –.، ندائه بلفظ:{**يَا بُنَيَّ**} إشـفاق عليـه. ومحبـة لـه، فـالمراد بالتصـغير إظهار الحنو عليه، والحرص على منفعته.

قيل: وكان ابنه كافرا فما زال يعظه حتى أسلم. وقيـل: بـل كـان مسـلما، والنهـى عـن الشرك المقصود به، المداومة على ما هو عليه من إيمان وطاعة لله رب العالمين.

وجملة:{**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} تعليل للنهـى. أى: يـا بنـى حـذار أن تشـرك بـالله فـى قولك أو فعلك، إن الشرك بالله – تعالى – لظلم عظيم، لأنه وضع للأمور فى غير موضـعها الصحيح، وتسوية فى العبادة بين الخالق والمخلوق.

وقولــه – تعـالى:{**وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ...**} كـلام مسـتأنف، جـئ بـه علـى سـبيل الاعتراض فى أثناء وصية لقمان لابنه، لبيان سمـو منزلـة الوالـدين، ولأن القـرآن كـثيرا مـا يقرن بين الأمر بوحدانية الله – تعالى، والأمر بالإحسان إلى الوالدين.

ومن ذلك قولـه – تعالى:{**وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إلاَّ إِيَّاهُ وبالوالدين إِحْسَاناً**}[1] وقولـه – عز وجل –:{**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْـرِكُواْ بِـهِ شَـيْئاً وبالوالـدين إِحْسَاناً**}[2] أى: أمرنا كل إنسان أن يكون بارا بأبويه، وأن يحسن إليهمـا، وأن يطيـع أمرهمـا فى المعروف.

ثم بين – سبحانه – ما بذلته الأم من جهد يوجب الإحسان إليهما فقـال:{**حَمَلَتْهُ أُمُّـهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ**} أى: حملته أمه فى بطنها وهى تزداد فى كل يوم ضعفا على ضعف، بسـبب زيادة وزنه، وكبر حجمه، وتعريضها لألوان من التعب خلال حمله ووضعه.

والوهن: الضعف. يقال: وهو فلان يهن وهنا: إذا ضعف. ولفظ " وهنا " حال مـن أمـه بتقدير مضاف. أى: حملته أمه ذات وهن، أو مصدر مؤكد لفعل هو الحـال. أى: تهـن وهنـا. وقولـه:{**عَلَى وَهْنٍ**} متعلق بمحذوف صفة للمصدر. أى: وهنا كائنا على وهن.

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) الأنعام: ١٥١.

وقولـه:**{وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}** بيان لمدة إرضـاعه. والفصـال: الفطـام عـن الرضـاع. أى: وفطام المولود عن الرضاعة يتم بانقضاء عامين من ولادته، كما قـال - تعـالى:**{والوالـدات يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة}**[1] وهاتـان الجملتـان**{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}** جاءتا بعد الوصية بالوالـدين عمومـا، تأكيـدا لحـق الأم، وبيانا لما تبذله من جهد شاق فـى سـبيل أولادهـا، تسـتحق مـن أجلـه كـل رعايـة وتكـريم وإحسان.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فقولـه:**{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}** كيف اعترض به بين المفسر والمفسر؟

قلت: لما وصى بالوالدين: ذكر ما تكابده الأم وتعانيـه مـن المشـاق والمتاعـب فـى حملـه وفصاله هذه المدة المتطاولة، إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقهـا العظـيم مفـردا، ومن ثم " قال رسول الله ﷺ لمن قال لـه: من أبر؟ قـال: **«أمك ثم أمك ثم أمك»**، ثـم قـال بعد ذلك: **«ثم أباك»**.

وقولــه - سـبحانه:**{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}** بيـان لمـا تسـتلزمه الوصـية بالوالدين أى: وصينا الإنسان بوالديه حسنا، وقلنا لـه: اشـكر لخـالقكم فضـله عليـك، بـأن تخلص لـه العبادة والطاعة، واشكر لوالديك ما تحمـلاه مـن أجلـك مـن تعـب، بـأن تحسـن إليهما، واعلم أن مصيرك إلى خالقك - عز وجل - وسيحاسبك على أعمالك، وسـيجازيك عليها بما تستحقه من ثواب أو عقاب.

ثم بين - سبحانه - حدود الطاعة للوالـدين فقـال:**{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا}**.

والجملة الكريمة معطوفة على قولـه:**{وَوَصَّيْنَا}**. بإضمار القـول. أى: ووصـينا الإنسـان بوالديه. وقلنا لـه:**{وَإِن جَاهَدَاكَ}** أى: وإن حملاك:**{عَلَى أَن تُشْـرِكَ بِـي}** فـى العبـادة أو الطاعة،**{مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا}** فى ذلك، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وجملة:**{مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}** لبيان الواقع، فلا مفهوم لها، إذ ليس هنـاك مـن إلـه يعلـم سوى الله - عز وجل.

ثم أمر - سبحانه - بمصاحبتهما بالمعروف حتى مع كفرهما فقال:**{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً}**.

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

أى: إن حملاك على الشرك. فلا تطعهما، ومع ذلك فصاحبهما فى الأمور الدنيوية التى لا تتعلق بالدين مصاحبة كريمة حسنة، يرتضيها الشرع، وتقضيها مكارم الأخلاق.

وقولـه:**{مَّعْرُوفاً}** صفة لمصدر محذوف. أى: صحابا معروفا. أو منصوب بنزع الخافض. أى: بالمعروف.

ثم أرشد – سبحانه – إلى وجوب اتباع أهل الحق فقال:**{واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَـيَّ}**. أى: واتبع – أيها العاقل طريق الصالحين مـن عبـادى، الـذين رجعـوا إلـي بالتوبـة والإنابـة والطاعة والإخلاص.

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} جميعا يوم القيامة – أيهـا النـاس:**{فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ}** فـى الدنيا، وأجازى كل إنسان على حسب عملـه:**{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَـلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}** قال القرطبى ما ملخصه: وهاتان الآيتان نزلتا فى شـأن سـعد بـن أبـى وقاص لما أسلم، وأن أمه حلفت أن لا تأكل طعامـا حتـى تمـوت.. وفيهـا دليـل علـى صـلة الأبوين الكافرين، بما أمكن من المال إن كانا فقيرين... " وقـد قالـت أسمـاء بنـت أبـى بكـر الصديق، للنبى ﷺ وقد قدمت عليها خالتها وقيل: أمها من الرضاعة: يا رسول الله، إن أمـى قدمت على وهى راغبة أفأصلها؟ قال: **«نعم»** وراغبة قيل معناه: عـن الإسـلام، أو راغبـة فى الصلة.

ثم ذكر – سبحانه – بقية الوصايا التى أوصى بها لقمان ابنه فقال:**{يابني إِنَّهَآ إِن تَـكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السماوات أَوْ فِي الأرض يَأْتِ بِهَا اللهُ}**.

والضمير فى قولـه:**{إِنَّهَآ}** يعود إلى الفعلة التى يفعلها من خير أو شـر. و**{تَكُ}** مجـزوم بسكون النون المحذوفة، وهو فعل الشرط. والجواب:**{يَأْتِ بِهَا اللَّهُ}** والمثقال: أقل ما يوزن به الشىء. والخردل: فى غاية الصغر الدقة.

والمعنى: يا بنى إن ما تفعله من حسنة أو سيئة، سـواء أكـان فـى نهايـة القلـة والصـغر، كمثال حبة من خردل، أم كان هذا الشئ القليل مخبوءا فى صخرة مـن الصـخور الملقـاة فـى فجاد الأرض، أم كان فى السـماوات أم فـى الأرض، فـإن الله – تعـالى – يعلمـه ويحضـره ويجازى عليه**{إِنَّ اللَّهَ}** – تعالى – لطيف خبير أى: محيط بجميـع الأشـياء جليلـها وحقيرهـا، عظيمها وصغيرها.

فالمقصود من الآية الكريمة: غرس الهيبة والخشية والمراقبة لله – تعالى – سبحانه لا يخفى عليه شىء فى هذا الكون، مهما دق وقل وتخفى فى أعماق الأرض والسماء.

وشبيه بهذه الآية قولــه – تعـالى:**{وَنَضَعُ الموازين القسط لِيَوْمِ القيامة فَلاَ تُظْلَمُ نَفْـسٌ**

شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكفى بِنَا حَاسِبِينَ}[1] ثم أمره بالمحافظة على الصلاة وبالأمر بالمعروف، وبالنهى عن المنكر وبالصبر على الأذى، فقال:**{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ}** أى: واظب على أدائها فى أوقاتها بخشوع وإخلاص لله رب العالمين.

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ} أى بكل ما حض الشرع على قوله أو فعله**{وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ}** أى: عن كل ما نهى الشرع عن قوله أو فعله.

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} من الأذى، فإن الحياة مليئة بالشدائد والمحن والراحة إنما هى فى الجنة فقط.

واسم الإشارة فى قوله:**{أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمور}** يعود إلى الطاعات المذكورة قبله. وعزم الأمور: أعاليها ومكارمها. أو المراد بها ما أوجبه الله – تعالى – على الإنسان.

قال صاحب الكشاف:**{إِنَّ ذَلِكَ}** مما عزمها لله من الأمور، أى: قطعه قطع إيجاب وإلزام.. ومنه الحديث: **«إن الله يحب أن يؤخذ برخصة كما يحب أن يؤخذ بعزائمه»** ومنه عزمات الملوك، وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده: عزمت عليك إلا فعلت كذا. فإذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله، ولا مندوحة فى تركه.

وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات، وأنها كانت مأمورا بها فى سائر الأمم، وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها.

ثم نهاه عن التكبر والغرور والتالى على الناس فقال:**{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}**.

والصعر فى الأصل: مرض يصب البعير فيجعله معوج العنق، والمراد به هنا، التكبر واحتقار الناس، ومنه قولا الشاعر:

وكنا إذا الجبَّار صعر خده ::: مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

أى: ولا تمل صفحة وجهك عن الناس، ولا تتعالى عليهم كما يفعل المتكبرون والمغرورون، بل كن هينا لينا متواضعا، كما هو شأن العقلاء..

{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً} أى: ولا تمش فى الأرض مشية المختالين المعجبين بأنفسهم. و**{مَرَحاً}** مصدر وقع موقع الحال على سبيل المبالغة، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف. أى: تمرح مرحا. والجملة فى موضع الحال. أو مفعول لأجله. أى: من أجل المرح.

وقوله:**{إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** تعليل لنهى. والمختال: المتكبر الذى يختال

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

فى مشيته، ومنه قولهم: فلان يمشى الخيلاء، أى يمشى مشية المغرور المعجب بنفسه.

والفخور: المتباهى على الناس بماله أو جاهة أو منصبه.. يقال فخر فلان – كمنع – فهو فاخر وفخور، إذا تفاخر بما عنده على الناس، على سبيل التطاول عليهم، والتنقيص من شأنهم.

أى: إن الله – تعالى – لا يحب من كان متكبرا على الناس، متفاخرا بماله أو جاهه.

ثم أمر بالقصد والاعتدال فى كل أموره فقال:**{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}** أى وكن معتدلا فى مشيك، بحيث لا تطبئ ولا تسرع. من القصد وهو التوسط فى الأمور.

{وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ} واخفض من صوتك فلا ترفعه إلا إذا استدعى الأمر رفعه، فإن غض الصوت عند المحادثة فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث واستقامته.

وكان أهل الجاهلية يتفاخرون بجهارة الصوت وارتفاعه، فنهى المؤمنون عن ذلك، ومدح – سبحانه – الذين يخفضون أصواتهم فى مجلس رسول الله ﷺ فقال:**{إِنَّ الَّذِين يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أولئك الذين امتحن الله قُلُوبَهُمْ للتقوى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}**[1] وقوله – تعالى:**{إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ}** تعليل للأمر بخفض الصوت، وللنهى عن رفعه بدون موجب.

أى: إن أقبح الأصوت وأبشعها لهو صوت الحمير، فالجملة الكريمة حض على غض الصوت بأبلغ وجه وآكده، حيث شبه – سبحانه الرافعين لأصواتهم فى غير حاجة إلى ذلك، بأصوات الحمير التى هى مثار السخرية مع النفور منها.

وهكذا نجد أن لقمان قد أوصى ابنه بجملة من الوصايا السامية النافعة، فقد أمره – أولا – بإخلاص العبادة لله – تعالى – ثم غرس فى قلبه الخوف من الله – عز وجل –، ثم حضه على إقامة الصلاة، وعلى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وعلى الصبر على الأذى، ثم نهاه عن الغرور والتكبر والافتخار، وعن رفع الصوت بدون مقتض لذلك. وبتنفيذ هذه الوصايا، يسعد الأفراد، وترقى المجتمعات.

الغلام الحليم!!!

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ *فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ

(١) الحجرات: ٣.

افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (1) الصافات.

قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة. إلى الأرض المقدسة وهى أرض الشام..

والسين فى قوله:{سَيَهْدِينِ} لتأكيد وقوع الهداية فى المستقبل، بناء على شدة توكله، وعظيم أمله فى تحقيق ما يرجوه من ربه، لأنه ما هاجر من موطنه إلا من أجل نشر دينه وشريعته – سبحانه.

ثم أضاف إلى هذا الأمل الكبير فى هداية الله – تعالى – له، أملا آخر وهو منحه الذرية الصالحة فقال:{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين}.

أى: وأسألك يا ربى بجانب هذه الهداية إلى الخير والحق، أن تهب لى ولدا هو من عبادك الصالحين، الذين أستعين بهم على نشر دعوتك، وعلى إعلاء كلمتك.

وأجاب الله – تعالى – دعاء عبده إبراهيم، كما حكى ذلك فى قوله:{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}.

أى: فاستجبنا لإبراهيم دعاءه فبشرناه على لسان ملائكتنا بغلام موصوف بالحلم وبمكارم الأخلاق.

قال صاحب الكشاف: وقد انطوت البشارة على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما.

وهذا الغلام الذى بشره الله – تعالى – به. المقصود به هنا إسماعيل – عليه السلام –.

والفاء فى قوله – تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعي} فصيحة، أى: بشرناه بهذا الغلام الحليم، ثم عاش هذا الغلام حتى بلغ السن التى فى إمكانه أن يسعى معه فيها، ليساعده فى قضاء مصالحه.

قيل: كانت سن إسماعيل فى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة.

(1) الصافات:99 – 110.

{قَالَ يابني إِنِي أرى فِي المنام أَنِّي أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى}.

أى: فلما بلغ الغلام مع أبيه هذه السن، قال الأب لابنه: يا بنى إنـى رأيـت فـى منـامى أنى أذبحك، فانظرماذا ترى فى شأن نفسك؟

قال الآلوسى ما ملخصه: يحتمل أنه – عليه السلام – رأى فى منامه أنـه فعـل ذلـك.. ويحتمل أنه رأى ما تأويله ذلك، ولكنه لم يذكره وذكر التأويل، كما يقول الممـتحن وقـد رأى أنه راكب سفينة: رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة.

ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة، وفى رواية أنه رأى ذلك فى ليلة التروية فأخذ يفكر فى أمره، فسميت بذلك، فلما رأى ما رآه سابقا عرف أن هذه الرؤيـا مـن الله، فسـمى بيوم عرفة، ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهمَّ بنحره فسمى بيوم النحر.

ولعل السر فى كونه منامـا لا يقظـة، أن تكـون المبـادرة إلى الامتثـال، أدل علـى كمـال الانقياد والإخلاص.

وإنما شاوره بقولـه:**{فانظر مَاذَا ترى}** مع أنه سينفذ ما أمره الله – تعالى – به فى منامـه سواء رضى إسماعيل أم لم يرض، لأن فى هذه المشاورة إعلاما لـه بما رآه، لكى يتقبله بثبات وصبر، وليكون نزول هذا الأمر عليه أهون، وليختبر عزمه وجلده.

وقولـه:**{قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ ستجدني إِن شَآءَ الله مِنَ الصابرين}** حكايـة لمـا رد بـه إسماعيل على أبيه إبراهيم – عليهما السلام – وهو رد يدل على علو كعبه فى الثبات، وفى احتمال البلاء، وفى الاستسلام لقضاء الله وقدره.

أى: قال الابن لأبيه: يا أبت افعل ما تؤمر به من قبل الله – تعالى – ولا تتردد فى ذلك وستجدنى إن شاء الله من الصابرين على قضائه.

وفى هذا الرد ما فيه من سمو الأدب، حيث قدم مشيئة الله – تعـالى – ونسـب الفضـل إليه، واستعان به – سبحانه – فى أن يجعله من الصابرين على البلاء.

وهكذا الأنبياء – عليهم السلام – يلهمهم الله – تعالى – فى جميع مراحـل حيـاتهم مـا يجعلهم فى أعلى درجات السمو النفسى، واليقين القلبى. والكمال الخلقى.

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك ما كان من الابن وأبيه فقال:**{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}** وأسلما: بمعنى استسلما وانقادا لأمر الله، فالفعل لازم، أو بمعنى: سلَّم الذبيح نفسـه وسـلم الأب ابنه، فيكون متعديا والمفعول محذوف.

وقولـه:**{وَتَلَّهُ}** أى: صرعه وأسقطه، وأصل التل: الرمى على التَّل وهو الرمل الكثيـف

المرتفع، ثم عمم فى كل رمى ودفع، يقال: تل فلان فلانا إذا صرعه وألقاه على الأرض.

والجبين: أحد جانبى الجبهة، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

أى: فلما استسلم الأب والابن لأمر الله – تعالى – وصرع الأب ابنه على شقه، وجعل جبينه على الأرض، واستعد الأب لذبح ابنه.. كان ما كان منا من رحمة بهما. ومن إكرام لهما، ومن إعلاء لقدرهما.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلما أسلم وتله للجبين**{وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ}** كان ما كان مما تنطق به الحال، ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله،

وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا فى تضاعيفه من الثواب، ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب..

وقد ذكروا هنا آثار منها: أن إسماعيل – عليه السلام – لما هم أبوه بذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب، واكفف عنى ثيابك حتى لا يتناثر عليها شىء من دمى فتراه أمى فتحزن، وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون أهون للموت على، فإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى.. وكان ذلك عند الخصرة التى بمنى..

وقوله – سبحانه:**{وَنَادَيْنَاهُ أَن ياإبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ}** أى: وعندما صرع إبراهيم ابنه ليذبحه، واستسلما لأمرنا.. نادينا إبراهيم بقولنا:**{وَنَادَيْنَاهُ أَن ياإبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ}** أى: قد فعلت ما أمرناك به، ونفذت ما رأيته فى رؤياك تنفيذا كاملا، يدل على صدقك فى إيمانك، وعلى قوة إخلاصك.

قال الجمل: فإن قلت: كيف قال الله – تعالى – لإبراهيم: قد صدقت الرؤيا وهو إنما رأى أن يذبح ابنه، وما كان تصديقها إلا لو حصل منه الذبح؟.

قلت: جعله الله مصدقا لأنه بذل جهده ووسعه، وأتى بما أمكنه، وفعل ما يفعله الذابح، فأتى بالمطلوب، وهو انقيادهما لأمر الله.

وجملة:**{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين}** تعليل لما قبلها. أى: فعلنا ما فعلنا من تفريج الكرب عن إبراهيم وإسماعيل، لأن سنتنا قد اقتضت أن نجازى المحسنين الجزاء الذى يرفع درجاتهم، ويفرج كرباتهم، ويكشف الهم والغم عنهم.

واسم الإشارة فى قوله:**{إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ}** يعود إلى ما ابتلى الله – تعالى – نبيه

إبراهيم وإسماعيل.

أى: إن هذا الذى ابتلينا به هـذين النبيين الكريمين، لهو البلاء الواضح، والاختبار الظاهر، الذى به يتميز قوى الإيمان من ضعيفه، والذى لا يحتمله إلا أصحاب العزائم العالية، والقلوب السليمة، والنفوس المخلصة لله رب العالمين.

ثم بين – سبحانه – مظاهر فضله على هذين النبيين الكريمين فقال:**{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}** والذبح بمعنى المذبوح فهو مصدر بمعنى اسم المفعول كالطحن بمعنى المطحون.

أى: وفدينا إسماعيل – عليه السلام – بمذبوح عظيم فى هيئته، وفى قدره، لأنه من عندنا، وليس من عند غيرنا.

قيل: افتداه الله – تعالى – بكبش أبيض، أقرن، عظيم القدر.

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين * سَلاَمٌ على إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين}.

أى: ومن مظاهر فضلنا وإحساننا وتكريمنا لنبينا إبراهيم – أننا أبقينا ذكره الحسن فى الأمم التى ستأتى من بعده، وجعلنا التحية والسلام منا ومن المؤمنين عليه إلى يوم الدين، ومثل هذا الجزاء نجزى المحسنين – أنه – عليه السلام – من عبادنا الصادقين فى إيمانهم.

ثم بين – سبحانه – مظهرا آخر من مظاهر فضله على نبيه إبراهيم فقال:

{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصالحين * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وعلى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}.

أى: ومن مظاهر تكريمنا لإبراهيم، أننا بشرناه بولد آخر هو إسحاق، الذى جعلناه نبيا من أنبيائنا الصالحين لحمل رسالتنا، وأفضنا على إبراهيم وعلى إسحاق الكثير من بركاتنا الدينية والدنيوية، بأن جعلنا عدداً كبيراً من الأنبياء من نسلهما.

ومع ذلك فقد اقتضت حكمتنا أن نجعل من ذريتهما من هو محسن فى قوله وعمله، ومن هو ظالم لنفسه بالكفر والمعاصى ظلما واضحا بينا، وسنجازى كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

هذا ومن الأحكام والآداب التى أخذها العلماء من هذه الآيات ما يأتى:

١ – أن الرسل جميعا قد جاؤوا من عند الله – تعالى – بدين واحد فى أصوله، وأن كل واحد منهم قد سار على نهج سابقه فى الدعوة إلى وحدانية الله، وإلى مكارم الأخلاق، وقد

بين – سبحانه – فى مطلق هذه القصة، أن إبراهيم كان من شيعة نوح – عليه السلام – أى: من أتباعه الذين ساروا على سنته فى دعوة الناس إلى عبادة الله وحده.

وقد أمر – عز وجل – نبيه ﷺ أن يقتدى بإخوانه السابقين من الأنبياء، فقال:**{أولئك الذين هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقتده}**.

٢ – أن تعاطى الحيل الشرعية من أجل إزالة المنكر، أمر مشروع، فإن إبراهيم – عليه السلام – لكى يقضى على الأصنام، اعتذر لقومه عن الخروج معهم فى يوم عيدهم، وقال لهم: إنى سقيم – بعد أن نظر فى النجوم.

وكان مقصده من وراء ذلك، أن يختلى بالأصنام ليحطمها، ويثبت لقومه أنها لا تصلح للألوهية.

٣ – أن سنة الله – تعالى – قد اقتضت أن يراعى – بفضله وكرمه – عباده المخلصين، وأن ينصرهم على أعدائهم، الذين يبيتون لهم الشرور والسوء.

ونرى ذلك جليا فى هذه القصة، فقد أضمر الكافرون لإبراهيم الكيد والإهلاك. فأنجاه الله – تعالى – من مكرهم، كما قال – تعالى:**{فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأسفلين}**.

٤ – أن على المؤمن إذا لم يتمكن من نشر دعوة الحق فى مكان معين أن ينتقل منه إلى مكان آخر متى كان قادرا على ذلك.

وهذا ما فعله إبراهيم – عليه السلام – فقد قال لقومه بعد أن يئس من صلاحهم، وبعد أن نجاه الله من كيدهم:**{إِنِّي ذَاهِبٌ إلى رَبِّي سَيَهْدِينِ}**.

٥ – أن الدعاء متى صدر من نفس عامرة بالإيمان والتقوى، ومن قلب سليم من الهوى.. كان جديراً بالإجابة.

فلقد تضرع إبراهيم إلى ربه أن يرزقه الذرية الصالحة، فأجاب الله دعاءه كما حكى – سبحانه – ذلك فى قوله:**{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}**

ثم قال – سبحانه – بعد ذلك:**{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصالحين}**

٦ – أن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – قد ضربا أروع الأمثال فى صدق الإيمان، وفى الاستسلام لأمر الله – تعالى – وفى الرضاء بقضائه.

فكافأهما – عز وجل – على ذلك مكافأة جزيلة، بأن جعل الذكر الحسن باقيا لإبراهيم

إلى يوم القيامة، وبأن افتدى الذبيح بذبح عظيم.

قال – تعالى:**{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين * سَلاَمٌ على إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين}**.

٧ – أن الذبيح الذى ورد ذكره فى هذه القصة، والذى افتداه الله – تعالى – بذبح عظيم، هو إسماعيل – عليه السلام – وعلى ذلك سار جمهورالعلماء، ومن أدلتهم على ما ذهبوا إليه ما يأتى:

(أ) أن سياق القصة يدل دلالة واضحة على أن الذبيح إسماعيل، لأن الله – تعالى – حكى عن إبراهيم أنه تضرع إليه – تعالى – بقوله:**{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين}** فبشره – سبحانه –**{بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ}**،

وهذا الغلام عندما بلغ السن التى يمكنه معها مساعدة أبيه فى أعماله.

قال له أبوه:**{يابني إِنِ أرى فِي المنام أَنِّي أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى}** ثم افتدى الله – تعالى – هذا الغلام بذبح عظيم.

ثم قال – تعالى – بعد كل ذلك:**{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصالحين}**،هذا يدل على أن المبشر به الأول وهو إسماعيل، غير المبشر به الثانى وهو إسحاق.

(ب) أن البشارة بمولد إسحاق – عليه السلام – قد جاء الحديث عنها مفصلا فى سورة هود. وظروف هذه البشارة وملابساتها، تختلف عن الظروف والملابسات التى وردت هنا فى سورة الصافات، وقد أشار إلى ذلك الإمام السيوطى فقال:

وتأملت القرآن فوجدت فيه ما يقتضى القطع – أو ما يقرب منه – على أن الذبيح إسماعيل، وذلك لأن البشارة وقعت مرتين:

مرة فى قوله – تعالى:**{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحين * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعي قَالَ يابني إِنِ أرى فِي المنام أَنِّي أَذْبَحُكَ..}**.

فهذه الآية قاطعة فى أن المبشر به هو الذبيح.

ومرة فى قوله:**{وامرأته قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ}** [(1)]فقد صرح فيها بأن المبشر به إسحاق، ولم يكن بسؤال من إبراهيم، بل قالت امرأته إنها عجوز، وأنه شيخ، وكان ذلك فى بلاد الشام، لما جاءت الملائكة إليه، بسبب قوم لوط، وكان إبراهيم فى آخر عمره.

---

(١) هود: ٧١.

أما البشارة الأولى فكانت حين انتقل من العراق إلى الشام، وحين كان سنه لا يستغرب فيه الولد، ولذلك سأله، فعلمنا بذلك أنهما بشارتان فى وقتين بغلامين، أحدهما بغير سؤال وهو إسحاق، والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره، فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح.

ج - أن القول بأن الذبيح إسماعيل قد ورد - كما قال الإمام ابن القيم - عن كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها.

ثم قال الإمام ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه " بكره " وفى لفظ " وحيده " ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاد إبراهيم.

ومن العلماء الذين فصلوا القول فى هذه المسألة، الإمام ابن كثير، فقد قال رحمه الله: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكى ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة - أيضاً - وليس ذلك فى كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلُقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك:**{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصالحين}**.

ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا:**{إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ}** وقال تعالى:**{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}** أى: يولد له فى حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل.

وقد قدمنا أنه لا يجوز بعد ذلك أن يؤمر بذبحه وهو صغير، لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً، وإسماعيل وصف هنا بالحلم، لأنه مناسب لهذا المقام.

قال الآلوسى - رحمه الله - بعد أن ساق أقوال العلماء فى ذلك بالتفصيل: " والذى أميل إليه أنه - أى الذبيح - إسماعيل - عليه السلام - بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه، وأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت، ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضى خلاف ذلك، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوى الألباب ".

هذه بعض الأحكام والآداب التى يمكن أن نأخذها من هذه القصة، التى حكاها - سبحانه - عن نبيه إبراهيم - عليه السلام - فى هذه السورة الكريمة، وهناك أحكام وآداب أخرى يستطيع أن يستخلصها المتدبر فى هذه الآيات الكريمة.

المنهج النبوي في تشجيع الأطفال والشباب:

ينطوي الإنسان على إمكاناتٍ هائلةٍ للتعلم وزيادة المعرفة والمخزون الثقافي. يقول الله تعالى:**{وعلّم آدمَ الأسماء كلّها}**[1] ويرى بعض علماء النفس أنّ أيّ إنسان إذا استنفر نصف طاقاته العقلية، يمكن أن يتعلّم عشرين لغة، وأن يجمع بين عشر جامعات!.

وكلُّ إنسان ينطوي على منطقةٍ وافرة الخصوبة، تنتظرُ من يزرعُ فيها فسائل الخير والفكر.

وكما تعجز المرآة عن رؤية نفسها، والوردةُ عن استنشاق عطرها، فإنّ الطفل عاجزٌ عن تلّمس طاقاته. فعلى المُربيّ أن يساعده في العثور على هذه الطاقات لتحديدِ هويّتها بدقّة، ومن ثمّ إطلاقها إلى أعلى مستويات النجاح.

وبهذا يلعبُ تشجيعُ الطفل، وإثارةُ اهتمامه، وتحفيزُه للإنجاز، دوراً مهماً في العملية التربوية.

وهذا هو منهجُ النبي ﷺ في كشف الإمكانات الكامنة لدى الأطفال وتحفيزها، من ذلك أنه لما أبصرَ ملامح الذكاء المتوقّد عند زيد بن ثابت، من خلال حفظِه المتقن لسورٍ من القرآن الكريم، حضّه على تعلُّم اللغة العبرية واللغات الأجنبية. وبذا تميّز زيدٌ في أربعةِ علوم: الترجمة والقراءات وعلم الفرائض وكتابة الوحي والرسائل النبوية..

ومن منهج النبي عليه الصلاة والسلام في هذا المضمار: ثناؤه على المتفوقين من أصحابه، وتقويمُهُ حتّى للإنجاز اليومي ليثير عبقرية الاهتمام عند الآخرين، ففي أثناء رجوعهم من غزوة الغابة، أثنى على بطلَيْها قائلاً: **«خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة، وخيرُ رجّالتنا سلمةُ بنُ الأكوع»** [2] كما ضرب على صدر أبيّ بن كعب قائلاً: **«لِيَهنِكَ العلمُ أبا المنذر»** [3].

وكان من ثنائه على المتفوقين إطلاق الألقاب عليهم، فأبو عبيدة " أمينُ الأمة "، وابن مسعود "غلامٌ معلَّمٌ"، والزبير" حواريُّ الرسول".. وهذه الألقاب بمنزلة " شهاداتٍ نبوية " مباركة، لا نّدري كم كان فرح أصحابها بها! نسأل الله تعالى أن يجمعنا مع أصحابها الكرام.

(١) البقرة: ٣١.

(٢) في(صحيح مسلم) وفي (الرحيق المختوم) للمباركفوري.

(٣) رواه مسلم.

ومن سيرته ﷺ في تشجيع الأطفال: الاستحسانُ والابتسام والجائزةُ، ومسحُ الرأس، وحتى قرْصُ الأذُن بتحبّبٍ، فقد فعل هذا مع زيد بن أرقم قائلاً: **«وفَتْ أذُنُكَ يا غلام»**[1]. وذلك لما نزل القرآن مصدقاً لما أخبر زيد.

فالثناءُ إذن من أهم عوامل الإثارة، ولا بأس بأن يُسمعَ الأبُ طفلَه هذا الثناء على مقربة منه وكأنّه لا يشعرُ بوجوده، الأمر الذي يدفع الطفل لتقويم أخطائه لكي يكون أهلاً لهذا الثناء..

وإنّ من كمال البرِّ تعجيله، فعلى الأب أن يثيبَ ولده إنْ أحسنَ على عجل، كما أنّ عليه إذا أخطأ ولدهَ أن يعاقبه – إن لم يعفُ – على رَويّة..

يقول الدكتور هشام الطالب: (تذكّروا أيها الآباءُ أنّ الدمَ الصحيّ الذي يحتاج إليه أبناؤكم هو التقديرُ والتشجيع. لا تحرموهم منه فقد يصابون بفقر الدم)!..

إنّ كلّ طفلٍ كُتب على جبينه هذه الكلمة: (افهموني)، ولكنْ ماذا نصنع وكثيرٌ من الآباء أُميّون في قراءةِ الأطفال؟!..

فيا أَسفي على غصنٍ أخضرَ كان للثمر، فقلنا له: كنْ للحطبْ!..

ويالهفتي على زهرةٍ جميلةٍ تبتسمُ للناس ولا يلحظُها أحد!..

أيتُها الزهرةُ النضيرة: ما أنتِ في أمّتي بأوّل زهرةٍ تضيع[2]!..

شروط ضرب الطفل في السنة وعند السلف:

* ابتداء الضرب من سن العاشرة

قال ﷺ : **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»**[3].

وقد تمتد الفترة إلى ١٣ سنة

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«مروهم بالصلاة لسبع سنين،**

---

(١) رواه البخاري وغيره. وسيبسط هذا المنهج النبوي في التحفيز في كتاب محمد والحياة إن شاء الله.

(٢) من ديوان عطر السماء.

(٣) رواه أبو داود.

واضربوهم عليها لثلاث عشرة»[1].

* أقصى الضرب للتأديب ثلاثة وللقصاص عشرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: **«لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود»**[2].

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب إلى الأمصار: لايقرن المعلم فوق ثلاث، فإنها مخافة للغلام

وعن الضحاك قال: ما ضرب المعلم غلاما فوق ثلاث فهو قصاص

كما غط جبريل عليه السلام محمداً ﷺ ثلاثاً.

*** مواصفات أداة الضرب:**

١ - أن يكون معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا.

٢ - أن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطباً يشق الجلد لثقله، ولاشديد اليبوسة، فلا يؤلم لخفته.

٣ - ولا يتعين لذلك نوع بل يجوز بسوط زبعود وخشبة وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد.

عن زيد بن أسلم: أن رجلا اعترف بنفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ بسوط فأتي بسوط مكسور فقال: **«فوق ذلك»** فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: **«بين هذين»** فأتي بسوط قد لان وركب به فأمر به فجلد[3].

* طريقة الضرب

قال الشيخ الفقيه شمس الدين الأنباني كيفية ضرب الصبي:

١ - أن يكون مفرقا لا مجموعا في محل واحد.

(١) رواه الدارقطني (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه مالك في الموطأ.

٢ - أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول.

٣ - ألا يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه.

وقد كان عمر يقول للضارب: لا ترفع إبطك. أي لاتضرب بكل قوة يدك.

* مكان الضرب.

أن لا يضرب الوجه أو الفرج - والرأس عند الحنفية.

عن على رضي الله عنه أنه أتي برجل سكران أو في حد فقال: اضرب وأعط كل عضو حقه واتق الوجه والمذاكير.

عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه»** (١).

وعند بعض السلف فإن أفضل مكان للضرب والتأثير اليدين والرجلين

* لا ضرب مع الغضب.

«لا يقضين بين اثنين وهو غضبان» (٢).

* ويقف عن الضرب إذا ذكر الطفل الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ : **«إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم»** (٣).

وفي هذا تعظيم لله تعالى في نفس الطفل

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«مروهم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لثلاث عشرة»** (٤).

موقف الإسلام من العنف الأسري في المجال التربوي:

في واقعنا الأسري القائم في مجتمعاتنا وأعرافنا التقليدية تتحكم بعض الأساليب التي أصبحت واقعاً حياتياً معيشياً يحكم أسلوب التعامل بين الرجل والمرأة، أو بين الأبوين والأبناء، ويطبع العلاقة بينهما بطابعه.. فنلاحظ مثلاً تحكّم أسلوب العنف الذي تطبّع به

---

(١) رواه أبوداود.

(٢) رواه الجماعة عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه الدارقطني (١/ ٢٣١).

المجتمع العائلي فغداً يمثل عرفاً حتى غداً طبيعياً نحاول إعطاءه تبريراً منطقياً حين نمارسه بدعوى كونه نهجاً تربوياً يعمل على تطبيع المرأة وأسلوبها بما يتناسب مع تطلعاتنا للبيت الزوجي، أو تطبيع الأبناء بطابع حياتي معين لتحقيق حالة الاستقرار داخل إطار الأسرة من خلال الالتزام بمنهج تعاملي مطلوب، والتناهي عن ممارسة أساليب حياتية اجتماعية أو فردية مخصوصة.

فنلجأمثلاًمن أجل فرض واقع انضباط المرأةتجاه زوجهالتنضبط عملياً بشكل حاسم في تحقيق رغباته ومختلف حاجاته ومطالبه، إلى التعامل معها بأسلوب العنف المتمثل بالسب والشتم والإعراض والطرد والضرب وما إلى ذلك من وسائل الضغط التي يملكها الرجل.

كما نلجأ لمثل هذا الأسلوب في التعامل مع الأبناء في مثل هذه الحالات؛ بل أصبحنا نلحظ تحكّم هذا الأسلوب في واقع هذه العلاقة لدى بعض من يدّعي الالتزام بالإسلام كمنهج وخط، وهذا يعطي الموضوع بعداً سلبياً آخر.

وهنا نتساءل ما هو نصيب هذا الأسلوب من الواقعية والمنهجية؟

أو ما هو الأسلوب الذي يفرضه الواقع التربوي المطلوب اعتماده لتحقيق سلامة الحياة المنزلية، وضبط النهج الحياتي العائلي؟ بل ما هي طريقة الإسلام التربوية لتحقيق الهدف الحياتي الذي تفرضه المصلحة العائلية؟

لو حاولنا استكشاف المنهج الإسلامي هذا الواقع لرأينا أن الإسلام حين قوَّم الواقع العائلي وشرّع لـه، نظر إليه من جانبين:

١- إنسانية كل واحد من أفراد الأسرة دون استثناء.

٢- أخلاقية التعامل بين هؤلاء الأفراد، سواءً في إطار نظرة ربّ البيت لمن يعول، أو في إطار نظرة هؤلاء نحوه، وطريقة تعاملهم معه، فحاول أن يرسم خطوطاً للتعامل تراعي إنسانية الإنسان فيهم وأخلاقية العلاقة التي تقوم بينهم عاطفياً وسلوكياً، من جهة أخرى.

ولابد لتحقيق هذا التعايش بالمعروف من التزام منهج العمل باحترام إنسانية كل واحد من هؤلاء واعتماد أسلوب التراحم ورعاية المشاعر والأحاسيس، وبناء روح المحبة والتعاطف، وحمل ما تفرضه المسؤولية الخلقية والشرعية من التزامات مادية ومعنوية وروحية، مضافاً إلى الشعور بالمسؤولية التربوية تجاههم بتصحيح مسيرتهم في الحياة بمختلف جوانبها من خلال أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة. فمهمة القوامة ترتب على القيّم،

ومسؤولية التنظيم والتوجيه للحياة الأسرية للحفاظ على سلامة الأسرة، مما يلزمه في المقابل انضباط هؤلاء مع توجهاته، حين لا تتنافى مع واقع العدالة وسلامة الفكرة والقرار وحين لا يتم التجاوب مع القيّم، فله فرض حالة الانتظام بالأسلوب المنتج الفاعل.

منطق الحكمة أولاً:

لعلنا لو لاحظنا واقع الحياة العائلية لرأينا أنها بحاجة ماسة لهذا النوع من التعامل كي تنطلق بحيوية وقوة لتعطي نتاجها المتوخّى المتمثل ببناء البيت السليم، والإنسان السوي مادياً وروحياً وخلقياً. لذا من المفترض في القيِّم.. أن يركز القواعد والأسس من خلال دوره التوجيهي على النهج الفكري والسلوكي السليم الثابت ولتحقيق هذا الدور لابد من التحرك بمنطق اللين والحكمة واللطف في البداية، دون منطق العنف والقوة، الذي لا مجال لاعتماده، إلاّ حين ينحصر به العلاج، ويكون آخر الدواء.

في الإطار الزوجي:

في حالة العلاقة الزوجية التي تربط الفرد بمن تعاقد معه بعقد الزوجية لابد من النظر إلى الواقع من وجهة نظر شرعية من جهة، وإنسانية من جهة أخرى، ففي الجانب الإنساني لابد من النظر للموضوع من نقطة أنه يتعاقد مع إنسان مثله، يشترك معه في كونه جسداً وروحاً وعاطفةً ومشاعر وحاجات. وكجسد يحتاج لكل ما يتوقف عليه تكوينه ووجوده، ويتأثر بما يتأثر به من إيجابيات وسلبيات. كما أنه كروح ومشاعر بحاجة لكل غذاء روحي وعاطفي يساعد في النمو والتركيز والامتداد.

فلابد إذاً من استيعاب أن المرأة قبل أن تكون زوجة تمثل وجوداً إنسانياً، يتساوى في الملامح العامة مع أي وجود بشري آخر سواءً في إطار الفكر والذهنية، أم التطلعات والعواطف والحاجات والمتطلبات المادية الجسدية، والمعنوية والروحية وما إلى ذلك، رغم وجود بعض الخصائص والميزات التي تطبع كل واحدٍ من هذه الوجودات بطابع خاص يختلف من خلاله عن الموجودات الأخرى.

نظرة شرعية إسلامية:

وفي الجانب الشرعي التكليفي، لا يفرض التشريع الإسلامي في الإطار العام على المرأة تجاه الرجل سوى ضرورة التجاوب معه في مجال الخصوصيات الزوجية المحددة، وحفظ أمانة الواقع المادي الحياتي، والتزام الضوابط في مجال مغادرة المنزل الزوجي، أما في ما عدا ذلك.. من أمثال الخدمات التي جرت طريقة العرف على أدائها لها، والالتزام بكل الأوامر الصادرة عن الزوج مهما كانت فهو مما لا يفرضه عليها التشريع، بل يترك أمره لمشيئتها بالذات،

ولإرادتها الحرة دون أن يسمح بفرض ذلك قسراً عليها لتمثل دور الخادمة المستأجرة، وما ذلك إلاّ لأن الإسلام أراد للحياة الزوجية أن تتحول إلى حياة حب وتضحية وحين يشعر الزوج بأهمية تلك التضحيات فإنه يبادلها بالشكر واللطف والمحبة.

وانطلاقاً من هذا، فإن بعض الممارسات القائمة لدى بعض الناس في مجتمعاتنا يتنافى كثيراً مع الأسلوب الإنساني والشرعي الذي يفترض بنا التزامه.. فلا مجال عندها للتعامل مع الزوجة بأسلوب العنف الذي يمارس بطريقة الشتم والتحدي وصولاً إلى أسلوب الضرب، الذي يتحركون به كواقع طبيعي عادي لا مجال لتوجيه اللوم عليه وإنكاره.

ومن الطبيعي أن هذا الأسلوب يمثل ظلماً يرفضه الإسلام مهما كانت صورته.

في إطار الأبناء:

حمّلنا الإسلام مسؤولية مهمة في هذا المجال هي رعاية واقع أطفالنا لإخراجهم للحياة عناصر سليمة صالحة، تخدم الحياة وتبنيها بناءً ثابتاً متيناً لا يتزلزل أمام أي عاصفة وطارئ. وهذا يدعونا للتفكير بجدية في طريقة التعامل معهم منذ بداية تحركهم في هذه الحياة فنتعهدهم بالرعاية الكافية لتحويلهم إلى عناصر تبني الحياة، وتتقدم بها نحو الأفضل بالأسلوب الذي أراده الله سبحانه. فنحن إذاً نتحمّل مسؤولية صياغة شخصيتهم مستقبلياً، ليتحولوا إلى قوة فاعلة في مجال الإعمار.

لابد من اعتماد منهج تربوي مركز لتحقيق هذا الهدف.

ولا مجال لالتزام منهج إعطاء الأوامر والتعليمات المَلَكية لتوجيههم. فذلك وحده لا يعطي أثره الطبيعي المطلوب، ولا سيما حين يصل الطفل إلى مرحلة من الوعي والتفتح الذهني، لأن الأب ليس هو العامل الوحيد الذي يؤثر في الطفل، ويصوغ شخصيته ونفسيته ومسلكه، بل هناك عوامل أخرى متعددة، من غرائزه وشهواته ومتطلباته التي تتحكم بواقعه وإرادته وتكوين أهدافه، وكذلك الكلمات والأفكار التي يأخذها عن والديه وعن الناس، وكذلك الزملاء الذين يختلفون في تربيتهم وفكرهم ومزاجهم وما اكتسبوه من عادات وتقاليد وأعراف، ومن المدرسة والشارع والمجتمع، إلى غير ذلك مما يعمل في طبع عقلية الطفل وعاداته..

لذلك لابد للوالدين من اعتماد منهج متوازن يبدأ من إعطائه المثل الصالح، بتركيزه من

خلال النهج الذي يعتمده الولي في الحياة. فلا يمارس بعض الأساليب التي ينهاه عنها حين ينهاه عن الكذب، ويكذب معه، ويمنعه عن الألفاظ الفاحشة البذيئة ويطلقها أمامه، وعن الخيانة ويخون، وعن الظلم ويظلم، وأمثال ذلك مما يرتد سلباً على الطفل، فيتحول إلى منافق كبير. ولابد له أيضاً من التدخل لاختيار الرفقة ليكونوا ممن عاش تربية أخلاقية سليمة، واختيار المدرسة، بل والكلام الذي يلقيه عليه، وما إلى ذلك مما له تأثير كبير في تكوين منهجه وعقليته وتفكيره وأسلوبه. ومن هنا نهى النبي ﷺ إحدى النساء عن وعد طفلها بشيء لا تعطيه إياه، لأنها تكون كاذبة وتعلمه الكذب في الوقت ذاته.

سلبيات العنف:

بهذا يمكن الوصول بالطفل إلى تربية هادفة، ولا يصح اعتماد أسلوب الضرب والشتم والعنف كأسلوب من أساليب منع الطفل عن عادات معينة، أو أسلوب يتنافى مع المنهج الذي يراد اعتماده..

فإن للضرب والعنف سلبيات كثيرة في كثير من الحالات:

فهو من جهة يطبعه بطابع العنف كأسلوب من أساليب الحلول للمشاكل التي قد يواجهها في حياته، وهذا يقوده لمواجهة الكثير من التحديات حين يتجه لعلاج أي موضوع أو قضية يفرض واقعه وحاجته علاجها. وذلك ينعكس سلباً على مختلف حالاته، وربما تكون عاملاً من عوامل الفشل في مستقبله.

وهو من جهة أخرى يبني نفسيته على الضغينة والحقد الذي يحمله تجاه من يعايشه من أهله، ولا سيّما حين لا يستوعب دوافع القسوة تجاهه، أو حين يجد أن الآخرين لا يفهمون حالته ولا يستوعبون واقعه.

ومن جهة ثالثة يخلق في داخله عامل الخوف والرهبة من الآخرين، فينطلق في اتخاذ قراراته الحياتية بفعل هذا العامل الذي ربما يقوده إلى الانحراف في تبني القرارات في مستقبله.

كما ربما يقوده هذا الأسلوب لممارسة دور التحدي والتمرد برفض ما يطرحه الآخرون مهما كان موضوعياً وسليماً حين يفسح له المجال للاختيار، تنفيساً عن الضغط النفسي الذي خلّفه العنف في داخله حين واجهه وعاش حالته، فيتحرك من باب الشعور بضرورة استرداد الكرامة التي امتهنت.. ولو كانت من خلال علاقته بأبويه، وأقرب الناس إليه.

من هنا لا مجال لاعتماد أسلوب العنف مع أبنائنا مهما كانت الدوافع، ففي الكثير من الحالات لا يعطي النتائج المتوخاة، بل ربما ينعكس سلباً على كل واقع حياته أو حياة الآخرين ممن يعايشه. فالعنف قد يخلق عقدة حادة في حياته تجعل كل الواقع لديه معقداً

صعباً. ومن الطبيعي أن المطلوب في مجال التربية هو تحقيق النتائج من خلال الدخول إلى نفس الطفل وترويضها خلقياً، لا بطريقة العنف. وهذا ما اعتمدته الرسالة في منهجها.

بناء عامل الثقة:

فمن أجل بناء روحية أبنائنا وتركيز واقعهم لابد من العمل على خلق حالة الشعور بالثقة بالنفس لدى الولد، بإشعاره بالكرامة والعزة والاحترام. فلا نحاول تعنيفه وتأنيبه أمام الآخرين حتى إخوته، حين يمارس أي دور خاطئ، مع أن المفروض فيه كطفل أن يقع في ممارسة بعض الأخطاء، لأن واقعه النفسي والفكري وضيق أفقه يفرض وقوعه في مثل ذلك. ولابد من إشعاره بأخطائه بهدوء، وحين لا يستجيب لمثل هذا التصحيح يمكن التشدد في معاملته حسب ما تفرضه الضرورة، شرط إشعاره بدوافع العنف الذي مورس معه، والإيحاء له بالضرر الذي يترتب على سلوكه الذي عوقب عليه.

ولابد من الإشارة إلى ضرورة التعامل بصدق مع أبنائنا، فلا نمارس معهم أسلوب الغش والخداع والكذب، لأن ذلك مرفوض تشريعياً من جانبين: أحدهما: حرمته في نفسه، وثانيهما: تأديته إلى تربية الطفل على هذه الوسائل المنحرفة التي سيتلقنها ويتطبع بها، ولا سيما حين تصدر من أبيه الذي يعتبر مثله الأعلى. كما لا يصح تهديده بما لا ننفذه من وسائل العقاب، فإن ذلك سيفقد تأثيره عليه مستقبلاً، ويجب أيضاً أن نمتنع عن ممارسة دور الهزء والسخرية به كي لا نخلق فيه الشخصية المهتزة الضعيفة المشوّهة...

الخلاصة:

المسؤولية التي تفرضها الولاية والقيمومة ترتب على الولي القيّم أن يشعر بضرورة التعامل مع من يتولى رعايته ويقوم على أموره بأسلوب الحكمة والعدالة، فلا يتجاوز الحدود التي ترسمها الإنسانية، ويخطها التشريع الرسالي الذي يطبع أطر الحياة الصغيرة والكبيرة بطابع الحق والعدل والأخلاقية المتميزة، لتتحول الحياة في كل هذه الأطر إلى واقع يمثل الحنو والحب والرفق واللطف، فنعيش أجواء الرحمة ضمن واقع العدالة. هذا هو النهج الذي أراد الله سبحانه لنا أن نرسمه لواقعنا الداخلي وعلاقتنا مع الأزواج والأبناء.. فالله سبحانه رحيم يحب الرحماء.

التحذير من التقصير في تربية الأولاد:

كما أن للوالدين حقاً على الأولاد – فكذلك للأولاد حق على الوالدين، وكما أن الله

- عز وجل - أمرنا ببر الوالدين - كذلك أمرنا بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم - أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم - غش وخيانة.

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة - آمرة بالإحسان إلى الأولاد وأداء الأمانة إليهم، محذرة من إهمالهم والتقصير في حقوقهم.

قال - سبحانه وتعالى:**{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}**[1].

وقال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**[2].

وقال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**[3].

وقال النبي ﷺ : **«كلكم راع ومسؤول عن رعيته؟ فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته»**.

وقال: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»**.

من مظاهر التقصير والخطأ في تربية الأولاد:

بالرغم من عظم مسؤولية تربية الأولاد إلا أن كثيرا من الناس قد فرط بها، واستهان بأمرها، ولم يرعها حق رعايتها، فأضاعوا أولادهم، وأهملوا تربيتهم، فلا يسألون عنهم، ولا يوجهونهم.

وإذا رأوا منهم تمردا أو انحرافا بدأوا يتذمرون ويشكون من ذلك، وما علموا أنهم هم السبب الأول في ذلك التمرد والانحراف.. كما قيل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال ::: له إيَاك إياك أن تبتل بالماء

والتقصير في تربية الأولاد يأخذ صورا شتى، ومظاهر عديدة تتسبب في انحراف الأولاد

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) التحريم: ٦.

وتمردهم، فمن ذلك ما يلي:

تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والهلع والفزع:

❖ فمما يلاحظ على أسلوبنا في التربية - تخويف الأولاد حين يبكون ليسكتوا؛ فنخوفهم بالغول، والبعبع، والحرامي، والعفريت، وصوت الريح، وغير ذلك.

❖ وأسوأ ما في هذا - أن نخوفهم بالأستاذ، أو المدرسة، أو الطبيب؛ فينشأ الولد جبانا رعديدا يفرق من ظله، ويخاف مما لا يخاف منه.

❖ وأشد ما يغرس الخوف والجبن في نفس الطفل - أن نجزع إذا وقع على الأرض، وسال الدم من وجهه، أو يده، أو ركبته، فبدلاً من أن تبتسم الأم، وتهدئ من روع ولدها وتشعره بأن الأمر يسير - تجدها تهلع وتفزع، وتلطم وجهها، وتضرب صدرها، وتطلب النجدة من أهل البيت، وتهول المصيبة، فيزداد الولد بكاءً، ويتعود الخوف من رؤية الدم، أو الشعور بالألم.

تربيتهم على التهور، وسلاطة اللسان والتطاول على الآخرين، وتسمية ذلك شجاعة:

❖ وهذا خلل في التربية، وهو نقيض الأول، والحق إنما هو في التوسط.

❖ تربيتهم على الميوعة، والفوضى، وتعويدهم على الترف والنعيم والبذخ: فينشأ الولد مترفاً منعماً، همه خاصة نفسه فحسب، فلا يهتم بالآخرين، ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم، ولا يشاطرهم أتراحهم؛ فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة، ويقضي على المروءة والشجاعة.

بسط اليد للأولاد، وإعطاؤهم كل ما يريدون:

❖ فبعض الوالدين يعطي أولاده كل ما سألوه، ولا يمنعهم شيئاً أرادوه، فتجد يده مبسوطة لهم بالعطاء، وهم يعبثون بالأموال، ويصرفونها في اللهو والباطل، مما يجعلهم لا يأبهون بقيمة المال، ولا يحسنون تصريفه.

إعطاؤهم ما يريدون إذا بكوا بحضرة الوالد، خصوصا الصغار:

❖ فيحصل كثيرا أن يطلب الصغار من آبائهم أو أمهاتهم طلبا ما، فإذا رفض الوالدان ذلك لجأ الصغار إلى البكاء؛ حتى يحصل لهم مطلوبهم، عندها ينصاع الوالدان للأمر، وينفذان الطلب، إما شفقة على الولد، أو رغبة في إسكاته والتخلص منه، أو غير ذلك؛ فهذا من الخلل بمكان، فهو يسبب الميوعة والضعف للأولاد.

❖ يقول الدكتور محمد الصباغ: "سمعت من مالك بن نبي - رحمه الله - أن رجلاً جاء يسترشده لتربية ابن لـه أو بنت ولد حديثاً، فسأله: كـم عمرهـا؟ قـال: شـهر، قـال: فاتـك القطار، قال: وكنت أظن بادئ الأمر أني مبالغ، ثم إني عنـدما نظـرت وجـدت أن مـا قلتـه الحق، وذلك أن الولد يبكي، فتعطيه أمه الثدي، فينطبع في نفسه أن الصراخ هـو الوسـيلة إلى الوصول إلى ما يريد، ويكبر على هذا،

شراء السيارات لهم وهم صغار:

❖ فبعض الوالدين يشتري لأولاده السيارة وهم صـغار، إمـا لأن الابـن ألح عليـه في ذلك، أو لأن الأب يريد التخلص من كثرة طلبات المنزل، ويريد إلقاءهـا علـى ولـده، أو أن الابن ألح على الأم، والأم ألحت على الأب، أو لغير ذلك من الاعتبارات.

❖ فإذا تمكن الولد من السيارة فإنه - في الغالـب - يبـدأ في سـلوك طريـق الانحـراف، فتراه يسهر بالليل، وتراه يكثر الخروج من المنزل، وتراه يرتبط بصحبة سيئة، وربمـا آذى عبـاد الله بكثرة التفحيط، وربما بدأ في الغياب عن المدرسة، وهكذا يتمـرد علـى والديـه، فيصـعب قياده، ويعز إرشاده.

الشدة والقسوة عليهم أكثر من اللازم:

❖ إما بضربهم ضـربا مبرحـا إذا أخطـؤوا - ولـو للمـرة الأولى - أو بكثـرة تقـريعهم وتأنيبهم عند كل صغيرة وكبيرة، أو غير ذلك من ألوان الشدة والقسوة.

❖ فبعض الآباء يقتر علـى أولاده أكثـر مـن الـلازم، ممـا يجعلـهم يشـعرون بـالنقص، ويحسون بالحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بطريقة أو بأخرى، إمـا بالسـرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء وأهل الإجرام.

حرمانهم من العطف والشفقة والحنان:

❖ ما يجعلهم يبحثون عن ذلك خارج المنزل؛ لعلهم يجدون من يشعرهم بذلك.

الاهتمام بالمظاهر فحسب:

❖ فكثير من الناس يرى أن حسن التربية يقتصر على الطعام الطيب، والشراب الهنيء، والكسوة الفخمة، والدراسة المتفوقة، والظهور أمام الناس بالمظهر الحسن، ولا يدخل عندهم تنشئة الولد على التدين الصادق، والخلق الكريم.

المبالغة في إحسان الظن بالأولاد:

❖ فبعض الآباء يبالغ في إحسـان الظـن بـأولاده، فتجـده لا يسـأل عـنهم، ولا يتفقـد

أحوالهم، ولا يعرف شيئاً عن أصحابهم؛ وذلك لفرط ثقته بهم، فتراه لا يقبل عدلا ولا صرفا في أولاده، فإذا وقع أولاده أو أحد منهم في بلية، أو انحرف عن الجادة السوية، ثم نبه الأب عن ذلك – بدأ يدافع عنهم، ويلتمس المعاذير لهم، ويتهم من نبهه أو نصحه بالتهويل، والتعجل، والتدخل فيما لا يعنيه.

المبالغة في إساءة الظن بهم:

❖ وهذا نقيض السابق، فهناك من يسيء الظن بأولاده، ويبالغ في ذلك مبالغة تخرجه عن طوره، فتجده يتهم نياتهم، ولا يثق بهم البتة، ويشعرهم بأنه خلفهم في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواتهم وزلاتهم.

التفريق بينهم:

فتجد من الناس من يفرق بين أولاده، ولا يعدل بينهم بالسوية، سواء كان ذلك ماديا أو معنويا.

فهناك من يفرق بين أولاده في العطايا والهدايا والهبات، وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح، وغير ذلك، مما يوغر صدور بعضهم على بعض، ويتسبب في شيوع البغضاء بينهم، ويبعث على نفورهم وتنافرهم.

ومن مظاهر التفريق بين الأولاد – ما تجده عند بعض الآباء، حيث يخص أحد أبنائه الكبار بمبلغ من المال، ويشتري له قطعة أرض، وربما بناها له دون حاجة إلى ذلك، فإذا قيل له: وما نصيب الصغار والبنات؟ قال: الصغار نعطيهم إذا كبروا، والبنات يتزوجن ويكفيهن الأزواج المؤونة.

بل ربما أعطى بعض الأولاد، ومنع بعضهم الآخر، أو زوج بعضهم دون الآخر مع أن السن متقاربة، والحاجة واحدة، ولكنه يفرق بينهم لهوى في نفسه، أو لأن هذا من تلك الزوجة الأثيرة عنده، وذاك من الزوجة التي ليس لها ود في قلبه.

ولا شك أن هذا التصرف باطل ينافي العدل بين الأولاد، فمن الذي يضمن لهذا الرجل أن يعيش حتى يكبر أبناؤه الصغار؟ ومن الذي يضمن له أنهم سيعيشون حتى يكبروا؟ ومن الذي يضمن له أنه سيستمر على غناه ويساره حتى يكبروا؟

ثم إن البنات لهن حق ولو تزوجن، فالذي يليق بالوالد إذا أعطى أحدا من أولاده شيئاً أن يعطي الآخرين مثله أو أن يدخره لهم، أو أن يكتب على هذا المعطى أنه أخذ كذا وكذا، فإما أن يكون دينا عليه، أو يحسم من حقه من الميراث بعد وفاة الوالد، وهكذا؛ فذلك لا

ينافي العدل. كما لا ينافي العدل - أيضا - أن يعطي بعض الأولاد ما يحتاجه من علاج، أو نفقة دراسية، أو أن يشتري له سيارة إذا كان محتاجا لها، وهكذا يعطي كل من احتاج إلى شيء من النفقة أو نحوها.

ولا يلزمه إذا أعطى أحدا من أولاده على نحو ما مضى أن يعطي الآخرين في الوقت نفسه.

أما العطية والهبة التي تكون لغير حاجة؛ حيث يخص بها بعضهم دون بعض - فذلك مما ينافي العدل.

التسخط بالبنات:

❖ وهذا - قبل أن يكون خللاً في التربية - هو خلل في العقيدة، فبعض الناس إذا رزقه الله بنتاً تسخط بها، وضاق ذرعاً بمقدمها، ولا شك أن هذا الصنيع من أعمال الجاهلية وأخلاق أهلها، الذين ذمهم الله - عز وجل - في قوله:**{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}**(1).

❖ وما أشبه الليلة بالبارحة، فلو زرت أحد مستشفيات الولادة في بلاد المسلمين، وقلبت طرفك في وجوه الذين ولد لهم بنات، وراقبت كلامهم، وسبرت أحوالهم عند إخبارهم بذلك - لوجدت توافقا عجيبا، وتطابقا غريبا بين حال كثير من هؤلاء، وحال الجاهليين الذي قص الله علينا أمرهم.

❖ وفي بعض المستشفيات قد يكتشفون ما برحم المرأة قبل الولادة عبر الأشعة الصوتية، فإذا كان ما في الرحم ذكرا بشروا، وإن كان أنثى أقصروا، بل ربما عزوا - عياذا بالله.

فتسخط البنات أمر خطير وفيه عدة محاذير، منها:

أ- أنه اعتراض على قدر الله - عز وجل.

ب- أن فيه ردا لهبة الله بدلا من شكرها، وكفى بذلك تعرضا لمقت الله.

ج - أنه تشبه بأخلاق أهل الجاهلية.

د - أنه دليل على السفه والجهل والخلل في العقل.

---

(1) النحل: 58، 59.

هـ - أنه تحميل للمرأة ما لا تطيق؛ فبعضهم يغضب على المرأة بمجرد إتيانها بالأنثى، وما علم أنه هو السبب لو كان يعقل؛ إذ يعامل المرأة معاملة من لو كانت ولادة الذكور باختيارها؛ فلماذا لا يحنق على نفسه؛ إذ يلقح امرأته بأنثى.

و - أن فيه إهانة للمرأة وحطاً من قدرها.

- ومن صور التقصير في تربية الأولاد تسميتهم بأسماء سيئة:

❖ فهذا خلل في التربية وجناية على الأولاد، قال الشيخ بكر أبو زيد: "إني تأملت عامة الذنوب والمعاصي، فوجدت الذنوب والمعاصي إذا تاب العبد منها - تجذمها التوبة، وتقطع سيئ أثرها لتوها؛ فكما أن الإسلام يجب ما قبله وأكبره الشرك - فإن التوبة تجب ما قبلها متى اكتملت شروطها المعتبرة شرعا، وهي معلومة أو بحكم المعلومة.

❖ لكن هناك معصية تتسلسل في الأصلاب، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد، ويتندر بها الرجال على الرجال، والولدان على الولدان، والنسوة على النسوان، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار؛ لأنها مسجلة في وثائق المعاش من حين استهلال المولود صارخاً في هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته، في شهادة الميلاد، وحفيظة النفوس، وبطاقة الأحوال، والشهادات الدراسية، ورخصة القيادة، والوثائق الشرعية...

❖ إنها "تسمية المولود، التي تعثر فيها "الأب" فلم يهتد لاسم يقره الشرع المطهر، ويستوعبه لسان العرب، وتستلهمه الفطرة السليمة.

❖ وهذه واحدة من إفرازات التموجات الفكرية التي ذهبت ببعض الآباء كل مذهب، كل بقدر ما أثر به من ثقافة وافدة، وكان من أسوئها ما نفث به بعض المستغربين منها من عشق كلف، وظمأ شديد لأسماء الكافرين، والتقاط كل اسم رخو فتخاذل وعزوف سادر عن "زينة المواليد" الأسماء الشرعية".

فمن الأخطاء التي تقع في تسمية المولود ما يلي:

❖ تسميتهم بالأسماء المنوعة المحرمة: كتسميتهم بأسماء الله المختصة به؛ مثل الأحد، الرحمن، الله، الخالق، ومن ذلك الأسماء المعبدة لغير الله - تعالى - مثل عبد النبي، عبد الحسين، عبد علي، وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية الخاصة بأعدائنا من اليهود والنصارى وغيرهم؛ مثل: جورج، وديفيد، ومايكل، وجوزيف، وديانا، وجاكلين، لأن هذا يجر - ولو على المدى البعيد - إلى موالاتهم.

❖ تسميتهم بالأسماء التي ينبغي تجنبها والتي قد تكون محرمة: كتسميتهم بأسماء الجبابرة والطواغيت؛ أمثال: فرعون، وهامان، وقارون، ومن كان في قافلتهم وعلى شاكلتهم مثل ماركس، ولينين، وستالين، وفرويد؛ لأن التسمي بهم ينم عن الرضا بأفعالهم، والمحبة لمناهجهم.

ج - تسميتهم بالأسماء التي يظن أنها من أسماء الله - تعالى: فهذه من الأسماء المكروهة شرعا كالتسمية ب: عبد المقصود، وعبد الستار، وعبد الموجود.

د - تسميتهم بالأسماء المكروهة أدبا وذوقا: وهي التي تحمل في ألفاظها تشاؤما، أو معاني تكرهها النفوس، كحرب، وحما ر، وكلب، ومرة.

هـ - تسمية الأولاد بالأسماء التي تسبب الضحك وتثير السخرية: مثل: شحات، وفلفل، وخيشة، وجحش، وبغل، وفجل.

و - التسمية بالأسماء التي توحي بالتميع والغرام وخدش الحياء: مثل: هيام، ومعناه: الجنون في العشق، وكذلك وصال، وفاتن، وفتنة، وشادية.

ز - التسمية بأسماء الملائكة: خاصة للنساء؛ إذ يخشى أن يكون تشبهاً بالمشركين.

ح - تسميتهم بالأسماء التي تتضمن تزكية دينية، مثل: برة.

- مكث الوالد طويلاً خارج المنـــزل:

أ- فبعض الآباء يهمل منزله، ويمكث طويلاً خارجه، مما يعرض الأولاد للفتن، والمصائب، والضياع والانحراف، ومن مظاهر ذلك ما يلي:

ب- الاشتغال عن الأولاد بالبيع والشراء والتجارة، ولو عوتب الأب على ذلك لقال: إنما أعمل لأجلهم.

ج- السفر الطويل خارج البلد للعمل أو النزهة.

د - العكوف الساعات الطوال مع الأصحاب في الاستراحات والمتنزهات.

هـ - إهمال البيت الأول إذا بنى الأب بزوجة جديدة، وسكن معها بمسكن جديد؛ فكم من الناس من يهمل بيته الأول إذا بنى بزوجة جديدة، فيضيع الأولاد، ويتشردون، بسبب انشغال والدهم، وبعده عنهم.

و - كثرة خروج الأم من المنزل إما للأسواق أو للزيارات.

ز- هذه بعض مظاهر المكث خارج المنزل، فكم في هذا الصنيع من إهمال للأولاد،

وكم فيه من تعريض لهم للفتنة، وكم فيه من حرمان لهم من الشفقة والرعاية والعناية، وما أحسن ما قيل:

ليس اليتيم من انتهى أبواه ::: من هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ::: أماً تخلت أو أباً مشغولا

- الدعاء على الأولاد:

❖ فكم من الوالدين - وخصوصا الأمهات - من يدعو على أولاده، فتجد الأم - لأدنى سبب - تدعو على ولدها البريء بالحمى، أو أن يقتل بالرصاص، أو أن تدهسه سيارة، أو أن يصاب بالعمى أو الصمم، وتجد من الآباء من يدعو على أبنائه بمجرد أن يرى منهم عقوقا أو تمردا ربما كان هو السبب فيه.

❖ وما علم الوالدان أن هذا الدعاء ربما وافق ساعة إجابة، فتقع الدعوة موقعها، فيندمان ولات ساعة مندم.

❖ ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام -: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة تسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»** [(1)].

❖ - التربية على سفاسف الأمور، وسيئ العبارات، ومرذول الأخلاق:

❖ كتشجيع الأندية، وتقليد الكفار، وتعويد البنات على لبس القصير من الثياب، ومن ذلك تعويدهم على إطلاق العبارات النابية، والكلمات المقذعة، وذلك من خلال كثرة ترديد الوالدين لتلك العبارات، أو من خلال نبز الأولاد بالألقاب عند ندائاتهم، مما يجعل الأولاد يألفون هذه العبارات، ولا يراعون آداب الكلام.

فعل المنكرات أمام الأولاد، أو إقرارهم عليها:

❖ كشرب الدخان، أو حلق اللحية، أو سماع الأغاني، أو مشاهدة الأفلام الساقطة، أو متابعة المسلسلات التليفزيونية، وكتبرج المرأة أمام بناتها، وكثرة خروجها من المنزل لغير حاجة، إلى غير ذلك، فهذا كله يجعل من الوالدين قدوة سيئة للأولاد.

❖ وكذلك قد يرى الوالد على أولاده بعض المنكرات، فلا تراه يحرك ساكناً تجاههم؛

---

(1) رواه البخاري.

مما يجعلهم يستمرؤون المنكر.

جلب المنكرات للمنـــزل:

❖ سواء كانت من المجلات الخليعة، أو من أجهزة الفساد المدمرة، أو الكتب التي تتحدث عن الجنس صراحة، أو غيرها من المنكرات.

❖ فخذه وسائل تخريب، ومعاول هدم، وأدوات فساد وانحلال، ومدارس لهدم العقيدة وتمييع الأخلاق، والتدريب العملي على ارتكاب الفواحش؛ فهذه الوسائل لها قدرة كبيرة على الإقناع، ولها تأثير بالغ في تنحية دور الأسرة في التربية.

❖ كثرة المشكلات بين الوالدين:

❖ فهذا العمل له دوره السيئ على الأولاد، فما موقف الولد الذي يرى والده وهو يضرب والدته ويغلظ عليها بالقول؟ وما موقفه إذا رأى أمه تسيء معاملة والده؟

❖ لا شك أن نوازع الشر ستتحرك في نفسه، ومراجل الحقد ستغلي في جوفه، فتزول الرحمة من قلبه، وينزع إلى الشرة والعدوانية.

التناقض:

❖ كأن يأمر الوالد أولاده بالصدق وهو يكذب، ويأمرهم بالوفاء بالوعد وهو يخلف، ويأمرهم بالبر والصلة وهو عاق قاطع، أو ينهاهم عن شرب الدخان وهو يشرب، وهكذا... وليس معنى ذلك أن يترك الوالد نصح أولاده إذا كان مقصراً أو مفرطاً في بعض الأمور، بل ينبغي أن ينصح لهم، ولو لم يكن عاملا بما يقول، وإنما المقصود بيان أن التناقض بين القول والفعل - يفقد النصائح أثرها.

❖ العهد للخادمات والمربيات بتربية الأولاد:

❖ فهذا الأمر جد خطير، خصوصا إذا كانت الخادمة أو المربية كافرة؛ فذلك مدعاة لانحراف الأولاد، وفساد عقائدهم وأخلاقهم.

ترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم:

❖ ولا شك أن هذا تفريط عظيم وإخلال بالأمانة، فمن الناس من يذهب ببناته إلى السوق الذي يبيع فيه الرجال، فيمكثن فيه الساعات الطوال، يتجولن بين الباعة بدون محرم؛ مما يعرضهن للفتنة، ويجعلهن يفتن غيرهن.

❖ ولو قيل لبعض هؤلاء: لِم لا تنزل معهم إلى السوق؟ لقال: أستحي أن يراني أحد معهن! سبحان الله، أتستحي من الناس ولا تستحي من الله؟! أما تخاف العقوبة؟! أما تخشى

الفتنة؟! لو كان عندك غنم ما تركتها بلا راع يرعاها، أعرضك أرخص عندك مـن غنمـك؟! أما تخشى عليه من الذئاب الضارية؟!

❖ ومن رعى غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

❖ وقد يقال لهذا: إذا كنت تستحي من النزول مع محارمك فاذهب بهـن إلى الأسـواق الخاصة بالنساء، أو اذهب بهن إلى بلدة قريبة من بلدتك، وانزل معهن؛ حيث لا يعرفك أحد هناك.

إهمال الهاتف وترك مراقبته في المنـــزل:

❖ فبعض الآباء – هداه الله – لا يلقي للهاتف بالاً، ولا يراقبه البتة، بـل ربمـا أعطـى كل واحد من أبنائه وبناته هاتفـا خاصـا في غرفتـه، أو يعطـيهم هاتفـا جـوالا ولـو كـانوا لا يدركون مخاطره، ولا يستفيدون منه على الوجـه الصـحيح. ومـا علـم أن الهـاتف إذا أسـيء استخدامه أصبح معول هدم وخراب؛ فكم جر من بلايا ورزايا، وكم قاد إلى الشرور والمحن، وكم انتهك بسببه من عرض، وكم خرب لأجله من بيت.

الغفلة عما يقرؤه الأولاد:

❖ فالقراءة – ولا شك – تصوغ الفكر، وتؤثر في القارئ سلبا أو إيجابا.

❖ وبعض الآباء لا يلقى لها بالاً، فلا يسأل عن قراءة أولاده، ولا يوجههم إلى القراءة النافعة، ولا يحذرهم من القراءة الضارة.

– احتقار الأولاد وقلة تشجيعهم:

❖ ومن مظاهر ذلك:

❖ إسكاتهم إذا تكلموا، والسخرية بهم وبحديثهم؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسـه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

❖ التشنيع عليهم إذا أخطؤوا ولمزهم إذا أخفقوا في موقف، أو تعثروا في مناسـبة، ممـا يولد لديهم الخجل والهزيمة، ويشعر الوالد بالعجب والكبرياء، فيتكون بذلك الحاجز النفسي بين الطرفين؛ فلا يمكن بعده للوالد أن يؤثر في أولاده.

❖ ج – ازدراؤهم إذا استقاموا: وهذا أشد الاحتقار وأعظم صوره، فتجد مـن الآبـاء من يحتقر أولاده إذا رأى منهم تقى وصلاحا واستقامة وهداية، مما يجعلـهم يضـلون، وعلـى أعقابهم ينكصون، فيصبحون بعد ذلك عالة عليه، وسببا لجر البلايا إليه.

قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسؤولية:

❖ فبعض الآباء لا يربي أولاده على تحمل المسؤولية؛ إما لإراحتهم، أو لعدم ثقته بهم، أو لعدم مبالاته في تربيتهم، فتجد من الآباء – على سبيل المثال – من لديه محلات تجارية كثيرة، وتجده يستقدم العمال من خارج بلاده، وربما كانوا من الكفار، وربما استعان بمن يعمل عنده من أهل بلده، وأولاده في المنزل لا عمل لهم، بل ربما عملوا عند غيره. وقد يكون الأبناء مقصرين أو عاقين، ولكن ما دور الأب تجاههم؟

❖ أما إذا كان الأولاد يشتغلون بطلب العلم، أو الدعوة إلى الله، أو نحو ذلك من معالي الأمور، وأراد الوالد أن يفرغهم لما توجهوا إليه من تلك الأعمال العظيمة – فلا بأس بذلك، بل إن الوالد يحمد على صنيعه هذا.

❖ وإنما اللوم يقع لمن تركهم عالة على غيرهم، وهو قادر على استصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم.

عدم إعطائهم فرصة للتصحيح والتغيير للأفضل:

❖ فبمجرد أدنى خطأ أو زلة – تجد بعض الآباء يزري بولده، ولا يكاد ينسى هذا الخطأ له، فإذا سرق الولد ناداه باسم السارق، وإذا كذب ناداه باسم الكذاب، وكأن هذه الأخطاء ضربة لازب لا تزول، أو وصمة عار لا تنمحي، ومن هنا ينشأ الولد وفي نفسه أنه سارق أو كذاب، فلا يحاول التخلص من عيبه، ولا يجد من يعينه على ذلك.

سوء الفهم لنفسية الأولاد وطبائعهم:

❖ فكثير من الآباء لا يفهم نفسية أولاده، ولا يعرف طبائعهم وأمزجتهم؛ فالأولاد تختلف أمزجتهم وطبائعهم؛ فمنهم من يغضب بسرعة، ومنهم من يتسم بالبرود، ومنهم من هو معتدل المزاج، فمعاملتهم بنمط واحد – بالرغم من تباين نفسياتهم – قد يتسبب في انحرافهم وميلهم.

قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التي يمر بها الولد:

❖ فتجد من الوالدين من يعامل الولد على أنه طفل صغير، بالرغم من أنه قد كبر، فهذه المعاملة تؤثر في نفس الولد وتشعره بالنقص، فلكل مرحلة من مراحل العمر معاملتها الخاصة التي يجدر بالوالد مراعاتها، والأخذ بها.

❖ الشماتة بالمبتلين: فبعض الآباء إذا رأى مبتلى بدأ يشمت به، ويتهم أهله بالتقصير في تربيته، بدلاً من أن يسأل الله السلامة لنفسه، والعافية لهذا المبتلى؛ فكم من الناس من انحرف أبناؤه وضلوا؛ بسبب شماتته، وذرابة لسانه، وجرأته على الناس.

قلة الاهتمام باختيار مدارس الأولاد:

❖ فكم من الآباء من لا يهتم بذلك، فتجده لا يسأل عن المدرسة التي سيدرس فيها ابنه، ولا عن المدرسين وسلوكهم وأخلاقهم، ولا عن المناهج الدراسية، ولا عن نوعية الطلاب الذين يدرسون في المدرسة مع ابنه.

إلحاقهم بالمدارس الأجنبية:

❖ التي تفسد عقائدهم وأخلاقهم، خصوصا إذا كانوا صغارا، أو قليلي الحصانة من العلم والتقوى.

❖ وقد لا يقتصر فسادهم على أنفسهم، بل يصبحون معاول هدم لأمتهم.

قلة التعاون مع مدارس الأولاد أو انعدامه بالكلية:

❖ فكثير من الآباء لا يتعاون مع المدارس التي يدرس فيها أولاده، بل ربما لا يعلم أين يدرسون.

الدفاع عن الولد بحضرته خصوصا في المدرسة:

❖ فقد يحدث أن يقوم أحد المدرسين أو المسؤولين في المدرسة بتأنيب طالب من الطلاب أو عقابه، ثم يأتي والده وقد غضب غضبة مضرية، وبدلاً من الحوار الهادئ مع صاحب الشأن، وبدلا من أن يكون ذلك بعيداً عن ناظري الولد – تجد ذلك الوالد يطلق العبارات النابية على الأستاذ أو المسؤول، ويصب جام غضبه عليه، وينزله في الحضيض بحضور ولده، ومن هنا تقل قيمة المدرسة في نفس الولد، ويشعر بالزهو والتيه والإعجاب بالنفس، فلا يكاد بعد ذلك يصيغ السمع للمعلمين والمربين.

ترك المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والمقدرة:

❖ فمن الآباء من لا يحفل بهذا الأمر؛ فتراه لا يبادر إلى تزويج أبنائه مع حاجاتهم إلى الزواج، ومع غنى الأب، واستطاعته أن يزوجهم.

❖ وهذا خطأ فادح؛ حيث يترتب عليه مفاسد عظيمة تعود على الفرد والأمة؛ فبسببه تتعطل الشواب عن الزواج إلى سن متأخرة، وبسببه تضيع أعراض، وأخلاق.

❖ وقد يصاب ذلك الابن الذي لم يبادر في تزويجه بمرض عضال، إما بسبب حادث سيارة أو غير ذلك، فلا يتمكن معه من الزواج، ولا يقبل أحد أن يزوجه بسببه؛ فمن يقوم

على رعايته، خصوصاً إذا كان الوالدان كبيرين وليس عندهما من يقوم به، بل قد لا يجد من يلتفت إليه بعد فراق والديه الدنيا، كما أن المنية قد تفاجئ هذا الـذي أخـر زواجـه، فيتـوفى دون أن تكون لـه ذرية تدعو لـه، وتترحم عليه، وتحيي ذكره.

❖ وإذا عاش ذلك الذي أخر زواجه ربما عاش ممزقا مشتتا متعرضا للفتن.

❖ والذي يؤخر زواجه يحرم من سكون الـنفس، وطمأنينـة القلـب، وفضـائل الـزواج المتعددة.

❖ ثم إن الزواج مشروع في دين الإسلام، وأقـل درجـات المشـروعية الإباحـة، بـل إن المتأمل في أدلة الشرع يجدها لا تدل على الإباحة فحسـب، بـل تـدل علـى الاسـتحباب، أو الوجوب.

❖ وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أن النكاح فرض عين يأثم تاركه مع القدرة عليه، قال بذلك أهل الظاهر.

❖ والذي نص عليه ابن حزم أنه واجب على الرجال دون النساء.

❖ ونقل الكاساني عن بعض الحنفية أنه فرض كفاية كالجهاد، وصـلاة الجنـازة، ونقـل عن آخرين أنه واجب. والقائلون بالوجوب من الحنفيـة مـنهم مـن عـده واجبـا كفائيـاً كـرد السلام، ومنهم من جعله واجبا عينيا عملا لا اعتقـادا علـى طريـق التعـيين كصـدقة الفطـر والأضحية. والقول بوجوبه رواية عن أحمد، وهو قول بعض الحنابلة.

❖ وذهب بعض شافعية العراق إلى القول بأنه فـرض كفايـة يقاتـل أهـل البلـد الـذي يمتنعون منه.

❖ وقد استدل القائلون بالفرضية، أو الوجوب العيني، أو الكفـائي بالنصـوص الآمـرة بالنكاح كقولـه – تعالى:**{انْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}**[١].

❖ وقولـه:**{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}**[٢].

❖ وقولـه ﷺ : **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنـه أغـض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه لـه وجاء»**.

---

(١) النساء: ٣.

(٢) النور: ٣٢.

❖ فالأمر عندهم للوجوب، ولم يأب صارف يصرفه عن الوجوب، وقد تأكد الوجوب من إخبار الرسول ﷺ أن النكاح من سنته، ومن إنكاره ﷺ على من ترك النكاح، وعزم على التبتل.

❖ وذهب جمهور أهل العلم إلى استحباب النكاح للتائق إليه الذي لا يخشى على نفسه الوقوع في الزنا؛ فإن كان توقانه شديدا؛ بحيث يخشى على نفسه الوقوع في الزنا وجب عليه الزواج متى قدر على تكاليفه.

❖ هذه نبذة يسيرة من أقوال أهل العلم في الزواج وأهميته ومع ذلك تجد بعض الآباء لا يلقي بالاً لهذا الأمر؛ مما ينذر سوء المنقلب، على الأبناء بخاصة، وعلى الأمة بعامة. فحقيق على الآباء أن يعوا هذا الأمر، وأن يسعوا في تزويج أبنائهم عند حاجة الأبناء، ويسار الآباء.

إجبار الابن على نكاح من لا يريد:

❖ كأن يقول الوالد لابنه تزوج بنت عمك، أو بنت خالك، أو بنت الوجيه الفلاني، أو التاجر الفلاني، أو نحو ذلك.

❖ وإذا لم يتزوج غضب عليه الوالد أشد الغضب، بل ربما هجره.

❖ وهذا الصنيع لا يجوز؛ فليس للوالد إجبار ابنه على الزواج من أسرة معينة، أو فتاة معينة؛ فقد يرى الابن ما لا يرى والده؛ فقد لا يجد ميلاً لمن أشار والده بها، وقد يكون طامحا لأسرة أخرى؛ وهكذا..

❖ نعم للوالدين أن يشيرا عليه، ولهما أن يحاولا إقناعه، وفتح المجالات أمامه، وإبداء المسوغات له.

❖ ولكن ليس لهما إجباره، فقد يضرانه من حيث أراد نفعه.

❖ رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

❖ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : "ليس لأحد من الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقاً".

❖ وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر منه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه – كان النكاح كذلك، وأولى؛ فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طولي يؤذي صاحبه، ولا يمكن فراقه.

تأخير زواج البنات بغير مسوغ شرعي:

❖ فمن الآباء من يؤخر زواج ابنته بلا مسوغ شرعي؛ فتراه يرد الخاطب الكفؤ، ويؤخر زواج ابنته إما لكونها وحيدته فلا يرغب في فراقها، أو لرغبته في أن تخدمه، أو لأنها موظفة ويرغب في مالها، أو لأنه ينتظر خاطبا غنياً يتقدم لموليته، أو لغير ذلك من الأسباب.

❖ وهذا حرمان للفتاة من حقها في الزواج؛ فكيف تكون حالها وهي ترى أترابها من بنات عمها، أو بنات خالها، أو صديقاتها وهن يحملن الأطفال، ويسعدن بالأزواج؟

❖ إنها تحترق كمدا وغماً، وحسرة؛ فتبعة ذلك التأخير يتحملها الأب؛ لأن الأصل أن يبادر إلى تزويجها متى تقدم لها الخاطب الصالح.

❖ أما تأخير الزواج، ورد الخاطب بلا مسوغ – فشذوذ، وخروج عن الأصل الشرعي والعرفي، وهو تمكين الفتاة من الزواج.

❖ فإذا ارتضت المرأة رجلا، وكان كفؤا فليس لوليها منعها من التزوج به.

❖ فيا أيها الأب الناصح لابنته، خف الله، وارحم موليتك، وتذكر بأنك لست مخلدا في هذه الدنيا، وتذكر بأن الأنثى لا بد لها من رجل يحوطها برعايته أباً كان، أو أخاً، أو عماً، أو خالا.

❖ فإذا انتقلت عن هذه الدنيا، ولم تدخل ابنتك عش الزوجية، وأنت السبب فمعنى ذلك أنها ستكون عالة على إخوانها، أو أحد قاربها.

❖ وقد تبتلى بمن لا يخاف الله فيها، سواء كان ذلك زوج أمها إذا تزوجت أمها بعد فراقك، أو زوجة أحد إخوانها، أو غير أولئك، فتتحول حياتها إلى جحيم لا يطاق.

تزويج البنات بغير الأكفاء:

❖ فمن الآباء من لا يقصر في المبادرة إلى تزوج ابنته، ولكنه يقصر في اختيار الزوج المناسب، فتراه لا يتحرى الكفؤ الذي يرضى دينه وخلقه، إما لقلة اهتمامه بأمر ابنته، أو لرغبته في التخلص من تبعتها وبقائها بلا زوج، وإما لعجلته وخرقه، وإما لطمعه في المال إذا تقدم إليه غني، أو لرغبته في الوجاهة والمنصب والسمعة إذا تقدم له من هو كذلك، أو يزوجها للقريب الذي يستحي من رد طلبه.

❖ أما الدين القويم، والخلق الكريم فلا يخطر بباله، ولا يدور في خياله.

❖ ولهذا قد تبتلى بتارك للصلاة، أو مدمن للمخدرات، أو شرس الأخلاق، جافي الطبع.

❖ ولا حرج أن يسأل الإنسان عن المنصب، والحسب، والنسب، ونحو ذلك من الاعتبارات.

❖ لكن الحرج أن تكون هي الحكمة في المفاضلة، والترجيح دون اعتبار للدين والخلق، وهذا من الخلل والتفريط.

إرغام البنت على الزواج بمن لا تريده:

❖ فمن الآباء من إذا خطبت إليه ابنته، واقتنع بالخاطب - أياً كانت دوافع الاقتناع - أعطى الموافقة التامة دون أن تعلم البنت بشيء؛ فإذا قرب موعد الزفاف همس الولي في أذنها؛ كي تهيئ نفسها لزوجها.

❖ وهذا من الخلل؛ فقد لا ترضى البنت بالزوج؛ فإذا أجبرت على الزواج منه كانت حياتهما ضرباً من النكد.

❖ ولهذا جاء الشرع الحكيم بمنع الولي من إكراه موليته على الزواج؛ لأن ذلك ليس من حقه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»**. قالوا: يا رسول الله**!** وكيف إذنها؟ قال: **«أن تسكت»!!**[1].

❖ وعلى هذا فلا يجوز تزويج المولية بغير إذنها، ولا يعني اشتراط إذنها أن الولي غير لازم في نكاحها؛ فالصواب من القول أن تتفق إرادتها وإرادة وليها في التزويج.

❖ نعم لوليها أن يحاول إقناعها بالزواج إذا كانت ترفضه، وله إقناعها بالزوج الصالح إذا كان ترده، ولكن ليس له إجبارها.

❖ ولا يعني ذلك أن تتعنت المرأة بحجة أنها لا تجبر.

دخول الوالد في كل صغيرة وكبيرة من أمر ولده إذا تزوج:

❖ فمن الوالدين - أباً كان أو أماً - من يفرض وصاية عامة، ويضع سياجا محكماً على أولاده بنين وبنات حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يتدخل في شؤونهم الخاصة، ويأتي بيوتهم على غرة، ويفرض أراءه التي قد تكون مجانبة للصواب. وهذا من الخلل في التعامل مع الأولاد؛ فاللائق بالوالد أن يترك أولاده يعيشون حياتهم الخاصة بهم، وألا يكون حجر

(١) صحيح البخاري.

عثرة في طريق سعادتهم.

❖ ولا يعني ذلك أن يترك مناصحتهم، ودلالتهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم، وإنما المقصود من ذلك لزوم الاعتدال في شتى الأحوال [1].

أخطاء في تربية الأبناء:

يقول أبو عمر يوسف بن عبد البرالقرطبي في كتابه جامع بيان العلم وفضله:

" تبقى حال الطفل ماثلة أمام المربي حين تربيته، كما تتجلى حال المريض أمام الطبيب حين معالجته، يراعي حالته ومقدرته ومزاجه فيكون أثر التربية أتم وأعظم ثمرة " هذا القول لابن عبد البر هو أساس معاملة الكبار مع الصغار..

ويختلف أسلوب التعامل مع الطفل من شخص لآخر ومن طفل لطفل...

أساليب خاطئة فى التعامل مع الطفل:

أولاً: الصرامة والشدة:

يعتبر علماء التربية والنفسانيون هذا الأسلوب أخطر ما يكون على الطفل إذا استخدم بكثرة... فالحزم مطلوب في المواقف التي تتطلب ذلك،.. أما العنف والصرامة فيزيدان تعقيد المشكلة وتفاقمها؛ حيث ينفعل المربي فيفقد صوابه وينسى الحِلْم وسعة الصدر فينهال على الطفل معنفا وشاتما لـه بأقبح وأقسى الألفاظ، وقد يزداد الأمر سوءاً إذا قرن العنف والصرامة بالضرب...

وهذا ما يحدث في حالة العقاب الانفعالي للطفل الذي يُفْقِدُ الطفل الشعور بالأمان والثقة بالنفس كما أن الصرامة والشدة تجعل الطفل يخاف ويحترم المربي في وقت حدوث المشكلة فقط ~ خوف مؤقت ~ ولكنها لا تمنعه من تكرار السلوك مستقبلا.

وقد يعلل الكبار قسوتهم على أطفالهم بأنهم يحاولون دفعهم إلى المثالية في السلوك والمعاملة والدراسة.. ولكن هذه القسوة قد تأتي برد فعل عكسي فيكره الطفل الدراسة أو يمتنع عن تحمل المسؤوليات أو يصاب بنوع من البلادة، كما أنه سيمتص قسوة انفعالات عصبية الكبار فيختزنها ثم تبدأ آثارها تظهر عليه مستقبلاً من خلال أعراض – العصاب – الذي ينتج عن صراع انفعالي داخل الطفل..

---

(١) التقصير في تربية الأولاد محمد بن إبراهيم الحمد.

وقد يؤدي هذا الصراع إلى الكبت والتصرف المخل - السيئ - والعدوانية تجاه الآخرين أو انفجارات الغضب الحادة التي قد تحدث لأسباب ظاهرها تافه.

ثانيا: الدلال الزائد والتسامح:

هذا الأسلوب في التعامل لا يقل خطورة عن القسوة والصرامة.. فالمغالاة في الرعاية والدلال سيجعل الطفل غير قادر على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، أو تحمل المسؤولية ومواجهة الحياة... لأنه لم يمر بتجارب كافية ليتعلم منها كيف يواجه الأحداث التي قد يتعرض لها... ولا نقصد أن يفقد الأبوان التعاطف مع الطفل ورحمته، وهذا لا يمكن أن يحدث لأن قلبيهما مفطوران على محبة أولادهما، ومتأصلان بالعواطف الأبوية الفطرية لحمايته، والرحمة به والشفقة عليه والاهتمام بأمره... ولكن هذه العاطفة تصبح أحيانا سببا في تدمير الأبناء، حيث يتعامل الوالدان مع الطفل بدلال زائد وتساهل بحجة رقة قلبيهما وحبهما لطفلهما مما يجعل الطفل يعتقد أن كل شيء مسموح ولا يوجد شيء ممنوع، لأن هذا ما يجده في بيئته الصغيرة - البيت - ولكن إذا ما كبر وخرج إلى بيئته الكبيرة - المجتمع - وواجه القوانين والأنظمة التي تمنعه من ارتكاب بعض التصرفات، ثار في وجهها وقد يخالفها دون مبالاة... ضاربا بالنتائج السلبية المخالفته عرض الحائط.

إننا لا نطالب بأن ينزع الوالدان من قلبيهما الرحمة بل على العكس فالرحمة مطلوبة، ولكن بتوازن وحذر. قال ﷺ : **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»** أفلا يكون لنا برسول الله صلى عليه وسلم أسوة؟

ثالثا: عدم الثبات في المعاملة:

فالطفل يحتاج أن يعرف ما هو متوقع منه، لذلك على الكبار أن يضعوا الأنظمة البسيطة واللوائح المنطقية ويشرحوها للطفل، وعندما يقتنع فإنه سيصبح من السهل عليه اتباعها... ويجب مراجعة الأنظمة مع الطفل كل فترة ومناقشتها، فلا ينبغي أن نتساهل يوما في تطبيق قانون ما ونتجاهله ثم نعود اليوم التالي للتأكيد على ضرورة تطبيق نفس القانون لأن هذا التصرف قد يسبب الإرباك للطفل ويجعله غير قادر على تحديد ما هو مقبول منه وما هو مرفوض وفي بعض الحالات تكون الأم ثابتة في جميع الأوقات بينما يكون الأب عكس ذلك، وهذا التذبذب والاختلاف بين الأبوين يجعل الطفل يقع تحت ضغط نفسي شديد يدفعه لارتكاب الخطأ.

رابعا: عدم العدل بين الإخوة:

يتعامل الكبار أحيانا مع الإخوة بدون عدل فيفضلون طفلا على طفل، لذكائه أو جماله

أو حسن خلقه الفطري، أو لأنه ذكر، مما يزرع في نفس الطفل الإحساس بالغيرة تجاه إخوته، ويعبر عن هذه الغيرة بالسلوك الخاطئ والعدوانية تجاه الأخ المدلل بهدف الانتقام من الكبار، وهذا الأمر حذرنا منه الرسول ﷺ حيث قال: عليه الصلاة السلام : **«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»** [1].

توجد في مجتمعنا السلوكيات القبيحة المنتشرة بين الأولاد، والتي تعد في نظر الإسلام من أقبح السلوكيات التي يجب علينا أن نلاحظها في أبنائنا لنقوم بتقويمها وعلاجها في الوقت المبكر، وقبل أن يشبوا عليها ويصبح من الصعب مقاومتها وعلاجها، لأن تأديب الأطفال في صغرهم، وتعليمهم الأخلاق الحميدة من أنجح طرق التربية السليمة، ولذلك قيل:

قد ينفع الأولاد الأدب في صغر وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ::: ولا يلين لو لينته الخشب

فعلى كل أم أن تكون قوية الملاحظة، على ترقب دائم لسلوكيات أبنائها، حتى إذا وجدت خللاً في بعض سلوكياتهم أسرعت لمعالجته في الوقت المناسب. ومن هذه السلوكيات:

الكذب – السرقة – السباب:

(1) الكذب:

فالكذب من أقبح السلوكيات وأخبثها، لأنه مفتاح الجرائم، وبه تؤتى السيئ، والأفعال القبيحة، ولذلك قال رسول الله ﷺ : **«..... وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار..»** [2] الحديث.

وهو صفة ذميمة من صفات المنافقين، لقوله ﷺ : **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»** [3]، فهي صفة لا تعود على صاحبها إلا بالخسارة في الدنيا والآخرة، فمن خسارة الدنيا؛ فقد ثقة الآخرين وبعدهم عنه، وفي الآخرة؛ غضب الله عز وجل ودخول النار.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى اكتساب هذه الصفة بسهولة:

---

(1) سنن أبي داود (٣٠٧٧).
(2) سنن أبي داود (٤٣٣٧).
(3) صحيح مسلم (٨٩).

القدوة السيئة:

فحينما يجد الطفل من حولـه في البيت يتحدثون فيكذبون، ويوعـدون فيخلفـون، فـأنى لـه أن يتعلم الصدق؟ فكما يقولون: (لا يستقيم، والعود أعوج)، وأيضاً

إذا كان رب البيـــت بالـــدف ضـــارباً ::: فشيمة أهـــل البيـــت كلـــهم الـــرقص

سوء معاملة الآباء:

هناك بعض الآباء لا يحسنون معاملة أطفالهم، فهم ينشرون الرعب في البيت، ويعـالجون الأمور بالعقوبات الساخنة والتوبيخ القارع والتشهير والسخرية مما يضطر الأبناء إلى الكـذب عند حدوث أي تصرف خاطئ منهم خشية وقوع العقوبة عليهم.

قرناء السوء:

ومن العوامل التي تساعد الولد على اكتساب رذيلة الكذب، اختيار رفقاء سوء يلعبـون معه، والطفل بطبيعته يحب اللعب، ويقضي معظم وقته مع رفقائه الذين يتصفون بهذا الصفة القبيحة، فيكتسبها منهم.

القصص والأساطير الخرافية:

كثير من الأمهات يقصصن على أبنائهن عند النـوم قصصـاً لا أصـل لهـا مـن الصـحة، وأحيانا يرى الأطفال في التلفاز بعض المشـاهد الخرافيـة، أو يقـرأ القصـص الـذي يـأتي بـه الأهل، أو من المدرسة، ومعظمه يحتوى على قصص خيالية.

طرق المعالجة:

- امتثال القدوة الصالحة:

فلا يتحدث الآباء إلا بالصدق مزحاً كان أو جداً، يوفـون بوعـودهم لأبنـائهم للنـاس، فينتشر الصدق في البيت، وحينها يصعب على الأولاد أن يكذبوا، لأنهم اكتسبوا هذه الصفة من آبائهم، وتعودوا عليها، وإذا حدثت شاذة وكذب الولـد فسـرعان مـا يعـود إلى صـوابه، ويصدق، لأنه لم يتعود الكذب.

إحسان معاملة الأبناء:

لا شك أن معاملة الأبناء بالحكمة والعطف والحنان مـن الأسـاليب الهامـة الناجحـة في تربيتهم، فبالحكمة والموعظة الحسنة ينصـحون أبنـاءهم، وبلـين الكـلام يـدعونهم إلى الخـير، ويشعرونهم بأنهم ذوو تقدير واحترام.

فإن ظهر من الأبناء خلق جميل وفعل محمود ينبغـي علينـا أن نكـرمهم ونكـافئهم عليـه

بالهدايا وبالمدح والثناء. وإن حدث منهم تقصير أو مخالفة في بعض الأحوال، فلا ننسى لهم حسن صنيعهم في المرات السابقة، ولا نوبخهم بما لا يليق بهم أمام الناس حتى لا نهتك سترهم. وليكن من الأحسن معاتبتهم سراً بما يتناسب مع طبيعتهم، وكثيراً ما نعف عنهم لصدق حديثهم، فإن في ذلك حافزاً لهم على الصدق دائماً، ونعظم لهم فعلهم بالحكمة وحسن الخلق حتى لا يعودوا إلى فعلهم مرة أخرى. لأن هناك بعض الأولاد تأبى طبيعة تربيتهم سماع اللوم والتأنيب. فبالرحمة واللين والحكمة نصل بأبنائنا إلى أعلى درجات التربية.

اختيار الرفقة الصالحة:

من الأمور الهامة التي يجب أن يتبعها الآباء: هو اختيار الرفقة الصالحة لأبنائهم، وحثهم على ذلك بالقول الحسن والأحاديث النبوية التي تحثنا على ذلك والتي منها:

قال رسول الله ﷺ : **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (أي يعطيك)، أو تشتري منه، أو تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحاً منتنة»** (١).

وقال رسول الله ﷺ : **«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»** (٢).

وقال رسول الله ﷺ : **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدم من يخالل»** (٣).

وذلك لما للرفيق الصالح من تأثير كبير في صلاح أخلاق الأبناء وحسن سلوكهم.

اختيار القصص النافع لأبنائنا:

فما أكثر الكتب النافعة في مكتباتنا، والتي تتناسب مع أعمارهم من سيرة، وشعر إسلامي وكتب تنمي عقولهم فكرياً، فما على الوالدين إلا الذهاب للمكتبات، واختيار الكتب المناسبة، والتي تتناسب مع أعمارهم وقدراتهم، فهم أدرى بذلك من غيرهم.

(2) السرقة:

وهذا السلوك أيضاً لا يقل خطورة وسوء عن صفة الكذب، فكما أسلفنا أن الذي يكذب يسهل عليه أن يسرق ويفعل كل محظور.

أسباب انتشار هذه الصفة:

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

عدم اتباع الحكمة في تلبية رغبات الأبناء:

إن الطفل بطبيعة عقله يميل دائماً إلى ما في أيدي الآخرين سواء كانت حلوى أو لعباً أو غير ذلك، وسرعان ما يطلب الطفل من والديه كل ما يراه أو يرغب فيه. وهناك بعض الآباء يعتقدون أن الطفل الذي يلبى له كل ما يطلب يتعود العفة عما في أيدى الآخرين، وهناك فريق آخر يعتقد خلاف ذلك، وهو عدم تلبية رغبات الطفل، تجعله متعففاً عما في أيدي الآخرين، وتكون النتيجة في الحالة الأولى نشأة الطفل على الطمع، والإسراف، وحب الذات، والتطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس وأخذه بأي وسيلة، لأنه تعود على نيل كل مطالبه، والنتيجة في الحالة الثانية نشأة الطفل على الحرمان من معظم احتياجاته سواء الأساسية أو غير ذلك، فيضطر إلى أخذ ما في أيدي زملائه سواء كانت أدوات مدرسية أو طعاماً أو لعباً؛ وبهذه الأسباب ينمو عند الطفل سلوك السرقة، والذي إن لم ندركه في الوقت المناسب كان صعباً علينا علاجه.

عدم رقابة الأهل:

كثيراً من الآباء والأمهات لا يراقبون أبناءهم ولا يحاسبونهم فيما يجدونه معهم من أشياء جديدة مثل بعض اللعب والنقود، من أين لهم ذلك، فأحيانا يدعي الولد أنه التقطها من الطريق أو أعطاها له أحد أصدقائه، فتصدقه الأم دون أن تتحقق من صدق قوله وخاصة إذا كان الولد كثيراً ما يكذب، وإن اكتشفت الأم السرقة كان أمراً عادياً وكأنه مزحة كاذبة فهي لا تعطى الأمر اهتماماً، بل لا تخبر الوالد بهذا الأمر خوفاً عليه من العقاب، وبهذا يتجرأ الولد على هذه العادة السيئة مرة بعد أخرى، فتنمو هذه العادة السيئة في دمه ويصير محترفاً، وحينها لا ينفع تغيير ولا ندم إلا أن يتوب الله عليه.

رفقاء السوء:

كثيراً ما يقوم الأبناء برفقة أصدقائهم باللعب بجانب حدائق الجيران المليئة بالفواكه في غياب صاحب الحديقة، فيلتقطون بعض الفاكهة خفية، وهذا الشيء البسيط مع تكراره يولد في الأبناء حب أخذ متاع الآخرين بغير إذنهم، وللأسف الشديد أحياناً يجد الأبناء تشجيعاً من آبائهم على ذلك، فحينما يعود الولد من الخارج وفي يده فاكهة من حديقة الجيران، فعوضاً عن توبيخ الولد وأمره برد الفاكهة، نجد الأم تشاركه في أكلها وكأن شيئاً لم يحدث.

ولا شك أن الولد حينما يرى من حوله من أصدقاء وأهل لا يعيرون لهذا الأمر اهتماماً بل مشاركة وتشجيعاً، يتمادى في ذلك، والشيء البسيط يكبر مع الأيام وتصير حرفة

نعوذ بالله منها.

وعلاجاً لهذا السلوك يجب اتباع ما يلي:

الاعتدال في تلبية رغبات الطفل:

يجب علينا أن نوفر ما يحتاج إليه أبناؤنا بالقدر المعقول الذي يجعلهم لا يتطلعون إلى الآخرين بحرمان أو بأنانية وتحكم، وإذا طلب الطفل شيئاً مثل أصدقائه نفهمه أنه لا يليق أن نطلب كل ما نرى في أيدي الآخرين، وأن هذه صفة ذميمة، ثم بعد فترة نحضرها له بغير إشعاره أننا لبينا رغبته، وهذا لكي نشبع رغبة الطفل ولا نشعره بالحرمان، وليكن ذلك أيضاً بالقدر المعقول وحسب إمكانيات الوالدين.

امتثال القدوة الصالحة:

يجب دائماً على الوالدين تحري الحلال والحرام في المأكل والمشرب ورد الأمانات إلى أهلها. ومثالاً على ذلك إذا اكتشفنا بعد شرائنا لبعض المتطلبات أن الحساب زاد لصالحنا، فوراً نرده إلى البائع مع إظهار أهمية هذه الأمر لحرمته... وهكذا ينشأ أبناؤنا على صفة الأمانة التي هي من صفات الرسول ﷺ.

المراقبة الدائمة والتوجيه السليم:

دائماً يجب علينا مراقبة أبنائنا في كل تصرفاتهم وفيما معهم، ونسألهم عن كل جديد في أيديهم وندقق المسألة وإذا ما اكتشفنا فعلاً قبيحاً أعظمنا هذا الفعل وبينا عاقبته في الدنيا والآخرة، وأمرناهم بإعادة الحقوق إلى أصحابها، كما يجب علينا تعويد الطفل على الاستئذان في كل ما يرغب أخذه سواء كان من البيت أو خارجه، هذا مع تحفيزهم على أمر الأمانة عن طريق القصص الصالح للسلف، كقصة الراعي الذي رفض بيع الشاة لعمر خوفاً من الله عز وجل رغم غياب صاحب الغنم، والفتاة التي رفضت سماع نصيحة أمها وغش اللبن بالماء خوفاً من الله عز وجل. والقصص في هذا المجال كثير.

اجتناب خروج الأولاد في الشارع واختلاطهم بالصحبة السيئة: فاللعب الكثير خارج البيت يؤدي إلى سوء الأخلاق والاجتماع برفقاء السوء والانشغال عن العبادة والدراسة، فحرصاً على تحلى أبنائنا بالأخلاق الحسنة يجب علينا أن نجنبهم الخروج الكثير واللعب.

السباب:

كثيراً ما نرى بعض الأولاد يطلقون سباباً وشتائم لا حصر لها، تنفر منها النفوس وتشمئز منها العقول، وترجع هذه الصفات الذميمة إلى ما يلي:

القدوة السيئة:

حينما يسمع الأبناء من أبويهم كلمات الفحش والسباب لا شك أنها تتعلق بأذهانهم وترددها ألسنتهم فلا يجدوا من يحاسهم أو يقومهم وأنى لهم ذلك وأبواهم يحتاجان إلى تقويم ومحاسبة، بل إنهم يفرحون عندما يسمعون ابنهم يشتم لأول مرة يطلبون منه ترديدها فرحين ومبتهجين ومفتخرين لأنه كبر ووصل لمرحلة السب، وهذا لا يكون إلا في بيوت انعدمت فيها التقوى والأخلاق الحسنة، أعاذنا الله من ذلك.

رفقاء السوء:

كثيراً ما يترك الأهل أبناءهم للعب في الشارع دون قيود ولا حساب ليريحوا أنفسهم من إزعاج الأبناء، فيلتقون بأولاد لا رقيب عليهم ولا مؤدب، وحينها يستمعون منهم ما لا يعد ولا يحصى من الشتائم التي يكرهها الإسلام، فيلتقطونها ويرددونها دون خوف من رقيب أو مؤدب وأنى لهم الرقيب والمؤدب وهم في الشارع، وحينها ينشؤون على أسوأ ما يكونون من الأخلاق الفاسدة.

فيجب علينا: أن نتخلق بخلق المسلم فلا نتلفظ بالألفاظ البذيئة التي يأباها الشرع لقوله ﷺ : **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي»** (١).

قوله ﷺ : **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»** (٢).

وأن نحد من خروجهم إلى الشارع، ونشغل فراغهم دائماً بالنافع المفيد حتى تنمو عقولهم وتهذب أخلاقهم وينشؤوا شباباً وفتيات يمثلون المجتمع الإسلامي في حسن خلق وتربية فاضلة، ويكونوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

لا يستغني الأبناء عن توجيه الآباء، ومن أجل ذلك، اهتم خبراء التربية بتوضيح الوسائل التي تعين الآباء على تربية الأبناء.

وهذه خلاصة مكثفة لما أجمعوا عليه من وصايا للآباء في هذا المجال:

1 – ركز جهودك أيها الأب في تأديب الأكبر من أبنائك حتى يكون قدوة للآخرين وأسند إليه في بعض الأحيان مراقبة الأسرة وتدبيرها، عسى أن يشعر بالمسؤولية ويستقيم.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) الشيخان.

٢- إذا أراد أحد أولادك حاجة، ولم تتيسر لــه، فـأمره بالصـبر، وذكـره بفوائـده حتـى يعتاده فقد قال رسول الله ﷺ : «**وما أعطي أحد عطاء خيراً أوسع من الصبر**»[(١)].

3 – لاتترك أولادك يعاملونك بسياسة "التستر" بينهم لأن ذلك يغطـي عنـك أمراضـهم العقلية والخلقية، وبصفتك أباهم ومؤدبهم الأول يجب أن تعرف عنهم كل شيء حتى تعالج العلة.

4 – رغّب أولادك في توقير الكبير، ورحمة الصغير، وحب المساكين والـداعين إلى الخـير وحبب لهم ما يقومون به من أمر بمعروف ونهي عن منكر.

5 – إذا ناولت أحد أولادك شيئاً يفرح به فاطلب منه الدعاء لـك بالجنـة والنجـاة مـن النار، حتى يفهم أن هنالك جنة تطلب وناراً تُتقى.

6 – القرآن أعز شيء على المسلم، فهو كلام الله، أنزلـه على قلب محمد صلي الله عليه وعلي آله وسلم، للناس كافة، وأمرهم بتلاوته وتعلمه، وتعظيمه والعمل به، ومن ثمَّ اجعـل لنفسك ولأولادك منه حظاً وافراً، واعلم أنه مع كثرة استعمال أولادنا للمصـاحف الشـريفة لابد من أن يحدث تمزق في بعض أوراقها، وقد تسقط سهواً أو جهلاً بعض من هذه الأوراق على الأرض، وفيها كلام الله عز وجل، فيجب علينا ملاحظة ذلك ورفع كل ورقة نجد فيهـا ذكر الله أو اسمه أو كلامه، أو حديث الرسول ﷺ وأن نرغّب أولادنا في فعل ذلك وتربيتهم عليه.

7 – جنِّب أولادك الترف، وعوِّدهم الخشونة، فالترف يضعف إرادة النفس ويثنيها عـن المطالب العالية التي تتطلب صبراً وجهداً وقد ذم الله عز وجل المترفين في مواضع من القـرآن منها قولـه تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَـــا إِنَّـــا بِمَـــا أُرْسِـــلْتُم بِـــهِ كَافِرُونَ}**[(٢)] أما الخشونة فمن خصائص الرجال.

8 – إن من الأخيـار مـن يحـاول إصـلاح الأولاد في الأسـواق والمجتمعـات، ويـأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فإذا صادف ولدك أحد هؤلاء، ووقع بينهمـا مشـاجرة، ورفـع إليك أمره في ذلك فكن على ولدك، ولا تكن معه، فإن ذلـك يجعـل هـذا الخيِّـر يتـوارى في المستقبل عن هؤلاء الأخيار الذين لا قصد لهم إلا عمل الخير حيث لا تخسر الأمة هذا النوع

(١) متفق عليـه.
(٢) سبأ: ٤٣.

من الرجال.

9 – لا تحبب لولدك أسباب الزينة إلا على القدر المشروع ولا أسباب الرفاهية فيضيع عمره فيها إذا كبر، لأن من شب على شيء شاب عليه.

10 – لا تدعُ على أولادك إلا بالصلاح والهداية، فإن دعاء الوالد مستجاب على ولده، وقل كما قال إبراهيم عليه السلام:**{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي}**[١].

11 – كن – أيها الرجل – رئيس بيتك الذي يمارس دوره كاملاً في التأديب والأمر والنهي بكل لطف كما قال الله عز وجل:**{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}** [٢].

{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}[٣]، رفعة ورياسة وزيادة حق، واجعل إجراءات تربية الأولاد بينك وبين زوجتك سراً.

12 – ذكّر أولادك وأهلك بالموت والقبر وبالقيامة والجنة والنار ولا تجعل ذلك بعيداً عنهم، فالأجل إذا جاء لا يؤخر. وفي الحديث: **«الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»** [٤].

١٣ – لاتتهاون مع أولادك إذا خالفوا أمرك إلا أن يقابلوك بعذر، وعند ذلك اسمح بعد التأكد منه ألا يعود إلى المخالفة ولا تحقق في العذر إذا كان الولد صغيراً، والأمر هيناً فالخصام مشقة، والقسوة نفور قال تعالى:**{وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}**[٥]

وقال النبي ﷺ : **«سددوا وقاربوا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»** [٦].

14 – لا تكن صارماً على الأولاد كل الصرامة إلا عند التعدي على حدود الله بالمجاهرة، واعلم أن التخويف بالضرب في أكثر الأوقات أحسن من ذوقه.

15 – لاتكن لعاناً فيعتادوه، ولاحلافاً فينتهكوه، ولكن كن ليناً في شدة، وشديداً في لين.

---

(١) إبراهيم: ٤٠.
(٢)ا لنساء: ٣٤.
(٣) البقرة: ٢٢٨.
(٤) رواه البخاري وأحمد.
(٥) البقرة: ٢٣٧.
(٦) صحيح مسلم (٥٠٤١).

16 - إذا كان الولد بعيداً عن البلد الذي أنت فيـه، فأرسـل إليـه الوصـايا بتقـوى الله وطاعته، لأن غيابه وبعده منك يزيده حباً وتعلقاً واشتياقاً لرؤيتك. فإذا قدمت إليـه وصـيتك تلقاها مستبشراً وتلاها بقلب واع ونظر ثاقب.

17 - لا تُعط ولدك السفيه النقود بكثرة، لأن ذلك يضره أكثر مما ينفعه وليس هذا مـن الكرم ولا من المنفعه لـه في شيء.. ومن لم يتدبر العواقب كان بلا شك من النادمين.

18 - الولد بطبيعته يحب التفوق على زملائه عند معلمه وبصفتك أباه ومعلمه الأكـبر اجعل التفوق عندك بين أبنائك لمن استمسـك بالـدين والأخـلاق وحـافظ علـى الصـلاة في جماعة.

19 - لا تسأم من إسداء الأوامر لأولادك بالخير والنواهي عن الشـر ظنـاً منـك بعـدم تأثيرهما، ولكن جُد بهـا واجتهـد، فـالأوامر بالتبشـير والنـواهي بالنـذر مـع سـلامة العقـل وصلاح النية - بعون الله - بالغة منتهاها في تمام المعرفة.

وأخيراً: أطب مطعمك ومطعم أولادك وأهلك، واستعن بالله واقصده بعملك وأحسـن الظن به وجاهد في سبيله وأبشر، فهو يقول سبحانه:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(١).

التأثير السلبي للفيديو والتلفزيون على الأطفال:

ظهـر الـتأثيـر الهـائـل للفيـديو والتلفزيون على الأطفال بشـكل واضـح عنـدما يـتم إدخال الجهازين أو أحدهما إلى البيت بـعـد نشـوء الأطفال ووعيهـم، إذ يبدو ذلك جليًـا في تبدل تـكـوينهم الشخصي والنفسي، ويسـتطيع المراقـب إدراك ذلـك مـن خـلال نـشـوء اهتـمـامـات جـديـدة لـدى الأبنـاء وأنمـاط مـن السـلوك تحـاكي سـلوك الممـثلين أو الشخصيات الخرافية الوهمية، أما أولئك الأطفال الذين يولدون والتلفزيون في بيـوتهم فإنه يغدو بعد حين أهم مـوجـه لتـفـكيرهـم وسلوكهم وذوقهم واهتماماتهم، وقـد لا يلاحـظ ذلك كـثـيـر مـن الآبـاء والأمهات، وخاصة أولئك الذين لا يهمهم أين تسير السفينة ومـن يوجه الدفة. ويؤكد الدكتور إبراهيم إمام خطـر التلفزيـون والفيـديو علـى الأطفـال، ويـراه خطراً ثابتاً، ويحذر من التقليل من ذلـك أو تهـوين الأمـر، فيقـول: "إن تـأثير الإعـلام علـى الأطفال تـأثير ثابـت، ولا ينبغـي للمسـؤولين أن يقللـوا مـن خطـره، أو يهونـوا مـن أمـره، ولاشـك في أن طريـقـة مـعـالجة التلفـزيـون للتراث الثقافي العالمي نفسه، وخـاصـة أسلـوب

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

استخدام الكاميرا يجعل التلفزيون مصنعًا للخوف والرعب بالنسبة للموضوعات العنيفة، وعندما يخلط الأطفال بين الواقع والخيال، ويتعرضون للتأثير الضار باستمرار، ويرون المجرم بطلاً خفيف الظل، والقانون لا ينتصر إلا في النهاية، ورجل الشرطة موضع تهكم وسخرية، والقاضي إنسانًا مترددًا ومضحكًا، فإن احتمال عدم التأثير بذلك كله أمر جد عسير، وقد يكون صحيحًا أن تأثير التلفزيون - والفيديو - على الأطفال الأصحاء يختلف في شدته ونوعيته عن تأثيره على الأطفال الذين لا يحسون بالأمر، ولكن لابد أن يكون التلفزيون مؤثرًا على كلا النوعين"[1].

التلفزيون والتحصيل الدراسي لدى الأطفال: يشكو الآباء والمربون من آثار التلفزيون السلبية في علاقة الأطفال بالكتاب والمدرسة، وتبدو نتائج ذلك ظاهرة على معظم الأطفال الذين يتابعون المشاهدة. ومن الملاحظ لدى العاملين أن مما يؤدي إلى التأخر الدراسي، وعدم متابعة المعلم أثناء الشرح سبب كثير منه التعلق ببرامج التلفزيون، والسهر الطويل في متابعة ما يجري على الشاشة المرتعشة، إذ وجد أن الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيون أو فيديو يذهبون للنوم متأخرين عن نظائرهم في السن ممن لا يوجد لديهم، ويبدو أيضًا أن التلفزيون يتداخل مع الواجبات المنزلية التي يكلف بها التلاميذ[2].

وبذلك يبدو الطفل سلبيًا أمام ما يدور في قاعة الدرس. وفي ربيع عام ١٩٧٧ ظهر كتاب بالغ الآثار والأهمية في الأسواق الغربية، وهو الكتاب الوحيد الذي ناقش تجربة التلفزيون ومشاهدته، وبين أهميتها عن محتوى البرامج التي تظهر على شاشته. هذا الكتاب من تأليف (ماري دين) وقد أسمته: (المخدر الكهربي) وكان سببًا لضجة كبيرة عند الآباء القلقين، وعلماء النفس والمربين، ولقد أكد الكتاب أن مشاهدة الأطفال التلفزيون تسبب عندهم نوعًا من الإدمان، وأنها تحول جيلاً كاملاً منهم إلى أشخاص يتميزون بالسلبية، وعدم التجاوب، ولا يستطيعون اللعب والابتكار، ولا يستطيعون حتى التفكير بوضوح[3]، فكيف يتسنى لمثل هؤلاء الأطفال استيعاب الدروس وتركيز اهتمامهم فيما يلقى عليهم أو يطلب منهم التفكير فيه إذا كانت معظم أوقاتهم تستنفد أمام الشاشة الصغيرة؟. وفي تقرير لمنظمة اليونسكو العالمية، رقم (٣٣) تبين أن الأطفال، في البلاد العربية، من سن السادسة إلى سن السادسة عشرة يقضون ما بين اثنتي عشرة ساعة وأربع

(١) الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام الإذاعي والتلفزيون، ص ١٣٨. ٢.
(٢) الدكتور عبد الرحمن عيسوي: الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص٧٩.
(٣) جيري ماندر: أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون، ص ١٣٧.

وعشـريـن ساعـة أمام التلفزيون أسبوعيًا، وأن سن الخامسة حتى السـابعة هـي الفـترة الـتي يبدي فيها الطفل أقصى اهتمام بمشاهدة التلفزيون، وفي المرحلة التي تسبق هذه الـفتــرة فـإن الطـفـل في سـن الثلاث سـنوات يقضـي ٤٥ دقيقـة يوميًـا أمـام التلفزيـون، وفي سـن أربـع سنـوات ينفـق ساعـة ونصف الساعة يوميًا[1].

ولم تزل الدراسات والتقارير العلمية تتوالى في تبيان ما للأجهـزة السـمعية البصـرية مـن أثر بالغ الضرر فيما يظهر على شاشاتها، ولذلك فإن تقريراً آخر نشر في مجلة اليونسكو عـن نتيجة الاستطلاع الياباني عن وسائل الإعـلام جـاء فيـه: إن فـيض المعلومـات الـتي تقـدمها أجهزة الإعلام يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال. وأوضـح التقريـر أن الأطفـال كانوا ضحية لبرامج التلفزيون والمجلات الهزليـة. وذكـر الأطبـاء والمدرسـون الـذين شملـهم الاستطلاع أن وسائل الإعلام أشد ضررًا بالأطفال وخاصة الـبرامـج الـترفـيهية الساقـطـة والمجلات الهزلية التي ترد إليهم[2]، وإن حشو مخيلة الـطـفـل، وإشغال فكره بهذه الترهات لا تدع لـه مجالاً لاستيعاب المعلومات التي يتلقاها في المدرسة، مما يـؤدي في أغلـب الأحيـان إلى كراهية الطفل للمدرسة والكتاب لشعوره بقصورهما وعجزهما عن جذبه إليهما كما يجذبـه التلفزيون والفيديو، إذ أنهمـا لا يـتطلبـان من الـطـفـل مجـهـودًا ولا حركة، ويحشوان رأسـه بالخيالات والأوهام، ويضحكانه ويعلمانه الرقص والغناء، وكيفية إقلاق راحة الآخرين.

عشرون مفسدة من مفاسد التلفاز:

تدمرت الأخلاق داخل كثير من الأسر الإسـلامية دون شـعور بالمسـؤولية، ودون رادع ديني، وذلك بسبب البث العربي بصفة خاصة، والبث العالمي بصفة عامة، والـذي دخـل إلى مقر كل بيت عن طريق ما يسمى بالتلفزيون. لا شك - إن شاء الله - أن كـل عاقـل لبيـب بعد أن يقرأ هذا المفاسد سيستجيب لأن المسلم مأمور بالاتباع، لا خيار لـه انطلاقا من قولـه تعالى:**{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً}**[3].

وللعلم أنك قد تجد بعض هذه المفاسد لا تنطبق عليك فلا يعــني أن ذلــك يبـيح لـك (التلفاز) فقد تكفي مفسدة واحدة للتحـريم، ولسـت هنـا عالمـا بـل طــالب علـم، فلسـت

---

(١) مجلة العربي: العدد ٣١٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٥.

(٢) سيد شلبي والأمير أباظة: الفيديو والمجتمع الإسلامي، ص ٣٣. فقرة من كتاب: الأسرة المسلمة أمـام الفيـديو والتلفزيون.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

صاحب حكم بتحريم أو تحليل، وإنما ذكرت هذه المفاسد الشرعية أملاً أن يقف عندها العلماء ويصدروا الحكم الشرعي إذا ثبتت هذه المفاسد الشرعية، ولا شك أن ثبوتها يلمسه كل مؤمن ومؤمنة. ونظرا لخطورة الدش أكثر من (التلفاز) فقد وجهت نصيحة للآباء على شكل رسالة من ابن إلى أبيه، أسأل الله الإخلاص، وأن ينفع بها المسلمين إنه سميع مجيب الدعاء. ولا يفوتني أن أتوجه بالنصيحة إلى ولاة أمورنا، والدعاء لهم بالهداية والصلاح، وأن يعلموا أنهم مسؤولون أمام الله – عز وجل – يوم القيامة، فالكل راع ومسؤول عن رعيته. أسأل الله أن يهدينا وولاة أمورنا إلى ما فيه الخير والنور، وأن يرينا الحق حقا، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

المفاسد الشرعية التي يبثها جهاز.. التلفاز:

– النظر إلى النساء: وهو محرم سواءً إلى المرأة أو إلى صورتها لقوله تعالى:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}**[1] وإذا كان لا يجوز النظر إلى وجه المرأة، فكيف بمن ينظر إلى شعرها، وربما إلى صدرها، بل ربما إلى جسم المرأة كاملاً، كأنها حيوان يمشي على الأرض، وبعد تلك النظرة – غالباً – تبدأ الرغبة في التطبيق العملي بالبحث فيما حرم الله لقضاء الشهوة.

النظر إلى الرجال: فالمرأة عندما تنظر إلى الرجل تأثم لقوله تعالى:**{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}**[2] ولا حجة فيمن يقول: إنه ينظر إلى صورة المرأة وليس إلى جنسها، فـ(التلفاز) أحياناً ينقل على الهواء مباشرة، وحتى وإن كانت صورة كما يزعم، فلا يجوز للرجل أن ينظر إلى صورة المرأة ولا العكس، وأين غَيرة الرجل على أهله عندما يستمتعون بالنظر إلى الرجال الأجانب.

نقل التقاليد الفاسدة: وبالذات التقاليد الاجتماعية الغربية، والتشبه بأعداء الإسلام والرسول ﷺ يقول : **«ومن تشبه بقوم فهو منهم»** [3]، فتجد أن المرأة تقلّد لبس الممثلات الماجنات مهما كان شكله ومخالفته الشرعية، حتى آداب الزواج والزفاف أصبح كثير من

(١) النور: ٣٠.

(٢) النور: ٣١.

(٣) رواه أبو داود وأحمد.

الناس لا يعرف إلاّ التقاليد التي يراها في المسلسلات، فتجد الرجل يتعامل مع أهله اقتداءً بـ(الفلم السينمائي)، بل حتى تعامل الابن مع أبيه وأمه أصبح من منظور التطور، فهو يرفع صوته على والديه، ويناديهم بأسمائهم، بل قد تعلّم أن يقول لأبيه يا (حجّ) ولأمه يا (حجة)، وهكذا حتى الشاب الذي يريد الزواج لا بد من إقامة علاقة حب قبل الزواج مع الشابة التي يحبها، فانظروا يا أولى الألباب كيف تنقل إلينا التقاليد الخارجية، وتدخل إلى قعر بيوتنا وأمام أعيننا، فيا قوم أليس منا رجل رشيد؟

تضييع أوقات الناس فيما لا فائدة فيه: والرسول ﷺ يقول: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ»** (1).

تضييع بعض الصلوات عن وقتها: فأحياناً يتم عرض (فيلم)، وفي أثنائه ينادى للصلاة، فلا يجيب حتى ينتهي عرض (الفيلم)، ثم يقوم للصلاة، وقد يكون انتهى وقتها، والله يقول:**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}** (2) ويقول:**{إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً}**(3) وإن ذهب وصلى أثناء عرض (الفيلم) فإن القلب يكون مشغولاً بالرجوع لمتابعة (الفيلم) فينتفي الخشوع.

تعليم الأطفال الاعتقادات الفاسدة: عن طريق أفلام الكرتون، ناهيك عن حكم تصوير الحيوانات والأنفس التي حذّر منها رسولنا ﷺ بقوله: **«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم»** (4)، فتجد الطفل بعد المشاهدة يبدأ في التطبيق العملي لما شاهده، بل ستذهل عندما تشاهد بعض الأطفال يعملون حركات النصارى في الدعاء وتعليق الصليب، ناهيك عن الأسماء النصرانية واليهودية للأبطال الكرتونية، والتي ترسخ في أذهان الأطفال، ثم بعد ذلك ماذا تتطلع إلى طفل تربى على الكراتين، فاتقوا الله يا أولياء الأمور، واشغلوا أوقات أبنائكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأنتم مسؤولون عنهم يوم القيامة يقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ**

---

(1) رواه البخاري.

(2) الماعون: 4، 5.

(3) النساء: 103.

(4) رواه البخاري ومسلم.

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}[1].

الاستماع إلى الأغاني المحرمة بنص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح قال تعالى:**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}** وقوله: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»** [2].

تشويه السيرة النبوية: عن طريق التمثيل فيضاف إليها ما ليس بصحيح، فيكون كذبا على رسول الله وهو القائل: **«من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** [3].

تشويه حياة الصحابة: عن طريق التمثيل أيضاً، فيأتي بالصحابي طويل الثياب يغازل النساء، يحب الدنيا، يشرب الخمر، وهلم جراً ....

انتشار البدع: عن طريق التلفاز لأن القائمين عليه لا يرجعون إلى العلماء، والرسول ﷺ يقول: **«وكل بدعة ضلالة»** [4].

ويقول: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»** [5].

فمثلاً رأينا بعض النساء يلبسن لباساً أسود عندما يموت زوجها أو أحد أقاربها، فمن أين تعلّمت تلك البدعة التي يعملها اليهود والنصارى؟ وكذلك وضع إكليل من الزهور عند قبر الميت، والتعزية بكلمة (البقية في حياتك)بدلا من (أعظم الله أجركم) مثلا، وهكذا ما جاءت بدعة إلاّ وماتت سنة، فالله المستعان.

نقل الأخبار الصحيحة وغير الصحيحة إلى المشاهد: والتي تناسب المشرفين على الإعلام، وبذلك يكون التلبيس على المشاهد المسكين، والرسول يحذّرنا من نقل الأخبار وبكل ما نسمع فقال: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)[6]، ومن ذلك تعليم الناس (الديمقراطية)، وأنها بمعنى الشورى، والانتخابات الفاسدة التي تساوي بين العالم والفاجر المجرم، والله يقول:**{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}**[7].

---

(١) التحريم: ٦.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أحمد وغيره.
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) رواه مسلم.
(٧) القلم: ٣٥، ٣٦.

إثم صاحب (التلفاز) بعد موته: لأنه ورّث معصية لأبنائه، والرسول يقول: **«ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»** [1].

شغل الناس عن ذكر الله: ففي الوقت الذي يرجع فيه الناس إلى المنزل بعد صلاة العشاء ليذكروا الله عز وجل حيث السنة قيام الليل فالله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: **«من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»** [2] فيُعرض من بعد العشاء البرامج المثيرة والأفلام السينمائية والمسلسلات والأخبار والإعلانات التجارية وهكذا إلى نصف الليل، والرسول قد نهى عن السمر بعد صلاة العشاء، فكيف بمن يسهر على المعاصي أثناء نزول الرحمن، ناهيك عن ضياع صلاة الفجر جماعةً؟

خلوّ المرأة بـ(التلفاز): أثناء غياب أهلها عنها في العمل أو في السفر مما يجعلها تستمتع بالمشاهدة لكل شيء دون رادع يمنعها، وهذا رد لمن يتعذّر ويقول بأنه يمنع أهله من مشاهدة الأفلام الخليعة، فأين هو من هذا المنع أثناء غيابه؟ هذا لمن معه (تلفاز) بقناة أو قناتين، فما بالك بالذي معه (دش) يرى قنوات العالم، أضف إلى ذلك كثرة الرجال الذين تشاهدهم المرأة فترى بعضهم أجمل من زوجها وكذا العكس وبهذا تفسد العلاقة الزوجية بسبب المشاهدة.

- الانغماس في المعاصي: حتى يصبح المسلم لا يشعر بالمعصية، وكما قيل: (إذا كثُر المساس فُقِد الإحساس) فالذي يشاهد النساء الممثلات ويستمع الأغاني المحرمة لا يشعر بأنها معصية كما قال الرسول ﷺ : **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر مربادا كالكوز مكفيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلاّ ما أشرب من هواه»** [3].

الإعراض عن القرآن والسنة: فـ(التلفاز) يبدأ بالقرآن ويختتم بالقرآن، ولكن من هو المستمع للقرآن، بل إن البعض - وهذا مشاهد - إذا فتح(التلفاز) ووجد فيه تلاوة قرآن تجده يخفض الصوت، حتى إذا جاء البرنامج المفضل له أو المسلسل فتح الصوت بارتفاع،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.

وكذا إن وجد حديث، وهذا يؤيد قول الشاعر:

حب الكتاب وحب الغنا ::: في قلب عبد لا يجتمعان

وهذا الإعراض عواقبه وخيمة كما قال تعالى:**{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى}**[1].

بعض الناس يقول: لو لم أدخل (التلفاز) إلى بيتي لذهب أولادي إلى الجيران ليشاهدوه عندهم، ويقول: إنه يحفظ أولاده من الشارع. وهذه المقولة ناتجة من الفراغ الذي يعيشه أبناءه، وإلا لو استغل فراغ أولاده بإشغالهم بحفظ كتاب الله لما وجد لهم فراغاً، ثم إن (التلفاز) أعظم مفسدة من اللعب في الشارع، بل إن اللعب في الشارع كان شأن كثير من أبناء الصحابة، حتى أنه ﷺ كان يمر على الصبيان وهم يلعبون ويسلم عليهم.

نشر الرعب بين الناس وتخويفهم من أعدائهم: وذلك عندما يتم عرض أسلحة الكفار، وأنهم يمتلكون السلاح النووي المدمر، والتضخيم من قوة أمريكا وروسيا ودول الكفر، فيصبح المسلم المسكين هائباً من هذه الدول، متناسياً قدرة الله وجبروته، وهذه من أساليب أعداء الإسلام قاتلهم الله، والله – عز وجل – يقول:**{لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}**[2].

ويقول:**{أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**[3].

تعليم الناس كيفية السرقة وكيفية شرب الخمر وكيف تصنع أنواع الخمور، وذلك عن طريق المسلسلات السينمائية، فيتعلم السارق كيف يسرق، بل وأفضل السرقات وهكذا...

ويقول: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المُتَرجِّلة المتشبهة بالرجال والديُّوث»** [4] وفي لفظ عند أحمد: **«ثلاثة قد حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث»** الذي يقر في أهله الخبث وإذا عرفت أن معنى الديوث: هو الذي يرضى على أهله بالمنكر داخل بيته عرفت أن المفاسد السابقة كلها منكرات داخل بيتك فهل ترضى أن الله لا ينظر إليك يوم القيامة؟ نسأل الله العفو والعافية وأن يوفقنا لطاعته.

---

(١) طه: ١٢٤.

(٢) التوبة: ١٠.

(٣) التوبة: ١٣.

(٤) رواه أحمد والنسائي.

نصيحتي لكل إعلامي:

إن كل ما تبثونه مكتوب عليكم، وستحاسبون عليه يوم القيامة، وسيكون الخصوم كثير يوم أن يوضع الكتاب قال تعالى:**{وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً}**[1].

وكلٌ سيقول يا رب شاهدنا ما عرضه هؤلاء في (التلفاز) ولن ينفعهم هذا العذر في نجاتهم ولا نجاتكم.

فالله الله في النجاة بأنفسكم من ذاك اليوم الذي يشيب فيه الولدان.

واتقوا الله في أمّة محمد، فقد أدخلتم الفساد إلى داخل كل بيت، فأفسدتم الأخلاق، ونشرتم الرذائل.

بثكم الإعلامي شره أكثر من خيره، بل ولا خير فيه، وإن وُجد فهو في بداية البث ونهايته.

اعرضوا أفعالكم على الكتاب والسنة ستجدون أنكم بعيدون كل البعد عنهما، فلا خير في عملكم هذا.

واعلموا أن للنار أصحاب وأتباع، فاحذروا الوقوع فيها، فنارها نار، وعذابها عذاب.

واحذرو أن تكونوا من أصحابها، فوالله لن تستطيعوا أن تقفوا ولا دقيقة واحدة، بل ولا لحظة، فاعملوا عملاً يرضاه الله ورسوله.

رسالة من ابن إلى أبيه:

أبتاه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

والدي العزيز: أدام الله عزك، وجعلك من عباده الصالحين الذين إذا مرّوا باللغو مروا كراما.

أبي الحنون: إنني أعرف مدى محبتك لي، وأعرف أنك تحب أن تفتخر بي أمام الناس برجولتي، ولكن يا أبتِ لا أعتقد أن ذلك يصل بك أن تلقي بنا في النار.

أبتاه: هل تعتقد أنك عندما فكرت أن تحفظنا من الشارع وتشتري لنا (الدش) لكي نشاهد أفلام الكرتون والمغامرات، هل تعتقد أنك حفظتنا من الشارع، ووفرت لنا سبل

(١) الكهف: ٤٩.

الراحة والمتعة؟ لا... لا... لا يا أبتاه، بل هو الانشغال عن القرآن الذي كان لـه وقعٌ في قلوبنا، والالتفاف إلى الأفلام الكرتونية التي ضررها أكبر من نفعها، فلا أدرى هل ستكون من حسناتك أم من سيئاتك يوم القيامة؟ مع اعتقادي أن الله لا يجزي من يكافئه في خلقه إلاّ النار. إنني أشعر بضلالتي مع (الدش) وأخشى أن تقذف في النار بسبب ضلالتي.

والدي: هل تذكر قبل أن يدخل (الدش) إلى بيتنا؟ هل تذكر؟ هل تذكر كم كنت تقرأ القرآن؟ وكيف كنت تحافظ على الصلاة في المسجد في وقتها، بل كنت تأمرنا بذلك، وكيف أنت الآن، كيف تساهلت عن الصلاة، وأصبحت تصلي في المنزل بدلاً عن المسجد، وكيف كنت تسخر مني عندما كنت أصلي في المنزل، وتشبهني بأمي وأختي

أبي: ماذا ستفعل يوم القيامة عندما تشهد عليك عيناك بأنك استعملتهما في مشاهدة الممثلات والمغنيات مع علمك بقوله تعالى:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}**؟ أم ماذا ستفعل عندما يشهد عليك سمعك بأنك استعملته في الاستماع إلى ما حرّم الله من الأغاني والموسيقى؟

والدي الحبيب: هل تذكر عندما قلت بأنك لن تشتري (الدش) إلاّ لاستماع أخبار العالم، وكي نشاهد نحن أفلام الكرتون، ثم أصبحنا نشاهد المسلسلات والأفلام العربية والأجنبية الماجنة الخليعة، وتعلمنا التقاليد الغربية، وتعلمتُ أنا أن الحيوانات تتكلم، وأن الحشرات نظيفة وجميلة.

أبتاه: هل تعتقد أنني سألبسك تاجاً فوق رأسك يوم القيامة لأنك علمتني القرآن؟ أم سأقودك إلى النار بسبب (الدش) الشيطاني؟

والدي الحبيب: يا من تتمنى لي السعادة، ليست السعادة بشراء هذا (الدش) الذي تعبت في جمع المال وربما تديّنت في شرائه، ولكن التقي هو السعيد.

أبي: أرجو المعذرة إن كنتُ قسوت عليك أيها الأب، ولكن يا أبت لم تشاهد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ يا أبت لا تدخل الشيطان إلى بيتنا إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا، يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا، يا أبت لماذا لا تكون مثل إسماعيل عليه السلام: **{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِياً}** [1].

والدي: لقد نسيت القرآن بسبب (الدش)، وعندما دخلت المسجد لكي

(١) مريم: ٥٥.

أدرس القرآن في مدرسة التحفيظ تفاجأت أنني أتلعثم في القرآن وكأنه غريب عليّ، وكم خجلت عندما سمعت معلم القرآن وهو يقول: (إن الرجال الذين يمتلكون الدش لهم أولاد مثل البنات محبوسون في المنازل يحفظون أسماء المغامرات الكرتونية، والمسلسلات، وأنتم يا أولاد المسجد تحفظون كلام رب العالمين، فهنيئاً لكم) لقد خجلت من نفسي وخجل كل شاب معنا معه (دش) في بيته.

وأثناء جلوسي مع الطلاب في المسجد رأيت رجلاً يعلّم الناس القرآن، ورأيت حوله رجالاً مع كل رجل منهم قرآناً يقرأ فيه، وفي لحظة خاطبني صديقي الذي بجانبي قائلاً: هل تعرف أين أبي؟ فقلت له: أين هو؟ فقال: ذاك الذي بيده القرآن، ثم همزني صديقي الآخر قائلاً: وهل تعرف أين أبي؟ فقلت: أين هو؟ فقال: ذاك الذي ينتظر الصلاة، وبيده قرآناً يقرأ فيه. فتبادر إلى ذهني سؤال وهو: أين أبي؟؟ فتذكرت أنك معتكف عند الدش تقلب القنوات الفضائية، فعرفت أن الفرق كبير بين من يُقلّب صفحات القرآن وبين من يقلب قنوات....

وأخيراً أرجو أن تسامحني إن كنت قسوت عليك في هذه الرسالة، ولكني لم أستطع أن أنصحك مباشرةً، فكتبت إليك هذه الرسالة العاطفية المملوءة بالحب والود والطاعة والبر بك، ونحن يا أبت أمانة في عنقك إلى يوم القيامة، وأنت المسؤول عنا، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}**........ والله يحفظك ويرعاك وجعلني الله باراً بك.

التحرش الجنسي بالأطفال:

حينما يتحدث المرء عن التحرش الجنسي بالأطفال، فإنه يتحدث عن أحزان وآلام ونتائج سيئةٍ لبداياتٍ خاطئة. ويتحدث بالطبع عن أُسَرٍ تصدَّعت، ومجتمعٍ تأثَّر وكاد ينتكس تحت وطأة هذا الأمر. وأطراف المتأثرين بالتحرش الجنسي بالأطفال عديدة: المتحرَّش به.. المتحرِّش.. أسرة المتحرَّش به.. أسرة المتحرِّش.

وتزداد القضية تعقيدًا وإشكالاً حين يكون أطراف المشكلة من الأقارب أو المحارم، لما يلقي ذلك من ظلالٍ كئيبةٍ على كيان الأسرة الكبيرة، والعائلة الممتدة.

وأسباب التحرش كثيرة، منها تجاوز العديد من الأسر للحدود الشرعية، ومنها إهمال الوالدين والمربين، ومنها سوء تربية المتحرِّشين.

كما علينا ألا نغفل دور المجتمع في أن يكون سببًا فيما يصيب أطفالنا من تحرشات عبر ما يقدمه من مثيراتٍ ومرغّبات، وما يضع من عوائق في الزواج وصعوبات فيه.

معادلة الأمان:

وحتى لا تتوه الدروب، وتتعدد الاتجاهات، فنفقد التركيز، ومن ثَمَّ الفائدة المرجوة سأركز على أهم طرفٍ في هذه المعادلة: الوالدَين والمربين، لأنقل إليهم حديثًا في منهجية الإسلام، ونظرات فيه، وما ذاك إلا لأنهم السبب الأول لوقوع التحرش الجنسي بالأطفال، وحائط الصد الأساسي الواقي للأطفال من هذا التحرش، وهم لهم المرتبة الأولى في جدار الوقاية، لا بل المراتب العشر الأولى، وما بعدهم يأتي من بعيدٍ في المراتب الحادية عشرة والثانية عشرة... إلخ.

فللوالدين والمربين أقدِّم هذه النظرات

١ – التحرش الجنسي والتربية الجنسية:

هذه المساحة التي ظلت لسنين طوال منطقة محظورة الاقتراب أو التصوير كانت سببًا رئيسيًّا وأساسيًّا في وقوع حالات التحرشِ الجنسي بالأطفال؛ إذ غالبًا ما يستغلُّ المتحرِّش جهل براءة الطفل أو الطفلة، ليوقعه في براثنه تحت خدعة أنها لعبة من الألعاب كالتي يمارسها الأطفال مع بعضهم، فينقاد الطفل في براءةٍ لما يحدث، وتكون الكارثة بعد ذلك.

وإذا كان ما يزال هناك العديد من المربين والآباء والأمهات يتساءلون: هل يجوز للمربي أن يحادث ابنه أو ابنته في المسائل الجنسية؟ هل له أن يعرِّفه أو يعرِّفها بالفوارق ما بين الجنسين؟ وإذا كان هذا جائزًا فما السنُّ المناسبة لذلك؟

أترك إجابة هذه الأسئلة للمختصين في مجالات التربية وعلم النفس، لأتحدث عن موقف الإسلام من هذا:

إن أطفالنا في الأعم الأغلب يبدؤون في قراءة وحفظ القرآن الكريم أو جزءٍ منه وهم في سنٍّ صغيرة، ولقد تحدث القرآن الكريم بوضوحٍ عن النطفة من أين أتت وكيف تتكون في رحم المرأة، وتحدث عن خلق الإنسان من أخلاطِ النطفتين من الرجل والمرأة، وتحدث عن الجماع "الرفث" ليلة الصيام، وتحدث عن المحيض واعتزال النساء فيه، وتحدث عن حمل الولد في بطن أمه ومدة إرضاعه، وعن الزنا، وعن إتيان الرجال شهوةً من دون النساء، وغير ذلك، وهذه بعض السور وأرقام الآيات فيها: "المؤمنون (١٣) – الإنسان (٢) – البقرة (١٨٧) – البقرة (٢٢٢) – الأحقاف (١٥) – الإسراء (٣٢) – الأعراف (٨٠ – ٨١)".

لقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك وأكثر منه، فكيف يمكن للولد أن يفهم معنى هذه الآيات إذا لم تُوضَّح له وتُشرح من قِبَل الوالدين والمربين؟؟

٢ – وفرقوا بينهم في المضاجع:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال ﷺ : **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوابينهم في المضاجع»** [(١)].

هذا الحديث من الإبداع بمكانٍ، بل هو مدرسةٌ تربويةٌ كاملـة، ولـي فيـه هـذه الوقفـات السريعة:

– عرَّف هذا الحديث الأطفال من أول الأمر أن هناك حلالاً، وأن هناك حرامًـا، فربـى الطفل على التربية الإسلامية منذ نعومة أظفاره.

– مسألة التفريق في منامات الأطفال هذه هي مـن بـاب سـدِّ ذرائـع الشـر، وفي ذلـك إشعار بأهمية صيانة أبنائنا، وإغلاق الطريق التي يمكن أن تفضي بهـم إلى الوقـوع في المحـرَّم، فإن تشارك الأولاد في فراش واحد يمكن أن يؤدي بطريق غير متعمدة أو بدافع الفضـول إلى محاذير يحسن تجنبها، ومن مقاصد الشريعة سد أبواب الشر، ومنع ما يفضي إلى الحرام.

– جمع هذا الحديث بين تربية الإيمان والسلوك وإغلاق باب الشـر في وقـتٍ واحـد، إذ أمر أن نربي أبناءنا على الصلاة ونحثهم عليها، والصلاة هنا الفريضة، كمـا أنهـا النهـي عـن الفحشاء والمنكر، كما قال تعـالى:**{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّـلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**[(٢)].

فهذه هي تربية الإيمان والسلوك، والتفريـق في المضـاجع هـو سـد بـاب الشـر، وهـذان الجناحان هما أكثر ما يحتاجه أبناؤنا في مثل هذه السن.

"سُدّ باب الشرِّ، واربط بالله تعالى، وربِّ على الإسلام".. هذه رسالة المربين والوالدين.

– جعل الحديث مسألة التفريق هذه من الضرورة بحيث ربطها بالصلاة؛ وهو مـا يؤكـد أهميتها ومكانتها.

– هذا الحديث يبث في الأطفال إحساسهم بقيمتهم، ويبين لهم أن لهم قدرًا ومنزلةً عند بلوغهم هذه السنِّ؛ وهو ما يحقق كياناتهم وثقتهم بنفسهم منذ الصغر.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

- أخيرًا.. مسألة التفريق هذه هي حقٌّ من حقوق الأبناء على آبائهم، فواجب على الآباء التفريق بين أبنائهم في مضاجعهم، لغرس العفة والاحتشام والآداب والالتزام في نفوسهم منذ الصغر.

٣ - المراقبة والملاحظة:

على الآباء والمربين ألا تغفل عيونهم عن مراقبة أولادهم وملاحظتهم، لا نقول أن تحرموهم حرية الحركة والتعبير عن الذات، لكنها عين الحارس والمتابع، والملاحظ لكل ما يحدث معه أبنائه، سواء من اختلاطهم بمن حولهم، أو من تغيرات تظهر على الأبناء، فإن بدا من ذلك شيء وجب علاجه قبل أن يكبر ويستفحل ويستشري، وهذه هي المسؤولية التي كلّف الله تعالى بها كل أبٍ ومربٍّ،

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته»** [(١)].

وأي رعايةٍ أوجب من هذه؟؟

ملاحظة التغيرات:

إن الاعتداء الجنسي على الأطفال خطرٌ محدقٌ، وإذا كان هذا الاعتداء من قريب فإنه عادة ما يصاحبه تهديدٌ ووعيدٌ حتى لا يفشي الصغير السر، كما أن الاعتداء غالبًا ما يكون متكررًا، نظرًا لسهولة تواجد هذا القريب في محيط الطفل، وبذلك قد يستمر الخطأ ربما لوقت طويل، وتظهر آثاره على حالة الطفل النفسية؛ من اضطرابات سلوكية، وكوابيس، وضعف شهية، وميل للعزلة، وضعف وتراجع دراسي، وأكثر من ذلك تتشوه شخصيته تشويهًا قد يلازمه طوال حياته، ويصعب علاجه والتخلص تمامًا من مفاسده، وقد يستمر الطفل في ممارسة الخطأ حتى يكبر بل ويشيخ.

وقد قال الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [1].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله:{قُوا أَنْفُسَكُمْ} يقول: علّموا بعضكم بعضًا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله:{وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} يقول: وعلّموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار".

ويقول الإمام القرطبي:

"قال مقاتل: ذلك حقٌّ عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه، قال الكيا: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}، ونحو قوله تعالى للنبي ﷺ :{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[2]".

إن التحرش الجنسي سببه الأول الوالدان والمربون، وهم المسؤولون الأوائل في أن يقوا أنفسهم أولاً نارًا سببها تقصيرهم في حق أطفالهم، وذلك عبر أن ينشؤوا أطفالهم وفق منهجية الإسلام وإيمانياته وأخلاقه، فيُدخِلوهم الجنة، ويدخلوا بسببهم الجنة.

هذه الأخطاء التربوية التي لاحظتها بعدة نقاط ، وهي كما يلي:

١- إهمال غرس المبادئ الدينية في نفس الطفل بحجة صغر سنه وعدم ادراكه، وهذا خطأ فادح يقع فيه المربي، لأن نفس الطفل الصغير أكثر قابلية لما يزرع فيها من مبادىء وقيم، قال ابن خلدون في المقدمة: التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده، لذلك يجب تعليم الطفل مبادئ دينه منذ سنواته الأولى:

٢- عدم اتفاق الوالدين على منهج محدد في تربية الطفل، فنجد الأب مثلا يعلم طفله قيمة من القيم فتعارضه الأم برأي مخالف أمام الطفل! أو قد يضرب الطفل أمه فتظهر

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

غضبها منه بينما الأب يضحك لـه ويشجعه! فتكون نتيجـة ذلـك تذبـذب شخصـية الطفـل وازدواجية في مفاهيمه، مما يتتج عنه عدم تمييزه بـين الخطـأ والصـواب، فيصـدق عليـه المثـل القائل من كثرة الملاحين غرقت السفينة!!

٣- اتباع سياسة التسلط والصرامة والقسوة في تربية الطفل، وغالبا ما يظن منتهجو هذه السياسة أنها التربية المثلى التي تعد الطفل ليكون رجلا قويـا بينمـا العكـس هـو الصـحيح!! ذلك أن سلب شخصية الطفل ومسخها تمامـا وحرمانـه مـن حقـه في التعـبير عـن رأيـه وفي اختيار ما يرغب به أو يميل إليه من شأنه أن يشعر الطفل بالنقص ويفقده الثقة بنفسه فينطوي على اثر ذلك عن الحياة الاجتماعية ويميل إلى العدوانية للتعبير عن رفضه لوضـعه ومعاملتـه الصارمة، وللتعبير عن عدم رضاه عن شخصيته الضعيفة المهزوزة!!

وتظل تلك الآثار ملازمة للطفل حتى بعدما يكبر ويبلـغ مرحلـة النضـج والرجولـة في صورة قلق دائم وخوف من المستقبل وعدم قدرة على مواجهة مشكلات الحياة.

٤- معاملة الطفل كالبالغ، فتفسر كل سلوكياته الخاطئة على انهـا عصـيان علـني سـافر فيلام تبعا لذلك لوما عنيفا وربما يعاقب، وكـأن لــه مـن الخـبرات مثـل مـا للكبـار، ويجـدر بالمربي ان يتغاضى عن أخطـاء الطفـل اليسـيرة وأن يفـرق بـين الخطـأ غـير المتعمـد والخطـأ المقصود، فيذكّر نفسه كلما همَّ بتعنيفـه أنـه لـيس سـوى طفـل صـغير ذي خـبرات محـدودة وتجارب قليلة، فيحلم عليه ويصفح عنه ولا يغضب ف:

ليست الأحلام في حـال الرضـا ::: إنما الأحلام في حـال الغضـب!

يقول ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق: إنـك إن عـوّدت الطفـل علـى التـوبيخ الـدائم والمكاشفة فإنك تحمله على الوقاحة فيهون عليه سماع الملامة! وهـو مـا نعبِّـر عنـه بالعاميـة بقولنا استلمس جلده ومات إحساسه!!

٥- عدم إشباع حاجات الطفل النفسية والعاطفية بحرمانه من الشعور بمـا يكنّـه المربـون لـه من مشاعر الحب والحنان الدافئة، أو بتعبير آخر عـدم إدراك المـربين لمـدى أهميـة ترجمـة المشاعر الداخلية إلى سلوكيات من شأنها إشعار الطفل بالطمأنينـة والأمان،وتعـد الابتسـامة والبشاشة في وجه الطفل وملاطفته من وسائل التعـبير عـن حبـه والرغبـة فيـه، فضـلا عـن وسائل التعـبير الاساسـية وهـي اللمسـة الحانيـة او التربيـت عليـه والقبلـة والضـمة وسـائر التعبيرات اللفظية المؤدية الى بلوغ ذلك الهدف المراد، ومعروف أن للقبلة والضمة دورا كـبيرا في تحريك مشاعر الطفـل وعاطفتـه وهمـا السـنّة الثابتـة عـن رسـول الله ﷺ في تعاملـه مـع

الأطفال، روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبّلون صبيانكم، فما نقبّلهم فقال النبي: **«أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**.

ومما يروى عنه أنه ﷺ كان يُجلس أسامة بن زيد على فخذه ويُقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ويقول: **«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»**.

إن التعبير للطفل عن حبه هام جدا لنموه النمو الطبيعي من النواحي النفسية والعاطفية بل العقلية ايضا، ولوقايته كذلك من القلق والإحباط والصراع والعقد، ولأهمية دور القبلة والمعانقة فقد صنّف البخاري رحمه الله بابا في كتاب الأدب سماه: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

٦- إهانة الطفل والنيل من كرامته وتحقير شأنه أو السخرية من عيوبه الجسدية والعقلية وتشبيهه بمخلوقات الله الأدنى، ولعلّ القراء مازالوا يتذكرون تلك المعاناة التي سطرها أحدهم في صفحة مشكلة تحيرني قبل مدة، إذ كان محجما عن الزواج بسبب كبر حجم رأسه!! كما ذكر فيما ذكر أن لقب أو بالأحرى معيارة أبو راس كانت تلاحقه منذ الطفولة!!

لاحظ أخي القارىء: إن صاحب المشكلة رجل بالغ على وشك الزواج، بينما معاناته لم تكن وليدة لحظة عابرة، بل نتاج أساليب تربوية خاطئة تجرعها في سنوات طفولته فكانت كفيلة بزعزعة ثقته بنفسه وإشعاره بالنقص والدونية اللذين ظلا ملازمين له حتى بعدما كبر وبلغ مرحلة الشباب.

٧- الإكثار من الأوامر والزواجر المباشرة اذهب، قم، كل، اشرب، لا تذهب، لا تشرب، لا تلعب.

ولاشك أن اتباع ذلك الأسلوب المباشر وتكراره دائما سيجعل الطفل يسأم فيتعمد العصيان او تجاهل ما سمع، وبدلا من أن نتعجب أو نظهر انزعاجنا من سلوك الطفل تجاه أوامرنا المباشرة علينا أن نلطف أسلوبنا بتحويله إلى أسلوب عرض رقيق لكنه يفي بالغرض ويحقق لنا الطلب، فبدلا من أن نأمر الطفل بحل واجبه المدرسي مثلا بقولنا: اذهب الآن وقم بحل واجبك! يمكن أن نضعه أمام خيارين، كأن نقول له: عليك أن تختار: هل تريد حل واجبك قبل العشاء أم بعده؟!

وجدوى هذه الطريقة كامنة في كون الطفل يقبل على عمل ما نطلب منه طائعا راغبا، لأنه لا يشعر بأنه مجبر أو مكره عليه، بل إنه اختاره بمحض إرادته ولم يفرض عليه فرضا!!

٨- تكرار التهديد بالعقاب دون إيقاعه، وهذا من أكثر الأخطاء التربوية الشائعة،

فكثيرا ما تهدد الأم بحرمان الطفل مما يريد أو،، أو،، دون أن يقترن ذلك بتنفيذ، فيفقد الطفل حساسيته نحو التهديد، ويفقد العقاب قيمته في تقويم سلوك الطفل.

٩- إعطاء الطفل حجة أو عذرا جاهزا للإحجام عن تنفيذ ما نطلب منه! كما في العبارات الآتية: قم افتح الباب أو أنت تعبان ما تقوى تروح؟! شغّل المكيف أو ما تطول؟! اجمع ألعابك او ما لك خلق؟!،إن الطفل بلا أدنى تردد سيحتج بالحجة التي ذكرها الآمر ذاتها ليتهرب من تنفيذ الطلب، وليس اللوم على الطفل بالطبع بل على المربي الذي لم يحسن التعامل مع عقلية الطفل الذكية!!

١٠- إظهار الأم عجزها عن السيطرة على الطفل، كأن تقول على مسمع منه: تعبت من هالولد، وما عاد أقدر عليه أو أن تهدده بوالده مظهرة إخفاقها في ضبط سلوكه متجردة من أي سلطة وقدرة عليه كأن تقول له: هيِّن بس اصبر يجي أبوك وأنا أعلمه عليك.

إن الطفل عندما يسمع مثل هذه العبارات يشعر بالفخر لقدرته على التحدي والإزعاج، ويتمادى في ذلك، لأنه يشعر أنه يثبت وجوده بمثل هذه الطريقة.

وفي هذا الصدد أذكر قصة طفل في التاسعة من عمره كان يلازم أباه في كل تنقلاته بشكل لافت للنظر، فصادفني يوم سألته فيه عن سبب مرافقته الدائمة لأبيه وكأنه غترته أو عقاله! فأجاب بفخر بلهجة فارس يحكي عن بطولاته وعنترياته: أصلي دايم أنكّد على أمي وأحوس عليها البيت وأضرب إخواني، فتقول لأبوي لا تروح إلا وأنت آخذ هالعلة معك، فكّني منه الله يخليك ترى ما أقدر عليه!! علشان كذا أبوي يأخذني معه وين ما راح!!

١١- عدم تفهم الدوافع التي جعلت الطفل يسلك سلوكياته الخاطئة، ولذلك أهمية بالغة في تعديل تلك السلوكيات، قال الامام ابن القيم رحمه الله: وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد، رأيت عامته من قِبَل الآباء،، وهذه حقيقة واقعية، فلو تأمل المربي في دوافع سلوك طفله لبدأ بلوم نفسه على الغالب قبل لوم الطفل أو معاقبته! فضرب الطفل لأخيه الصغير غالبا ما يكون بدافع الغيرة التي أوقدها المربي نفسه في دخيلة طفله عندما صرف جُلَّ اهتمامه ودلاله على الطفل الرضيع وتناسى الطفل الأكبر.

وكذلك مشكلة التبول الليلي كثيرا ما تكون ردة فعل أو انعكاسا لتسلط الوالدين أو أحدهما على الطفل المترسب في الشعور أو اللاشعور، فيعاقبهما أو ينتقم منهما بذلك السلوك.

١٢- الإيحاء السلبي للطفل، فكثيرا ما نسمع بعض الامهات يُلقّنَّ أولادهن السلوكيات الخاطئة من دون قصد، كأن تقول إحداهن على مسمع من طفلها أنه سيء الخلق وأنه

يكسر أثاث المنزل ويضرب إخوانه! فما يكون منه إلا أن يقوم ويترجم ما قالته فعليا!!

دعيت مع أهلي مرة لوليمة أقامها قريب لنا، وما إن انتظم عقد المدعوات في صالة الجلوس ذات التحف الراقية الثمينة حتى دخلت إحدى النساء برفقة ثلاثة من أطفالها فقالت مخاطبة صاحبة الدعوة على مسمع من أطفالها: أوه، ماليين مكتبتكم تحف! أنتم ما تعرفون عيالي؟! الحين يكسرونهن لكم!! وهو ما كان للأسف الشديد، حتى تم تدارك ما سلم من أيدي أولادها هداهم الله وهداها.

لم تكتف صاحبتنا بما حدث بل زادت بجهلها الطين بلّة حين دخل أطفالها وقد ملؤوا أيديهم وجيوبهم بالتراب فما كان منها الا أن قالت: تكفون يا عيالي لا تكبونه على الحريم!! ولك قارئي الكريم أن تخمّن النتيجة!!

هذا عن الإيحاء السلبي للطفل، فماذا عن الإيحاء الإيجابي وكيف يكون؟!

الإجابة تكمن في عكس ما سبق تماما، فاذا ما قلت لطفلك أنه ولد سيىء أو غير مطيع أو غبي لا يفهم، فإنه سوف يقبل هذه الأوصاف كأنها صورة حقيقية عن نفسه، وسوف يعمل في حدود هذا الوصف الذي أسبغته عليه! وبالعكس تماما إن قلت له إنه ولد طيب ومثالي ومهذب وخلوق ويحترم الكبار ولا يؤذي الصغار فإن هذه الأوصاف تعطيه الإيحاء الإيجابي المناسب!!

جربت هذه النظرية مع ابنة أخي ذات الخمسة أعوام عندما رأيتها تهمُّ بقلب صالة الجلوس رأسا على عقب لكي تحوِّلها إلى بيوت وأكواخ، فما كان مني إلا أن قلت مخاطبة من حولي متعمدة إسماعها: ما شاء الله على فلانة، تراها دايم ترتب الصالة، وما عمري شفت أحسن من ترتيبها، شوفوا الحين وش بتطلع الصالة إذا خلّصت!! وفعلا أدى الإيحاء النفسي دوره في حملها على الترتيب بدلا من اللعب والعبث وبعثرة أرائك الجلسة!!.

هذا ما لديَّ عن الأخطاء الشائعة في تربية الأطفال، ويبقى أن أشير الى ضرورة الدعاء المستمر للذرية بالهداية والصلاح كما جاء على لسان امرأة عمران أم مريم عليهما السلام: وإني أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم، كما جاء على لسان زكريا عليه السلام: ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء.

نداء إلى الأمهات المسلمات:

ربي وليدك وفق الدين ربيه ::: فالدين من سفه الإلحان يحميه
يا أخت أنتِ رعاكِ الله عدتنا ::: لخلق جيلٍ قوي غير مشبوه

فلقّني طفلك الإسلام فهـــو لـــــه	:::	كالمنهل العذب ما ينفــكُّ يرويــه
وسلّحيه بما في الـــدين مـــن أدب	:::	ومن محجّتــه البيضــاء فاســقيه
وعلّميه التقـــى إن التقـــى ســـنداً	:::	يقيه من كل أمر ســوف يؤذيــه
ونشئيه على هدي الكتاب ومـــن	:::	آياتــه الغُـــرِّ يـــا أختـــاه غذّيــه
وزوّديـــــه بـــــأخلاقٍ محصـــــنة	:::	من الضـــلالة والإفســـاد تنجيــه

ثانيا: شروط المربي:

١ – أن يتمتع بالإخلاص والتجرد لله تعالى، وأن يكون بعيدا عن الأهواء والشهوات.

٢ – أن يكون صاحب نفسية سوية وقوية، وقدرة على استيعاب الأطفال، وعمل علاقات طيبة معهم، وأن يحسن التعامل معهم وحل مشاكلهم.

٣ – أن يكون على مستوى علمى وخلقى مناسب حيث أنه سيكون قدوة للأطفال.

٤ – أن يكون صاحب ذهنية متفتحة وحركية بحيث يستطيع أن يستوعب المستجدات وإيصالها للأطفال، كمال يكون متصفا بالحنكة وبعد النظر والقدرة على تمييز قدرات الأطفال وتصنيفها، والقدرة على اكتشاف الموهوبين والمميزين.

٥ – المرونة والجدية حيث أنه يتعامل مع أطفال ربما تحدث منهم أشياء غير متوقعة.

٦ – القدرة على الاتصال والتفاعل مع الأطفال وأن لا يقرأ لهم من كتاب، بل يتخير الأساليب الملائمة لتوصيل المعلومات للأطفال.

٧ – القدرة على استيعاب ومتابعة الأطفال، والسؤال عن الغائب منهم ومتابعته، وعدم إهمالهم.

٨ – القدرة على توجيه الأطفال وتحميلهم المسؤوليات على حسب مستوياتهم، بأن يكلفهم بدعوة زملائهم، وإلزامهم ببعض الأدوار الهامة.

٩ – القدرة على ربط المنهج العلمي بواقع الأطفال وحياتهم ومحاولة استخراج الدروس الأخلاقية والتربوية والعقدية من خلال هذا المنهج.

١٠ – القدرة على التواصل مع أولياء الأمور، ومتابعة أبنائهم معهم، ودعوتهم من خلال الأبناء.

المنهج العلمي:

١ – القرآن الكريم:

أول ما يتربى عليه الطفل هو القرآن الكريم، فهو المنبع الذى يستقى منه المسلمون منهجهم – خاصة الأطفال – فهو المصدر الرئيسى لبناء ثقافتهم وصقل شخصياتهم ولتفوقهم وسلامة ألسنتهم واعتدال نفسياتهم، لذا ينبغى على المربى أن يحبب الأطفال فى القرآن ويرغبهم فيه بالجوائز على الحفظ والتسميع وغيرها.

ويتم ذلك من خلال هذا البرنامج:

أ – الحفظ: (١٥جزء)

يتم الطفل فى هذه الفترة حفظ خمسة عشر جزءا على الأقل، مع مراعاة فروق المستويات بين الأطفال فهناك أطفال لهم قدرة على الحفظ، هؤلاء يستمرون فى الحفظ، وكذلك الأطفال الذين يحفظون فى الكتاتيب أو مع المحفظين.

ب – التفسير:

يكون لمعانى الكلمات فقط وتكرارها باستمرار حتى يحفظها الطفل وتكون لهذه الأجزاء الخمسة عشر مع شرح القصص القرآنى الذى سيقابلهم فى السور، أى يكون التفسير موافقا للحفظ، فيقوم المربى بشرح معانى الكلمات التى يحفظها الطفل أولا بأول.

يمكن الاستعانة بتفسير معانى القرآن من تفسير ابن كثير أو كتاب " كلمات القرآن تفسير وبيان"

أو غيرها من كتب التفسير.

٢ – الحديث الشريف:

ينبغى أن يتربى الأطفال على حب النبى ﷺ وحب السنّة، والحرص على التزامها، لذا قمت باختيار مجموعة من الأحاديث الجامعة الهامة – من كتاب رياض الصالحين والأربعين النووية – وهى أكثر من مئة حديث ليحفظها الأطفال فى المرحلة الأولى ثم يستكمل بعد ذلك حفظ رياض الصالحين، ويقوم المربى بشرح مبسط للحديث واستخراج الآداب أو الأحكام المستفادة من الحديث من كتاب " شرح رياض الصالحين" للشيخ العثيمين، وينبغى عليه أن يراعى التبسيط لأبعد مدى.

وهذه الأحاديث هى:

١ – عَنْ أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمَنْ كانت هجرته إِلَى اللَّه ورسوله فهجرته إِلَى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إِلَى ما هاجر إليه»** متفق عَلَى صحته.

٢ – عَنْ أبي هُرَيْرَةَ عبد الرحمن بن صخر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«إن اللَّه تعالى لا ينظر إِلَى أجسامكم ولا إِلَى صوركم، ولكن ينظر إِلَى قلوبكم»** (١).

٣ – عَنْ الأغر بن يسار المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«يا أيها الناس توبوا إِلَى اللَّه واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة»** (٢).

٤ – عَنْ أبي يحيى صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمِنْ: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»** (٣).

٥ – عَنْ أبي سعيد وأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عَنْ النبي ﷺ قال: **«ما يصيب المسلم مِنْ نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر اللَّه بها مِنْ خطاياه»** (٤).

٦ – عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: **«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** (٥).

٧ – عَنْ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قال: **«إن الصدق يهدي إِلَى البر وإن البر يهدي إِلَى الجنة؛ وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقا، وإن الكذب يهدي إِلَى الفجور وإن الفجور يهدي إِلَى النار؛ وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذابا»** (٦).

---

(١) رواه مُسْلِمٌ.
(٢) رواه مُسْلِمٌ.
(٣) رواه مُسْلِم.
(٤) متفق عَلَيْهِ.
(٥) متفق عَلَيْهِ.
(٦) متفق عَلَيْهِ.

٨ – عَنْ أبي ثابت. وقيل: أبي سعيد. وقيل: أبي الوليد سهل بن حنيف وهو بدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«من سأل اللَّه تعالى الشهادة بصدق بلغه اللَّـه منازل الشهداء وإن مات عَلَى فراشه»** [(١)].

٩ – عَنْ أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«اتق اللَّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»** [(٢)].

١٠ – عَنْ ابن عباس رَسُول اللَّهِ قَالَ: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقَالَ: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألت فسأل اللَّـه، وإذا استعنت فاستعَنْ باللَّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت عَلَى أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك،**

وإن اجتمعوا عَلَى أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» [(٣)].

١١ – عَنْ أبي يعلى شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى عَلَى اللَّه!»** [(٤)].

١٢ – عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»** حديث حسن رواه الترمذي وغيره.

١٣ – عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»** [(٥)].

١٤ – عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: **«اتقوا اللَّه وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم»** [(٦)].

١٥ – عَنْ أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّـهِ

(١) رواه مُسْلِمٌ.
(٢) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٣) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.
(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٥) رواه مُسْلِمٌ.
(٦) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثُ حَسَنٌ صحيح.

ﷺ : **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان اللّه والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»** [(١)].

١٦ – عَنْ أبي يعلى شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى عَلَى اللَّه!»** [(٢)].

١٧ – عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **«لو أنكم تتوكلون على اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصا وتروح بطانا»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثُ حَسَنٌ.

١٨ – وعن أبي عمرو، وقيل: أبي عمرة سفيان بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا رَسُول اللَّهِ قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: **«قل آمنت بالله ثم استقم»** [(٣)].

١٩ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«إن اللَّه تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»** [(٤)].

٢٠ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّه وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»** [(٥)].

٢١ – عن أبي عبد اللَّه، ويقال: أبو عبد الرحمن ثوبان مولى رَسُول اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٣) رواه مُسْلِمٌ.
(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.
(٥) رواه مُسْلِمٌ.

عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **«عليك بكثرة السجود؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك اللَّه بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»** [١].

٢٢ - عن أبي صفوان عبد اللَّه بن بسر الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«خير الناس من طال عمره وحسن عمله»** [٢].

٢٣ - عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ : **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»** [٣].

٢٤ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد اللَّه له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»** [٤].

٢٥ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى الطريق. والحياء شعبة من الإيمان»** [٥].

٢٦ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»** [٦].

٢٧ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ويرفع به الدرجات؟»** قالوا: بلى يا رَسُول اللَّهِ. قال: **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط»** [٧].

٢٨ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«كل معروف صدقة»** رواه الْبُخَارِيُّ. ورَوَاهُ مُسْلِمٌ من رواية حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٩ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«إن اللَّه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»** [٨].

---

(١) رواه مُسْلِمٌ.
(٢) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٣) رواه مُسْلِمٌ.
(٤) متفق عَلَيْهِ.
(٥) متفق عَلَيْهِ.
(٦) رواه مُسْلِمٌ.
(٧) رواه مُسْلِمٌ.
(٨) رواه مُسْلِمٌ.

٣٠ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«على كل مسلم صدقة»** قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: **«يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق»** قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: **«يعين ذا الحاجة الملهوف»** قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: **«يأمر بالمعروف أو الخير»** قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: **«يمسك عن الشر فإنها صدقة»** [١].

٣١ – عن أبي هريرة رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»** قيل: ومن يأبى يا رَسُول اللَّهِ؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»** [٢].

٣٢ – عن أبي هريرة رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»** [٣].

٣٣ – عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«الدين النصيحة»** قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** [٤].

٣٤ – عن أنس رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [٥].

٣٥ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللَّـهِ ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»** رواه مُسْلِمٌ.

٣٦ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«إياكم والجلوس في الطرقات!»** فقالوا: يا رَسُول اللَّهِ ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رَسُول اللَّهِ؟ قال: غض**

(١) متفق عَلَيْهِ.
(٢) رواه الْبُخَارِيُّ.
(٣) رواه مُسْلِمٌ.
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
(٥) متفق عَلَيْهِ.

البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» [(١)].

٣٧ – عن أبي هريرة رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: «**آية المنافق ثـلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» متفق عَلَيْهِ.

٣٨ – عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى اللَّه عنه**» [(٢)].

٣٩ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: «**أتدرون ما المفلـس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم لـه ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخـذ مـن خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» [(٣)].

٤٠ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُـول اللَّـهِ ﷺ : «**المـؤمن للمـؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٤١ – عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسـهر والحمى**» [(٤)].

٤٢ – عن جرير بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُـول اللَّـهِ ﷺ : «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» [(٥)].

٤٣ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قـال: «**المسلم أخو المسـلم: لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربـة**

---

(١) متفق عَلَيْهِ.
(٢) متفق عَلَيْهِ.
(٣) رواه مُسْلِمٌ.
(٤) متفق عَلَيْهِ.
(٥) متفق عَلَيْهِ.

فرج اللَّه عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره اللَّه يوم القيامة» [1].

٤٤ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«انصـر أخـاك ظالمـاً أو مظلوما»** فقال رجل: يا رَسُول اللَّهِ أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: **«تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»** [2].

٤٥ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قـال: **«حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح لـه، وإذا عطـس فحمد اللَّه فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** [3].

٤٦ – وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد اللَّه بن عبد الأسد ربيب رَسُول اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت غلاماً في حجر رَسُول اللَّهِ ﷺ، وكانـت يـدي تطيش في الصحفة فقال لي رَسُـول اللَّـهِ ﷺ : **«يا غلام سم اللَّه تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد»** [4].

٤٧ – عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوابينهم في المضاجع»** [5].

٤٨ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: **«من كان يـؤمن بـالله واليوم الآخرفلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كـان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»** [6].

٤٩ – عن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى اللَّه؟ قال: **«الصلاة على وقتها»** قلت: ثم أي؟ قال: **«بـر الوالـدين»** قلت: ثم أي؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»** [7].

---

(١) متفق عَلَيْهِ.
(٢) رواه الْبُخَارِيُّ.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عَلَيْهِ.
(٥) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن.
(٦) متفق عَلَيْهِ.
(٧) متفق عَلَيْهِ.

٥٠ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: **«من أحب أن يبسط لــــه في رزقه، وينسأ لــه في أثره، فليصل رحمه»** [(١)].

٥١ – عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قـال: **«الكبــائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»** [(٢)].

٥٢ – عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قال، قـال رَسُـول اللَّـهِ ﷺ : **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»** [(٣)].

٥٣ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«من عاد مريضاً أو زار أخاً لـــه في اللَّه ناداه مناد: بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منـــزلا»** [(٤)].

٥٤ – وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الـنبي ﷺ قـال: **«الرجل على ديـــن خليلـــه فلينظر أحدكم من يخالل»** [(٥)].

٥٥ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قـال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار»** [(٦)].

٥٦ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الـنبي ﷺ قـال: **«سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ورجـــل قلبـــه معلـــق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امـــرأة ذات حســـن وجمال فقال إني أخاف اللَّه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه»** [(٧)].

٥٧ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟**

---

(١) متفق عَلَيْهِ.
(٢) رواه الْبُخَارِيُّ.
(٣) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وقال: الترمذي حديث حسن صحيح.
(٤) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ.
(٥) رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح وقال: الترمذي حديث حسن.
(٦) متفق عَلَيْهِ.
(٧) متفق عَلَيْهِ.

أفشوا السلام بينكم» [1].

٥٨ – عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ أخذ بيده وقال: **«يا معاذ والله إني لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** [2].

٥٩ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«إذا أحب اللَّه تعالى العبد نادى جبريل إن اللَّه يحب فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»** [3].

٦٠ – عن أبي عبد اللَّه طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **«من قال لا إله إلا اللَّه وكفر بما يعبد من دون اللَّه، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»** [4].

٦١ – عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«من شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد اللَّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق، أدخله اللَّه الجنة على ما كان من العمل»** [5].

٦٢ – عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : **«يقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة»** [6].

٦٣ – عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: **«يا**

---

(١) رواه مُسْلِمٌ.
(٢) حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.
(٣) متفق عَلَيْهِ.
(٤) روي مُسْلِمٌ.
(٥) متفق عَلَيهِ.
(٦) رواه مُسلِمٌ.

معاذ هل تدري ما حق اللّه على عباده وما حق العباد على اللّه؟» قلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: **«فإن حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على اللّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»** فقلت: يا رَسُول اللَّهِ أفلا أبشر الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»** [(١)]..

٦٤ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قال: **«إن اللّه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**[(٢)].

٦٥ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»** [(٣)].

٦٦ – عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما أن رجلاً سأل رَسُول اللَّهِ ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال: **«تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»** [(٤)].

٦٧ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللّه عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه اللّه عَزَّ وفضل»** [(٥)].

٦٨ – عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قال: **«البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»** [(٦)].

٦٩ – عن عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر!»** فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: **«إن اللّه جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس»** [(٧)].

٧٠ – وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي ﷺ قال: **«ما من شيء أثقل في ميزان**

---

(١) متفق عَلَيهِ.
(٢) رواه مُسلِمٌ.
(٣) رواه مُسلِمٌ.
(٤) متفق عَلَيهِ.
(٥) رواه مُسلِمٌ.
(٦) رواه مُسلِمٌ.
(٧) رواه مُسلِمٌ.

المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن اللَّه يبغض الفاحش البذِيّ**»[1].

٧١ – عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«إن اللَّه رفيق يحب الرفق في الأمر كله»**[2].

٧٢ – وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فقد عصى اللَّه، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»**[3]..

٧٣ – عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[4].

٧٤ – وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: كان رَسُول اللَّهِ ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله[5]..

٧٥ – عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»**[6].

٧٦ – وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قال: **«إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك اللَّه؛ فإذا قال له يرحمك اللَّه فليقل: يهديكم اللَّه ويصلح بالكم»**[7].

٧٧ – عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»**[8].

٧٨ – عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن**

---

(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح.
(٢) متفق عَلَيهِ.
(٣) متفق عَلَيهِ.
(٤) متفق عَلَيهِ.
(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.
(٦) رواه التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٧) رواه البُخَارِيُّ.
(٨) رواه أبو دَاوُدَ.

فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» [1].

٧٩ – عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»** [2].

٨٠ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«وما اجتمع قـوم في بيت من بيوت اللَّه، يتلون كتاب اللَّه، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم اللَّه فيمن عنده»** [3].

٨١ – عن عثمان بن عفان رَضيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُـول اللَّـهِ ﷺ : **«مـن توضـأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»** [4].

٨٢ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قـال: **«لو يعلم الناس مـا في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون مـا في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»** [5].

٨٣ – عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: **«من قال حين يسمع النـداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت لـه شفاعتي يوم القيامة»** [6].

٨٤ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقـول: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟»** قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللَّه بهن الخطايا»** [7].

٨٥ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قال: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا لـه بالإيمان»**؛ قال اللَّه عـز وجـل: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}** الآية. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

---

(١) رواه مُسلِمٌ.
(٢) رواه البُخَاريُّ.
(٣) رواه مُسلِمٌ.
(٤) رواه مُسلِمٌ.
(٥) متفق عَلَيهِ.
(٦) رواه البُخَاريُّ.
(٧) متفق عَلَيهِ.

٨٦ – عن ابن عمر رَضيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّـهِ ﷺ قـال: **«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»** [(١)].

٨٧ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رَسُول اللَّهِ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»** [(٢)].

٨٨ – عن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِـيَ اللَّـهُ عَنهـا قالـت: سمعـت رَسُول اللَّـهِ ﷺ يقـول: **«ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي اثنتي عشرة ركعـة تطوعاً غير فريضة إلا بنى اللَّه لـه بيتاً في الجنة، أو إلا بني لـه بيت في الجنة»** [(٣)].

٨٩ – عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سن رَسُـول اللَّهِ ﷺ قال: **«إن اللَّه وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن»** [(٤)].

٩٠ – عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قـال: **«يصبح على كل سـلامى مـن أحدكم صدقة: فكل تسبيحة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»** [(٥)].

٩١ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قـال: **«من صـام رمضـان إيمانـاً واحتساباً غفر لـه ما تقدم من ذنبه»** [(٦)].

٩٢ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: **«لولا أن أشق على أمـتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»** متفق عَلَيهِ.

٩٣ – وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قلت يا رَسُـول اللَّـهِ أي العمـل أفضـل؟ قـال: **«الإيمان بالله، والجهاد في سبيله»** [(٧)].

---

(١) متفق عَلَيهِ.
(٢) متفق عَلَيهِ.
(٣) رواه مُسلِمٌ.
(٤) رواه أَبو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٥) رواه مُسلِمٌ.
(٦) متفق عَلَيهِ.
(٧) متفق عَلَيهِ.

٩٤ – عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«من يرد اللَّه بــه خــيراً يفقهه في الدين»** [١].

٩٥ – عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: **«أولى النـــاس بي يـــوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»** [٢].

٩٦ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: **«يقول اللَّه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»** [٣].

٩٧ – عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي ﷺ قـال: **«الدعاء هو العبـــادة»** [٤].

٩٨ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الـنبي ﷺ قـال: **«من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»** [٥].

٩٩ – عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : **«ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البَذِيِّ»** [٦].

١٠٠ – عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : **«ســـباب المـــؤمن فسوق، وقتاله كفر»** [٧].

١٠١ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الـنبي ﷺ قـال: **«لا تباغضـــوا ولا تحاســـدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»** [٨].

١٠٢ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قـال: **«إذا كانوا ثلاثة فـــلا**

---

(١) متفق عَلَيهِ.
(٢) رواه التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٣) متفق عَلَيهِ.
(٤) رواه أَبو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.
(٥) متفق عَلَيْهِ.
(٦) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ.
(٧) متفق عَلَيْهِ.
(٨) متفق عَلَيْهِ.

يتناجى اثنان دون الثالث» [1].

١٠٣ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر: لا تحلف بغير اللَّه؛ فإني سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **«من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك»** [2].

٢ – الأذكار:

ينبغى أن يحفظ الطفل الأذكار المختلفة عند الأكل والشرب والنوم والاستيقاظ واللبس والصلاة وغيرها من الأوقات، وذلك عن طريق الرسائل الجامعة فى الأذكار مثل "رسالة حصن المسلم".

يقوم المربى بتحفيظهم هذه الأذكار بتكريرها لهم وسؤالهم باستمرار ماذا تقول عند كذا؟ وعليه أن يوضح لهم معانى هذه الأذكار.

٣ – العقيدة:

ينبغى أن يتربى الأطفال على أركان العقيدة الصحيحة والتوحيد منذ الصغر وعلى آثارها، كذلك يتعرف الأطفال على معنى الشهادتين، وذلك من خلال القصص والمواقف من القرآن ومن خلال بعض الكتب الصغيرة مثل:

١ – تعليم الصبيان التوحيد / للشيخ محمد بن عبد الوهاب / طبعة دار الإيمان بالأسكندرية.

٢ – أركان الإيمان للأطفال / للشيخ عمرو عبد المنعم سليم / طبعة دار الخلفاء المنصورة.

٣ – رسالة أنا مسلم.

٤ – منهاج المسلم / الجزء الخاص بالعقيدة / للشيخ أبو بكر الجزائرى.

أو غيرها من الكتب المبسطة فى العقيدة التى يختارها المربى والتى تفى بالغرض، والتى تصلح للأطفال فى هذه المرحلة.

٤ – السيرة:

يحفظ الطفل فى هذه المرحلة سيرة النبى ﷺ كأحداث فقط بعيدا عن التفاصيل

---

(١) متفق عَلَيْهِ. ورَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وزاد: قال أبو صالح قلت لابن عمر: فأربعة، قال: لا يضرك.

(٢) رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ.

والدروس المستخرجة من السيرة – مما يحببهم فى شخصية النبى ﷺ وهذا هو المطلب الأساسى من السيرة مع الارتباط بحياته الشخصية والعامة، فيراعى التسهيل والبسيط.

والكتاب المقترح هو " هذا الحبيب " للشيخ أبوبكر الجزائرى، يقوم المربى بالتحضير منه وتبسيطه لهم على أن يكون الكلام غيبا فلا يقرأ عليهم من كتاب.

٥ – الفقه:

وذلك ليتعلم الطفل أداء العبادات بطريقة صحيحة فيقوم المربى بتبسيط بعض الموضوعات الفقهية وتسهيلها للأطفال مثل: فقه الطهارة وفقه الصلاة والصيام، وكذلك النوافل – حيث لابد للطفل من معرفة النوافل بعد الفرائض – وأى موضوعات أخرى متعلقة بالفقه وتكون مناسبة للأطفال، مع تطبيق هذه الأمور عمليا إن أمكن، مثل الوضوء والصلاة من خلال المسجد.

كما يتعلم الأطفال بعض المعلومات عن باقى الأركان الخمسة للإسلام، وذلك مما يستفاد من الأحاديث السابقة.

ويعتمد المربى على بعض الكتب الهامة: فقه السنة أو الوجيز للشيخ عبد العظيم بدوى.

٦ – القصص:

وهى من أهم الموضوعات بالنسبة للأطفال، حيث أن القصص هى التى تربط الأطفال بالإسلام وشخصياته، وتجعل من هذه الشخصيات القدوات الحقيقية للأطفال بعيدا عن القدوات التى يربيهم الإعلام عليها، كما أن القصص من الأمور الشيقة التى يحبها الأطفال.

أهم هذه القصص: قصص الأنبياء – قصص الصحابة – التابعين – قادة الإسلام العظماء – أبطال الفتوحات الإسلامية – القصص القرآنى – قصص من التاريخ الإسلامى وغيرها.....

الكتب الهامة: كتب عبد الرحمن رأفت الباشا(صور من حياة الصحابة – صور من حياة التابعين) محمد على قطب مثل: قصص الصحابة – وأبطال الفتح الإسلامى/ من إصدارات دار الدعوة بالأسكندرية.

المنهج العملي

١ – الدروس العلمية:

الأطفال فى هذه المرحلة يكونون غالبا من سن (٦ – ١٢) سنة يقوم المربى بحصرهم

وتقسيمهم إلى مجموعات، على ألا يزيد العدد فى المجموعة الواحدة من (٧ - ١٠) أطفال حتى يمكن متابعتهم بصورة جيدة.

لا يقل عدد الجلسات خلال هذه المرحلة (ست سنوات) عن ٢٠٠ جلسة.

- يتوزع المنهج العلمي كالتالى:

١ - القرآن والتفسير(١٥ جزء): يبدأ الحفظ من سورة الناس إلى البقرة.

السنة الأولى: حفظ جزء عم مع تفسيره أى ربع كل شهر ونصف مع تفسيره، يوزعها المربى بمعرفته.

السنة الثانية: حفظ جزء تبارك وقد سمع مع تفسيرهما، أى بمعدل سورتين فى الشهر.

باقى السنوات: ٣ أجزاء فى السنة مع تفسيرهم، أى بمعدل نصف ربع فى الأسبوع.

٢ - الحديث مع الشرح:

السنة الأولى والثانية: ٥٠ حديثا سنويا من الأحاديث المختارة السابقة بمعدل حديث مع شرحه أسبوعيا من كتاب شرح رياض الصالحين للعثيمين.

باقى السنوات: ١٠٠ حديث سنويا بمعدل حديثين أسبوعيا مع شرحهما، ويتم انتقاءهما من كتاب رياض الصالحين بمعرفة المربى، يكمل الطفل بذلك حفظ ٥٠٠ حديث فى الست سنوات، كحد أدنى، حيث يلاحظ المربى الأطفال المميزين فى الحفظ ويزيد لهم العدد حسب استعدادهم.

٣ - الأذكار: بمعدل ذكر كل شهر.

٤ - العقيدة: بمعدل درس كل شهر.

٥ - السيرة: بمعدل درس كل شهر.

٦ - الفقه: بمعدل درس كل شهر.

٧ - القصص: بمعدل قصة كل أسبوع.

بالتالى يمكن متابعة المربى شهريا كالتالى: أنه لابد أن ينجز كل شهر:

ربع أو ربعين من القرآن مع التفسير / ٤ - ٨ أحاديث مع الشرح / ذكر واحد / درس عقيدة / درس سيرة / درس فقه / ٤ قصص.

- ويتوزع الجدول أسبوعيا كالتالى: (جلستين أسبوعيا):

الجلسة الأولى:

أ – يأخذ قدر من القرآن مع حفظه فى الجلسة وتفسير معانى الكلمات وحفظها.

ب – ذكر معين (يقوم الأطفال بترديده مع بيان متى يقال، وشرح معناه بصورة مبسطة) أو درس فى الفقه أوالعقيدة أوالسيرة بالتناوب، أى مرة ذكر ومرة فقه ومرة عقيدة ومرة سيرة أسبوعيا.

الجلسة الثانية:

أ – حديث من الأحاديث السابقة وحفظه مع توضيح معناه بصورة مبسطة.

ب – اختيار قصة معينة وقصها على الأطفال واختبار مدى حفظهم وفهمهم لها.

لا يتقيد المربى بالكم ولكن عليه توزيع الحصص على حسب ما يرى، ولكن عليه مراعاة الإنجاز الشهرى، فستكون المتابعة من خلاله.

٣ – الآداب والأخلاق:

يتم تربية الأطفال على هذه الآداب والأخلاق من خلال الجلسات فيهتم المربى باختيار خلق معين أو أدب معين فيوصله للأطفال إما بصورة مباشرة أو من خلال الآيات والأحاديث أو من خلال القصص والسيرة أوغيرها، ثم متابعة الأطفال بعد ذلك.

ومن الآداب العامة التى ينبغى أن يعود الطفل عليها ":

* أن يعود الأخذ والإعطاء والأكل والشرب بيمينه فإذا أكل بشماله يذكر ويحول الأكل إلى يده اليمنى برفق.

* أن يعود التيامن في لبسه فعندما يلبس الثوب أو القميص أو غيرهما يبدأ باليمين وعندما ينزع ملابسه يبدأ بالشمال.

* أن ينهى عن النوم على بطنه ويعود النوم على شقه الأيمن.

* أن يجنب لبس القصير من الثياب والسراويل(كشف العورة)، لينشأ على ستر العورة والحياء من كشفها.

* أن يمنع من مص أصابعه وعض أظفاره.

* أن يعود الاعتدال في المأكل والمشرب ومجانبة الشره.

* أن ينهي عن اللعب بأنفه.

* أن يعود أن يسمى الله عند البدء بالطعام.

* أن يعود الأكل مما يليه وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره.

* ألا يحدق النظر إلى الطعام ولا إلى من يأكل.

* ويعود ألا يسرع في الأكل وأن يجيد مضغ الطعام.

* أن يعود أن يأكل من الطعام ما يجد ولا يتشهى ما لا يجد.

* أن يعود نظافة فمه باستعمال السواك أو باستعمال فرشة الأسنان المعروفة بعد الأكل وقبل النوم وبعد الاستيقاظ.

* أن يحبب إليه الإيثار بما يحب من المأكل والألعاب، فيعود إكرام إخوانه وأقاربه الصغار، وأولاد الجيران إذا رأوه يتمتع بشيء منها.

* أن يعود النطق بالشهادتين وتكرارها في كل يوم مرات.

* أن يعود حمد الله بعد العطاس وتشميت العاطس بعد أن يحمد الله.

* أن يكظم فمه عند التثاؤب وأن يغطي فيه، ولا يحدث صوتاً عند التثاؤب.

* أن يعود الشكر على المعروف إذا أسدى إليه مهما كان يسيراً.

* أن لا ينادي أمه وأباه باسميهما، بل يعود أن يناديهما بلفظ: أمي، وأبي.

* أن لا يمشي أمام أبويه أو من هو أكبر منه في الطريق ولا يدخل قبلهما إلى المكان تكريما لهما.

* أن يعود السير على الرصيف لا في وسط الطريق.

* أن لا يرمي الأوساخ في الطريق بل يميط الأذى عنه.

* أن يسلم بأدب على من لقيه بقوله: السلام عليكم ويرد السلام على من سلم.

* أن يلقن الألفاظ الصحيحة ويعود النطق باللغة الفصحى.

* أن يعود الطاعة إذا أمره أحد الأبوين أو من هو أكبر منه بأمر مباح.

* أن يعالج فيه العناد، ويرد إلى الحق طوعاً إن أمكن وإلا أكره على الحق، وهذا خير من البقاء على العناد والمكابرة.

* أن يشكره أبواه على امتثال الأمر واجتناب المنهي عنه، وأن يكافئاه أحيانا على ذلك بما يحب من مأكل أو لعبة أو نزهة.

* ألا يحرم من اللعب مادام آمنا فيمكن من اللعب بالرمال والألعاب المباحة حتى ولو اتسخت ملابسه، فإن اللعب في هذه المرحلة ضروري لتكوين الطفل جسميا وعقليا.

* أن يحبب إليه الألعاب المباحة مثل الكرة أو السيارة الصغيرة والطائرة الصغيرة

وغيرها ويكره إليه الألعاب ذوات الصور المحرمة من إنسان وحيوان.

* أن يعود احترام ملكية غيره، فلا يمد يده إلى ما لغيره من ألعاب ومأكولات، ولو كانت لعبة أخيه).

٤ – المسابقات:

يقوم المربى بعمل مسابقات باستمرار مع مراعاة أن تكون الأسئلة من المنهج العلمى حتى يحفظها الأطفال، واستغلال الرحلات وأيام الترفيه لعمل هذه المسابقات، مع مكافأتهم بجوائز بسيطة وتشجيعهم على ذلك.

المسابقات تنمى قدرات الأطفال العلمية والذهنية، كما أنها تربطهم دائما بالمنهج العلمى.

٥ – الرحلات ":

(الرحلات شيء محبب للنفوس، ففي الرحلات أُنسٌ بالصديق، وتفريج للضيق، وكسب للمهارات والخبرات، وفوز بالسبق إلى الخيرات.

والرحلات كأسلوب من أساليب الدعوة والتربية وسيلة ناجحة، فهي طريق للقلب المعنىّ ليبث فيها الراحل أشجانه وهمومه ويفتح فيها قلبه ومكتوم أسراره، فجدير بالمربين المخلصين أن لا يفوّتوا مثل هذه السانحة، لذلك يجدر أن نذكر ببعض المهام والأمور التي تخدم هذه الوسيلة الدعوية الناجحة فنكون أقرب للاستفادة منها.

* أهمية الرحلات:

السفر والترحال يكسب الإنسان تجربة وخبرة.

فالرحلات (القصيرة والطويلة) من أهم وسائل الترفيه عن النفس، والإعداد الذهني والجسمي للأطفال (المتربين)،

وقد كان ﷺ يحب إدخال السرور على صحابته، وعلى الشباب والفتيان منهم بالممازحة والترويح وغير ذلك مما كان متاحاً لهم في وقتهم.

ومن قبل قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ::: وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة ::: وعلم وآداب وصحبة ماجد!

فمن فوائدها: – توسيع المدارك عند الأطفال (المتربين).

- الترفيه المباح (كبديل فعّال للبرامج الترفيهية المباحة).

- تعويد المشتركين على مبادئ هامة، وتحقيق معاني قد لا تتحقق إلا بالأسفار والترحال من مثل:

(معاني الأخوة، والإيثار، والانضباط، والترتيب، والسمع والطاعة..)

- فيها تلبية لرغبات فطرية في الإنسان من حب المخالطة والمرح والترفيه.

- سهولة إيصال الأفكار وترسيخها في أذهان المشتركين، إذ أن التربية والتوجيه مع الحدث من أشد ما يساعد على رسوخ المبادئ والمفاهيم.

- ثبت من خلال التجارب العديدة أن الأطفال يرتفع مستوى أدائهم وعطائهم بعد الرحلات والنشاطات بشكل ملحوظ؛ ويلتهب الحماس لديهم لتقديم أفضل ما عندهم، من الحفظ والأخلاق في التعامل.

- وإن النشاطات والرحلات الهادفة تفتح آفاق أذهانهم على الأفكار الابتكارية والإبداعية في الإسهام في إعداد برامج الرحلة والترفيه، وتقديم ما ينفع إخوانهم في تلك المناسبات "

إلى غير ذلك من الفوائد النفسية والتربوية الدعوية والعبادية التي يخرج بها المشارك في رحلة هادفة.

توجيهات هامة:

* التخطيط لا التخبيط: قبل أن تبدأ الرحلة، عليك بالتخطيط المسبق لها، وافتراض مستلزماتها، وتنسيق الأعمال بين أفرادها، إذ العشوائية والارتجالية من أعظم مقاتل الأعمال وعدم استمرارها من أجل ذلك ننبه هنا إلى بعض الإعدادات المهمة للقيام برحلة دعوية.

عناصر التخطيط لرحلة هادفة.

حتى تكون الرحلة هادفة ومفيدة ولها ذكريات لا تُنسى في نفوس المشتركين ينبغي مراعاة عناصر هامة في التخطيط الجيد لأي رحلة، هذه العناصر هي:

١ - تحديد نوعية الرحلة: (تربوية، تعليمية، دعوية، ترفيهية، جامعة..)

٢ - تحديد الهدف أو الأهداف المرحلية من الرحلة، وذلك يكون على ضوء تحديد نوعية الرحلة.

٣ - إعداد الميزانية. (الاشتراكات، التبرعات، المساهمات..)

٤ - اللوازم الرئيسية للرحلة (وسائل نقل، أدوات ومستلزمات الرحلة: خيام، مفارش،

ملابس..)

٥ – البرنامج التفصيلي للرحلة. بنوعيه / المادي الاجتماعي والثقافي.

** الاستعداد الثقافي للرحلة:

البرامج الثقافية في الرحلة هي روح الرحلة وجوهرها، وبقدر ما يكون البرنامج الثقافي فاعلاً ومفيدا، بقدر ماتكون الرحلة ناجحة مفيدة لها ذكريات خالدة!!

والبرنامج الثقافي للرحلات على مرحلتين:

المرحلة الأولى: برنامج لحالات التنقل والأسفار (برنامج الطريق):

ومقصود هذا البرنامج إشغال وقت المسير إلى المكان المقصود بالرحلة، وينبغي أن يراعى في هذا البرنامج:

– أن يخدم هذا البرنامج هدف الرحلة ولو في بعض أطروحاته.

– أن تتنوع فقرات هذا البرنامج.

– أن يتيقظ المربي والمشرف على الرحلة خلال هذا البرنامج لاكتشاف المواهب، التي يفجّرها أُنس المسير وتلاقح أفكار المشاركين، فإن الطريق قد يُكشّف لك مواهباً قد لا يتسنّى لك اكتشافها إلا من خلال برنامج الطريق.

– التربية بالحدث، كالتعليق على أي منظر مؤثر قد يصادف أثناء المسير، أو المرور على منطقة تاريخية أو غير ذلك من المواقف التي يجدر بالمشرف أن لا يغفلها أثناء الطريق.

– من الأفكار لبرنامج الطريق: (المسابقات السريعة من المنهج – الأناشيد والحداء – التعارف – قصة التزام – الذكر – سماع شريط والسؤال بعد كل مقطع من المسموع.......).

*** فوائد برنامج الطريق: لبرنامج الطريق عدّة فوائد منها:**

– إشغال الوقت بالمفيد.

– التخلص من الشغب الذي قد يحدث نتيجة طول طريق الرحلة.

– اكتشاف المواهب، فإن نفوس المشتركين في هذا الوقت تكون أشد ما تكون في العطاء والأريحية.

– رسوخ المعلومات التي قد يعمد المشرف إلى ترسيخها، فإن الحدث من أشد ما يعين على ترسيخ الأفكار.

المرحلة الثانية: برنامج لحالات الاستقرار:

هذا البرنامج، إنما يكون بعد الوصول إلى مكان الرحلة والاستقرار، ووضع الرحال، وهو يختلف عن سابقه بالتركيز والانضباط.

عادة ما يشتمل هذا البرنامج على المحاضرات والندوات والأنشطة الرياضية، والتدريبات المهارية والدعوية، وحتى ننجح في ذلك لابد من مراعاة أمور:

* تأمين الأدوات التي تخدم البرامج الثقافية في الرحلة (جهاز تسجيل، لوحات، أقلام، دفاتر،...).

* مراعاة التجديد والتغيير سواءً في البرامج المطروحة، أو تغيير أسلوب طرح البرامج " أو تغير أوقات الطرح مما يبعث في النفس الرغبة في إنجاح البرنامج وعدم الملل.

* في الرحلة الأولى يستحسن أن يغلب فيها البرنامج الترفيهي، وأن تكون البرامج الجادة فيها متوسطة، بعكس إن كانت رحلة دوريّة.

* تنسيق البرامج الثقافية وتحديد المسؤوليات فيها (المسابقات الثقافية، الدروس، الكلمات..).

* الانضباط في أوقات البرامج سواء التربوية أو العبادية، إذا أن ذلك يعوّد المشترك (المتربي) على تقدير أهمية الوقت والحرص عليه.

* على المربى أن يتحمل أخطاء المشاركين، وأن يكون عنده البديل الجاهز لأي برنامج قد يعتذر عنه من كُلِّف به.

* أن يتسم المربى بحسن التصرف في أمثال هذه المواقف، وأن يكون حكيماً في معالجتها.

* توزيع المشاركين في الرحلة إلى مجموعات أو شُعب، وينبغي أن يراعى في هذا التقسيم:

أ- مراعاة العدل في تقسيم أصحاب المواهب والطاقات بين الشُعب.

ب- مراعاة فارق العمر بين المشاركين.

ج- أن يكون التقسيم مبني على معرفة مسبقة بالمشاركين من حيث أعمارهم وقدراتهم...

د- يفضّل أن تتم عملية التقسيم قبل الوصول إلى مكان الرحلة.

* **قبل انتهاء الرحلة:**

* إنهاء الرحلة قبل قضاء الوطر منها يحيي في النفس حب التشوّق للمزيد والتشـوّق إلى رحلة أخرى.

* جلسة ختامية مـع جميـع الأفـراد يسـتمع فيهـا المشـرف (المربـي) لآراء المشـتركين في الرحلة وتسجيل السلبيات والإيجابيـات في الرحلـة، وقـد يتخلـل هـذه الجلسـة كلمـة وداع واعتذار ويحبذ أن يستغل المشرف هذا اللقاء الأخوي المؤثر في جمع القلوب والتأليف بينها.

* اترك المكان نظيفاً بعد انقضاء الرحلة، والتنبيه على عدم العبث بالممتلكـات الخاصـة بالمكان إن وُجد.

* يستحسن الرجوع مبكراً من الرحلة لما فيـه مـن تطييـب نفـوس أهـالي المشـاركين في الرحلة.)

٦ – الرياضة والألعاب:

يجب تشجيع الأطفال على ممارسة الرياضة من أى نوع حيث أنهم يملكون طاقـة ينبغـى تفريغها فى اللعب والرياضة وخاصة الرياضة المفيدة مثل الكاراتيه والكنغ فـو وكـرة القـدم والجرى وكمال الأجسام هذا بصفة عامة، كذلك ممارسة الألعاب الترفيهية أمر ضرورى لأن الأطفال مجبولون على حب اللعب.

(ويسهم اللعب والألعاب (الأدوات) في تطوير المهارات الحسية والحركية عنـد الطفـل، من خلال:

١ – تنمية المهارات الحركية والنمو الجسمي واستثارة القدرات العقلية وتنميتها.

٢ – تنمية مدركات الطفل وتفكيره وحل مشكلاته.

٣ – جعل الطفل اجتماعياً؛ لأنه يشارك إخوته وأصدقاءه بما يملك من ألعاب.

٤ – السيطرة على القلق والمخاوف والصراعات النفسية البسيطة الـتي قـد يعـاني منهـا الطفل.

٥ – اكتشاف مقومات شخصية الطفل ومواهبـه الخاصـة الـتي تـنعكس علـى حياتـه في المستقبل.

٦ – إثراء لغة الطفل وتحسين أداءه اللغوي وإغناء قاموسه اللفظي.

٧ – استهلاك طاقة الطفل الزائدة، وإعطائه الفرصة للحركة أو الجري، مما يعمـل علـى فتح شهيته، ويشجعه على النوم السريع بعد مجهود اللعب، وبذلك ينمو نمواً طبيعياً وسلساً

الأطفال واللعب:

يختلف موقف الأطفال من اللعب بسبب اختلاف الثقافات والنظم التربوية، وقد صنفت دراسة علمية الأطفال وعلاقتهم باللعب، من خلال ملاحظاتهم أثناء لعبهم في دور الحضانة، إلى فئات ثلاث:

أ - طفل غير مشارك في اللعب: حيث يقف منزوياً في مكان ما من الغرفة أو الملعب، يجول نظره في أرجاء المكان، ويقوم بحركات غير هادفة، وهم قلة.

ب - الطفل الوحيد: وهو يلعب وحده وينهمك فيما يلعب فيه.. لا يهمه أحد.

ج - الطفل المراقب: وهو يكتفي بالتحدث مع الآخرين المنهمكين في اللعب، إذ يبدي اهتماماً بلعب الآخرين، ولكنه لا يشاركهم.

هناك شروط خاصة، صحية وتربوية، للمكان والجو العام الذي يفضل أن يخصص للعب الأطفال، ومن شروطه:

١ - أن يكون مكاناً آمناً، جيد الإضاءة والتهوية.

٢ - يفضل أن يكون مشمساً وواسعاً، حتى يتسنى للطفل أن يجري وينطلق ويتنفس الهواء النقي.

٣ - يجب أن يعطى الطفل وقته الكافي ليلعب قبل أن يطلب منه أن يكف عن اللعب ليأكل أو ينام.

٤ - أن يشرف على المكان شخص كبير؛ لملاحظة الطفل أثناء لعبه ولحمايته من أي مخاطر أو إصابات.

قبل شراء اللعبة:

يجب ألا يكون اختيار نوعية وطبيعة الألعاب أمراً اعتباطياً أو عشوائياً.. بل لا بد من أن يتم ذلك على أسس علمية وصحية ونفسية تجنب تعرض الطفل لأية مخاطر.

كذلك على المربى عمل يوم رياضى أومهرجان يتم فيه ممارسة الرياضة، مع عمل دورى كرة قدم لمدة يوم واحد أو دورى مستمر بحيث يربط الأطفال بالمربى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون فرصة لدعوة أطفال آخرون للعب ثم للانتظام والالتزام مع باقى الأطفال وليس هناك أفضل من الرياضة لجذب الأطفال. قبل بداية اليوم الرياضى ينبغى قراءة القرآن مع كلمة من المربى عن القوة والفتوة فى الإسلام أو ما شابه ذلك، وعمل مسابقة خفيفة أثناء اليوم مع توزيع الجوائز فى نهاية اليوم.

٧ – اكتشاف المواهب والمتميزين:

الأطفال متفاوتون فى القدرات والإمكانيات، فيلاحظ المربى أثناء متابعته وجود أطفال موهوبين وذوى إمكانيات عالية ومتميزين، هؤلاء لابد من معاملاتهم معاملة خاصة ومتابعتهم، واستغلال هذه الإمكانيات وتنمية مواهبهم، سواء كانت علمية أوحركية أو فكرية أو حتى رياضية أو فنية...... الخ

– ينبغى احتضان هذه المواهب، بوضع برنامج خاص بهؤلاء فى مسارين:

أ – التلقين: توسيع دائرة المنهج العلمى قليلا واختصارالفترة الزمنية لهذا المنهج – أى ما يدرسه الأطفال فى ثلاثة أو أربعة أعوام مثلا، يدرسه هؤلاء الموهوبين فى عامين _ كما يزيد منهج حفظ القرآن بالنسبة لهم بما يراه المربى مناسبا هذا من ناحية.

من ناحية أخرى يضيف إلى منهجهم العلمى بعض المتون للحفظ مثل متن العقيدة الواسطية أو كتاب التوحيد أو سلم الوصول فى التوحيد، وفى الحديث مثلا الأربعين النووية ونخبة الفكر أوعمدة الأحكام وفى الفقه مثلا متن زاد المستقنع وغيرها من المتون المناسبة مثل الآداب الشرعية لابن عبد البر.

وذلك لأن الأطفال فى هذا السن يكونون أقدر على الحفظ والتذكر.

ب – استغلال هذه الإمكانيات: وإيجاد الوسائل المناسبة للاستفادة من هذه الإمكانيات.

ينبغى على المربى أن لا يشعر الأطفال العاديين وغير الموهوبين بأن إمكانياتهم محدودة بل على العكس من ذلك يجب عليه أن يشجعهم باستمرار ويسعى لتنمية قدراتهم.

كما عليه أن لا يعلمهم بأمر الموهوبين وأنه يعاملهم معاملة خاصة، أو أنه يجلس معهم جلسات خاصة وهكذا، حتى لا تتسرب الغيرة إلى نفوس الصغار ويحدث أثر عكسى.

٨ – تعزيز الثقة لدى الطفل بإعطائه مسؤولية معقولة:

(وذلك من خلال إعطاء الطفل بعض المهمات التي يختارها هو دون ن نفرضها عليه، وذلك لشعوره بالقوة والثقة بالنفس والإحساس بالفخر في إنجاز ما يختاره من أعمال – وأن نبتعد عن الفكرة القائلة بأنهم لا يستطيعون ذلك. فالأطفال لم يولدوا كذلك بل لديهم قدرات مختلفة، بل عبارة ما أصعب هذا العمل استوحوها من المدرسة لذا فنبتعد عن زج الأطفال في أعمال لا معنى لها لأن هذا يدمر مبادئهم ويحرمهم من مشاعر الجدارة والتقدير، فتقدير الذات عند الأطفال يعتبر أحد المواقع القوية للسلوك. فمعاملة الطفل بالقمع

والإذلال والسخرية تعد مدمرة لذات الطفل وبالتالي قد ينجم عن مثل هذه التصرفات مع الأطفال ما يسمى بالعدوانية أو الاعتداء على الآخرين باعتبار أن ذلك يجلب له شيئًا من الشهرة والذيوع وتحقيقًا للذات.

إن افتقاد الطفل للحب مع إهمال الآخرين له، وعدم احترامهم وتقديرهم له يترتب عليه انسحاب الطفل من المجتمع الذي يعيش فيه وشعوره بالإحباط، وينجم عن ذلك ترديه في كثير من المشكلات التي تشير إلى عدم التوافق مثل اضطراب النطق والتلعثم في الكلام والعسرة في القراءة والجنوح إلى الكذب والسرقة.. إلخ.

ومن هنا فإن الإسلام يقرر دور الأسرة القوي باعتبارها الخلية الأولى التي تستقبل الإنسان أول عهده بالدنيا، وهي المحضن الذي تتشكل فيه إلى حد كبير شخصية الفرد وتبنى فيها ذاته. فقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك إشارة صريحة حيث قال: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** وهذا الحديث الشريف يبين لنا مدى استطاعة الأبوين – وهنا ركنا الأسرة – النادر في بناء شخصية الطفل وفي شعوره تجاه ذاته وتجاه الآخرين.

ونلاحظ أيضًا: أن القرآن الكريم قد ضرب لنا أروع الأمثلة في كيفية التعامل مع النفس الإنسانية متمثلاً في كيفية معاملة الآباء لأبنائهم والقدرة على مخاطبة الوجدان المفعم بالحس الإيماني الصادق في قوله تعالى:**{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ باللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**

وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ}[1].

وأخيرًا نستطيع القول: إن الطفل المحقق لذاته هو شخص فاعل، يدرك الواقع بفعالية ويرى العالم والناس على حقيقتهم، وما يهمنا في هذا المجال هو الاهتمام بالنوازع الفطرية التي تهدف إلى تنمية قدرات الفرد بطريقة تخدم عملية تعزيز الذات لديه والمحافظة عليها، فالطفل لديه حاجة طبيعية نحو الشعور بالتقدير الإيجابي من قبل الآخرين في شكل مشاعر حب عميق وتقبل. وعادة ما تظهر هذه الحاجة ويتم تطويرها خلال مرحلة الطفولة المبكرة التي يعتمد فيها الطفل كلية على غيره من أجل المحافظة على حياته، وعن طريق إظهار الحب للطفل والاهتمام به، وتوفير متطلباته ورعاية أمره، يبدأ في الشعور). أ. هـ

٩ – التدريب على المستجدات: (مثل الكمبيوتر وغيره):

ينبغى تعليم الأطفال بعض المستجدات الحديثة ولو بصورة مبسطة حتى يستطيعوا الإلمام بهذه الأمور مما ينمى من قدراتهم الذهنية.

(هناك مجموعة من الأفكار صالحة للصغار بالحاسب الآلي.. مثل:

• تعليمهم بعض برامج الرسم السهلة مثل: فوتو درو.. والطلب منهم عمل بعض الأمور التي تنفعهم أو تنفع من حولهم.

• تعليمهم بعض البرامج المفيدة مثل Word وتركهم يعملون بعض الرسائل لأقاربهم (الأم.. الجدة.. إلخ) أو يكتبون بعض الكلمات النافعة.

• تدريبهم على استخدام الماسحة الضوئية وتعليمهم كيف ينقلون الصور والرسومات إلى الحاسب الآلي

• الاستفادة من بعض أقراص الـ CD الخاصة بالقرآن الكريم والتي فيها إمكانية القراءة والتحفيظ.. فعن طريق هذه الأقراص يتم تحفيظهم بعض السور.

• هناك بعض البرامج التعليمية الجيدة مثل (أمهات المؤمنين – الإيمان).

• وهناك مجموعة من المحاضرات منها درس للدكتور طارق السويدان باسم الإعجاز في الكون يصلح للناشئين وغيرها.

• أفلام الجهاد كثيرة الآن بالـ CD منها أفلام الشيشان وفلسطين وغيرها..

---

(١) لقمان: ١٣ – ١٩.

• هناك بعض الأفلام الكرتون.

• هناك ألعاب كثيرة ومسابقات توزع كبرامج بالحاسب الآلي.

• هنـاك مواقـع خاصـة بالأطفـال بالإنترنـت مثـل موقـع عبـودي وغيره..تعلـم كيفيـة استخدامه والاستفادة منه).

١٠ – المكتبة والقراءة:

(حب القراءة والشغف بها مما ينبغى أن يتربى الأطفال عليها، بل إن مـن أهـم ثمـرات أى برنامج تربوى أن يربى الأطفال على حب القراءة، فالأطفال سيكونون بـإذن الله طلابـا للعلم الشرعى فى المستقبل، والقراءة والإطلاع والبحث من أهم أسلحة طالب العلم.

أساليب عملية تجعل الأولاد يحبون القراءة:

يتفق أهل التربية على أهمية غرس حب القراءة فـي نفس الطِفل، وتربيتـه علـى حبهـا، حتى تصبح عادة لـه يمارسها ويستمتع بها. وما هذا إلا لمعرفتهم بأهمية القراءة، فقـد أثبتـت البحوث العلمية (أن هناك ترابطاً مرتفعاً بين القدرة على القراءة والتقدم الدراسي).

وهناك مقولات لعلماء عظام تبين أهمية القراءة أذكر منها:

١ – (الإنسان القارئ تصعب هزيمته).

٢ – (إن قراءتي الحرة علمتني أكثر من تعليمي فـي المدرسة بألف مرة).

٣ – (من أسباب نجاحي وعبقريتي أنني تعلمت كيف أنتزع الكتاب من قلبه).

٤ – سئل أحد العلماء العباقرة: لماذا تقرأ كثيراً؟ فقال: (لأن حياة واحدة لا تكفيني!!).

كما أن القراءة تفيد الطفل فـي حياته، فهي توسع دائرة خبراتـه، وتفـتح أمامـه أبـواب الثقافة، وتحقق التسلية والمتعة، وتكسب الطفل حساً لغوياً أفضل، ويتحدث ويكتـب بشـكل أفضل، كما أن القراءة تعطي الطفل قدرة على التخيل وبعد النظر، وتنمي لدى الطفل ملكة التفكير السليم، وترفع مستوى الفهم، وقراءة الطفل تساعده على بناء نفسه وتعطيـه القـدرة على حل المشكلات التي تواجهه.

وأشياء كثيرة وجميلة تصنعها القراءة وحب الكتاب فـي نفس الطفل.

إن غرس حب القراءة فـي نفس الطفل ينطلق من البيت الذي يجب عليه أن يغرس هذا الحب فـي نفس الطفل، فإن الأب إذا علم أولاده كيف يحبون القراءة، فإنه يكون قد وهـبهم هدية سوف تثري حياتهم أكثر من أي شيء آخر!! ولكن كيف السبيل إلى ذلـك؟ ولا سـيما فـي عصر قد كثرت فيه عناصـر الترفيـه المشـوقة والألعـاب السـاحرة الـتي جعلـت الطفـل

يمارسها لساعات متواصلة؟!!

أساليب ترغيب القراءة للطفل:

١ - القدوة القارئة: إذا كان البيت عامراً بمكتبة ولو صغيرة، تضم الكتب والمجلات المشوقة، وكان أفراد الأسرة ولا سيما الأب من القارئين والمحبين للقراءة، فإن الطفل سوف يحب القراءة والكتاب. فالطفل عندما يرى أباه وأفراد أسرته يقرؤون، ويتعاملون مع الكتاب، فإنه سوف يقلدهم، ويحاول أن يمسك بالكتاب وتبدأ علاقته معه.

٢ - تشجيع الطفل على تكوين مكتبة صغيرة لـه: تضم الكتب الملونة، والقصص الجذابة، والمجلات المشوقة، ولا تنس اصطحابه للمكتبات التجارية، والشراء من كتبها ومجلاتها، وترك الاختيار لـه، وعدم إجباره على شراء مجلات أو كتب معينة، كل هذا يجعل الطفل يعيش في جو قرائي جميل، يشعره بأهمية القراءة والكتاب، وتنمو علاقته بالكتاب بشكل فعّال.

٣ - التدرج مع الطفل في قراءته: لكي نغرس حب القراءة في الطفل ينبغي التدرج معه، فمثلاً كتاب مصور فقط، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة صورة وكلمة فقط، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة كلمتين، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة سطر وهكذا.

٤ - مراعاة رغبات الطفل القرائية: إن مراعاة رغبات الطفل واحتياجته القرائية، من أهم الأساليب لترغيبه في القراءة، فالطفل مثلاً يحب قصص الحيوانات وأساطيرها، ثم بعد فترة، يحب قصص الخيال والمغامرات والبطولات وهكذا. فعليك أن تساهم في تلبية رغبات الطفل، وحاجاته القرائية، وعدم إجباره على قراءة موضوعات أو قصص لا يرغبها**!!**

٥ - المكان الجيد للقراءة في البيت أو المسجد: خصص مكاناً جيداً ومشجعاً للقراءة تتوفر فيه الإنارة المناسبة والراحة الكاملة للطفل، كي يقرأ ويحب المكان الذي يقرأ فيه.

٦ - خصص للطفل وقتاً تقرأ لـه فيه: عند ما يخصص المربي وقتاً يقرأ فيه للطفل القصص المشوقة، والجذابة حتى ولو كان الطفل يعرف القراءة، فإنه بذلك يمارس أفضل الأساليب لغرس حب القراءة في نفس طفله.

وهذه بعض التوصيات للقراءة للأطفال:

أ - اقرأ للأطفال أي كتاب أو قصة يرغبون بها، حتى ولو كانت تافهة، أو مكررة، وقد تكون أنت مللت من قراءتها، ولكن عليك بالصبر حتى تشعرهم بالمتعة في القراءة.

ب – عليك بالقراءة المعبرة، وتمثيل المعنى، واجعلها نوعاً من المتعة، واستعمل أصواتاً مختلفة، واجعل وقت القراءة وقت مرح ومتعة!!

جـ – ناقش الأطفال فيما قرأته لهم، واطرح عليهم بعض الأسئلة، وحاورهم بشكل مبسط.

وحاول أن تكون هذه القراءة بشكل مستمر، كل أسبوع مرتين على الأقل. إن جلسات القراءة المسموعة، تجعل الأطفال يعيشون المتعة الموجودة في الكتب، كما أنها تساعدهم على تعلم وفهم لغة الكتب.

٧ – استغلال الفرص والمناسبات: إن استغلال الفرص والمناسبات، لجعل الطفل محباً للقراءة، من أهم الأمور التي ينبغي على المربى أن يدركها. فالمناسبات والفرص التي تمر بالأطفال كثيرة، ونذكر هنا بعض الأمثلة، لاستغلال الفرص والمناسبات لتنشئة الطفل على حب القراءة.

أ – استغلال الأعياد بتقديم القصص والكتب المناسبة هدية للطفل. وكذلك عندما ينجح أو يتفوق في دراسته.

ب – استغلال المناسبات الدينية، مثل الحج والصوم، وعيد الأضحى، ويوم عاشوراء، وغيرها من مناسبات لتقديم القصص والكتيبات الجذابة للطفل حول هذه المناسبات، والقراءة له، وحواره بشكل مبسط والاستماع لأسئلته.

جـ – استغلال الفرص مثل: الرحلات والنزهات والزيارات، كزيارة حديقة الحيوان، وإعطاء الطفل قصصاً عن الحيوانات. وحواره فيها، وما الحيوانات التي يحبها، وتخصيص قصص مشوقة لها، وهناك فرص أخرى مثل المرض وألم الأسنان، يمكن تقديم كتيبات وقصص جذابة ومفيدة حولها.

د – استغلال الإجازة والسفر: من المهم جداً ألا ينقطع الطفل عن القراءة، حتى في الإجازة والسفر، لأننا نسعى إلى جعله ألا يعيش بدونها، فيمكن في الإجازة ترغيبه في القراءة بشكل أكبر، أو القراءة له قراءة جهرية، فالقراءة الجهرية ممتعة للأطفال، وتفتح لهم الأبواب، وتدعم الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة، وسوف تكون لهم القراءة الممتعة جزءاً من ذكريات طفولتهم.

٨ – استغلال هوايات الطفل لدعم حب القراءة: جميع الأطفال لهم هوايات يحبونها، منها مثلاً: الألعاب الإلكترونية، تركيب وفك بعض الألعاب، قيادة الدراجة، الرسم، الحاسب الآلي، كرة القدم، وغيرها من ألعاب. لذا عليك توفير الكتب المناسبة، والمجلات المشوقة، التي تتحدث عن هواياتهم، وثق أنهم سوف يندفعون إلى قراءتها، ويمكن لك أن

تحاورهم فيها، وهل يرغبون في المزيد منها؟ ولا تقلق إذا كانت هذه الكتب تافهة، أو لا قيمة لها في نظرك. فالمهم هنا هو تعويد الطفل على القراءة، وغرس حبها في نفسه.

٩ – الطفل والشخصيات التي يحبها والتي يمكن أن تجعله يحبها: من المهم أن تزود الطفل ببعض الكتب عن الشخصيات التي يحبها، أو التي يمكن أن يحبها، وأن يتعلم المزيد عن الرسول ﷺ، وحياته ومعجزاته، وصحابته، والشخصيات البطولية في التاريخ الإسلامي وهذا كله موجود في قصص مشوقة وجذابة، ولا سيما إذا كان طفلك لا يحب قصص الخيال لكنه يحب قصص الخير ضد الشر والمغامرات الواقعية.

١٠ – قطار القراءة يتجاوز الأطفال: لا تيأس أبداً فمهما بلغت سن الأطفال ومهما كبروا يمكنهم أن يتعلموا حب القراءة لكن من المهم أن توفر لهم المجلات، والكتب التي تلبي حاجاتهم القرائية، ومن الممكن أن تشترك لهم في بعض المجلات المناسبة، ولا سيما إذا كانوا مراهقين عليك أن تشبع حاجاتهم القرائية بشكل أكبر).

لذا ينبغي الاهتمام بتكوين مكتبة تخص الأطفال ويتم تشجيعهم على الاستعارة والاهتمام بالكتب وتلخيص ما تم استعارته، ومكافأتهم على ذلك وإعطائهم الجوائز.

مكونات المكتبة:

١ – كتب ومجلات. ٢ – أشرطة كاست.

٣ – أشرطة فيديو. ٤ – اسطوانات كمبيوتر.

تحضير هذه المواد من السهل بمكان فمجرد المرور على المكتبات ودور النشر والتسجيلات يستطيع المربى تكوين مكتبة شاملة، حيث يختار منها ما يخص الأطفال، وخاصة القصص والكتب المصورة، والأناشيد والكرتون المفيد.

١١ – المتابعة:

ينبغي متابعة الأطفال باستمرار والوقوف دائما على مستوياتهم وانضباطهم، فهذا ييسر معرفة المتميزين منهم، مما يحفز الاهتمام بهم، والمتابعة ينبغي أن تكون شاملة في المسجد والمدرسة والمنزل والنادى والشارع، كذلك فالمتابعة تنشئ نوعا من التواصل بين المربى وأسر الأطفال ينبغي أن يحرص المربى على إيجادها وتنميتها باستمرار.

كما يحرص المربى دائما على تشجيع الأطفال على تقوية علاقتهم بالله، فربط كل مايتعلمونه باليوم الآخر فهو يصلى ويصوم ويحفظ القرآن من أجل أن يفوز برضى الله تعالى والجنة، كمايتربى على الإخلاص لله تعالى.

يمكن عمل سجلات للمتابعة حتى يسهل على المربى الوقوف على مستويات الأطفال أولا بأول، فيستطيع بذلك أن يصنفهم على حسب قدراتهم وإمكانياتهم.

* * * * *

وختاما

أخي القارئ الكريم... إن المعتاد في الخطب والمواعظ والكتب والمقالات أن يبدؤوا بالحديث أو الكتابة عن حقوق الوالدين لما لعظم حق الوالدين على أبنائهم، أقول نعم. فكفى بتقرير حقهما قول ربنا – عز وجل:

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..}[1] فقرن الله – تعالى _ بين عدم الشرك به – سبحانه وتعالى – وطاعة الوالدين في حكمه وقضائه العادل، وحقوق الوالدين عظيمة وهما سببا لدخول الجنة لمن أطاعهما، وسببا لدخول النار لمن عقهما كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

غير أن بحثنا يتعلق بتقرير حق الولد على والديه لذا فلكل مقام مقال، ولما يظن – لقداسة حق الوالدين – أنه ليس للولد حقا على والديه أسوق في مقدمة مقالات الحقوق المقررة حديث الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه:

" جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ابنه وأنّبه على عقوقه لأبيه، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (القرآن). فقال الابن: يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك: أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً (جعراناً)، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل، وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

فلقد قرر هذا الأثر ثلاثة حقوق أساسية للولد على أبيه:

حق انتقاء الأم – وحق التسمية – وحق التعليم

أن ينتقي أمه ً:

هذا حق للطفل المسلم كرمه به الإسلام قبل أن يوجد في رحم أمه، فهو حقا إسلاميا فريدا من نوعه. حُقَّ لأمة الإسلام أن تفخر به.

إنه حق لا يوجد في نظام وضعي، ولا في حضارة من الحضارات المزعومة التي تتشدق بالحق والعدل والحرية.

---

(١) الإسراء: ٢٣.

إنه حق أعطاه الإسلام للطفل قبل أن يتكون نطفة في بطن أمه..

يا أمير المومنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه.... "

إن ما قرره الخليفة العادل – رضي الله عنه – قرره على ضوء ما تعلمه من الشرع الحنيف – وذكره في كلمتين تحتهما معان كثيرة، أن " ينتقي أمه "

وتتضمن هاتان الكلمتان الموجزتان شروطا في هذه الأم وضحتها الشريعة وهذه الشروط هي من حق الولد على أبيه وأولها: أن تكون ذات دين:

لذا وجب الاعتناء باختيار الزوجة الصالحة التي تعين في تربية الولد

فإن أول شيء يجب أن نحرص عليه من أجل أن يكون لنا أولاد مسلمون صالحون هو أن نختار الزوجة الصالحة والأم الفاضلة التي يمكن أن ترعى أبنائها رعاية كاملة فإن الأب وحده لا يستطيع أن يقوم بعملية التربية بل هي جهد مشترك بين الأبوين وتعاون كامل مستمر.

إن اختيار الزوجة من أسرة كريمة صالحة أحسنت تربية أبنائها يوفر على الزوج جهداً كبيرا وتعبا عظيماً

وقد أوصانا رسولنا ﷺ أن نختار المرأة الصالحة ذات الدين فيما سيأتي مفصلا.

ولكن قد رأينا شبابا يبهرهم حسن نساء، فيغضون النظر عن أمور عظيمة تكون في حياة هؤلاء النسوة على أمل أنهن يصلحن بعد الزواج فيرى الشاب أن مخطوبته مثلاً: لا تصلي، أو أنها سافرة الوجه حاسرة الرأس كاشفة الصدر والساق، أو أنها ممن تعود حياة الاختلاط أو الملاعب أو دور اللهو، ومع ذلك يتقدم لخطبتها. فإذا بينتَ له حالها أنبأك أنه سيعمل على تغيير حالها بعد الزواج.

ونحن لا نقول: إن مثل هذه المرأة لا تصلح فقد يهديها الله ولكن العملية مغامرة ومخاطرة فقد تفشل جهود الزوج وتبقى الفتاة متعلقة بما نشأت عليه. فكيف تتولى الأم توجيه أبنائها إلى الصلاة وهي لا تصلي**!!** أو تدعوهم إلى الحجاب وهي سافرة**!!**

إن المرأة التي تخاف الله تعالى تحافظ على دينها وشرفها وسمعتها وسمعة زوجها وماله فلا تفرط في شئ من ذلك، فتحفظ على ولدها سمعته بين أقرانه وأصحابه فلا ينالها أحد بسوء، ويدفعها خوفها من الله في تربيته والإحساس بمسؤولياتها تجاه ولدها فتبذل جهدها في تربيته والإحسان إليه وتوجيهه التوجيه الخير النير.

ولقد نبه لذلك رسول الله ﷺ فقال: «**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ**»[(١)].

وقرر أصلاً واضحاً في تأثير الوراثة على المولود وحرص على هذا المولود بقوله: «**تخيروا لنطفكم**» فالرجل الذي يلقي نطفة في امرأة تحمل مرضاً خطيراً أو تكون بلهاء إنما يخاطر بمستقبل ولده فربما انتقل هذا المرض بالوراثة كما يقرر الأطباء اليوم فيأتي الولد مشوهاً أو مجنوناً.

ونجد أن الشرع الحنيف رغب في الزواج من الأباعد والابتعاد عن زواج الأقارب.. والطب اليوم يقرر أن الزواج من الأقارب أدعى إلى ضعف المولود أو نقص الخلقة أو التشوه أو توارث الأمراض بينما الزواج من الأباعد أدعى لقوة الجسد وصحة الجسم ونباهة العقل.

لذلك يجدر بالرجل أن يفتش عن الزوجة الملائمة له التي لا يكون الزواج منها سبيلاً لجيل مريضا ضعيفا.

وهذه بعض التوجيهات من شرعنا الحنيف تتضمن شروط الزوجة الصالحة والزوج الصالح:

يقول تعالى:**{وَأَنْكِحُواْ الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**[(٢)].

فلقد وجهنا ربنا تبارك وتعالى بأن يكون اختيارنا الأول هو الصلاح.

ويقول تعالى:**{وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ..}**[(٣)].

أي: يا أيتها الطيبة عليك بالطيب ويا أيها الطيب عليك بالطيبة.

وينبغي حال انتقاء الزوجة الصالحة مراعاة الشروط التالية وضعتها السنة النبوية:
«**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**».

«**الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[(٤)].

«**لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ،**

---

(١) سنن ابن ماجه (١٩٥٨).

(٢) النور: ٣٢.

(٣) النور: ٢٦.

(٤) سبق تخريجه.

وزوجةٌ صالحةٌ تعينكَ على أمرِ دنياكَ ودينكَ خيرٌ ما اكْتَسَبَهُ الناسُ»، وقال النبي ﷺ : **«تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ»** (١).

وفي رواية **«وأقل خباً»** أي: خداعاً.

وكما أن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء، كما جاء في الحديث الصحيح وفيه قوله ﷺ : **«من السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك. ومن الشقاء: المرأة التي تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك»**.

وفي المقابل على الزوجة أن تتبصر في حال الخاطب الذي يتقدم لها، والموافقة عليه حسب الشروط التالية: **«إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»**.

ولابد في كل ما سبق من حسن السؤال وتدقيق البحث وجمع المعلومات والتوثق من المصادر والأخبار حتى لا يفسد البيت أو ينهدم.

سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله:

ماهي الطريقة المثلى لاختيار الزوجة الصالحة؟

فأجاب: سُؤال أهل العلم والأمانة عنها. وعن أهلها، حتى يثبت لدى الخاطب أنها من ذوات الدين يقول النبي ﷺ : **«تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»** متفق على صحته.......

فبين – رحمه الله – أنها ينبغي الاستفسار عن حالها من أهل العلم بها وبأهلها، ومن أهل الأمانة لكي يصدقوا في قولهم، فيقدم الخاطب على بصيرة.

والذي يُسأل مؤتمن ناصح عليه أن يتقي الله ربه وأن يكون معياره وميزانه في معرفة الناس ما وضعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في معرفة وتقييمه للرجال.

---

(١) سنن أبي داود (١٧٥٤).

يقول الشيخ عبد الله ناصح علوان:

" وما أدق ما سنه الخليفة العادل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص، وإظهار حقائق الرجال، وذلك حينما جاءه رجل ليشهد لرجل آخر...

فقال لـه عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب: نعم.

قال: هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟.

فأجاب الرجل: لا.

قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق؟.

فأجاب الرجل: لا.

قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل؟.

فأجاب الرجل: لا.

فصاح به عمر:

لعلك رأيته قائما قاعدا يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضها أخرى.

فقال الرجل: نعم**!!**..

فقال لـه عمر: اذهب فإنك لا تعرفه. والتفت إلى الرجل وقال لـه: ائتني بمن يعرفك.

فيجب ألا ينخدع الزوج أو الزوجة أو الشاهد بالمظهر الخارجي.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق:

" ولذلك كان سؤال عمر – رضي الله عنه – عن الرجال هو التعامل بالدينار والدرهم.

فقد سأل رجلاً فقال: هل تعرف فلاناً؟ قال: نعم. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم؟ قال: لا. قال: إذن لا تعرفه.

فمعرفة الدين الحقيقي لا يكون إلا بالمواقف والتعامل ومن أحرج المواقف التي تظهر الرجال المعاملة بالدينار والدرهم لأن النفوس مجبولة على حب المال فإذا تغلب الدين ومراقبة الله على النفس في هذه القضية دل هذا على وجود الدين.

ولذلك يجب علينا في البحث عن الزواج: أن نبحث عن حقيقة الدين وأن نأخذ من مجموع التصرفات والمعاملات هاديا ومرشدا إلى معرفة دين الرجل والمرأة.

والرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتا صالحا لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، أي: فينتج عن هذا الزواج أرضية طيبة ينشأ فيها الولد الصالح.

إذا نخلص مما سبق:

أن السعي للزواج من المرأة الصالحة ذات الدين مطلبا شرعيا، وهو حقا للولد قبل أن يولد وأنه من تمام الاختيار أن تكون سليمة الجسم، ودودا ولودا من أسرة ذات صلاح وحسب ونسب. ويجب التحري والتمهل في الزواج لأنه حق لنا ولذريتنا.

تهيئة البيت المسلم في الحي المسلم:

كما أنه من حق الولد قبل أن يولد أن نهيئ له البيت المسلم، في الحي المسلم، لتوفير البيئة المسلمة الصالحة، وهذا الحق دلت عليه أحكام شرعية:

كوجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام للمحافظة على الدين، وفي ذلك صيانة للذرية المنتظرة، وضمان لسلامة مصادر التلقي ممن حولهم من المسلمين، والقيام بشعائر الدين بحرية. ويدل على ذلك وجوب هجر أماكن المعصية والبلاد التي يغلب على أهله الفساد، مخافة على النفس والأهل والولد.

وسيتضح لنا هذا الحق جليا في الباب التالي عند الكلام على الأخطار المحدقة.

أما حلقتنا القادمة فسوف نتناول فيها – إن شاء الله تعالى:

حقوق فلذات أكبادنا من الرحم إلى البلوغ.

تحدثنا في الحلقة الماضية عن حق الطفل المسلم قبل أن يكون جنينا في بطن أمه ووضحنا عناية الإسلام بالذرية المنتظرة وها نحن اليوم نقف مع بعض محاسن الإسلام في رعاية حق الطفل في مراحل عمره المختلفة. يكون جنينا

حقوق الطفل المسلم وهو في الرحم إلى البلوغ:

على الوالد اتباع السنة في معاشرة زوجته، والدعاء بالمأثور في الفراش. حتى لا يشركه الشيطان اللعين في أعز ما يملك

قال تعالى:**{... وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}**[1].

---

(١) الإسراء: ٦٤.

وللشيخين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ»** [1].

قال ابن دقيق العيد أي: لا يضره في دينه أيضاً.

وقال الداودي: أي لم يفتنه عن دينه إلى الكفر.

حقه وهو جنين:

فإذا رزق حملاً فإن هذا الجنين لـه حقوق منها:

أن يرعى أمه أثناء الحمل ويساعدها في واجباتها المنزلية ويوفر لها الخدمات الصحية.

اتباع السنة في استقبال المولود، كأن يؤذن في أذنه بعد ولادته، ويحنكه بنفسه، أو يذهب به إلى عالم صالح ليحنكه، ويعد لـه العقيقة. ومن حقه أن يثبت لـه نسبه.

وإذا كانت بنت فلا يتسخط، لأن الهدف هو إنجاب الذرية الصالحة، ولداً كان أم بنتاً، فالولد الصالح يشمل الذكر والأنثى، وتسخط البنات اعتراض في غير محله، وعدم رضى لما أعطى الله عز وجل، وهي بقية من الجاهلية؛ لأنهم كانوا يرغبون بالذكور لأنهم محاربون ينفعونهم في الغزو والسلب والنهب، بينما تكون البنت عالة على الرجال في القبيلة، لأنها ليس محاربة، وهذا ضيق أفق وجهل قبلي متعفن، أليست المرأة تلد الرجال المحاربين**!!**؟ وكل عظيم وراءه امرأة كما قيل.

أن يتخير لـه اسما حسنا:

أن يتخير لـه اسماً حسناً، ذكراً كان أو أنثى. كما ورد في السنة المطهرة.

فهذا حقه كما مر بنا في حديث عمر – رضي الله عنه:

" يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه.... "

فاختيار الاسم الحسن من حق الولد، وذكرُ عمر لـه لأنه من الأهمية بمكان.

فالاسم يلازم صاحبه حتى الممات. ويقرع سمعه في كل لحظة وحين.

وفوق ذلك فإن لكل شخص من اسمه نصيبا.

لذلك أرشد النبي ﷺ المسلمين إلى اختيار الأسماء الحسنة لأولادهم.

---

(١) متفق عليه.

ولأهمية هذا الحق نقف معه بتفصيل:

قال ﷺ : **«أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ»** فحث النبي ﷺ على تحسين اسم الولد، وذلك من أول حقوق الولد على والديه، فكل اسم دلّ على معنى حسن شرعاً فهو مندوب إليه، وما دلّ على خلاف ذلك فهو مذموم شرعاً وبعض الأسماء أحسن من بعض، فأفضل الأسماء ما ندب إليها الشارع بعينها.

١– ما ندب إليه الشارع من الأسماء:

أ – كل اسم فيه " عبد " مضاف إلى اسم من أسماء الله التسعة والتسعين كعبد الله – عبد الرحمن – عبد الغفار – عبد الودود – عبد الرزاق – عبد التواب – عبد المعطي – عبد العظيم – عبد الخالق – عبد الباري – عبد المهيمن – عبد الحفيظ..

كل اسم دال على الحمد: محمد – محمود – أحمد – حامد – ونحوها.

ب – الأسماء التي استبدلها بغيرها ﷺ – نحو: " جميلة: وجُوْيريّة وزُرْعة وسهل وهشام وسِلْم والمنبعث وطيبة.

– تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ، لأن الاسم يُذكّر بما سماه، ويقتضي التعلق بمعناه، والأنبياء سادات بني آدم.

٢ – الأسماء الحسنة:

كل ما دلّ على معنى محمود استُحسن التسمية به، وقد شاع في هذه الأيام التسمية بأسماء لا معنى لها وهو مما يُذَم شرعاً، وكذلك التسمية بأسماء الحيوانات وما شابه ذلك.

٣ – الأسماء المذمومة:

كما ندب الشارع ﷺ إلى أسماء، وحثّ على التسمية بها فإنه نهى عن أسماء وهذا النهي منه ما هو جازم فتكون التسمية بالاسم محرمة، ومنه ما هو غير جازم فتكون التسمية مكروهة غير مستحسنة.

١– الأسماء المحرمة:

اتفق العلماء على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله – تعالى – نحو: عبد المسيح وعبد الزهراء وعبد الكعبة وعبد الحسين وعبد النبي.

وَفَدَ على النبي ﷺ قوم، فسمعهم يسمّون عبد الحجر فقال لـه: **«ما اسمــك؟»** فقـال: عبد الحجر. فقال لـه رسول الله ﷺ : **«إنما أنت عبـــد الله»**. والعبودية لغير الله إشراك، ونطق الاسم في ذاته، والتّسمّي به لا يجوز.

قال ﷺ : **«إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ»** (١) ومما يحرم: التسمية بأسماء الرب تعالى مثل الله والرحمن والصمد والقيوم.

٢- الأسماء المكروهة:

وهي التي لا يُستحسن التسمية بها.

قال ﷺ : **«وَلا تُسَمِّيَنَّ غُلامَكَ يَسَارًا وَلا رَبَاحًا وَلا نَجِيحًا وَلا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَــمَّ هُوَ فَلا يَكُونُ فَيَقُولُ لا»** (٢).

وهذه العلة - وهي خوف أن لا يكون للمسمى نصيب - من اسمه تكون في غير الأسماء المذكورة كأن يُسمي " مؤمناً " ويكون في كبره كافراً!

فعلى الآباء والأمهات أن يحسنوا التسمية، ويضعوا في الحُسبان ذلك، ويجب عليهم أن يُنشئوا الطفل على الأوصاف التي يقتضيها اسمه، فإن كان اسمه " محمداً " عوده منذ صغره على فعل المحامد، وبذل العطاء للناس ليكون محمداً حقيقة.

ومن الأسماء المكروهة أسماء العاهات نحو الأعور والأحدب والأعرج ونحوها.

وكذلك التسمية بأسماء الحيوانات، فالإنسان مكرَّم من قبل الله، فلا يليق بـه أن ينحط عن تلك المرتبة فيسمي " صقراً " و"أسداً" ونحو ذلك.

وكذلك أسماء الفراعنة والجبابرة التي اختصّوا بها وصارت حين إطلاقها لا تنصرف إلا إليهم، نحو " فرعون " و"قارون" و"هامان".

ومنها أسماء الملائكة كجبرائيل وميكائيل ونحوهما، وبعض العلماء أباح التسمية بها ومنها الأسماء التي لها معانٍ تكرهها النفوس نحو حَرْب ومُرّة وحنظل وغير ذلك.

وقد كان النبي ﷺ يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه جداً (كحرب ومرة)من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال، حتى أنه: مر ﷺ في مسير لـه بين جبلين فقال: **«ما اسمهمـــا؟»** فقيل لـه: فاضح ومُخزٍ فعدل عنهما ولم يمر بينهما،

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٣٨).

(٢) سنن الترمذي (٢٧٦٢).

ومن تأمل السنة وجد معاني في الأسماء مرتبطة بها، حتى كـأن معانيهـا مـأخوذة منهـا وكأن الأسماء مشتقة من معانيها فتأمل قولـه – ﷺ : **«أسلم سلمها الله، وغِفَار غفر الله لها، وعصيّة عصت الله»**.

ويوضح ذلك أيضا ما ورواه الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد: " أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيتها؟ قال: بـذات لظـى. قـال عمـر: أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا. فكان كما قال عمر – رضي الله عنه [1].

التفاؤل بالاسم الحسن:

وكان ﷺ يتفاءل بالاسم الحسن، ويستبشر به خيراً نحو ما فعل يوم الحديبية لما جاء سهل بن عمرو فقال النبي ﷺ : **«... لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ.....»** قال ابن القيم: وهذا دليل من الأدلة على علوَّ حسَّه اللُغوي وتذوَّقه الرفيع ﷺ.

تغيير الاسم باسم آخر لمصلحة تقتضيه:

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – " أن الـنبي ﷺ غـير اسـم عاصـية، وقـال: **«أنـت جميلة»**.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريـرة ﷺ : **«أَنَّ زَيْنَبَ كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ فَقِيلَ تُزَكِّي نَفْسَهَا فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : زَيْنَبَ»** [2].

وفي سنن أبي داود عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ عَـنْ جَـدِّهِ: **«أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – قَالَ لَـه: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ حَزْنٌ قَالَ: أَنْتَ سَهْل. قَالَ: لا السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ قَالَ سَعِيدٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُصِيبُنَا بَعْدَهُ حُزُونَةٌ»** [3].

وفي الصحيحين: " أن رسول الله ﷺ أُتي بالمنذر بن أبي أسيد حين ولـد، فوضـعه علـى فخذه فأقاموه، فقال ﷺ : **«أين الصبي؟»**. فقال أبو سعيد: قلبناه يا رسـول الله. قـال: **«ما اسمه؟»** قال فلان، قال: **«ولكن اسمه المنذر»** [4].

---

(١) الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد.

(٢) صحيح البخاري (٥٧٢٤).

(٣) وفي سنن أبي داود عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.

(٤) متفق عليه.

عن أسامة بن أخدري – رضي الله عنه: " أن رجلاً كان يقال لـه: أصرم، كان في النفـر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال ﷺ : **«ما اسمك؟»**. قال: أصرم، قال: **«بل أنت: زرعـــة»** وفي سنن أبي داود عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ " [١].

قال أبو داود: وغَيرَّ رسول الله ﷺ "اسم العاصِ وعَزيز وعقلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب، فسماه هاشماً، وسمى حرباً: سِلماً، وسمـى المضـطجع: المنبعـث، وسمـى أرضاً يقال لها عفرة: خضرة، وشِعب الضلالة سماه: شعب الهدى، وبنو الزنية سمـاهم: بـني الرشدة، وسمى بني مُغْوية: بني رشدة [٢].

وقد قال ابن أبي شيبة في مصنفه: قال الشعبي: لم يدرك الإسلام من عصـاة قـريش غـير "مطيع"، وكان اسمه العاصي، فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً.

وعن علي – رضي الله عنه قال: " لما ولد الحسن سميتـه: حربـاً، قـال: فجـاء الـنبي ﷺ فقال: **«أروني ابني، ما سميتموه؟»** قلنا حرباً، قال: **«بل هو حســـن»**، فلمـا ولـد الحسـين سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ، فقال: **«أروني ابني ما سميتموه؟»** قلنا: حربا. قـال: **«بل هـــو حسين»** قال فلما ولد الثالث سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: **«أروني ابني ما سميتموه؟»** قلنا: حرباً، قال: **«بل هو محسن»** ثـم قـال: **«إني سميتهم بأسماء ولد هارون: بشر وبشـــير ومبشر»**.

وفي مصنف ابن أبى شيبة عن خيثمة قـال: كـان اسـم أبـي في الجاهليـة عزيـزاً، فسـماه رسول الله ﷺ : عبد الرحمن.

وكان رجل يقال لـه: أصرم فقال رسول الله ﷺ : **«ما أسمك»** فقال: أنا أصـرم، قـال: **«بل أنت زُرعة»**.

وعن رابطة بنت مسلم عن أبيها قال: شـهدت مـع الـنبي ﷺ حنينـاً، فقـال لـي: **«مـــا اسمك؟»** قلت: غراب، قال: **«لا، بل أنت مسلم»**.

وكما أن تغيير الاسم يكون لقبحه وكراهته، فقد يكون لمصلحة أخرى مع حسـنه. كمـا غير اسم برّة: بزينب، كراهة التزكية، وأن يقال: خرج من عـند برة، أو يقال كنت عنـد بـرة، فيقول: لا.

---

(١) سنن أبو داود.

(٢) سنن أبو داود.

وغـير الـنبي ﷺ اسـم المدينـة، وكـان يثـرب، فسـماها: طيبـة، كمـا في الصـحيحين عن أبي حميد قال: أقبلنـا مـع الـنبي ﷺ مـن تبـوك حتـى أشـرفنا علـى المدينـة، فقـال هـذه: **«طيبة»**.

وفي صـحيح مسـلم عـن جـابر بـن سمـرة قـال سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَيِّبَـةَ»** ويكـره تسـميتها يثـرب كراهـة شـديدة، وإنمـا حكـى الله تعـالى تسـميتها: يثـرب وأن أبـا هريـرة – رضـي الله عنـه – قـال: سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: **«أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّـاسَ كَمَـا يَنْفِـي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»**[1].

دلالة الاسم على توجه الأسرة:

هذا وإن في اختيار الاسـم لـلأولاد دلـيلا علـى توجـه الوالـدين أو أحـدهما: الـديني، أو الفكري، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو غير ذلك.

لذلك يمكن إدراك نوع توجه الأسرة من خـلال أسمـاء أبنائهـا، فـإن كـان الاسـم نحـو عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، ومحمود دلّ على التوجّه الـديني، بـل أكثـر مـن ذلـك ربمـا دلّ الاسم في الغالب على الانتماء المذهبي داخـل الاتجـاه الـديني. فنحـو " عمـر – أبـي بكـر – معاوية" يدل على التوجّه السنّي وغير ذلك من الأسماء وكلما كان الاسم ثقـيلاً وقاسـياً دل في الغالب على أنه في الصحراء والبادية، وربما كان توجّه العائلـة سياسـياً فيسـمّون بأسمـاء زعماء سياسيين ووطنيين أو التوجه غربياً فيسمون بأسمـاء أجنبيـة أو فنيـاً فيسـمون بأسمـاء فنانين مشهورين، أو فكرياً فيسمون بأسماء مفكرين عظماء، وقد يكون الاسم لقيمـة جماليـة فتقتصر التسمية على اختيار الاسم الحسن الجميل لفظاً ومعنىً.

فممـا سـبق يتضـح لنـا أهميـة هـذا الحـق واعتنـاء ديننـا الحنيـف بتسـمية أولادنـا، فعلينـا أن نـؤدي لهـم حقهـم في تسـميتهم بمـا يرضـي الله ورسـوله ويسـعدهم في ديـنهم ودنياهم.

حق الختان:

ومن حقه أن يختنه ذكراً كان أو أنثى، والختان من سنن الفطرة، ويستحب أن يكون بُعيد الولادة بأيام قليلة لسهولته عندئذ على الطفل الذكر.

---

(١) سنن النسائي.

وهو مستحب عند الجمهور للبنت، وأعف لها وأطهر، وإن كانت أحاديث ختان البنات ضعيفة، ولكن العمل عليها عند الجمهور على الاستحباب.

وأتى من الأحاديث الصحيحة ما يفيد أن البنت لها أن تتختن: قال ﷺ في الحديث:

«إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ..» ففي هذا الحديث كنى النبي عن عضو الرجل وعضو المرأة بالختانين، ولا يكونا كذلك إلا إذا كانا مختونين.

فإذا علم ذلك فعلينا أن نحذر دعاة الفجور الذين يريدون أن تكون المرأة مشتعلة بالشهوة، ليصلوا إلى مرادهم الخبيث.

حق الرضاعة:

أن يختار له والده مرضعة صالحة، وأفضلهم أمه التي أنجبته، لما للبنها من توافق مع الطفل، كما للرضاعة من الأم أثر طيب في النمو النفسي والعاطفي للطفل، وإن تعذر على الأم إرضاعه، فينبغي على الأبوين البحث عن مرضعة ذات دين، لا تأكل حراماً ولا تقترب منه، فيستفيد الطفل عندئذ من حليبها إن شاء الله.

أن ترعاه أمه وتحضنه - وخاصة خلال الطفولة المبكرة - ولا تتركه للخادمات أو المربيات مهما أخلصن في عملهن، فالأم لا تعوض عند الطفل بالدنيا كلها.

تعليمه القرآن:

وعلى الوالدين أن يعلّما طفلهما كتاب الله - تعالى - وما يلزمه من العلوم النافعة لدينه ودنياه. وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - فيما سبق من تقرير حق الولد على أبيه "... وأن يعلمه الكتاب "

وقد أخرج البيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة، وألا يرزقه إلا طيباً»** [1].

أن يعلمه السباحة والفروسية:

أن يعلمه السباحة، وركوب الخيل وما في حكمها الآن من سيارة ودراجة، ويربي جسده تربية إسلامية، ليكون مجاهداً في سبيل الله عز وجل.

(١) أخرج البيهقي.

ألا يرزقه إلا طيباً، من الكسب الحلال، فقد روى الطبراني في الأوسط أن رسول الله ﷺ قال: **«من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء»** [1]، وأخرج ابن أبي الدنيا عدة أحاديث تحت باب: النفقة على العيال، والثواب على النفقة عليهم. منها: **«... وإن كان يسعى على صبيان لـه صغرا ليغنيهم فهو في سبيل الله...»** ومنها: **«من طلب الدنيا حلالاً ووجه مثل القمر ليلة البدر...»**.

أن يعلمه الصلاة ويدربه على الصوم:

أن يعلمه الصلاة ويدربه عليها في سن السابعة، ويواظب على هذا التدريب والتعليم حتى ترسخ عنده، ويصحبه إلى المساجد للصلاة، وسماع الدروس، والمواعظ والجلوس عند العلماء.

وأن يدربه على الصوم منذ السابعة، ويراعي الفصول وطول النهار، فيدربه على صوم النهار كله أو بعضه، حتى إذا أنس منه القدرة على الصوم يلزمه به.

أن يكون الوالدين قدوة حسنة:

أن يكون الوالدين قدوة حسنة لأطفالهما في البيت وخارجه، فالأطفال يتعلمون من اقتدائهم بأفعال والديهم أضعاف ما يتعلمونه من أ قواهم.

بعض الحقوق الأخرى:

أن يعلمه آداب الاستئذان وسائر الآداب الاجتماعية، ويدربه عليها ويلقنه إياها بالقدوة والقول.

أن يوفر لـه الرفقة الصالحة، ويخطط بشكل غير مباشر ليضع ولده في بيئة صالحة، كالسكن في حي إسلامي، بجوار المسجد النشيط، وإرساله إلى مدرسة إسلامية، وإرساله إلى المراكز الصيفية والمخيمات الإسلامية.

---

(١) رواه الطبراني.

أن يعوله ويرعاه:

أن يعوله حتى سن الرشد، وأن يعده للحياة في مجتمعه، فيدرسه ويدربه ويعده بما يلزم ليكون عنصراً صالحاً في المجتمع المسلم.

هذا وأسال الله ان يوحد صفوف المسلمين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه...

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

آميـن

تم بحمـد الله

* * * * *

أهم المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- أبو بكر جابر الجزائري. هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ.
- الآداب الشرعية لابن مفلح.
- الأدب المفرد للبخاري.
- الرحلات وسيلة دعوية فكيف نستفيد منها / موقع صيد الفوائد.
- اللُّعب والألعاب.. إرشادات للأهل والمربين / موقع المسلم.
- مستفادة من مقال تربية الطفل / موقع مفكرة الإسلام.
- أفكار دعوية للأبناء بالحاسب الآلى / موقع صيد الفوائد.
- الشيخ إبراهيم الدويش. توجيهات وأفكار في تربية الصغار:
- أساليب عملية تجعل أولادك يحبون القراءة / موقع صيد الفوائد.
- الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة.
- الجنين يتذوق الطعام وهو في بطن أمه. مقال منشور على الصفحة الرئيسة لموقع لها أون لاين.
- المسلمة، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- سميحة غريب. كيف تربِّي طفلاً سليم العقيدة. – الإسكندرية: دار الدعوة.
- فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي. تربية الأولاد في الإسلام.
- محمد سعيد مرسي فن تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، د. محمد سعيد رمضان البوطي. منهج تربوي فريد في القرآن، د. حسام عرفة. الجنين أيضاً يُصاب. بالاكتئاب!
- نبيلة حمدي. أعاني من ضغط نفسي هل سيؤثر ذلك على جنيني؟ مجلة الأم والطفل.
- كتاب الوجيز في التربية / يوسف محمد الحسن.
- محمد أحمد النابلسي. ذكاء الجنين. بيروت: دار النهضة العربية ١٩٨٨.
- أ. د. كريمان بدير. رعاية الطفل من الجنين حتى عامين، عالم الكتب ٢٠٠٤، القاهرة.
- خيرية صابر. حقوق الطفل في الإسلام

- صفي الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم
- محمد أحمد النابلسي. ذكاء الرضيع. بيروت: دار النهضة العربية.
- محاضرة مسجلة على شريط ينتجه " المركز الإسلامي العالمي للإنتاج والتوزيع " – بني ياس – أبو ظبي.
- د. يحيى الغوثاني. طرق إبداعية في حفظ القرآن.
- فن تربية الأولاد في الإسلام.
- كيف نساعد الأطفال على تقوية الذاكرة والتذكر؟ الصفحة الرئيسة لموقع "طفلي".
- عمرو خالد. خواطر قرآنية، القاهرة، أريج للنشر والتوزيع.
- فضيلة الشيخ محمد حسان. الشفاعة: خطبة مكتوبة.
- سعيد عبد العظيم. خير الكلام في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، الإسكندرية: دار الإيمان.
- فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد. لماذا نحب رسول الله ﷺ.
- تفسير الجلالين؛ وفضيلة الشيخ عبد الله النوري في كتابه " سألوني في منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦.
- علاء داود. كيف نعلم أبناءنا.
- خيرية صابر. الأم قدوة متحركة في أرجاء البيت، مقالة فضيلة الشيخ محمد حسان. الشفاعة.
- محمد سعيد مرسي – فن تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم مقالة.
- خيرية صابر، الأم قدوة...
- أ. د. عبد الغني عبود. طفلك هبة الله لك / القاهرة: سفير.
- خالد محمد خالد. إنسانيات محمد، القاهرة، دار المعارف.
- محب. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- أبو الحسن الندوي – سيرة خاتم النبيين للأطفال، القاهرة – دار الكلمة ١٩٩٨.
- د. خالد أبو شادي. وا شوقاه رسول الله، القاهرة: دار الراية، ٢٠٠٢ م.

- صحيح البخارى.
- صحيح مسلم.
- فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد. لماذا.
- فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي. أسماء الله الحسنى.
- علاء داود. كيف نعلم أبناءنا حب الرسول؟ مقال في باب"حواء وآدم".
- جامع العلوم والحكم.
- السنة للخلال.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- طبقات ابن سعد.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد.
- تفسير الطبرى.
- في ظلال القرآن.
- صفوة التفاسير.
- شخصية المرأة المسلمة في صور القرآن والسنة.
- طرائق تدريس التربية الإسلامية.
- شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في القرآن والسنة.
- سنن الترمذى.
- سنن ابن ماجة.
- مسند الإمام أحمد.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

كتب مطبوعة للمؤلف

١ - إحكام الأحكام في تجويد القرآن/ مكتبة الإيمان المنصورة.

٢ - النفاق وأثره في حياة الأمة/ مكتبة جزيرة الورد القاهرة.

٣ - المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب/ مكتبة الإيمان المنصورة.

٤ - النبى ﷺ كأنك تراه (قيم إنسانية من حياة الرسول) مكتبة الايمان / المنصورة.

كتب تحت الطبع ستصدر قريبا إن شاء الله

دراسة منهجية من القرآن والسنة فى:

١ - تربية الطفل / مكتبة الإيمان المنصورة.

٢ - المرأة بين عز الإسلام وذل الجاهلية / مكتبة الإيمان المنصورة.

٣ - شخصية المسلم فى ميزان الشريعة / مكتبة الإيمان المنصورة

* * * * *

الفهــرس

* * * * *